

مذكرات الرائد سي لخضر بورقعة

شاهد على اغتيال الثورة



مذكرات الراءء سى لءضربورقعة

ءءررر: صاءق بعوش

ءقءرر: الفررر سءء الءرر الشاءلر

شاهء على اءءررر الءورء

الءبعء الءاءرر

مزرءءء وءنقءءء

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الثانية

8 ماي 2000 م

الطبعة الأولى

دار الحكمة 1990

إيداع قانوني

506 / 2000

الطباعة والتوزيع المصري

شركة دار الأماة

للطباعة والنشر والتوزيع

ص.ب 109 برج الكيفان 16 120 الجزائر

الهاتف : 04 22 20 (02)

الفاكس: 04 24 20 (02)

تصنيف ومعالجة النص: ياسين أمنام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا الكتاب

«...استمتعتُ كثيراً بقراءة كتاب «شاهد على اغتيال الثورة»
للرائد لخضر بورقعة.

... إن الكتاب يحكي قصة ثورة الجزائر... من وجهة نظر ضابط شاب في
الولاية الرابعة، عاش الحرب من أولها إلى آخرها، قصة حافلة بالبطولات، ولكنها
لم تسلم من الكثير من الغيانات والمؤامرات... ثورة سقط فيها الآلاف من الجنود
الفرنسيين والمستعمرين، وسقط فيها أيضا الكثير من الخونة والعملاء الذين
كانوا يتعاملون مع العدو.

... والكتاب مليء بالقصص الشيقة التي يحكيها أحد شهودها وصانعيها.
فهو يحكي قصة الزيارة السرية التي قام بها قائد الولاية لخضر الإليزي حيث
قابل الجنرال ديفول يوم 10 يوليو 1960، تلك الزيارة التي كان يهدف الجانب
الفرنسي من ورائها إلى شق صفوف قيادات جيش التحرير، والتي كان نيتها
قيام جيش التحرير بتمصفية كل من شارك فيها.

وهو يحكي كيف كانت زوجات بعض (المرؤعة) يسرقن الأسلحة والذخيرة
من أزواجهن ليبعثن بها إلى المجاهدين...

...ويخصص المؤلف أكثر من نصف الكتاب ليشرح فيه تفاصيل الصراع
السياسي في الجزائر بعد استقلالها. كيف استغل ملك المغرب هذه الصراعات
السياسية، فدفع بقواته يوم 9 أكتوبر 1963 لاحتلال وضم أجزاء من أرض الجزائر
إلى ملكه... وكيف دفع هذا الغزو القوي الجزائرية إلى توحيد صفوفها من أجل
مقاومة هذا الغزو... وكيف تم انقلاب بومدين ضد بن بلة في 19 جوان 1965...
وكيف اندلعت حركة التمرد في 11 ديسمبر 1967 بقيادة العقيد الطاهر الزبيري...
وكيف التقى لخضر بكريم بلقاسم في باريس ثم بعد ذلك في مدريد في جوان
1968.. ثم يحكي المؤلف كيف انتهت رحلة نضاله العسكري والسياسي بالقبض
عليه بعد عودته إلى الجزائر عام 1968، ثم الحكم عليه بالسجن لمدة ثلاثين عاما،
قضى منها سبع سنوات ونصف قبل أن يخرج عنه ليستأنف حياته
كمواطن عادي».

من التقديم

بقلم الفريق سعد الدين الشاذلي

قائد الأركان في حرب أكتوبر 1973.

الناشر



صورة تذكارية بعد مؤتمر الصومام مباشرة بالولاية الرابعة، من اليسار إلى اليمين:

- 1- العقيد سي الشريف (علي صلاح) قائد الولاية السادسة (شهيد) 2- العقيد سي احمد (احمد بوفوره) قائد الولاية الرابعة (شهيد) 3- العقيد سي صالح (محمد زعوم) قائد الولاية الرابعة بالنداية (شهيد) 4- العقيد سي احمد بوفوره 4- العقيد سي زقني (عمرو أو عمران) قائد الولاية الرابعة أثناء مؤتمر الصومام 5- العقيد سي الصادق (سليمان دهيليس) قائد الولاية الرابعة 6- القائد سي الطيب (عمر أو صديق) عضو قيادة الولاية الرابعة.

المؤلف في سطور

* سني لخضر بورفاعة.. أو الرائد سي لخضر كما يسميه رفاقه في السلاح. من مواليد 15 مارس 1933 بقرية أولاد تركي بلدية العميرية ولاية المدية.

* التحق بالثورة في أوائل سنة 1956 كان يكافح رفقة أبطال أذاز بالولاية الرابعة... سي بوثرة، وسي بونعامة، وسي صالح زعموم الذي ارتبط اسمه بقضية الإليزي...

* يتكلم عنه Yves Courrie ويقول بأن بورفاعة هو الوحيد الذي رفض أن يُعدم سي صالح زعموم...

* ويتكلم عنه H. Alleg ويقول كان بورفاعة قائد كتيبة الزبيرية التي قاومت بشجاعة نادرة القوات الفرنسية...

* ويتكلم عنه المؤرخ الجزائري محمد تقيبة ويذكر بطولاته بالولاية الرابعة.

* عيّن قبيل الاستقلال في مجلس قيادة الولاية الرابعة ثم عضوا بالمجلس الوطني للثورة، وبعد الاستقلال شارك في المجلس الوطني الأول ثم في اللجنة المركزية للمؤتمر الأول لحزب جبهة التحرير الوطني سنة 1964.

* وبورفاعة معروف بشدة معارضته لجيش الحدود، وهو من المؤسسين الأوائل لحزب جبهة القوات الاشتراكية « FFS » .

- أدخلوه السجن ليلة الذكرى السادسة لعيد الاستقلال في 5 جويلية 1968 رفقة المجاهد (المرحوم) سليمان عميرات وآخرين بتهمة التحالف مع الطاهر الزبيوري وكريم بلقاسم، وحكم عليه بثلاثين سنة سجنا نافذة. وعرف سجون وهران، لامبييز، تيزي وزو، الحراش إلى أن أطلق سراحه في شهر جوان 1975 إثر عملية جراحية خطيرة (...).



qui s'était fait après ~~le 18 mai~~, aucun bilan détaillé n'a été publié, preuve de son caractère très incomplet ¹⁹. La katiba Zoubiria, dirigée par Lahkdar Bourougan, a pu résister pied à pied dans le Mongorno (Titteri) ²⁰ ; la katiba de Tabas s'échappe le 18 mai à l'encerclement en infligeant des pertes exceptionnellement lourdes (31 tués) aux unités de bouclage. Pendant toute la durée de l'opération, l'A.L.N. n'a cessé de harceler postes, centres, véhicules et patrouilles, particulièrement dans l'Oriensvillois (16 harcèlements dans la seule semaine du 11 au 17 mai, 26 du 1^{er} au 28 juin ²¹).

صورة عن امدادات الجيش الفرنسي في معركة موفورتو عن كتاب :
La Guerre d'Algérie - Henri Alleg - Ed Messidor 1981



صورة لاحدى الطائرات المسقطه في معركة موفورتو، ويظهر في الصورة:
محمد الشامي ، ضابط من مدينة المدية (على اليسار)
علي دهلوك ، ضابط فيما بعد من قرية وامري (المدية)

تقديم

الفريق سعد الدين الشاذلي

استمتعت كثيرا بقراءة كتاب «شاهد على اغتيال الثورة» للرائد لخضر بورقعة. والكتاب يقدم لنا حرب التحرير الجزائرية من وجهة نظر ضابط من ضباط الولاية الرابعة. ضابط شاب عاش الحرب من أولها إلى آخرها. والكتاب يشرح بالتفصيل أزمة الثقة التي كانت بين قيادات الداخل التي كانت تقود الكفاح المسلح ضد المستعمر الفرنسي، وبين قيادات الخارج التي كانت تقوم بجمع الأموال والسلاح وتبعث بها إلى الداخل. ويذكر الكاتب كيف كانت قيادات الخارج تستغل الإمدادات التي تبعث بها إلى الولايات كورقة ضغط تكتسب بها ولاء قيادات الداخل. وكيف كانت الولاية الرابعة تعمل وتسمى لكي تحقق لنفسها اكتفاء ذاتيا. كان مصدر سلاحها الرئيسي هو ما تستطيع أن تغنمه من الجنود الفرنسيين. وكانت تعتمد في توفير احتياجاتها على ثلاثة مصادر رئيسية. المصدر الأول هو ما كانت تحصل عليه من اشتراكات من السكان المؤيدين والذي كان 200 فرنك فرنسي قديم. وكان المصدر الثاني هو ما تفرضه من الأموال على الأغنياء الجزائريين. وكان المصدر الثالث هو ما تفرضه من غرامات على من يخالف أحكام الثورة وأوامرها وعلى المنحرفين عن مبادئ الدين الحنيف والأخلاق العامة.

قد يتعجب الشاب الجزائري الذي يعيش اليوم في التسعينات، كيف استطاع المجاهدون بتلك الموارد المحدودة أن يلبوا مطالب جيش التحرير الذي كان يتصدى للقوة الفرنسية الاستعمارية الغاشمة قبل أكثر من ثلاثين عاما. ويجب الرائد لخضر عن هذا السؤال قائلا إنهم كانوا قادة وضباطا وجنودا يعيشون عيشة تقشف وكفاف. فقد كانت كسرة خبز يابسة تكفي المجاهد عدة أيام. وكلهوا ينامون في العراء. وبالتالي فقد كانت مطالبهم الحياتية قليلة جدا.. أما ما كانوا يجمعونه من مصادر تمويلهم المحدودة، فقد كانوا يستثمرونه في الزراعة.. فيمدون الفلاحين برؤوس الأموال التي تمكنهم من زراعة أرضهم على أن يتقاسموا معهم المحاصيل. ونتيجة هذا التلاحم بين المجاهدين والسكان، لم

تعد مسؤولية جيش التحرير هي قتال الجيش الفرنسي فحسب، بل أنها تعدته إلى إقامة جهاز إداري وجهاز قضائي مواز لأجهزة الدولة. والذي يثير الاهتمام هنا هو أن كل ذلك كان يتم على أيدي رجال لا تتجاوز أعمارهم 25 سنة.

والكتاب مليئاً بالقصص الشبقة التي يحكيها أحد شهودها وصانعيها. فهو يحكي قصة الزيارة السرية التي قام بها قائد الولاية لقصر الإليزيه حيث قابل الجنرال ديغول يوم 10 يوليو 1960. تلك الزيارة التي كان يهدف الجانب الفرنسي من ورائها أن يشق صفوف قيادات جيش التحرير، والتي كان نتيجتها قيام جيش التحرير بتصفية كل من شارك فيها. وهو يحكي كيف كانت زوجات بعض (الحركة) يسرقن الأسلحة والذخيرة من أزواجهن ليعتصموا بها إلى المجاهدين... ويحكي كيف تم القضاء على العديد من الخونة الذين كانوا يتعاونون مع العدو.

كانت الولاية الرابعة تتمتع بوضع خاص حيث تدخل عاصمة البلاد في حدود مسؤوليتها، وحيث كان يسكنها الغالبية العظمى من الفرنسيين، والجزائريين المتفرنسين. وبالتالي كانت الولاية مليئة بالخونة... ومليئة بالمواطنين الذين لا تتفق إيديولوجيتهم مع أفكار الثورة الجزائرية. وكان على جيش التحرير بالولاية أن يتصدى لكل هؤلاء، بالإضافة إلى مسؤولية التصدي للجيش الفرنسي. ولعل أصعب موقف واجهه المجاهدون في الولاية الرابعة هو ذلك الموقف الذي نشأ بعد وقف إطلاق القتال في 19 مارس 1962. لقد كان هذا التاريخ هو بداية الصراع على السلطة في الجزائر. بين الحكومة المؤقتة برئاسة بن خدة من جانب وبين القيادة العامة لجيش التحرير (في الخارج) بقيادة هواري بومدين في الجانب الآخر. وبين قيادة هواري بومدين وقيادة الولاية الثالثة. كانت الولاية الرابعة - كما يحكي مختصر- تريد أن تصلح بين الطرفين، فلما فشلت في ذلك أرادت أن تقف على الحياد. ولكن الاستيلاء على العاصمة كان هدف كل من الفريقين المتنافسين (بومدين من جانب والولاية الثالثة من جانب). وزحفت قوات الطرفين على الجزائر. واشتعلت الحرب الأهلية بين الأشقاء. وسقط شهداء جدد من المناضلين بأيدي إخوانهم في السلاح. وحسم الأمر لصالح بومدين الذي حصل على تأييد الولايات الأولى والخامسة والسادسة وبعض عناصر الولاية الثانية الذين تخلوا عن العقيد سي صالح بو بنيدر «صوت العرب» الذي كان سابقاً لمعارضة قيادة الأركان.

ويخصص المؤلف أكثر من نصف الكتاب لشرح تفاصيل الصراع السياسي في الجزائر بعد استقلالها. كيف استغل ملك المغرب هذه الصراعات السياسية، فدفع بقواته يوم 9 أكتوبر 1963 لاحتلال وضم أجزاء من أرض الجزائر إلى ملكه.. وكيف دفع هذا الغزو القوي الجزائرية إلى توحيد صفوفها من أجل مقاومة هذا الغزو... وكيف تم انقلاب بومدين ضد بن بلة في 19 جوان 1965... وكيف اندلعت حركة التمرد في 11 ديسمبر 1967 بقيادة العقيد الطاهر الزبيري... وكيف التقى لحضر بكرم بلقاسم في باريس ثم بعد ذلك في مدريد في جوان 1968.. ثم يحكي المؤلف كيف انتهت رحلة نضاله العسكري والسياسي بالقبض عليه بعد عودته إلى الجزائر عام 1968، ثم الحكم عليه بالسجن لمدة ثلاثين عاما، قضى منها سبع سنوات ونصف قبل أن يفرج عنه ليستأنف حياته كمواطن عادي.

إن الكتاب يحكي قصة ثورة الجزائر... من وجهة نظر ضابط شاب في الولاية الرابعة. قصة حافلة بالبطولات، ولكنها لم تسلم من الكثير من الحيانات والمؤامرات... ثورة سقط فيها الآلاف من الجنود الفرنسيين والمستعمرين، وسقط فيها أيضا الكثير من الخونة والعملاء الذين كانوا يتعاملون مع العدو.. ولعل الجانب الحزين في هذه الثورة هو إعدام العديد من أبناء الثورة أو الزج بهم في السجون نتيجة الوشاية أو الصراع على السلطة... ولكن هذه طبيعة كل ثورة. فلكل ثورة أبطال وضحايا، وأعمال مجيدة وأخطاء. وإذا كانت الثورة قد ارتكبت بعض الأخطاء، خلال مرحلة الكفاح المسلح وخلال مرحلة ما بعد الاستقلال، فإن ذلك لا يمكن أن يقلل من الانجازات انضمة لهذه الثورة على المستوى الإقليمي والعالمي، فهي أول ثورة شعبية تنتزع الاستقلال من القوى الامبريالية بقوة السلاح وبعد صراع مسلح استمر سبع سنوات ونصف، سقط خلالها مليون ونصف مليون من الشهداء... فضربت بذلك رقما قياسيا في تاريخ الثورات. ومن أجل ذلك، فإن كل فرد من أبناء هذا الشعب الذي تحمل كل هذه التضحيات، عليه أن يبذل كل ما في طاقته لحماية المبادئ والمثل العليا التي قامت على أساسها الثورة. والله الموفق.

الجنرال سعد الدين الشاذلي

الجزائر 14/08/1990

مدخل

لماذا هذه المذكرات؟

لا تعدو هذه الصفحات التي أسجلها اليوم أن تكون مجرد مذكرات شخصية، وانطباعات عشتها عبر مرحلة الكفاح المسلح إلى فتنة الولايات بعد وقف إطلاق النار مباشرة عام 1962 إلى انقلاب 19 جوان 1965 العسكري، إلى انتفاضة العقيد الطاهر الزبيري في ديسمبر 1967 التي شاء القدر أن أشارك فيها دون رغبة مني.. ثم القبض علي من قبل مخابرات الرئيس الراحل هواري بومدين وتعذيبي ثم الحكم علي بعشرات السنين سجنا نافذا.

لقد أمد الله في عمري لأشهد جميع المراحل التاريخية التي مرت بها بلادي منذ الفاتح من نوفمبر 1954 الذي فجر فيه الشعب الجزائري ثورته المباركة ولم أكن أطمع في عمر يمتد بي لأن أدرك الاستقلال وأشهد أحداثه وأعيش تناقضات بناء مؤسسات الدولة الفتية، وصراع الرجال على السلطة واندساس البعض في أجهزتها لتخريب الذهنيات وتدمير الامكانيات.. وتدمير المشروع الاستعماري في الثقافة والسياسة والاقتصاد... وهو المشروع الذي فشل العدو الفرنسي في إرساء قواعده طيلة 132 سنة من الاستعمار الاستيطاني وتدمير مخططاته...

لقد كتب الله علي قدر الإسهاد على هذه المراحل التي تعد من أدق وأهم مراحل تاريخ الجزائر المعاصر بحيث عشت تجربة الثورة التحريرية فنلت شرف الجهاد جنديا مقاتلا وقائدا منتظما في الولاية الرابعة وقادتي الصدفة أن أكون المعارض المباشر للقاء «الإليزي» ولصناع حدثه بقيادة العقيد صالح زعموم قائد الولاية الرابعة... وأن أعاني فاجعة استشهاد قائدي ومعلمي سي امحمد بوقرة... ثم فرحة الاستقلال والحرية بالنصر الذي اغتالته نزوات البعض وحبهم للمنصب. واللجوء إلى السلاح، مرة أخرى في أحداث الولايات الشهيرة، وتجربة البرلمان الفاشلة ثم اللجوء إلى المعارضة بتأسيس جبهة القوات الاشتراكية (F.F.S)، وتلتها المسؤولية الحزبية، ولما تفاقمت مظاهر الإنحراف والتعسف



من اليسار إلى اليمين
- معمر جقاقن (من البليدة) - المؤلف - محمد بوتعامة (شهيد) - خالد الباي (شهيد).



المؤلف سي لخضر بورقعة مع الرائد محمد بوتعامة سنة 1959 وعامل اللاسلكتي عبد القادر وانفل.



الإخوة المجاهدون الواقفون من اليمين إلى اليسار:

– العقيد عمرو أو عمران (مات بعد الاستقلال) – الضابط الأول الرشيد فورين –
النقيب مصطفى خوجة (علي خوجة) – الضابط الأول (سي اسماعيل) الرشيد عبد
السلامي – الرائد سي لخضر (سعيد مقراني) – العقيد أحمد يوفرة (سي امحمد)
– العقيد سي صالح (محمد زعموم).

الجالسون:

– النقيب عبد الله بربار – النقيب عبد الرحمن لعلی – الضابط ناصر ذراح – النقيب
عمار موهوب عبد القادر.

لدى الكثير من القادة الجدد في الدولة والجيش، عمدت إلى التمرد والمعارضة حتى أطلق علي بعضهم صفة «المعارض الخالد»، وبعد مرحلة معاناة أهوال التعذيب الوحشي وظلمة زنانات المعتقلات عبر التراب الوطني إلى غاية جوان 1975 لم أكن أطعم في الحياة إلى اليوم كان الموت أقرب إلي من جبل الوريد مئات المرات، لقد استشهد أمام عيني آلاف المجاهدين وما كنت أظن أنني سأنجو من ذلك المصير المحتوم إن بفعل رصاصة طائشة.. أو في مواجهة أو في كمين .. أو تحت ريلات التعذيب وتوقعات الاغتيال والغدر..

أمام هذه الرعاية الإلهية التي جاني بها الله آليت على نفسي أن أودي الأمانة وأدلي بشهادتي للتاريخ دون مبالغة ولا زيف خالصة من كل لباقة وحذقة وتدبيج، وحسبي أن أقول إلا ما أعتقدت صدقا بقطع النظر إن وافق الحقيقة أو خالفها.

إن كتابة هذه المذكرات لا أعدها تاريخا لثورتنا العظيمة ولأحداث ما بعد الاستقلال لأنها لا تخضع للمنهجية الأكاديمية والتحصيل والمقارنة والتحليل بقدر ما تنطلق من عفوية المجاهد ابن الريف الذي نفخت الطبيعة في روحه ثورة الإيمان فيعادي من يعادي هذه الثوابت ويصادق من يصادقها... وقد كلفني التزامي بمبادئي ثمنا باهظا دفعته من روحي وجسمي وأحلامي ومطامحي...

لقد عانيت هاجس كتابة مذكراتي سنوات طويلة، وترددت كثيرا قبل أن أحول خواطري الحميمة ومعاناتي إلى مادة ومعلومات موثقة في متناول أي قارئ .. لأنني أخرج من مسؤولية الكلمة التي تقال عن الثورة إلى الأجيال الصاعدة. هذه الثورة التي لو بقي روادها الأولون على قيد الحياة أو أن بعضهم لما فكرت شخصيا في أن أدلي بشهادتي المتواضعة لأن هؤلاء المعلمين الخالص والمجاهدين الأوفياء... هم الذين صنعوا الأحداث وصاغوا التاريخ وأرضعونا لبن الثورة ومعنى التضحية في سبيل الله والوطن.

لا أحسبني أدلي بحرف واحد في أحداث الصومام 1956 وفي ملتقى العقدهاء في 1958 وفي انحراف قيادة الولاية الرابعة عام 1960 وفي مخططات العدر الاستراتيجية العسكرية والإيديولوجية والثقافية التي خطط لها أيام الجنرال ديفول، ولا في تلاعب قيادة الخارج بمصالح الثورة وتخلي الحكومة المؤقتة عن

الشرعية ليستأثر بها بعض قادة الولايات... بعد مؤتمر طرابلس 1962، إذن لا أحسبني أدلي بحرف واحد لو أن مصطفى بن بولعيد، والعربي بن مهيدي وسي امحمد بوقرة وعميروش... وغيرهم رحمهم الله ما زالوا على قيد الحياة. لأننا نحن الجنود كنا نعتقد أن قضيتنا في الجهاد وفوزنا في عملنا الثوري إنما يتأسان على مدى طاعتنا الواعية لأوامر الثورة ولنداء الواجب ولم يكن يهتنا الكلام عن أنفسنا ولا عن مصائرنا كأشخاص...

لكن وبعد أن رحل صانعو مجد الثورة خرجت من ترديدي إلى العمل علي تسجيل خواطري مستجمعا بعض ما في الذاكرة من شتات وما علق بها من صدى الأحداث الجسام، مستلهما ماضي الثورة المجيد مستذكرا أننا كنا رغم فهنا البسيط للأمر منسجمين مع أنفسنا مؤمنين بالنصر أو الاستشهاد في سبيل أن تحيا الجزائر حرة مستقلة.

وقد كان حوارنا ونحن نلج فجر الثورة الأول جديدا في مضمونه وأسلوبه ولغته لم نعهده من قبل لأنه حوار الثورة والبعث من سحيق الموت... بحيث كان البعض يعتقد أنه يخوض مغامرة في أعماق المجهول ولكنها مغامرة مقدسة. والبعض الآخر يتصور أنه جاء متأخرا وقد فاتته الكثير يرجو أن يدركه. أما فريق ثالث فيتوهم أنه في جولة أو نزهة قد لا تطول. وفريق رابع لا يهمه ما يقال ويحدث بل كان ما يعنيه هو تحرير الوطن من الوجود الاستعماري وتطهيره من لوثة الفكر والجهل والقهر والعار... الخ...

والممتع في تلك الأيام أسلوبنا الذي ابتكرناه في التعارف بيننا بحيث كلما سأل أحدنا أخاه المجاهد القادم لتوه ينضم لمسيرة الثورة، متى وأين ولد؟ يجيبه دون تفكير: «ولدت يوم فاتح نوفمبر 1954، تحت هذه الشجيرات أو على أكتاف هذا الوادي... وشهادة ميلادي بندقيتي التي فوق كتفي...».

وهل لك عائلة؟

يرد بسرعة: «أمي الجزائر وأبي ذلك العلم الذي يرفع إلى عنان السماء عبر درب الدم والشهادة...».

هل تشكو من أمر ما؟

يجيبه: «أنا مصاب بمرض مزمن منذ مائة وثلاثين عاما(130) وقد اهدتني إلى الشفاء...».

تعاقبت الأيام والسنون جلي بالأحداث والصراع اليومي مع العدو فجرى جميع وسائل الفتك والتدمير، واستنبت أجمع خطط وأساليب التجويع وإبادة

الشعب لتكريعه وإثانته عن رفق ثورته ودعم ثواره... أحرق الأراضي وأباد الحيوانات والأنعام، سيج الوطن بالأسلاك الشائكة وقطعه إلى مناطق محرمة يطلق النار على كل متحرك فوقها وأقام محتشدات أخطر من محتشدات النازية بحيث تميزت عليها بالعمل السيكولوجي الخطير الذي يصده ويمارسه ضباط المكتب الثاني المتخصصون في أساليب التدمير النفسي وغسل الدماغ وبت الشوك في مقومات الشعب وفي مقدمتها هويته ولفته ودينه وإيمانه بالنصر والتحرير وثقافته وأصوله... إلى جانب العمل العسكري من خلال المخططات العديدة كمخطط شال وعمليات التاج وغيرها في الأوراس والشمال القسنطيني وبيجبال جرجرة وفي كثير من مناطق البلاد الأخرى... بما فيها ولايتنا التي كانت على أهمية بالغة في مخطط العدو التدميري بالنظر إلى موقعها وقربها من نقاطه الاستراتيجية ومواقعه الحساسة...

هذه المخططات تتكامل مع جملة من المشاريع الجهنية التي خطط لها بدقة بهدف التحضير إلى جزائر ما بعد الاستقلال وذلك بمجيء دبقول واقتناعه كرجل حرب وسياسة بحتية استرجاع الشعب الجزائري سيادته مهما كان الثمن... ومنها مشروع قسنطينة ومشروع ألف قرية زراعية الذي احتفظ به في نظام هواري بومدين دون تغيير الاسم، وإن تغير الهدف!

مشاريع اختراق المؤسسة العسكرية الجزائرية بعناصر مشبوهة تربت في أحضان المدرسة الاستعمارية وتشرت إيدبولوجيتها وكلفت بمهمة الاستيلاء على مراكز القرار في هذه المؤسسة الحيوية في ثورة تعد فيها المؤسسة العسكرية أهم وأخطر إطار يحمي ويحافظ على إنجازات الجماهير في الثقافة والتنمية...

ومشروع التحضير لمستقبل إدارة فرنسية في الجزائر لغة وإطارا وأسلوبا واستمرارية بحيث كلف العدو معاهده ومدارسه بتخريج عدة دفعات (... أعدت خصيصا لتزطلع بمهمة تسيير الإدارة والاقتصاد في الجزائر المستقلة وغيرها من المشاريع المعلنة وغير المعلنة.

إلا أن هذه المشاريع العدوانية لم نواجهها نحن بدورنا بمشاريع وخطط مضادة لأننا كنا دون مستوى المواجهة من جهة، وكنا في موقع الذي غلبته الأحداث على أمره لكثرتها وتشابكها، فضلا عن انصراف اهتمام بعضنا إلى هومر السلطة والقيادة وبناء البلاد من جهة أخرى.



من اليمين الشهيد بن تركية (من المدينة) مع الأخ العقيد عمر أو عمران
مع جنود من كومندوس علي خوجة.



من اليسار إلى اليمين -- العقيد سي امجد بوقرة -- عبد السلام (كاتب الولاية الرابعة)
-- العقيد سي احسن (يوسف الخطيب).

إنني اليوم إذ أفد لأتعى موقفنا رغم ما كنا عليه من ثورية وما حضينا به من ثقة الشعب لا أنسى أن أذكر بداية الشرخ الرئيسي الذي بدأ يخر كيان الثورة منذ عهد سابق على الاستقلال، ولولاه ما كان لمشاريع العدو أن تنفذ ولدائه أن يشترى في جسد الاستقلال.

وهذا الشرخ يتمثل فيما كان بين قيادة الداخل وقيادة الخارج من خلاف وصل إلى حد التناقض في الرؤية والمواقف والممارسات بل وإلى المصادمات والتصفيات الجسدية. وإذا كانت بوادره قد ظهرت إلى العيان بعد مؤتمر الصومام 1956 وقبلة قليلا... فإن استفحاله اشتد على أثر لقاء العقداء فيما بعد... واستمر ليأخذ أشكالا وأطرافا عديدة فيما بين قيادة ولايات الداخل ولايات الأطراف... ثم ما بين قيادة الأركان والحكومة المؤقتة إلى أن تم الانفجار في مؤتمر طرابلس 1962 وتفتت المواقف وتعددت أطراف الصراع بمستوى تباين المواقف والمصالح والمبادئ... وهكذا وجد العدو مسوغا لتحرير مشروعه العدواني وترتيب الأوضاع لخدمة أهدافه التي أصابت مقاتل الجزائر المستقلة وحرفت ثورتها وقزمت رسالتها ودمرت الحزب من داخله بنفسه وبواسطة الإدارة والجيش... ومكنت الشركات متعددة الجنسيات من نهب ثروات الشعب بأبخس الأثمان... حتى انتهى الأمر إلى ما نحن فيه في الثمانينات وبداية التسعينيات من دمار في القواعد الاقتصادية وهشاشة في أجهزة الدولة واضطراب في بنية المجتمع تصل إلى حد التناقض الخطير بين فئات بورجوازية طفيلية أو أثرياء بدون سبب... استغلوا فوضى الاقتصاد الوطني والانحراف والاختلاسات المتعددة الوجوه... وبين فئات الجماهير العريضة التي حرمت من أدنى حقوقها الطبيعية والمدنية... يميز هذا الانحراف الاقتصادي انحراف ثقافي وإيديولوجي أخطر منه... بحيث نحن الآن في مرحلة كل ما فيها من وطني... وسيادي... مشكوك فيه ومباح للمتحرفين والمتنسين على الشعب والثورة.

إن ما نحن فيه من نتائج وخيمة هو نهايات لمقدمات بنيت على الخلاف والصراع، وحسبي أن قيادة الخارج تتحمل القسط الأوفر من مسؤولية التفجير واستمرار الصراع الذي مكن العدو من أن يضرب الثورة في عمقها ويتسرب داخل كيانها وبالتالي يخرب مسيرتها ويحرف ملامحها ويقتال مشروعا العربي والإنساني الشامل.



المؤلف مع بابا علي البشير (المعروف باسم الياس).



— المؤلف مع أحد المجاهدين

الفصل الأول

قادة الداخل يجتمعون ويرسلون

العقيد الحواس إلى القيادة في الخارج

1 - خصوصية الولاية الرابعة،

إن المتمعن في خارطة الولاية الرابعة بعد التقسيم الجغرافي الذي سنه مؤتمر الصومام عام 1956 يشهد مدى ما لهذه الولاية من أبعاد استراتيجية كبيرة، بحيث تحتوي على جبال وغابات وسهول... وتتاخم البحر عبر مسافة ثلاثمائة كيلومتر.

أدرك العدو قيمتها الاستراتيجية وموقعها من وجود موانئه... ومطاراته ومراكز تومينه... وتجمع قواته المختلفة وبنوكه واحتياطه من الكولون بأملآكهم ومؤسساتهم...

ولا غرو أن منطقة سيدي فرج البحرية التي دخل منها الغزاة عام 1830 تقع ضمن حدود ولايتنا... وتقتد إلى قرية طاقين الواقعة في باب الصحراء وهي القرية التي شهدت سقوط آخر جندي من قوات الأمير عبد القادر الجزائري... أدرك العدو قيمة الولاية الاستراتيجية والتاريخية... فاحتاط لها احتياطاً كبيراً وأولأها اهتماماً عسكرياً خطيراً دفعت ثمنه قوافل المجاهدين والشهداء... الأمر الذي فرض علينا أن نواجه التحدي الخطير بتحدٍ أخطر منه... وما النصب التذكارية المتناثرة على طول مساحة الولاية إلا دلالة قاطعة على هول المعارك وجسامة التضحيات وأعداد الشهداء... فرضت علينا وضعية المواجهة الصعبة اتباع منهجية قتالية خاصة واستراتيجية مدروسة وتحكم سياسي وعسكري في إمكانياتنا ومواردنا.

2 - بعض الأضواء على الولاية السادسة.

رغم تشابه الأوضاع في مختلف الولايات إبان حرب التحرير لكن في هذا التشابه خصوصيات عديدة ترد إلى ما لكل ولاية من إمكانات متنوعة ومكانة استراتيجية تؤهلها لأن تتزود بالذخيرة والعدة والإمدادات وتكيف أفرادها مع الطبيعة الجغرافية المميزة فيها.

لكن الولاية السادسة قد أهملت منذ البداية ولم يعط لها اهتمام لائق بمكانتها كباقي الولايات الأخرى الأمر الذي أدى بالمصاليين إلى التمرکز بها بعد فرارهم من الشمال في شهر ماي 1957 إثر معركة ضارية مازالت حجارة وأخاديد كهوف منطقة شمال قصر البخاري شاهدة عليها إلى اليوم حيث قتل فيها خمسة وأربعون عنصرا وتم أسر ثمانية وعشرين آخر، وانسحب من بقي على قيد الحياة إلى المنطقة الوسطى من الولاية السادسة التي يحدها شمالا الولاية الرابعة وغربا الولاية الخامسة ونظرا لتوفرها على مواصفات استراتيجية فقد اتخذ منها الجنرال محمد بلونيس بالتنسيق مع ضباط العدو الفرنسي مقر قيادته وتمرکز جماعته الضالة...

لقد كان بلونيس كما هو معروف عضوا بارزا في الحركة الوطنية الجزائرية قبل اندلاع حرب التحرير في 1954، لكنه في غمرة الخلاف الذي نشب داخل الحركة، وانقسامها إلى مركزيين وجبهيين ومصاليين اختار هو الفريق الأخير وأصبح من أعتى أعداء ثورة التحرير واليد الضاربة لمصالي الحاج بالتنسيق مع العدو الفرنسي الذي لقي فيه مسوغا لعرقلة مسيرة الثورة وضررها بأبناء الشعب المغرور بهم...

تأثرت الولاية الرابعة بنشاطه المشبوه في بداية الثورة من سنة 1954 وإلى غاية 1957 وبعد مقتله استمر عناصره في محاربة الثورة طيلة سنواتها الثاني بحيث أذكر أن وحدات تابعة للولاية الرابعة اشتبكت مع ما تبقى من العناصر المصالية شهرا فقط قبل إعلان وقف إطلاق النار مع العدو الفرنسي وذلك في المنطقة الواقعة ما بين البرين وعين لحجل وقد استشهد فيها ثلاثة مجاهدين وتم القضاء على عدد غير قليل من المصاليين وألقي القبض على خمس وعشرين منهم.

3- تجانس الأفكار.

من خلال معاشتي وسابعتي لاهتمام قادة الولايات، في البداية، عميروش، والحواس وسي امحمد والحاج لخضر الأمين خان في لغاتهم المددور سابقا والذي عقد في منطقة جيجل. أستطيع القول أنهم كانوا على بينة من أمرهم.. بحيث كان لقاءهم نتيجة تبلور أفكار اختبروها على ضوء الواقع الثوري ومتغيراته مما استدعى التنسيق وتوحيد الجهود بصورة شاملة واستراتيجية للتصدي للطوارئ، والمخططات التي رسمها ديفول عند وصوله الى السلطة.

إن الممارسة الثورية اليومية واحتكاك القادة بالفعل الثوري وتعاملهم مع الأحداث ومؤامرات العدو داخلا وخارجا جعلتهم يوافقون على الإجتماع ويرسمون مصير المواجهة من خلاله.

لقد كان وصول ديفول الى السلطة الفرنسية واصراره كرجل حرب ومقاومة وداعية استعمار كبير وصاحب مشاريع أثبتت نجاحتها من خلال مخططات جنرالاته العديدة في الميدان نقطة محيرة في رزنامة العمل الثوري والسياسي وقتها بالإضافة إلى الأخطار الداخلية المتمثلة في الانقسامات الحادة داخل كيان الثورة في الوقت الذي كانت قيادة الخارج تعارض روح ملتقى التنسيق والتصدي ولم توافق على مجاء به من مقررات تطمح الى تنسيق الجهود وتوحيد القرار فيما بين الداخل والخارج وتضع خطة شاملة تقاوم العدو في نفس الوقت من الحدود الشرقية إلى الحدود الغربية ومن البحر الى الصحراء حتى لاتعطي لهذا العدو الشرس فرصة الاستفراة بجهة على حدة وتدمير الثورة بأسلوب القضم المرحلي.

ان التمرکز حول نقطة خضوع قيادة الداخل إلى قيادة الخارج أخرجت العمل الخلاق ومكنت العدو من أن يخلط الأوراق ويعمق التفرقة ويفصل بين الولايات وهو الأمر الذي بدا واضحا في عزل الصحراء عن الشمال بسبب إهمال القيادة لها وتهميشها رغم ما يتسم به سكان الصحاري من غيرة على الوطن وعراقة في أخلاق الفروسية ومقاومة المفتصين. لقد تمكن العدو أن يفرض ورقة فصل الصحراء عن باقي الوطن في مفاوضات إيفيان بقوة وأن يعرقل مسيرة السلام... ومرد ذلك في اعتقادي الى أنه في الوقت الذي كان القياديون الفرنسيون

يفكرون بأسلوب استراتيجي، في تفكيك الثورة وعزل مناطقها عن بعضها البعض وقرير أفكارهم الاستعمارية وتمكين بيادقهم من البيروقراطيين الفرانكفونيين من التحكم في شرايين الحياة الاقتصادية والسياسية.. كنا نحن ندور في حلقة مفرغة ونسامل فيما اذا تجاوزت الظروف مقررات مؤتمر الصومام؟ وهل المؤتمر الثاني يعتبر شرعيا بعد أن شككت قيادة الخارج في مصداقته معتبرة إياه إخلالا بهيمنتها على الداخل لأنها ترفض طبيعة التركيب الثوري المنبثق من فصائل المقاومة في داخل الثورة وتتنظر لها بعين الريبة والمنافسة على مكانتها من الشرعية الدولية. متناسبة أن المكانة التي تبوأتها في المحافل الدولية لم تكن لتنالها لولا جهود الشعب والثورة في الداخل عبر التضحيات اليومية.

ونضرب مثلا واحدا على ذلك. عندما كانت منظمة الأمم المتحدة مجتمعة في دورة عادية عام 1960 وكان وفد جبهة التحرير لا يلقى ترحابا كافيا من قبل الوفود المشاركة وفجأة انقلبت جميع التقديرات وصار الجميع يتطلع لمقابلة وفد جبهة التحرير الذي فوجئ هو نفسه بهذا التصرف لأنه لا يعلم أن الشعب الجزائري انفجر كبركان هائج في مظاهرات 11 ديسمبر 1960 في الداخل.

علمنا التاريخ درسا قاسيا أن الشعوب بتماسك طلائعها وتضحياتها تبلغ قراراتها وتفرض حلولها الشرعية... وأنها هي التي تمنح طلائعها الشرعية ومصداقية العمل وليس العكس وهو الدرس الذي تأخر عن فهمه بعض قادة الخارج وظنوا أن أضواء «الكاميرا» وعدسات المصورين التي تصوب تجاههم وقتها والتشريعات التي يحضون بها من قبل ساسة الدول كانت من صنعهم كأبطال معزولين عن القضية. لقد كان وراء هذا الاعتبار آلاف من الضحايا في مؤامرة كبرى على ثورتنا وتصميم نادر الوجود من قبل قوى الشر الغربية الأمريكية-أوروبية لتدمير قلعة كبيرة وبؤرة ثورية تخيفهم من أن تشع أنوار التمرد والثورة في العالم المظلوم وتغير بالتالي جميع موازين القوى المبنية على أسس الظلم والتمايز الدوليين.

إن مشروع شال الذي دام شهورا عديدة وهدف به لأن يكون كمشاة تقبض على عنق الثورة وتمنع عنها عناصر الإمداد والتزود بالعتاد والذخيرة العسكريين.. بكل أسف تم بناؤه تحت سمع وبصر القيادة العامة ولم تخطط

لعرقلته ومنعه من أن ينجز ليصبح بعد ذلك خط الموت الفاصل بين الثورة في الداخل وقواعدها الخلفية في الخارج. لقد اتبع شال مراحل عديدة لإنجازها، ففي البداية حقق مسحا شاملا «سيستيماتيكيا» لكل شيء موجود ثم انتقل إلى مراحل الإنجاز الفعلي وكان مستديم الحضور بنفسه مختارا الزمان والمكان لحقق الثورة.

أما نحن في الداخل فقد حاولنا مواجهة الوضع بشيء من الحكمة والخوف، لقد كنا نعرف كيف بدأ المشروع الجهنمي ولم نكن نعرف كيف ستكون نهايته. كان مثلنا في ذلك مثل القائد الكبير طارق بن زياد وقصائله من مجاهدي العرب المسلمين الأوائل بأن «البحر وراءهم والعدو أمامهم وليس لهم ما يقتاتون به إلا ما يفتكون من عدوهم» وإن كان يشفع لهؤلاء إيمانهم وأسلحتهم وقيادتهم المؤمنة بالنصر أو الشهادة، أما نحن فلا سلاح لنا ولا ذخيرة ولا مؤونة.. كل ما كنا نملكه هو الإصرار على مهاجمة العدو المدجج بالسلاح.. بأيذ عزلاء وافتكاك السلاح والخيز منه.. أما الجماهير التي ظلت طيلة مرحلة الثورة مصدرنا الأساسي من الرجال والمؤونة والإصرار على الجهاد.. قد أفقرها العدو وجوعها وحاصرها في مراكز ومحشذات أو هجرها خارج الحدود القطرية.. لقد كنا كجنود وحدنا في ساحات الموت يحاصرنا العدو بالسلاح ويخفقنا بالأسلاك المكهربة دون أن يترك شيئا واحدا لم يمسطه بحثا عن المجاهدين والمتعاونين معهم.. مما أدى بالجنرال شال إلى تحدي الثورة في ندوة صحفية والحكم عليها بالموت بعد شهرين من إحكام خطته هذه التي حقق فيها إنجازا كبيرا في معارك ضارية لكن غير متكافئة حدثت في الولاية الخامسة، وما قاله شال لمراسل صحيفة «لوموند» يوم 21 أبريل 1959 «من الممكن أن يكون حلا عسكريا للقضية الجزائرية في أقرب وقت ممكن وإليكم نموذجا في عملية واحدة حسب لها كل الحسابات، كان من نتائجها (2462) اثنين وستين وأربع مائة وألفين مابين قتيلا وأسيرا في الولاية الخامسة..»

على إثر ذلك التصريح كنا متمركزين في قرية أولاد عابد شمال قصر البخاري فأمرنا القائد سي احمد بالقيام بهجومات على العدو كان الهدف منها إعادة رفع معنويات المقاتلين والجماهير والرد على غرور شال ونزقه، وكانت خطتنا احتلال مركز تابع للدفاع الذاتي. لكن عدلنا عن تنفيذ العملية بعد أن

تأكدنا من وشاية أحد الخونة وهكذا اكتشف العدو خضتنا فتحرش بفروره ولاحق المجاهدين في هجوم كبير وقعت على إثره معركة (الرقیطة) قرب ثكنة بوغار تكبدت فيها القوات الاستعمارية خسائر هامة في الجنود والعتاد وقتل فيها ضابط فرنسي برتبة نقيب وغمنا ستاً وعشرين قطعة سلاح (26) وأسقطنا طائرة تفجرت في الطريق الوطني رقم واحد على بعد أربعة كيلومترات من قصر البخاري واستشهد من قواتنا اثنان وعشرون مجاهداً. سيظل النصب التذكاري الرابض بتلك المنطقة شاهداً أبدياً على ذلك اليوم المشهود من بين مئات الأيام الخالدة في ثورتنا.

كان هذا الحدث بداية رد بليغ على قائد مغرور ودرساً له فصوله في معارك قادمة.

تواصلت مهاجمة عساكر العدو ورفع التحدي الذي فرضه علينا شال بعد تصريحه لصحيفة لوموند فنظمتنا هجوماً واسعاً يوم 22 أبريل 1959 بقرية بن احسن بعد أن انتقلنا إليها من الرقيطة وكان برفقتنا أسيران فرنسيان كانا وقعا في الأسر في معركة سابقة. وكان العقيد سي أمحمد ينوي إطلاق سراحهما.. لكن كثافة نيران تلك المعركة وقنابل النابالم المتساقطة علينا مداراً قتلتها مع من استشهد من جنودنا وهكذا قتل العدو أبناءه بنفسه. في تلك الأثناء كانت طائرة فرنسية تلقي مناشير في سماء المعركة تحمل عزاء للقائد سي أمحمد وجنوده بقتل البطلين عميروش والحواس وتتوعده بالموت القريب أتذكر تلك الأحداث بمرارة وغيض، لقد كنا فيها محاصرين بين النار والنار التي تطلق علينا من الأرض والسماء. يمزقنا الجوع والعراء والعزلة المطلقة في الوقت الذي كان فيه رفاقنا في قيادة الحارج يدبجون البيانات ويختارون لها الكلمات الرنانة.. ويكفي أن أذكر هذا النموذج الذي أعلن موت عميروش والحواس وقد صدر عن القيادة العامة: «ثبت فعلاً أن عميروش والحواس قد استشهدا في ميدان الشرف...»، وينتهي البيان الطويل وكان من المفروض أن يضيفوا الجمل التالية: «قتل شال 4647 (سبع وأربعون وست مائة وأربعة آلاف) من الجنود المتأمرين في الداخل وعلى رأسهم الذين عقدوا المؤتمر المشبوه وهم سي عميروش وسي الحواس وسي أمحمد وعمر إدريس في انتظار القنابل الموقوتة التي ستفجر في مناطق أخرى تصيب أبطالاً آخرين...».

4 - النوايا الصادقة.

كانت نوايا قادة الداخل نزيهة لما عقدوا مؤتمرهم الذي لم يكن مرجها ضد أي كان بقدر ما كان ضرورة ملحة لإعادة امتلاك زمام المبادرة وتذليل العقبات التنظيمية والتمويلية لقوات الثورة ومواجهة التطورات اللوجيستكية لقوات العدو...

ولا أدل على هذه النوايا من المهمة الرسمية التي كلف بها العقيد الحواسن من قبل المؤتمرين ليلفها إلى القيادة في الخارج ويشتمل بعضها على:

1 - الموافقة على ضرورة إضافة ممثلين عسكريين من الحدود الشرقية والغربية للوطن إلى قيادة الداخل للوصول إلى صيغة تمثيلية عامة لكافة قواتنا المقاتلة.

- توحيد القيادة العامة وجعلها جماعية طبقا لتوصيات مؤتمر الصومام.

3 - وضع خطة مواجهة استراتيجية لمشاريع العدو وبالتحديد مخطط الجنرال شال الذي استفحل وقتها وأصبح يهدد مصير الثورة بمحاولة عزلها عن قواعدها الخلفية في المناطق الحدودية وكان من أهدافه الجهنية تفتيت توى الثورة وعزلها ليسهل الاستفراد بها وتحطيمها نهائيا وقد خبرنا هذا الأمر نحن الذين عشنا آثاره في الداخل من خلال ملاحقتنا اليومية لمجزاته على أرض المعركة.

من ذلك أنه ضرب حصارا محكما على الولاية الحدودية الخامسة وشن هجوما كاسحا عليها في عملية إبادة شاملة أطلق عليها الجيش الفرنسي وقتها إسم: «عملية التاج»، كما دلت بوادر أخرى ميدانية أنه كان يخطط لتعميم أسوب الحصار ثم الهجوم الكاسح والمركز والمستمر بجميع الأسلحة إلى درجة لا يترك معها مجالا أو فرصة لخصمه أن يعيد تنظيم قواته لاستئناف المعارك وهي الخطة التي أراد بها العدو وضع حد لحرب العصابات على أن تعمم بعد ذلك على كافة التراب الوطني.

هنا نسجل الفارق بين قيادة الداخل التي كانت تتحرك طبقا لمعطيات بوفرها وانعما الحربي اليومي في مواجهة العدو وبين نوايا قادة الخارج التي كانت تخطط على الورق وتضبط حساباتها السياسية على ضوء اعتبارات سلطوية من

خارج دوائر المعركة... وكان الأولى بها والأجدر قبل التشكيك في نوايا هؤلاء. أن يجمع القرائن من على أرض المعركة وتقييم عليها عملية تحليل وبذلك تتصالح مع أهداف وأبعاد مؤتمر القادة في الداخل.

5 - فشل اجتماع قادة الداخل،

فشلت المبادرة، وإن من أهم أسباب فشلها:

1 - كونها صادرة عن أصحاب الداخل وليست من صنع قادة الخارج.

2 - تخلف الولاية الخاصة عن حضور المؤتمر.

3 - عدم مشاركة الولاية الثانية في المؤتمر مشاركة فعلية وفعالة كما أسلفنا الذكر بحيث كان موقفها موقف القوم الذين قالوا للبيهم: (أذهب أنت وربك فقاتلا إنا هنا قاعدون) صدق الله العظيم.

4 - اعتبر المؤتمر من قبل قادة الخارج مؤامرة ضد الثورة وهكذا حكموا عليه غيابيا بالإعدام.

ومن أكبر الأسباب المباشرة الأخرى التي أفضلت نتائج المؤتمر: استشهاد القائد عميروش والحواس وهما في طريق العودة من المؤتمر إلى مراكز قيادتهما بعد أن ورضا في معركة غير متوازنة مع العدو خاضاها مرغمين خارج تقديراتهما العسكرية. وكذلك استشهاد سي امحمد بوقرة قائد الولاية الرابعة بعد شهرين على استشهاد البطلين السالفي الذكر يوم الخامس من شهر ماي 1959 وهكذا محالفت جملة من الظروف القاهرة لتحبط نتائج هذا المؤتمر الذي كان على قدر من الاستراتيجية التنظيمية في مواجهة مخططات العدو.

إن استشهاد صانعي هذا الحدث وقناعة قيادة الخارج بضرورة إفشال مفعوله كانت أهم أسباب إحباط نتائجه التي كنا نراهن عليها داخليا.

لقد استدعت بعد ذلك قيادة الخارج من بقي على قيد الحياة ممن شاركوا في المؤتمر إلى مقر قيادتها بتونس تستفسرهم الأمر وقد أطلق قادة الخارج على المؤتمر إسم: «المؤتمر المشبه».

أما اليوم وقد مرت سنوات على الحدث أرى أنه من الضروري الوقوف عنده بموضوعية وتجرد خدمة للحقيقة والتاريخ ومقاومة لفقد الذاكرة واللامبالاة، إن

جملة من التساؤلات أعقد أن طرحها يفيد في بلورة الصدق وتحرير تاريخنا الثوري من المغالطات وعرضه للأجيال القادمة عرضا صادقا تتولى بدورها الحكم له أو عليه.

1 - لمصلحة من عقد مؤتمر الداخل؟

2 - وما هي أهدافه؟

نعتقد أن طرح هذه الأسئلة يفيد في استقراء الحقيقة وإبانة خفايا الموقف المضاد الذي تبناه قادة الداخل منذ البدء.

أقدم اليوم شهادة للتاريخ وأقول بأني على يقين أن الدعوة لعقد المؤتمر كانت جماعية وبتوافق كل القادة المشاركين... ولم تكن من وحي ولا بإيعاز من أحدهم، لقد كانوا رحمهم الله على اتفاق تام بضرورة عقد اللقاء وما كانوا ليشكك في نواياهم أحد... نظرا لما عرفوا به من إخلاص وتصميم وشجاعة على قتال العدو وقد برهنوا على ذلك سنوات قيادتهم للثورة وعند استشهادهم البطولي. إذن كيف يمكن اعتبار دعوتهم للملتقى مؤامرة على الثورة كما يدعون؟ لقد سبق المؤتمر مشاورات طويلة وعميقة بين القادة على ضوء المستجدات العديدة التي حدثت على مستوى الثورة في الداخل ومجيء ديقول إلى السلطة وتبنيه أسلوبا خطيرا في المناورة سياسيا وعسكريا. إن تهمة بعضهم لقادة الداخل بالتآمر هي تهمة باطلة لا أريد أن أسترسل في تفصي خلفياتها وأبعادها... إن كل ما طمحت إليه هو تيرنة ساحة هؤلاء القادة الشهداء وتصحيح مسار تاريخ الثورة مما علق به لا سيما من قبل الذين وظفوا المنابر وتسارعوا للحديث في غياب توفر شروط الحديث وفي غياب الأطراف المعنية بالحقيقة.

لم تكن أهداف المؤتمر غير الدفاع عن مستقبل الثورة واسترداد السيادة. أما هاجس خوف قيادة الخارج من هذا المؤتمر إنما لا يتعدى موضوع تمثيل الثورة في الخارج والتكلم باسمها.. لم يكن يعنيه مستقبل الوطن ومشاعر الجماهير وآلامهم في القرى والمداشر والجبال والمدن... بقدر ما كان يهمهم أن يقال عنهم هم قادة الثورة ولسان حالها.

لقد التزمت الولاية الرابعة بوفائها لمبادئ الثورة وعمل قادتها كل ما في وسعهم لإقرار الأمن وتوحيد صفوف الثورة ولم تتأخر في إرسالها خيرة وحداتها

عدة وتدريباً مثلها في ذلك مثل الولاية الثالثة إلى الولايتين الأولى والسادسة لتلبية لطلب قادة هاتين الولايتين لوضع حد لبعض المشاكل القائمة في الولاية الأولى بالذات حيث استنزفت جهود المخلصين وفتحت شرخاً في وحدة الثورة وأصبحت بعض فصائل جيش التحرير تتناحر فيما بينها دون طائل.

لقد كانت الولاية الأولى بقيادة مصطفى بن بولعيد قبلة كل الثوار ورمزاً للثورة نظراً لما اتسم به قائدها من حنكة وتصميم وحكمة عظيمة حتى أنه التزم أمام رفاقه ممن أشعلوا أول شرارة في الثورة أن يلهي ويشغل قوات العدو نصف سنة كاملة بعد 1954 ريثما تلتحق به كل الجهات الأخرى التي لم تهيم نفسها جيداً في الرجال والتجهيزات وقد وفق بن بولعيد رغم إمكانياته المتواضعة.

لكن بعد موته حدث ما لم تحمد عقباؤه، وانتشرت عدوى الخلافات داخل الولايات بين الولاية السادسة والأولى لذا سارع القائد سي امحمد رحمه الله إلى إرسال وحدات من ولايته تحت قيادة النقيب سي موسى شريف وكلفه بالتعرف عما يجري هناك من خلاف وأحداث وقد اعتبر بعض الذين لم يتخلصوا من ذهنيات العصبية الضيقة والعشائرية القاتلة هذا العمل تدخلاً في الشؤون الداخلية للولاية الأولى رغم أن نظرة القائد سي امحمد للولاية الأولى كانت دوماً نظرة تقدير وإكبار فقد هدف بإرساله تلك الفصائل إلى استتباب الأمن ومعاونة الإخوة على تجاوز محتتهم بحكمة وحسن سريرة وكان اهتمامه بالثورة في جميع بقاع الوطن اهتماماً كبيراً ينم عن وعي بالمسؤولية الثورية وبوحدة القتال على غرار أولئك القادة الأوائل الأفاضل. لقد كان سي امحمد شديد العاطفة للولاية الأولى لسبقها في إشعال نار الثورة ومكانتها الاستراتيجية وموقعها في الوطن. لقد خبر سي امحمد وضع هذه الولاية الخاص ودورها في استمرارية الثورة المكافحة فأعطاهما اهتماماً متزايداً وخصها ببعثاته المتلاحقة حفاظاً على أمنها ومعرفة فصائل الولاية الرابعة الذين يتوجهون إلى الحدود الشرقية للتزود بالسلح والذخيرة.

6 - شهداء الولاية الرابعة خارج حدودها،

كان توجه فصائل مقاتلي الولاية الرابعة إلى القاعدة الشرقية معهوداً، وأذكر أن عدد مجاهديها الذين استشهدوا في الولاية الأولى في ذهابهم ومجيئهم بلغ ثنائي كثنائ أي ما يعادل ثلاثة آلاف شهيد سقطوا بين الجبل الأبيض وبحيرة الأرنب وخشلة... وقد استشهد بعضهم دون سلاح.

أما دور معوث الولاية الرابعة النقيب سي موسى شريف فلم يكن مقصورا على تمثيل قائده سي امحمد.. بل تعداه إلى تقديم عروض شاملة ودقيقة عن مجمل الأحداث والحوادث التي تنشأ هنالك وهي بدورها تحول في تقرير مفصل إلى القيادة في خارج الوطن. وقد تحمل نفس المسؤولية إشارات آخرون أذكر من بينهم سي الطيب الجفلالي وعمر محجوب ونايف وسعيد موسوني.

وإنصافا للتاريخ والحقيقة سأشير إلى بعض الحقائق التي لم تذكر في حدود معلوماتي حتى الآن. وليس الهدف منها خدش روح الثورة من جديد أو تصفية حساب قديم مع أي كان، ولكن قولة الحق هي غايتي ومقصدي.. حتى يتمكن كل طالب حقيقة من نيلها وكل باحث في ثورتنا بموضوعية وصدق أن يحقق مأربه.

ليس من المبالغة في شيء إذا أكدنا أن ما تحمّله مجاهدونا وهم في طريقهم إلى مناطق الحدود الشرقية على غرار مجاهدي الولاية الثالثة يتجاوز كل تقدير بحسب كان الواحد منهم يقطع مسافة ألفي كيلومتر ذهابا وإيابا (2000 كلم) جلها في الجبال الوعرة والوديان والغابات محفوفة بالموت تراقبها قوات العدو المدججة بالأسلحة وأدوات المراقبة المشددة. هذه المخاطر العظيمة لا يطمع من خلالها المجاهد إلا في الحصول على قطعة سلاح قد يأتي بها وقد يموت دونها.

رغم حجم هذه المسؤولية وإقدام الرجال عليها خدمة لواجب الثورة تجرأ بعض أصحاب الفتنة من الدس على كتابنا من المجهدين والتشكيك في نواياهم وذهب بهم الأمر إلى تجريدهم من السلاح بل إلى الإجهاز عليهم وتصفيتهم جسديا... ومهما كانت الأسباب والتأويلات لا يمكنني بأي حال أن أستوعب هجم البشاعة في أن يقتل المجاهد أخاه؟

صحيح ننسى أحيانا طابع الإنسان فتحسبها خيرا لكن قتل المجهدين من قبل بعضهم لم يكن ممكنا أبدا على الأقل في ثورتنا نظرا لعدم وجود ما يفرقنا من عقائد ومذاهب وطوائف وحتى أكون أكثر وضوحا ودقة أذكر حادثة اغتيال الشهيد البطل علي حنيطي الذي قرر العودة من تونس ليستأنف جهاده في صفوف الثورة متحديا بذلك سياج الأسلاك الشائكة والمكهربة التي ضربها العدو حول حدودنا الشرقية... لكن نظرا لتعدد جهات الصراع في تونس وداخل

صفوف القيادة... وقع حنبلي ضحية التكتلات... ولما اشتد إصراره على العودة أخضعت القيادة لأسلوب التجويع مدة طويلة حتى كاد أن يهلك فصمم أن يهرب من سجنه ويلتحق بصفوف العدو ويموت على أيديه عوض أن يموت جوعاً في سجون الثورة، كان حنبلي على يقين من أن العدو الفرنسي لن يمهله لحظة حتى يعدمه ومع ذلك أثر الموت شهيداً ويراً ذمة الثورة من دمه الزكي...

وأما الشهيد الثاني والضحية الأخرى فهو البطل أحمد العقون الذي قرر الالتحاق برفاق السلاح في الداخل فمنعوه هو الآخر ولما أصر على عناده صفوه جسدياً وتركوا جسده في العراء ظناً منهم أنه أسلم الروح لكنه في الحقيقة بقي على رمق من الحياة يشن حتى التقطه رعاة تونسيون فادعى أمامهم أنه أصيب في معركة ضد العدو الفرنسي حتى لا يبوح بسر الثورة.. فأعادوه إلي مقر القيادة التي اكتشفت أنه مازال على قيد الحياة فأمروا بقتله ثانية وبذلك يكون أحمد العقون قد استشهد مرتين ليظل حجة ناصعة ضد الزيف وتجار الثورة.

وثالثة الأتافي العقيد لطفي وخراج الطاهر، ونظراً لما كان عليه لطفي من إحساس بالمسؤولية ووعي بالمخاطر التي تهدق بالثورة في الداخل والخارج.. قرر ترك الحدود الغربية وما تتوفر عليه من أسباب الراحة ليدخل جحيم المعركة ويستشهد بذلك على بعد (20 كلم) جنوب بشار في وضوح النهار في معركة غير متكافئة مع العدو وفي مكان خال من الأشجار ووسائل التعمية. وبذلك يكون العقيد لطفي ورفيقه قد قدما شهادة عنوانها التضحية بالروح من أجل الوطن في الوقت الذي كان بإمكانه وهو القائد الكبير أن يكتفي بالبيانات من الخارج مثله في ذلك مثل غيره من القادة..

الفصل الثاني

قادة كبار عرفتهم، أو من فجر مظاهرات

11 ديسمبر 1960؟

1 - قوات العدو تقلد جيش التحرير وتحمم مياه الحرب،

لم يكن مشروع شال مخططا مفصولا عن تصور جهني متكامل لأنه ضارح عمليات مسح مركزية صاحبها هجمات واسعة الانتشار كان هدفها إرهاب الثورة وخنق قواها عبر مسح توبوغرافي شل جميع مناطق تواجد المجاهدين ومن بين هذه العمليات، عملية «جيمال» و «كوروا» الخ...

ولكي يحقق العدو مشروعه اعتمد نظريات «ضباط لاصاص» ودهاقنة الحرب الاستعمارية من القادة المحنكين ووضعوا مخططا تنظيميا في توزيع تشكيلاتهم العسكرية على طريقة تشكيلات جيش التحرير المكونة من جماعات صغيرة سريعة التنقل والحركة تضرب وتانسحب دون ترك مجال لقوات العدو بالرد والمواجهة.

هذه المجموعات الصغيرة التي شكلوها كانت تتقدم الفيالق الكبيرة أثناء عمليات المسح وقد أطلق عليها إسم: «رأس استكشافي» و«كومندوس قنص».

يلتقي هذا التنظيم مع ما هو متبع في صفوف جيش التحرير ولا يختلف عنه إلا في أسلوب التمويل بحيث يتمولون بالسلح والذخيرة والمؤونة من الشكات ومراكز الحراسة المتقدمة التي تتحول عند الضرورة القتالية بعد كشف المجاهدين إلى مراكز معلومات واتصال بالقيادة المركزية التي تعطي أوامرها للطيران الحربي والدبابات والشاحنات المحملة بالجنود... لمحاصرة جيش التحرير.

رغم هذه المنهات والذم والعدواني والحصار المعقد المضروب علينا من جميع الجوانب أقول بكل تواضع... قد حول جيش التحرير الهزائم إلى نصر وفند نظريات العدو على أرض الواقع، ويشهد بذلك جنود وضباط الجيش الفرنسي الذين عاشوا تلك المرحلة فإذا كانت المعركة تجري فوق أرض واحدة وبأدوات مختلفة، فإن طبيعة الفرد المقاتل هي التي تحسم الموقف في الأخير وتحدد النصر وتحدد الهزيمة لكن هذا التعامل اليومي مع العدو متطور في العدة والعدد شرس في الإيديولوجية متخصص في أساليب التقتيل الجماعي والمناورة... لم يكن دون متاعب وأهم متاعبنا في تلك المراحل التي لا يعرفها إلا من عاناها واحترق بناهاها هي:

أ - إشكالية الحصول على الذخيرة،

لقد عرف العدو بواسطة أجهزته الخاصة وعيونه المشوثة في كل مكان، أن الذخيرة هي مشكلة المقاتل الأساسية وهي بمثابة رنته التي يستنشق منها أكسجين الحياة، فإذا نفذت الذخيرة أحس بأنه خارج نبض الثورة يموت ببطء في العراء التام.

كانت أسلحتنا في مطلع الثورة بسيطة.. جلهما من بنادق الصيد بالإضافة إلى بعض قطع قديمة من مخلفات الحرب العالمية الثانية ذات جنسيات مختلفة وتطورت بعد ذلك لأن تصيح مصادر تسلحنا متعددة مختلفة: لكن هذا التنوع والتعدد طرح علينا إشكالية جديدة تتمثل في استحالة توفير الذخيرة لمختلف هذه الأسلحة. فكان لزاما علينا أن نفكر في حل جذري لتجاوز المعضلة، بحيث لجأنا إلى عدونا وجعلناه مصدرنا الأول من السلاح وذلك من خلال هجوماتنا المكثفة على قواته وثكناته وفي كمانتنا التي نصبها بدقة ودراية.. إلى أن تظن إلى خطة جهنمية لا يقرها منطق ولا يصدقها عقل... بحيث عمدت بعض فرقه الخاصة إلى حشو الذخيرة الحربية بمادة بلاستيكية شديدة الانفجار ودهسا ضمن كمية الخراطيش العادية.

وكانوا يعلمون حق العلم أن الجندي الجزائري بعد نهاية كل معركة لا يسارع إلا لغتم الأسلحة والذخيرة... وبذلك يقع في الفخ الذي نصبوه له بكل نذالة وجبن بحيث تنفجر الخراطيش بمجرد الضغط على زناد البندقية أو الرشاشة على

وجه المجاهد. فسوت أو بشل... وفي مرحلة ثانية ساعدت القوات الفرنسية علي تسهيل عملية خروج الذخيرة المفخخة من ثكناتها لتسلم إلى جنودنا بأساليب مختلفة... ومن هنا كانت بيننا وبينهم حرب شروس تضطلع بها أجهزة المخابرات... كان النصر فيها دائما للذكاء. بسرعة البداة ودقة المعلومات وسريتها...

وحتى نتفادى شر هذه الذخيرة المفخخة عمد جيش التحرير وقتها إلى تكوين وحدات خاصة تعني بالكشف عن الذخيرة المفخخة وكانت عملية الكشف تتم بطريقة بدائية نظرا لانعدام وسائل وأجهزة الكشف لدينا بحيث: يتم نزع الكبسولة أولا ثم تفرغ من محتواها ويكشف عما بداخلها.. ثم يعاد تركيبها من جديد ونظرا لطول الوقت الذي كانت تستغرقه هذه العملية.. كنا نأمر جنودنا أن يمتنعوا عن استعمالها قبل أن نعيدها إلى مراكزنا الخلفية ونادرا ما كنا نباغت العدو في معركة مفاجئة أو كمين فنجني منه ذخيرة غير مفخخة. من ذلك معركة جبل «موقورنو» يوم 24 أكتوبر 1958 التي استمرت طيلة ثلاثة أيام بلياليها رغم أنها في تقديراتنا.. ما كان لها أن تتجاوز ساعات قلائل...

تمكنا في تلك المعركة من إسقاط طائرتين عسكريتين ما يزال حطامهما شاهدا عليهما إلى اليوم... وغننا أربعة عشر ألف خرطوشة عشرنا عليها داخل الحطام... وذلك رغم كل محاولات العدو لتفجيرها جوا... هكذا غننا صيدا ثميننا كان سببا في تغيير معادلة تلك المعركة... التي فاجأت الملاحظين وكل الذين كانوا على علم بإمكانياتنا القتالية بما فيهم العدو نفسه الذي كان يعلم حق العلم حسب تقرير مصالحه الخاصة المزوخ في 11 ديسمبر 1958 عدد قواتنا ونوعية أسلحتنا وكمية ذخيرتنا وحتى مواقع تمرکزنا.

وبالإضافة إلي معضلة الذخيرة كانت منابع المياه والمجاري الطبيعية من صلب مشاغلنا اليومية بحيث لم يكن بإمكان المجاهد أن يحمل معه أكثر من لترين من الماء يستهلكهما عادة في الساعات الأولى من المعركة، وقد كان العدو يخطط بدقة لهذا الموضوع في معاركه ضدنا بحيث يعتمد بادئ ذي بدء، إلى محاصرة جميع أماكن المياه والينابيع الجارية وحتى البرك... ويقوم بتسميمها لأنه كان يدرك تمام الإدراك أن بعد كل نهاية معركة يسارع المجاهد إلى الارتواء بكمية

من الماء هذه السموم ميزتها أنها تشل الجسد وتجعله في حالة إغماء كاملة حتى إذا خذر نهائياً سهل القبض عليه من قبل قوات العدو التي تظل تراقب عن بعد هذا المشهد السحيق وغير الإنساني الذي لا تفره إلا الذهنية الفرنسية وحدها.

أما السواقي والأودية الجارية فكان العدو يتركز بالقرب منها ليمنع عنها كل اتصال والتزود بياهاها. وكم مرة عشنا على حيوانات برية مشلولة بفعل مادة التخدير الخطيرة هذه. كالتنازير والذئاب وغيرها...

ومن سخياف الأصور أن عساكر العدو كانوا يجلبون معهم جبالا ليوثقوا بها المجاهدين المخدرين، وأن كتيبة من الولاية الرابعة وأخرى من الولاية الخامسة في جبل -سعدية- بنواحي الونشريس يوم 27 مارس 1959 ضد وحدات من قوات الهندسة الفرنسية التي كانت تعمل على شق الطرقات بين الجبال لتسهيل عملية ملاحقة الثوار في المناطق الوعرة... وكانت مدعومة من قبل القوات المحمولة جوا. تمكن ثوارنا من إسقاط طائرة من نوع «هيلوكبتر سيكورسكي» وألقي القبض على طاقمها الحربي المكون من جنديين والعجيب في هذا الحدث أن هذين الطيارين المسلحين جرى أسرهما من قبل نسوة بطلات يسكن المنطقة التي أسقطت فيها الطائرة.

لم تكن المعركة بين نسوة الونشريس والطيارين سهلة، فقد قاوم العسكريان النسوة بشراسة حتى مات أحدهما وأسر الثاني ودفع الفضول نساء القرية إلى البحث داخل حطام الطائرة الرابضة بعد إسقاطها فعثرن على جبال أوثقن بها الطيار وانطلقن في البحث عن مكان المجاهدين لتسليمه إياهم وبينما هن جادات في البحث حتى أغارت عليهن طائرة هيلوكبتر أخرى وطاردتهن فقتلت واحدة منهن وكانت تحمل رضيعها بين ذراعها وتمكنت الباقيات من النجاة وأوصلن الأسير إلى مركز قيادة جيش التحرير ومعده (مسدس 38 وبنادقية العسكرية الأمريكية الصنع).

وعندما أخبرن المجاهدين بأن رفيقتهن تأخرت مع رضيعها البالغ من العمر خمسة عشر شهرا انطلق مجاهدان تصحبهما امرأة في البحث عن المرأة وهي عادة المجاهدين بعد كل معركة أو غارة يشنها العدو، لكن المشهد كان مروعا ومهولا تجاوز كل تقديرات التراجيديا الإنسانية. لقد شاهد مجاهدونا

جثة المرأة الهاسدة وقد فارقت الحياة منذ أكثر من ست وثلاثين ساعة ورضيعها متشبث بصدرها ماسك بشدي أمه يقات من بقايا الحليب المخزون في هذا الجسد الساكن؛ كانت اللوحة سريالية في خيالها، واقعية في مأساتها، عظيمة في دلالتها.

أما أسير النسوة الطيار السجين فقد صرح لنا في اليوم الموالي متحدنا عن ظروف ودلبات سقرط طائرته قائلا: «لقد انجيت في الرجفة غير التي أمرت بها من قبل قائد قاعدتنا وبالتالي خرجت عن مجال الخطأ التي رسمت لي فكان مآلي السقرط...».

ورد عن سؤالا عن مهمته القتالية قال: «أعطيت لي الأوامر بالالتحاق بمركز قيادة المعركة الجارية في جبل سعديّة...».

وعن مكان مركز قيادة المعركة: أجاب «بأنه يقع على قمة باب البكوش بعد عن ميدان المعركة ببضعة كيلومترات في اتجاه الشمال الغربي من جبل «سعديّة» وأضاف «قد اخترت أن أقطع هذه المسافة الواقعة ما بين القاعدة ومركز قيادة العمليات فوق ميدان المعركة تجنباً لشدة الرياح النافسة فووقت وكانت الكارثة».

أما عن سر وجود كمية هائلة من الجبال في طائرته المقطعة صرح قائلاً «جننا بها لكي نوثق بها المجاهدين المخدرين بفعل السم الذي دسناه لهم في مياه تلك الجهة» ويعني تلك التي تقع في الجنوب الشرقي لجبل سعديّة وباب البكوش وجبل كعريشة وتعد من المناطق الاستراتيجية التي يحدها من الشمال الشرقي السهل الذي يتوسط ما بين هذه البقاع ومدينة الأصنام «الشلف» ومن الشرق الطريق الذي يربط مدينة برج بونعامة بمدينة فيلار».

ونظر لقيمتها الاستراتيجية وصراعنا مع العدو بشأنها أذكر أننا أضعنا بها خمسة آلاف شهيد (5000) أثناء سنة 1959 وحدها.

ولا أنسى أن أشيد اليوم بتلك العائلات التي رفضت الالتحاق بمراكز التجمع «لاصاص» وفضلت أن تنظر تقاسم المجاهدين وضعهم الخطير على أن تخضع لأوامر العدو ومن بين هؤلاء تلك النسوة اللاتي أسرن الطيارين وقيدن أحدهما

في الوقت الذي جاء بحبال في طائرته لتقييد المجاهدين، إنها سخرية القدر ووصمة عار في جبين تاريخ الجيش الفرنسي المغرور في معاركه مع مجاهدي ثورة التحرير الجزائرية.

كنا نزداد إقداما وشجاعة لما نرى أولئك الجنود المجهولين من شعبنا يتقدموننا في معاركنا الضارية مع العدو... لقد أخلصوا ما عاهدوا الله عليه.

تحيتي التي لا أملك إلا أن أطلقها للجماهير جبل سعدة وباب البكوش وكعريشة ويطيحة.. ولكل شبر أرض، وكل مواطن وشجرة وصخرة حمت المجاهدين، وبركة ماء روت عطشهم ساعات المحنة والعذاب.

تعد المعركة السالفة الذكر، وبعض المعارك العديدة الأخرى.. نتائج مقدمات كنا نجعلها في الولاية. دفعنا إليها مخطط شال الجهنمي الذي سقط علينا كالصاعقة ولم نحسب له أي حساب، وكانت بذلك خسائرنا فضيعة في الأرواح والمعدات... بدأ مخطط شال ينفذ في الولاية الخامسة في شهر فيفري 1959 دون أن نكون على علم به، ولا بعملية (كورون) الخطيرة. فلا القيادة العامة بالخارج أشعرتنا بهذا المخطط ولا نحن استطعنا بوسائلنا الخاصة أن ننتبه إليه رغم توفر المؤشرات الدالة عليه. وهكذا واجهنا مخططا عسكريا محكما لم نعبئ له الجماهير... ولم نهيه قواتنا عسكريا ونفسيا للتعامل مع الوضع الجديد الذي فرضه علينا العدو فكانت الكارثة. والغريب في الأمر أننا علمنا في شهر مارس 1959 أن منطقة الونشريس التابعة للولاية الرابعة وضعت ضمن الخريطة العسكرية الفرنسية كمنطقة تابعة للغرب الجزائري الذي شمله المخطط الجهنمي وبمجرد أن عاينا عملية شق الطرق بتلك المناطق وتواجد قوات العدو بأعداد كبيرة ترابط باستمرار... اعتقدنا جهلا أن مهمتها لا تتعدى شق الطرق في المناطق الوعرة فأمرنا القائد سي احمد بوقرة أن نهاجمها ببعض كتائبنا المتواجدة في المنطقة الوسطى لمنعها من إنجاز مخطتها... وفعلا تحركت قواتنا وأصابها مواقعها بدقة فقتلت وخربت بعض ما أنجز... واستراح بالنا.. لكن المفاجأة كانت كبيرة والكارثة كانت ثقيلة... بحيث بعد هذه العملية مركزنا قوات كبيرة في مواقع واحدة دون أن نعلم أن جيش العدو ينفذ منذ شهور مخطط مسح شامل ومركز استعمل فيه عشرات الآلاف من الجنود والضباط

والخبراء وآلاف الدبابات والمدرعات والسيارات والمدافع المحمولة... تدعمها الطائرات والصواريخ... وقد امتد هذا المسح تحت إسم: «كوروا» الهلال على طول مساحة الغرب الجزائري وصولا إلى مواقع ولايتنا في الوسط. وهو بدوره امتداد لعملية كبيرة اسمها: «كورون»... ويفضل هؤلاء الفارين من الموت المحقق علمنا حقيقة مشروع الجيش الفرنسي... وتؤكد لدينا أن قوات الهندسة الفرنسية التي هاجمناها سابقا هي في الحقيقة قوات أمامية تدعمها محميات تقوم بدراسة «طوبوغرافية» شاملة للميدان ريثما تلحق بها حملة الإبادة الشاملة التي كان من أهدافها القضاء على عنصر الحياة وتدمير الثورة من غرب البلاد إلى شرقها ومن شمالها إلى جنوبها...

بدأنا فوراً نتدارك الوضع في خطة وقائية لتفادي حجم الخسائر الباهضة في الأرواح والمعدات كما وقع في الولاية الخامسة، فباشرتنا هجوماتنا المتتالية والمركزة في شهر مارس 1959 على قوات العدو لمنعها من التمرکز وبناء التحصينات وشق الطرق، وقد انضم إلى قوات ولايتنا جنود وضباط المنطقة السابعة من الولاية الخامسة على إثر اشتداد الحصار عليهم... فتجمع لدينا ما لا يقل عن ألف مجاهد (1000) منقسمين كالتالي:

أ - خمس كتائب من الولاية الرابعة.

ب - كتيبتيان من الولاية الخامسة.

ج - وبعض الفصائل الأخرى.

استمرت المقاومة والتصدي اليومي الكثيف أربعاً وأربعين يوماً دون هوادة، وصل فيها القتال أشده... رغم عدم التكافؤ الصارخ بين القوتين، واتسع مجال المعارك ليشمل كافة مناطق الولاية الرابعة وصولاً إلى ناحية تابلط.

ونظراً لحجم الخسائر الكبيرة، التي مني بها العدو في قواته ومعداته استدعى الجنرال شال وقتها قوات إضافية لتشد عضد قواته، كانت خطتنا الاستراتيجية في العمليات اليومية متواصلة وذات بعدين بحيث فتحنا على العدو جبهتين جبهة تتصدى فيها لقواته في معارك خاطفة تنقض عليه بسرعة وكثافة، والثانية تتمثل في ضرب خطوطه الخلفية لإرباكه وإثارة البلبل في صفوفه.

2 - هل نجح الجنرال شال في مخططه؟

يبدو للوهلة الأولى أن الجنرال شال حقق مشروعه الذي خطط له بدقة وخبرة عسكرية فائقة بدعمه في ذلك ويقول بكل الوسائل المادية والمعنوية الكبيرة إلى درجة أن توهم أنه أحكم قبضته على الثورة وقضى عليها نهائياً، لكن حجم الأحداث والوقائع التي عرفتها تلك المرحلة تبين عكس ذلك تماماً، فحين كانت فرنسا تحتفل بفرحة انتصارها على ثورتنا تعرض الجنرال ديغول إلى محاولة اغتيال نجح منها بأعجوبة... ولولا فشل هذه المحاولة لتغيرت موازين كثيرة في فرنسا... لن أتوقف عند هذا الموضوع وأتركه للمؤرخين وأصحاب الاختصاص.

إن الأهم في رأينا هو توضيح الخطة التي واجهنا بها مشروع شال في ولايتنا على الأقل.

أ - إعادة تقسيم قواتنا :

لم نتقيد بخطة ثابتة في مواجهة العدو ولا بتقسيم وحيد في قواتنا.. لكن جمعنا كل قواتنا وأقمناها مع خطة متغيرة حسب الظروف والمستجدات والظوارئ، وهو أسلوب حرب العصابات التي فرضها اللاتوازن بين القوتين بحيث لجأنا إلى التقسيم التالي:

I - قسمنا الوحدات إلى أفواج.

II - قسمنا الأفواج إلى مجموعات صغيرة.

كان الهدف من هذا التقسيم هو عدم تمكين العدو من مواجهة قواتنا ولا حتى كشفها في عمليات المسح الشامل الذي كان يقوم به بحيث فوتنا عليه فرص المصادمة غير المتكافئة.

III - تكثيف العمليات المحدودة والهجمات المضادة السريعة والحاطفة

على العدو في مراكز تجمعه وفي المدن إلى جانب المعمرين.

IV - نقل المعركة من الجبال إلى المدن والمناطق الأهلة لفك الحصار على القرى والمدائر التي ظلت تتعرض لعمليات المسح... والاقتراب من الجماهير باعتبارها مصادرها من التموين اليومي... وتحسيسها بدورها وتحميها ضد عدوها... الذي تمكن بوسائل دعائية وأجهزته المخابراتية المتخصصة لا سيما

ضباط «لاصاص».. أن يوهما ويفالطها بأنه قضى على الثورة قضاء مبرما، وأن لا حل أمامها إلا الخضوع له ومبايعته على مصيرها.

كل هذه الاحتياطات اتخذناها في نهاية 1959 بحيث أصبحت ولايتنا تضم ست مناطق عوضا عن خمس مناطق سابقا. ونقلنا قضاء المعركة من الجبال والقرى والمداشر إلى المدن والتجمعات السكانية الكبيرة بعد أن كانت قسرا على جيش العدو وبعض نشاطنا السياسي وكانت هذه النقلة الجديدة صفة دوخت العدو وخلطت أوراقه وصار الحديث عن المجاهدين في أوساط المعمرين والخونة كالحديث عن العفاريث الهادفة من السماء وأصبح المحافظ السياسي في جيش التحرير هو هدف العدو الأول لأنه يقوم بدور المرابي والمعرض والموجه في أوساط الجماهير ومصدر تمويل المجاهدين بالسلاح والأموال والملابس والغذاء...

وهكذا تمكنا رغم خسارتنا الباهضة من تفويت الفرصة القاضية على العدو وتحاشينا مواجهته في معارك غير متكافئة بحيث تعاملنا مع قواته الكلاسيكية بأسلوب تكتيكي، محلي يقوم على المفاجأة والسرعة والاستنزاف اليومي... مستغلين عنصر معرفة ميدان المعركة ودعم الجماهير لنا.. وخبرتنا الواسعة في الحرب... وهكذا فشل شال في تحقيق مشروعه كما اعترف شخصيا بذلك... وسقطت أسطورة الجيش الفرنسي الدولية ورفع عن الخونة والمعمرين وهمهم بأنهم في مأمن من ضربات المجاهدين الذين يشبهونهم بذئاب الغاب... بل واستردت الجماهير ولا سيما سكان المدن ثقتهم في قوتهم وفي استمرارتها وتصميمها على التحرر...

3 - اجتماع وملايسات .

قرر مجلس الولاية الرابعة في أكتوبر 1960 في إطار إعادة تقسيم الولاية لمجابهة مستجدات الوضع... أضاف المنطقة السادسة التي تحتوي منطقة العاصمة والساحل وأقر ذلك في اجتماع عقد في ظروف خاصة ومكان خاص كذلك.

عقد هذا الاجتماع بإحدى ضواحي بئر التوتة، وتم فيه اعتماد التقسيم المشار إليه نظرا للقيمة الاستراتيجية لتلك المنطقة باعتبارها العمود الفقري للولاية الرابعة، ومركز تجمع سكاني كبير لا سيما من الأوروبيين، وتشمل منطقة عاصمة البلاد المركز العسكري والسياسي والتجاري... بموانئه ومطاراته وثكناته..

ورغم صعوبة التنقل والحصار المشدد.. وغيور العدو المنتشرة في جميع الأماكن والمداهمات والدوريات المستمرة... تمكنا من الوصول إلي بثر توتة وعقدنا الاجتماع الذي نعتبره تاريخيا... في إحدى المزارع التي يملكها أوربي ولا تبعد عن محطة قطار بثر توتة إلا بضعة أمتار حيث تعج بجيوش العدو وإلى جانب الطريق الرسمي التي لا تهدأ فيه حركة السيارات والشاحنات ذهابا وإيابها ودوريات المراقبة والتفتيش المستديمة.

لقد وقع اختيارنا على هذا المكان لمفالطة العدو الذي لا يمكن أن يضع في حسبانته أن ضباط جيش التحرير قد يجتمعون في هذا المكان المحفوف بالمخاطر وفي مزرعة رجل أوربي لا يصدق أن يخون من وجهة نظرهم وطنه فرنسا مقابل إرضاء «الغلاقة» .

لقد وصلت تلك المزرعة رفقة مساعديّ وهما بوسماحة محمد المعروف بمحمد البرواقية الذي عين في ذلك الاجتماع على رأس منطقة الجزائر العاصمة والساحل والمرحوم روشاي بوعلام المشهور باسم سي الزوير وقد تم تعيينه يومها نائبا لسي بوسماحة.

حضر معنا الاجتماع الهام مسؤولو الناحية الساحلية وشهيدان هما المرحوم سي جعفر وأحمد البلي وكذلك شخصان آخران مازالا على قيد الحياة وهما خالد وحجال بناني.

وقد أمضينا في تلك المزرعة ليلتين صعبة ممالك المزرعة الذي يعد من بين الأوروبيين الشرفاء الذين وقفوا إلى جانب الثورة والمجاهدين ودافعوا عن شرعيتها وأخلصوا لها أيما إخلاص ومنهم من استشهد جزاء موقفه الإنساني .. وقبل الاجتماع اتصل به بعض المناضلين في منطقة بورقبة فوافق على أن تحتضن مزرعته الاجتماع الهام وكان من قبيل يختلف إليه المجاهدون الذين ضاقت بهم السبل فيكرمهم. وأذكر أنه بعد الاجتماع أهدى لنا جهاز «ترانزستور» جديدا وكان حديث العهد في بلادنا ونادرا جدا.. أهداه خصيصا إلى روشاي بوعلام لحفنة روحه وإتقانه الفرنسية.. وسهولة تعامله مع الأوروبيين... وليس لأمر آخر إذ لم يكن يعرف أي أحد منا ولا يعلم شيئا عن أسامتنا وسبب تواجدها بمزرعته ولا عن نوع المهمة التي جئنا من أجلها، إن كل ما كان يعرفه عنا أننا جماعة من المجاهدين جئنا نختفي في مزرعته طلبا للراحة بعد حصار وإرهاق كبيرين.

لكن روشاي بوعلام (سي الزويير) رحمه الله أبي إلا أن يكرمني بهذا الجهاز (المذياع) مدركا حاجتنا إليه ونحن في الجبال نلتقط أخبار ثورتنا وأخبار العالم، أهداه لي لحظة وداع مؤثرة لا يمكن أن أنساها ما بقيت حيا لقد ودعت فيه إلى الأبد الرفيق الشجاع والشقيق الودود والصديق المخلص.. كان أقرب الناس إلى قلبي وفكري، قاسينا معا المرارة والعذاب وحلاوة الجهاد.. حاولت لحظتها أن أوقف دموعا انفجرت رغما عني فلم أفلق نظر إليّ سي الزويير بعيون ترقرت دمعا حارا وريت على كنتفي قائلا: «أن في طريقي الآن كما اتفقتنا إلى العاصمة وأرجو أن لا يؤلك فراقى فقد نلتقي وقد لا نلتقي.. وأهديك هذا المذياع وستستمع منه بإذن الله إلى صوت الجزائر نذبعه من الجزائر، لا من خارجها..».

وفعلا شاءت الأقدار أن أتابع على موجات ذلك المذياع صوت الشعب الجزائري وهو يتهدد ساخطا على العدو في مظاهرات 11 ديسمبر 1960 ونحن نرباط على أعالي الجبال قرب موزاية .

لقد قلبت تلك المظاهرات الشاملة جميع الموازين، وعمرت الاستراتيجية الفرنسية ومن ورائها الحلف الأطلسي، وأكد الجزائري من خلالها أنه لا يقبل بما دون الحرية والاستقلال التامين.. لكن رغم انتصار الجماهير في تلك الانتفاضة فقد فقدت الثورة مئات الشهداء، إلى جانب أسر قائد تلك الانتفاضة ومخططها بوسماحة الذي جرح وألقي عليه القبض من قبل قوات العدو في منطقة بني موسى، وقد تم تهريبه بعد ذلك من قبل جيش التحرير في ظروف صعبة.

هذا وسأعرض لهذا الموضوع بالتدقيق لاحقا نظرا لأهميته على المستوى الذاتي والموضوعي.

تولى القيادة من بعده وعضده نائبه سي الزويير الذي لم تسعفه الحياة طويلا فسقط شهيدا في هذه الانتفاضة الضخمة ورسم ببطولته رمزا للحرية فداء بحياته وحياته رفاقه المجاهدين.

إن استشهاد سي الزويير في شوارع العاصمة وارتفاع تمثاله الأشم اليوم في ساحة بلكور دعامة وجواب لكل المشككين في تحدي الثورة كل أنماط الحصار والدعايات وإثبات أنها ليست ثورة مغاور وجبال ولكن ثورة عارمة تنوزع على

خارطة البلاد كافة وتقض مضاجع العدو في كل شبر من الوطن وتقلقه حتى فوق أراضيہ الفرنسية نفسها من خلال عمليات فدائينا هناك.

كثر الحديث وتشعب منذ الاستقلال إلي يومنا هذا عن حشيات مظاهرات 11 ديسمبر 1960 واختلف المؤولون فيمن فجر هذه الأحداث الضخمة؟ ولا أحسب أن من تكلم في هذا الموضوع جاء بالحقيقة إلي اليوم، لذا رأيت من واجبي وأنا الذي خططت مع رفاقي لهذا الحدث الجلل أن أدلي بشهادتي للتاريخ والله على ما أقول شهيد.

إذن بفضل تلك الحفنة من ضباط جيش التحرير الوطني، تآزرهم جماهير غاضبة رافضة هيمنة العدو تحقق انفجار 11 ديسمبر العظيم ولم يكن عملا عفويا جانبيا قامت به الجماهير بعيدا عن تخطيط جيش التحرير.

إن القبض على بوسماحة في بني موسى جريحا والحكم عليه بالإعدام من قبل قوات العدو واستشهاد سي الزوير وعدد من ضباطنا وجنودنا من بينهم خير الدين الذي كان برتبة نقيب في جيش التحرير، والسعيد بوراوي والضابط عبد الرحمن المدعو الوناس يحي باب الوادي وخالد وسي رضا في البليدة وسي توفيق في برار، وسي اسماعيل وسي اعمر سقطا في بوفاريك... وإلقاء القبض على تقية محمد الخ... إن هذه القائمة المقتضبة لا تترك مجالا للتشكيك في أن المخطط والمدير والمنفذ مع جماهيرنا هي الثورة المسلحة التي كانت على أتم الوعي بما ستجنيه في الداخل والخارج من تلك الانتفاضة الشعبية الرافضة... ولم تكن مجرد مغامرة دفعت فيها الجماهير إلى الانتحار.. كما يحلو لبعض المزيفين أن يزعموا.

زلزلت حوادث 11 ديسمبر كيان العدو، وأثبتت له أن يد الثورة تتعدى الجبال إلى المدن وتحرك الجماهير متى تشاء وكيف تشاء وتدمر مؤسساته العسكرية والمدنية على السواء وهي فوق ذلك كله رسالة بالغة البيان موجهة إلى القيادة الفرنسية وعلى رأسها ديغول المتخطفين، والرأي العام الدولي الرسمي والشعبي، بأن الشعب الجزائري مصمم على استرجاع سيادته مهما كان الثمن وظروف التصدي.

ما زالت حروف الرسالة النارية التي بعث بها إلينا من قلب الأجيح قائد الانتفاضة روشاي بوعلام قبل أن يستشهد وشاء القدر أن تصلني بعد أن فاضت روحه إلي بارئها بعد أكثر من عشرة أيام فكانت خطاب شهيد لم يمت حتى أوقد جذوة نور في سراج الدرب الصعب.. ثم رحل منتصرا.. رسم إلينا البطل في رسالته حجم الانتصارات والدمار الذي حققه الشعب ضد العدو في الداخل وصورته الأسطورية في الخارج عند الحكومات والمنظمات والدول والشعوب، وعندما أجلس اليوم في صمت أرمق ذلك الدرب الرهيب والسرائر المسيح بالموت والنصر أسأل نفسي كيف كنا قلة وكان العدو كثرة وكنا ضعفاء وكان الأقوى وكنا عزلا وكان المدجج.. وكان الفرق بيننا وبينه كالفرق بين السماء والأرض ومع ذلك تمكنا من أن نتصدى لمخططات جنرالاته العتاة وترسانته الضخمة المزودة بأعلى وأدق الأسلحة والأجهزة الالكترونية الفتاكة والغازات المحرمة دوليا يلقيها علينا من الجو والبحر والأرض وطائراته الفائقة وأسلاكه الشائكة ومخططات أجهزته الاستخبارية المتقدمة.. كيف استطعنا أن نواجه كل هذا وغيره ونفشل عملياته وننقل معاركنا من الجبال إلي المدن ونحدث الزلازل الرهيب في عقر داره على مرأى ومسمع ضباطه ومراكزه وثكناته وقواعده.. ونحول نظرية الهزيمة إلي نظرية للنصر المحتوم في الداخل والخارج..؟

أسئلة يستحيل الجواب عنها خارج منطلق ثورتنا التحريرية المتميزة.. ويصعب استيعاب ديناميتها دون معايشة ضميرها الداخلي، ذلك السر الذي يحدث ويعاني على مستوي الوجدان وفي أغوار الروح ولا يلمس ظاهريا... أنه التزام الضمير وانضباط الإرادة والتوحد في الشهادة أو النصر وأشياد أخرى لا نعلمها، كلها معطيات تجانست وتناغمت لتصوغ بيان الواجبة وإعلان النصر..

4 - ذكريات وأبطال، من عبان رمضان إلي بن مهدي

قال - بعضهم أن الرجل يكتشف لما تمتحنه الصعاب - ولا نحسب أن المقاتلين الجزائريين والقيادات الجزائرية امتحنت في فصائلها وإقدامها وصبرها، وعبقريتها الثورية بمثل ما امتحنت في ثورة التحرير العظيمة.

إن بعض المواقف والبطولات تعد من الخوارق أحيانا لفرط ما أبدع فيها الرجال المؤمنون بقضيتهم.

ما زالت بعض هذه المواقف لبعض الرجال عالقة بذاكرتي لا تفارقها أبدا .

لقد حدث أن ألتقي أول مرة قادة كبارا من قادة ثورتنا مع فوج مسلح في جنوب الشريعة بغابة مورقة وذلك قبل انعقاد مؤتمر الصومام 1956 والقادة العربي بن مهيدي وعيان رمضان وبين يوسف بن خدة قدموا جميعا من العاصمة، وكان في استقبالهم الإخوة المجاهدون :

- أو عمران، وسي الصادق.

- والشهيدان: امحمد بوقرة والطيب الجفلالي.

أول مرة وقعت عيني على رجال طالما سمعت عنهم وأحببتهم... وتنبت رؤيتهم، وقد كتب لي الله أن أسمع من بعضهم حكما خالصة، من هؤلاء الشهيد العربي بن مهيدي، هذا الرجل الذي جمع صفات الحكيم وميزات القائد بان متوسط القامة هادئ الطبع يهمس حين يتكلم له بريق تشعه عيناه، فيمنع عن الناظر التحديق فيه.. في وجهه بقايا طفولة تستأنس بها فيخيل إليك أنك تعرفه منذ الأبد، بسيط في سلوكه وهندامه يضع برنسه فوق زيه العسكري ويحمل مسدسه لا غير.

أما عيان رمضان، فكانت تبدو عليه مظاهر الصحة تمتلئ الجسم عريض المنكبين لا بالطويل ولا بالقصير سمح الوجه مستديره نظراته لا تستقر على شيء معين.. لما يتحدث ينتفض جسده من فرط الانفعال، كان كل حديثه إلينا باللغة الفرنسية مما اضطر بعض الرفاق لأن يترجموا فحوى كلامه إلي العربية... ارتدى «قشابة» أخفت بذلته العسكرية وسلاحه، كان اللقاء مفاجئا ومفيدا بحيث لأول مرة نرى قادتنا الكبار عن كذب ونستمع إليهم.. وقد صادف أن شبانا جزائريين من المجندين في الجيش الفرنسي فروا يومها والتحقوا بالثورة بقيادة الشهيد البطل عمر يوشاوي الذي أشرف على تنظيم عملية الالتحاق بالثورة وذلك بعد أن خبر قدرة مجموعته علي حرب العصابات التي تعلموها في الفيتنام وشهدوا هزيمة ديان بيان فور، فقالوا في أنفسهم لم لا تكون «ديان بيان فور» جديدة في الجزائر...؟ كان أحدهم يحمل مدفعا رشاشا من نوع 29/24 يثير شهيتنا جميعا ونعتقد أن الذي يفوز به يكون كمن ملك الدنيا كلها لكونه يعادل يومها كل ما لدينا من بندق.

أثارت هذه القطعة الحربية نقاشا وجدلا طويلين حول من يقاوم بها العدو؟ وبعد لأي تدخل عبان رمضان وقال كلمة ما فتئت تمخر ذاكرتي وتتردد عبر عقود الزمن.. قال رحمه الله: «إن قوة الثورة لا تكمن في السلاح فقط ولا في نوعيته، ولا حتى في شجاعة الرجال وحدها بل تكمن أساسا في قوة التنظيم والانضباط...». على بساطة هذا المنطق وعفويته وعمقه تمكن عبان أن يحسم إشكالية عظيمة وبجيب عن مئات الأسئلة المحيرة ويقنعنا نحن الذين كنا في بداية طريق الثورة كمن يبطأ باب نفق مظلم طويل لا يدري نهايته، فمن منا كان يستوعب محتوى هذا الكلام الذي يدعونا إلى الانضباط والتنظيم في الوقت الذي كانت حاجتنا إلى السلاح أكثر من حاجتنا للحياة..

وبعد أن قمرست بأحداث الثورة وعشت حقيقتها من بدايتها إلى عمليات شال وانفاضة 11 ديسمبر.. أدركت مغزى حكمة ذلك الرجل العظيم ونظرته الناقبة في صميم المستقبل.

تحياتي وتحيات إخواني الذين سبقونا إلى الشهادة وتحية المخلصين من مجاهدي ثورتنا لذلك الذي أعطى حياته للوطن وبقي نشيدا خالدا يردده أطفال بلاده إلى الأبد.

أما الحكمة الأخرى التي استقيتها في ذلك اللقاء فقد انبثقت من معلمي وقائدي الشهيد العربي بن مهيدي في بساطته وهدونه المعهودين، استقصى الإخوة الذين التحقوا بنا فرازا من الجيش الفرنسي من غابة بوشاوي عن أمورهم، فتبين أن من بينهم شخصين من الغرب الجزائري وهما الشهيدان حدو عبد القادر من وهران والمحفوظ من تلمسان، سألتا القائد بن مهيدي عن أقرب مدينة منا فأجبناه: «تابلاط» عندها حدد كلمة السر وأمر أن تتجه مجموعة من المجاهدين في دورية استطلاعية تلتقي فيها بمجموعة أخرى من الغرب الجزائري في نواحي تيارت بين أفلو وفرندة وتكون كلمة سر مجموعة الوسط تابلاط ترد عليها مجموعة الغرب بتمحوشنت وقد حمل خطابه بهذا الشأن إلى شخصين.. على أن تقوم الدوريتان بعمليات عسكرية رمزية مشتركة... بهذا المدلول البسيط في التعامل الثوري علمنا بن مهيدي درسا خالدا في الوحدة الوطنية وفي صنع المعجزات بكل تواضع.. فمن أين لفرنسا وأجهزتها الاستخبارية أن تكشف هذا السر وتدرك مدلول الحكمة الثورية البسيطة والعميقة في نفس الوقت...

إن سر انتصار ثورتنا ينبع من هذه العفوية وما فيها من صدق السريرة وتصميم على الفوز وإقدام وإخلاص تحركه إرادات رجال من أصول فلاحية يتمتعون بسرعة البداهة وصفاء الخلدس وحب مفرد للوطن، لقد كان القادة يتخذون قراراتهم في أوقاتها المناسبة وتحمل على التنفيذ بكل انضباط ودقة ولم نكن نحمل شعارات دون أن نمارسها.

كتب لي الله أن أكون ضمن الدورية التي أمرها بن مهدي حاملة كلمة السر للالتقاء بأختها في الغرب الجزائري ثم ودعنا مع رفاقه طالبا سفوح أكفادو الشاهقة لحضور مؤتمر الصرمام، وبدأنا نحن رحلتنا يوم 25 جوان 1956 ووصلنا فرندة في أواخر شهر جويلية 1956 عشنا خلال تلك المدة أحداثا جساما واشتبكتنا مع العدو في معارك عديدة كانت ضارية فقدنا فيها شهيدا واحدا جامنا من بلكور، كان تعداد مجموعتنا خمسا وأربعين مجاهدا بقيادة الشهيد البطل سي عبد العزيز المعروف آنذاك بصوت العرب لشدة حرصه على سماع إذاعة صوت العرب التي كلما التقط جهازه موجاتها أمر الجميع بالتزام الصمت والسكوت حتى أطلق عليه المجاهدون اسم صوت العرب، كان نائبه في دورتنا سي عيسى، اصطدنا في معركة نالقة مع قوات العدر الفرنسي يوم 14 جويلية 1956 بقرية البراكنية جرح فيها مجاهدان.. وبعد يومين من هذه المعركة اشتبكتنا من جديد مع العدو في معركة أخرى في الونشريس...

حملنا الجريحين اللذين معنا حتى وصلنا مدينة تيارت وقد اشتدت آلامهما في غياب الاسعافات وانعدام الدواء وكادا أن يموتا متأثرين بجراحهما مما استدعى القائد سي عبد العزيز إلى المقاصرة والقيام بدور خارق للعادة للعشور على الدواء.

5 - دورية وأبطال أو الصداقة مع الشيوعيين؟

نزل القائد سي عبد العزيز إلى السوق الذي يعج بالناس جاؤوا لقضاء حوائجهم من كل صوب يبيعون ويبتاعون.. أما هو فكان هدفه العثور بجميع الوسائل على دواء للجريحين.

ولكي يمده على العدو يضلل طريقه اشترى حمارا وذهب يسوقه وصادف أن رأى شخصا كان يعرفه نحاشى أن يلاقيه مباغثة ريشما يتأكد منه جيدا، اقترب

منه وذكره باسمه دون أن يكشف عن سر وجوده في هذا السوق.. ثم انتحي به مكانا بعيدا عن العيون وذكره بأيام الدراسة التي جمعتهما سابقا في جامع الزيتونة المعمور. ولما تأكد سي عبد العزيز من عواطف زميله ولد العربي (أو سي جعفر فيما بعد).. وافق على دعوته والذهاب إلى منزله.. وعلى طاولة الغداء تجاذبا ذكريات المراهقة واستذكرا معا دراستهما بجامع الزيتونة المعمور.. وفي غمرة الود الشديد صرح سي عبد العزيز زميله بحقيقته وعن سب مجيئه إلى السوق، تفاعا الرجل ولم يصدق أذنيه لكنه تدارك الوضع وقام مسرعا لشراء الدواء وجميع اللوازم الضرورية الأخرى، ورافق سي عبد العزيز متخفيين حتى انتهاء إلتنا ليلا.. واستمرت العلاقة الحميمة مع سكان تلك المنطقة إلى أن حاصرنا العدو على إثر وشاية أحد الخونة.

تصدينا له في بداية المعركة ولكن نظرا لكوننا تجهل جغرافية المنطقة آثرنا الانسحاب على المواجهة ، وحتى لا نعرض سكان تلك القرية إلى انتقام العدو على عاداته، وأثناء عملية الانسحاب صادف أن عثرنا في طريقنا على خيمة تسكنها امرأة وزوجها يحرسان الحلفاء.. كان الزوج غائبا يومها فتولت المرأة دور الدليل في الفجر الباكر وقادتنا في اتجاه مكان آمن بعيدا عن العدو وجواسيسه وكنا نسمع على مفرية منا صليل آلياته الحربية الكبيرة وعرباته المجنزرة التي دفع بها إلى ساحة المعركة، ومن العجيب أن المرأة قادتنا بذكائها الفطري إلى مكان بقم فيه حفل زفاف قروي كبير كان من بين مدعويه زوجها.

كانت كل مظاهر الفرح والقبطة حاضرة في ذلك الحفل البهيج، النسوة والأطفال والرجال والخيل وبنادق الصيد وأصوات الدفوف وصيحات المزامير تملأ أجواء القرية.. الجميع يرح في هذا العرس الجميل...

استقبلنا أصحاب العرس بغبطة جمّة وأحاطونا بالرعاية والإكرام بعد أن تيقنوا أننا جنود جيش التحرير، والتحمنا بهم وشاركهم بعض ألعابهم البهلوانية على ظهور الخيل وتحولنا من «فلاقة» تلاحقنا قوات العدو إلى مواطنين عاديين نعيش الفرحة بعفوية أهل الريف وكانت تلك حيلة موثقا بها على العدو الذي كان جادا في ملاحقتنا والقضاء علينا.

اغتنمنا فرصة هذا الحشد الشعبي الكبير وحولناه إلى اجتماع ثوري متميز في جميع مواصفاته. بحيث قمنا بعملية شرح وتوعية واسعة تحدثنا فيها عن

أهداف ثورتنا ودور القلة المؤمنة بالجهاد ورسالة الجماهير في أداء الواجب الديني والتاريخي وذكرناهم بآثر مجاهدتنا من الصحابة والتابعين وكل ثوار الجزائر المشهورين وبصرناهم بفضائل الاستقلال وخيراته التي ستعود على شعب الجزائر كله.. واستمرت هذه الحملة يومان كاملان أجهزنا خلالها عملاً ثورياً لا مثيل له حتى أن السكان الذين اجتمعوا في ذلك العرس أهدونا بنادقهم وذخيرتهم وأعطونا المؤن وشاركهم في ذلك كل أجوارهم ثم تولى قائدنا تنصيب بعض أبناء المنطقة مسؤولاً عليهم.. شعرت بحدسي أن أرواحهم قد التحمت بنا أو كأنهم من أهل الكهف الذين استفاقوا بعد قرن وربع القرن من التخدير والعذاب والقهر ويعود الفضل في هذا الإنجاز العظيم إلى تلك المرأة البدوية العزلاء في تلك الحيمة المقفرة، وقد قادتنا ببصيرة الصدق وعفوية القلب في ذلك السبيل الجبر.

لم يسعفنا الحظ كي نلتقي بمجموعة المجاهدين في غرب البلاد طبقاً لأوامر القائد العربي بن مهدي، لكن كفانا ذاك العرس فضلاً حيث رحبنا ثقة الجماهير ودعمها وجندناها في صفوفنا بتقدمها سي جعفر زميل قائدنا في الزيتونة الذي أصبح مسزولا على تلك المنطقة ورقى فيما بعد إلى رتبة نقيب في جيش التحرير بالمنطقة السابعة في الولاية الخامسة إلى أن ألقى عليه القبض في سنة 1959 وظل سجيناً إلى غاية الاستقلال.

بعد هذه المهمة عادت دورتنا إلى ولايتنا الأصلية وفي طريق العودة التقينا مجموعة مسلحة تنتمي إلى التنظيم الشيوعي وعلى رأسها شخص يدعى «المرشح مايو» الذي توفي في أبريل 1956 بقرية بني دوال، حاول الفوج الشيوعي أن يعرف المزيد عن الثورة التحريرية فكان أن دار حوار طويل وشامل بيننا شرحنا فيه كل أسباب وأهداف ثورتنا وأسلوب عملنا الثوري... لكنهم اغتبنوا الفرصة وسألونا لم لا ننظم في حركة غير منظمة الحزب الشيوعي؟ واجهناهم بنفس الأسلوب ودعوناهم أن ينظموا إلى ثورة الشعب الجزائري.. فأبوا وبقي كل على دينه ولم يمنعم ذلك من أن يسلمونا قطعتي سلاح عربون صداقة واحترام ثم افترقنا كل في طريقه ولم نرهم ثانية ولم نحاربهم، لأنهم كانوا يقاتلون نفس العدو الذي نقاتل دون اعتبار لاختلافاتنا الإيديولوجية والمذهبية. لم تكن هذه المرة الأولى التي التقينا فيها الشيوعيين وعبروا عن حسن نيتهم

في التحالف معنا بحيث كانوا قد أرسلوا إلينا كمية من الأسلحة متكونة من عشر رشاشات رفقة امرأة أوروبية يقال أنها شقيقة «المرشح مايو» تحملت المخاطر والمشاق وظلت حلقة وصل بيننا وبين الشيوعيين وكان وسيطنا إليهم الشهيد سي الشريف الربيع من قرية اولاد سلامة التي كانت تابعة لبوقرة، وقد لت عملية تسليمنا الأسلحة في قرية بولبان قرب حمام ملوان... هذا في الوقت الذي كان المصاليون يحاربوننا في كل مكان على قوتهم وتنظيمهم ويفتكون بالجماهير العزل.

٥ - البطل القومي، من فلسطين إلى الجزائر

ظل سي عبد العزيز قائدنا في تلك المهمة الكبيرة التي دامت عدة شهور معلما عبقريا وأخا وفيا وقائدا محنكا ومجاهدا مضحيا بحياته مؤثرا أي مجاهد من أتباعه على نفسه، وما مهمته التي أداها يوم نزل سوقا لا يعرفها.. إلا شهادة ثينة على وفائه لمبادئ ثورته التي آمن بها.. وكان بإمكانه أن يأمر أحد هلوده فينزل السوق ويبتاع الدواء لجرحانا، لكنه أثرتنا على نفسه وجازف بحياته.. فكان الله في عوننا وأكرمنا به فكتب له الفوز ونصر به المجاهدين في تلك المهمة الناجحة.

لم يكن سي عبد العزيز مجاهدا عاديا ولا شخصا كأي من الناس، بل كان من رهب الرجال الأسطوريين بدأ حياته النضالية طفلا ولبس حلة البطل القومي وهو مراهق.. حتى لقي ربه وروحه على كفه.

بدأ سي عبد العزيز حياته النضالية بمغامرة لا يصدقها عقل، بحيث ما أن علم أن الجنود المجاهدين العرب خرجوا لمحاربة الجيش الصهيوني على أرض فلسطين العربية وتحرير القدس عام 1948 وهو دون العشرين من عمره حتى هب لنعرة القضية وخرج من مقر سكناه بالعاصمة متوجها مشيا على الأقدام إلى فلسطين... غير عابئ بأخطار الطريق ولا بما قد يصيبه... وقد تمكن من اجتياز الصحراء الجزائرية اللبية بمشقة كبيرة... رغم الحصارات الأمنية الفرنسية والإيطالية والإنجليزية.. المشددة، لكنه وقبل أن يدرك فلسطين علم بهزيمة المهوش العربية على أيدي عصابات الجيش الصهيوني تدعمها اللعبة الدولية.. أدركته هذه الأخبار المحبطة وهو في الأراضي اللبية فقرر أن يحط الرجال

بقاهرة المعز، وبحول مشروع الجهاد بالسلاح إلى مشروع جهاد الجهل والامية اللذين فرضتهما عليه فرنسا في وطنه فتوجه إليه ودخل الأزهر الشريف في القاهرة العظيمة.. تلك المدينة التي يصعب على الغرباء مثله أن يصادفوا فيها مقاما، لكن فضائل الأزهر عوضته عما شعر به من غربة... وتأقلم بسرعة مع محيطه وصار من طلبته المتجمين بعلومه وحلقاته وشيوخه الأفاضل...

أقام الشاب عز الدين بالقاهرة مدة من الزمن يعب من علوم جامعتها ويتعلم من نضالات أحزابها ويتعرف يوما على مجالات جديدة لم يعهدها في وطنه الذي بسط العدو فوقه سلطة القتل والتجهيل، ولم يلبث أن فكر ثانية في الانتقال إلى بلد عربي آخر... وكان أن حل بتونس وانتسب إلى جامع الزيتونة المعمور وهناك أحس أنه قريب من موطنه الجزائر.. يتابع أخباره ويلاحق مستجداته... واحتك سي عبد العزيز في تونس بالضلية الجزائريين الموجودين بأعداد كبيرة وكان من بينهم الطالب ولد العربي الذي التقاه بعد ذلك صدفة في سوق مدينة «سوقر» في صيف سنة 1956 وتعرف أيضا إلى السيد أحمد عبد اللوي أحد ضباط جيش التحرير الذي مازال على قيد الحياة إلى اليوم.

ولما أتم تعليمه العربي عاد إلي الجزائر، حتى اندلعت الثورة فكان من أوائل السباقين إليها... فخدمها بعلمه وعرقه ودمه... بعد أن لقن العدو دروسا في التخطيط العسكري والتضحية وألهم جنوده قيما لا غنى عنها... التحق بالرفيق الأعلى ليحیی عند ربه مع الأنبياء والصدیقین.

الفصل الثالث

سي صالح زعموم يتفاوض مع ديفول

1 - سي صالح في قصر الإليزي مع ديفول،

كثير الحديث عن موضوع ذهاب قائد الولاية الرابعة سي صالح زعموم إلى قصر الإليزي صحة بعض رفاقه من قيادة ولايته والتقايم بالرئيس ديفول في ظروف سرية وغامضة، وتعددت التأويلات حول شخص الرجل وأسلوب تفكيره والتوايا المبيتة من وراء هذا اللقاء الذي خرج به عن الإجماع الثوري وتخطى حدود قيادته وصلحياته كقائد ولاية من بين ست ولايات أخرى حتى أن البعض رماه بالخيانة والتهور وما إليه من التهم..

آليت على نفسي إلا أن أقدم شهادة صريحة عن شخص سي صالح وعن جميع ظروف وملابسات ذلك الحدث الكبير الذي لو فصلنا عن تلك الحيشات والملابسات والعراقيل التي عشناها داخل ولايتنا لحن لنا أن ندين سي صالح ونعتبره مرتجلا في القضايا المصرية وربما خاننا للإجماع. والقضية إذن من هو سي صالح؟ وكيف كان يفكر؟ وما هو أسلوبه في قيادة الثورة؟ ما موقعه في نظر رفاقه المجاهدين ولدى قادة الولايات الأخرى؟ كيف راودته فكرة التوجه إلى فرنسا ومقابلة ديفول؟ هذه قلة من أسئلة عديدة بطرحها المرء على نفسه سعياً لمعرفة الرجل وتقبل واستيعاب ما أقدم عليه أحسن تمثيل واستيعاب.

تعرفت شخصياً إلى سي صالح في قرية بني مسبرة في شهر أكتوبر سنة 1956 وكان لقاؤنا الأول إثر عودتي ضمن الدورية التي نفذناها في غرب البلاد كما ذكرت سابقاً. أما هو فقد عاد من مؤتمر الصومام رفقة سي امحمد بوقرة، كانت مناسبة اللقاء شرح قرارات وتعليمات مؤتمر الصومام، وقد علمت يومها فقط أن سي صالح أصبح عضواً في قيادة الولاية الرابعة.

كان رحمه الله طويل القامة رشيقها، قليل الكلام وإذا تكلم يدرك ما يقول يتقن العربية جيداً والفرنسية، واسع الثقافة لم يتجاوز وقتها الثلاثين من عمره

يحظى باحترام الجميع، انتقل سي صالح إلي الخارج في نهاية سنة 1957 لأداء مهمة رسمية كلفته بها ولايته وكان الهدف منها:

أ - جلب الأسلحة من الخارج إلى الثوار.

ب - تحيين سير الأفواج التي كانت تنتقل من الولاية الرابعة إلي شرق البلاد وغربها، وكثيرا ما تعرضت لمضايقات تصل أحيانا حد التصفية الجسدية... تنقل سي صالح عبر الجبال والمغاور والكهوف والوديان حتى وصل المغرب الشتيق فالتقى أفرادا من القيادة في الحدود المغربية ثم تركهم ليلتحق بقيادة الخارج في مقرها الرسمي بتونس، لكنه سرعان ما اكتشف تناحرهم وخلافاتهم الهامشية فبات مساعيه بفشل ذريع. فقرر العودة لكنهم منعوه عارضين عليه أن يضطلع بمهمات في الخارج ويأتمر بأوامرهم، أصيب سي صالح بصدمة نفسية حادة وآله أن يرى قيادة الخارج، رغم ما هم عليه من بذخ ونعيم يتأمررون على بعضهم البعض ويكيلون المكائد ويتناحرون من أجل منافع شخصية لا ناقة للثورة فيها ولا جمل، بدأ له جحيم مواجهة العدو في الداخل خير له ألف مرة من ذلك النعيم المزيف الذي يتبارى فيه هؤلاء باسم الثورة والثوار فقرر العودة فارغ اليدين إلا من كتاب ما زلت أذكر عنوانه إلى اليوم: «العملية المزيفة» وقد أصبح بعد ذلك لا يفارقه كأنه طالعه أو هو الدرس الأول الذي استوفاه من مهمته التي استغرقت خمسة أشهر ثقال في الخارج.

استأنف نشاطه بكل جد وتفان إلى جانب سي امحمد بوقرة وقد كان مساعده إلى أن عقد اجتماع عقدا، الداخل بعد مؤتمر الصومام في الولاية الثانية، أطلعه قائده سي امحمد بوقرة على نتائجه وكلفه بتنفيذها كاملة.

عملنا في بداية الأمر على إرسال وحدات رمزية إلى الولايتين الأولى والسادسة بهدف وضع حد للخلافات التي كانت قائمة، لكن ذلك لم يدم طويلا حتى فقدت الثورة بعض دعائمها المتمثلة في شخصي القائدين عميروش والحواس، وبعد شهرين فقط استشهد سي امحمد في جنوب المدينة يوم 5 ماي 1959، وهكذا أصبح الأخ صالح زعموم أليا قائدا رسميا للولاية الرابعة.

عرفت ولايتنا في عهد توليه القيادة جملة من المشاكل الهامة، بحيث شغل مجلس قيادة الولاية من إدارته لا سيما بعد خروج عمر أوصديق والراند

عز الدين إلى الخارج.. كما اشتد الحصار على الثورة وتكثفت عمليات العدو الكبيرة والمركزة، فعندما حاول سي صالح زعموم سد بعض الشفرات فأمر بعقد أول اجتماع يحضره بوصفه قائدا للولاية يوم 14 جانفي 1960 في الروابع قرب شمال بوغار، وبعد أن قيم تلك المرحلة الصعبة ونتائج عملية «لاكروا» اختار أعضاء مجلس ولايته وكانوا على التوالي:

1 - سي صالح زعموم قائد الولاية.

2 - محمد بونعامة نائبا له.

3 - عبد الحليم مسؤولا سياسيا، وقد اختير لهذا المنصب بناء على ما يتمتع به من ثقافة واسعة ولكونه تخرج من الكلية الحربية المصرية.

4 - سي لحضر مسؤول الاتصالات والأخبار.

وأن هذين الشخصين الأخيرين كان لهما دور مركزي في تحضير اللقاء الذي جمع سي صالح بالجنرال ديغول في قصر الإليزي لاحقا.

ومن نتائج ذلك الاجتماع ضم المنطقة الخامسة إلى ولايتنا بعد أن كانت تابعة للولاية السادسة وقد وقع ذلك إثر الحوادث المؤسفة التي جرت في الولاية السادسة وكان من نتائجها اغتيال سي الطيب الجفلاي النائب الأول للقائد سي الخواس وضباط آخرون وهم:

- سي خالد كاتب الولاية السادسة.

- الضابط حميد الذي عين على رأس الفيلق المتوجهة إلى الولايات المتضررة.

- سي جيلالي قائد فرقة رجال الصاعقة «الكومندوس» الذي كان مكلفا بمكافحة المصاليين في جبل بوكحيل.

كما تقرر في ذلك الاجتماع الهام إيجاد مبعوثين إلى الولايات:

الأولى والثانية والسادسة للنظر فيما إذا كان ممكنا تطبيق بعض أو كل قرارات اجتماع العقلاء قبل استشهادهم؟

من مظاهر الحكمة التي تحلى بها القائد سي صالح الموقف الذي اتخذه بشأن بعض الحوادث إبان قيادته للولاية الرابعة، ففي بداية توليه القيادة اتصل مباشرة بالقيادة العامة الموجودة وقتها في المغرب الأقصى لإطلاعها على المستجدات في الداخل بعد استشهاد قائد الولاية وما اتخذ من ترتيبات جديدة. تم الاتصال أولاً بالعقيد هواري بومدين عبر «الشفرة» الخاصة، فرد بدوره أن أعطونا مهلة للدراسة واستخلاص النتائج على أن يقدم الجواب في اتصال لاحق.

وفي الغد وأثناء نفس التوقيت الليلي، تم اتصال ثان بالقيادة في الخارج وجاء الرد هذه المرة غير واضح ولا قابل للتصديق، اجتهدت أجهزتنا لفك رموز المكالمة وبعد محاولات عديدة تأكدنا من محتواها (...) ولكن ظننا أن العدو استطاع بما لديه من أجهزة تصنت واستخبار دقيقة أن يكشف أمرنا ويرسل إلينا ذلك الجواب المخزي في كلمة وقحة ونابية بهدف إحداث البلبلة والشك في صفوفنا وقد تعود أن يفعل كلما تمكنت أجهزة مخابراته من كشفنا فيدس لنا برقيات عاجلة وموجهة.

وبكل هدوء وحكمة طلب القائد سي صالح مرة أخرى الاتصال بالعقيد هواري بومدين عبر جهاز الراديو وبلغته «المورس» للتأكد نهائياً من الحقيقة... لكن سرعان ما اكتشف العدو الأمر واشتعلت بيننا وبينه حرب اتصالات، وأدرك نوع الموجة التي ترسل عليها خطابنا، فواجهنا بوضع اسطوانة للمطرب العربي عبد الوهاب، فاختلط صوت العقيد هواري بومدين بصوت المطرب والموسيقى... التي كانت تصدح بأغنية «بانكر في اللي ناسيني وأنس اللي فاكرنني...» وقد تعمد العدو الأغنية بمحتوى كلماتها المواتية للطرف...

بدت بوادر الطمأنينة والارتياح على وجه سي صالح إذ اعتقد أن اللعبة من صنع المخابرات الفرنسية وأن الكلمة الرقحة التي صفت أذنيه بالأمس هي أيضاً من قبيل المخابرات المعادية... لكن هذه الحقيقة لم تعمر قليلاً حتى ذهل مرة أخرى عندما تأكد أن تلك الكلمة المكتوبة بالشفرة أمس هي نفسها التي صدرت من فم بومدين في مكالمة اليوم.. وقد كان رفقته سي بونعامه.. لم يرد على الرقاقة بمثلها لكنه تصرف بما تسمح به الحكمة إذ كتب مباشرة إلي تلك

القيادة في الخارج وقال: « أشعر بمسؤوليتي التاريخية تجاه ما تقصون به من أعمال... واني لأقترح عليكم أن تولوا مسؤولا على الولاية الخامسة وليكن مسؤول المنطقة الرابعة أو أحد تختارونه، وإذا لم توفوا بذلك سأكون مضطرا لأن أخبر القاعدة الجماهيرية بما يجري بيننا وأعلمها بتصرفكم الأرعن المنافي لأخلاق الثورة... ».

ما إن أتم خطابه حتى جاء الرد سريعا وفيه مظاهر خوف قيادة الخارج من انفصاح أمرهم أمام الجماهير في الداخل فوافقوا على تعيين السيد طارق قائدا بالنيابة للولاية الخامسة، وهكذا بدأ تعاون نزيه بين الولاية الرابعة والخامسة فأرسل قائدا إنثرا سي لحسن الخطيب في مهمة اتصل فيها مباشرة بمسؤولي المناطق في الولاية الخامسة ولما وصل إلى منطقة البيض (سيدي الشيخ) اشتبك مع العدو فاستشهد رفقة البطل المجذوب والبطل مغربي يحيى... وهذه شهادة صريحة على وجود نية التعاون الثوري المشترك بين قائدا وقائد الولاية الخامسة بالنيابة ... بحيث بقي سي صالح يسير على هدى قائده ومعلمه سي امحمد بوقرة الذي كان يعتبر الجزائر وحدة لا تتجزأ وأن القتال من أجل استقلالها يحملنا على الشهادة فوق جميع أراضها دون تمييز...

كما أرسل سي صالح مبعوثين آخرين إلى كل من الولاية الأولى والسادسة تنميما للمهمات التي كان يشرف عليها سي امحمد بوقرة ويرسل إليها مبعوثيه، وأوفد كذلك سي بونعامة إلى الولاية الخامسة... ولأسباب عملية أكيدة ذهب محله سي حسان، وأذكر أنني بقيت على اتصال دائم بمبعوثي الولاية الأولى والسادسة سي حليم وسي لخضر بوصفي مسؤولا على تنظيم الأفواج ومرافقتها إلى خارج حدود ولايتنا.

3 - معاهدات نصر الإلزي..

ما زال لقاء «الإلزي» المشهور الذي جمع قادة الولاية الرابعة سي صالح قائد الولاية ورفيقه سي محمد بونعامة المسؤول العسكري وسي لخضر المسؤول السياسي يوم 10 جوان 1960 والرئيس الفرنسي ديفول، مازال هذا اللقاء مثار جدل وتأويل نظرا للسرية الكاملة التي تم فيها ونظرا لامتناع المقيمين من الموضوع عن الحديث والتزام الصمت ... وبصفتي واحدا من هؤلاء

فإنني أرى من واجبي الوطني أن أعيد تمثيل الحقيقة التاريخية كما حدثت أول مرة، وأن أضع القضية كلها في إطارها العام حتى تحدد مسؤولية هؤلاء القادة إن لهم أو عليهم..

إن تجربة القائد سي صالح مع القيادة العليا في الخارج كما ذكرنا بعضها كانت مريرة ومحبطة بالإضافة إلى ما عانته ولابتنا من عزلة عن ولايات الأطراف ذات المنافذ إلى الأقطار المجاورة التي كان من الممكن أن تخفف علينا مرارة العزلة بمدنا بال سلاح والذخيرة... فضلا عن الحصار المضروب حولنا والذي تجاوز كل التقديرات لا سيما عند مجيء الجنرال ديفول إلى السلطة... وفصل الجماهير في محتشدات عن الثورة واعتبار كل الأرض مناطق محرمة... واستمرار القتال اليومي في عمليات مسح كبرى كان هدفها القضاء على جيوب الثورة... وعدم تمكين قواتنا من فرص إعادة بناء نفسها وتجديد رجالها... لكن هذا الوضع على أهميته لم يكن هو الوحيد الذي كان يقف وراء لقاء «الإيليزي» وأن اللقاء لم يكن بدافع البأس والخضوع للأمر الواقع وهو ما يبرره حديث القائد سي صالح ومراقفه تجاه مقترحات «De Gaulle» «ديغول» في قصر الإيليزي.

مقدمة اللقاء،

أعدت ترتيبات اللقاء بمشاركة أطراف جزائرية وأخرى فرنسية وكان آخر مراحلها لقاء 02 جوان 1960، الذي عقد بمدينة المدية وتقرر فيه نهائيا سفر سي صالح زعموم إلى قصر الإيليزي ومقابلة ديفول يوم 9 جوان 1960 هذا على أثر وصول العقيد الفرنسي جاكوان «Le colonel JAQUAN» سرا إلي مقر دائرة المدية صحية ثلاثة أشخاص ووجدوا في انتظارهم برنار تريكو «B. Tricot».

والعقيد ماتون «Mathon»، وثلاثة من قيادة الولاية الرابعة... تولى في ذلك الاجتماع سي لخضر القائد السياسي للولاية تقديم رفاقه قائلا: «أيها السادة أعرفكم بسي صالح زعموم مسؤول الولاية، وسي محمد يونغامة المسؤول العسكري، أما سي عبد اللطيف فلم يحضر هذا اللقاء نظرا لانشغاله بمهمات أخرى...».

انحصر الاجتماع في ضبط اللمسات الأخيرة لمقررات اللقاء المنتظر.. وصعد الجميع بعدها مباشرة إلى مدارج طائرة هيلوكوبتر في حدود الساعة الرابعة بعد

الزوال، وطار بهم إلى مطار الدار البيضاء حيث كانت طائرة انجليزية الجنسية في انتظارهم لتقلهم إلى العاصمة باريس.

تناول الجميع على متن الطائرة وجبة العشاء الخفيفة وامتنع القائد سي صالح ورفيقه عن تناول لحم الخنزير وشرب الكحول واكتفيا بأكل الخبز واللبن وبعض الفاكهة..

وقد ذكر الصحفي والمؤرخ الفرنسي إيف كوريار « Y.COURRIERE » في الصفحة 94 من كتابه « نيران اليأس »، أن سي لخضر أتى على علية الجبن بأكملها.. لأنه لم يعرف من قبل مذاق « الكامنيار » لكن الكاتب نسي أن فرنسا الاستعمارية حرمت الشعب الجزائري قرنا وربع قرن من أدنى ضروريات الحياة البسيطة وأن سي لخضر مثله في ذلك مثل بقية أبناء الشعب الجزائري البسطاء المحرومين الذين عاشوا لا يعرفون غير الخبز واللبن وبعض الخضار، وبعد انتهاء العشاء استأنف الفريقان الحديث من جديد في موضوع اللقاء... وفاجأ سي صالح محدثيه بقوله: « لا بد أن تسهلوا لي مهمة لقائي مع بن بلة وبقية الزعماء المسجونين »، ارتبك المسؤولون الفرنسيون... وكانت خدعة سياسية أراد بها سي صالح أمرين اثنين:

- 1 - أنه ورفاقه جزء لا يتجزأ من القيادة في الداخل وفي الخارج على حد سواء.
- 2 - دفع السلطات الفرنسية إلى اعتبار الزعماء الخمس المسجونين لديها أصحاب حقوق وطنية وليسوا مجرد أسراء خارجين عن القانون كما روجت لهم وسائلها.

رد برنار تريكو عليه قائلا: « إن مقابلتك بين بلة تجعله يخير الحكومة المؤقتة ويفسد عليكم بالتالي لقاءكم الرئيس ديفول ».

ابتسم سي صالح ولم يصف.

تدارك تريكو الأمر من جديد وأردف قائلا: « حسنا سأعرض طلبك على الجنرال ».

نزلت بهم الطائرة في ناحية معدة مسبقا في مطار أورلي ودون ترقب وجدوا ثلاث سيارات في انتظارهم رفقة رجل واحد وقد لف الظلام المكان، أما الرجل فهو حاكم دائرة رامبوي في باريس « Rambouillet ».

لم يكن الحاكم على علم بهؤلاء، ولا من أين جاؤوا، أو لم جاؤوا كل ما كان يعلمه أنه مأمور عليه أن يرتب ظروف إقامة الرجال الخمسة ليلة أو ليلتين فحسب.

أركب الحاكم في سيارته الخاصة القائد سي صالح ومرافقه الجنرال تريكو، أما الجنرال نكو «NICOT» الرئيس العسكري لديوان ميشال دوري، فقد أركب سي محمد بونعام في سيارته، بينما تسلل العقيد ماتون خلف مقود سيارته ليصطحب معه سي لحضر.. تحركت السيارات الثلاث مشعلة أضواءها الحافطة في طريقها إلي رامبوي.

* توقفت عند مدارج قصر فخم تلفه غابة كثيفة الأشجار الباسقة وهو قصر رئاسي رتب خصيصا ليكون مقر إقامة القادة الثلاث.

طلب القادة من المسؤولين الفرنسيين حرية البقاء مجتمعين في غرفة واحدة... فكان لهم ما طلبوا ويقوا في غرفة واسعة تحتوي على مستلزمات الإقامة وتفضي بدورها إلى غرفة تريكو عبر باب مشترك...

وفي صباح اليوم الموالي عاد العقيد الفرنسي ليقول لسي صالح ورفيقه علي مائدة فطور الصباح: أن إجراءات لقاء الجنرال ديغول تمت وأن الموعد تقرر يوم 10 جوان 1960 على الساعة العاشرة ليلا بقصر الإليزي.

طلب القائد سي صالح من محدثيه تحديد رزنامة عمل تنفيذ بما اتفقوا عليه في اللقاءات السابقة بالمدينة وتكون محاور الحديث مع الجنرال ، ثم أضاف: هل تتم مخاطبتنا الجنرال بمبادئه سيادة الرئيس أو أيها الجنرال؟
أجاب تريكو: «ناده أيها الجنرال « Mon Général » .

تعهد سي صالح طرح هذا السؤال ليتأكد من أن ديغول سيفاوضهم بصفته العسكرية أو بصفته المدنية..؟

ثم سأل سي لحضر تريكو من سيشارك إلى جانب الجنرال في هذا اللقاء؟

قال تريكو: «لا أحد غيري وماتون» ومرة أخرى أخطأ الفرنسيون.

غادر الجميع القصر في الساعة الثامنة من ذلك اليوم على متن ثلاث سيارات اخترقت بهم شارع الإليزي بمحلاته الفاخرة وأضوائه الزاهية ومقاهيه

وقاعاته السنمائية... وشبابه النشوان بمعادة الحرية. اين هذا النعيم
من عذاب وشقاء الجزائر وتشريد شعبها، وذبح أطفالها على أيدي عساكر فرنسا
وأقدامها السوداء...».

غرق كل القادة في البحث عن العلاقة بين حياة الفرنسيين الغزاة وحياة
الجزائريين المضطهدين علي أرضهم...؟

أما رفاقهم من الضباط الفرنسيين فكانوا حيرى ومصدمين بالصيد الثمين
الذي أوقعوه في شباكهم ... دون أن يعلموا عن مصير أكله وهضمه
مستقبلا..؟

توقفت السيارات الثلاث أمام قصر الإليزي بعد أن أخلى من موظفيه
وحراسه... وأغلقت مكاتبه.. وقاعاته.. وقف أمامهم العقيد الفرنسي دو
بونيفال « De bonnival » دقائق قبل الدخول على الجنرال تعلوه علامات القلق
والحيرة.. هل يفتشهم كما جرت العادة عند كل دخول أي زائر مكتب
الجنرال...؟ مرت هذه اللحظات المرجة ... وتذكر العقيد أنه رتب كافة الشروط
الأمنية في مكتب الرئيس بحيث نصب في أعلى القاعة وراء الستار رماة
مسلحين بأسلحة أوتوماتيكية بقيادة حارس الجنرال الشخصي هنري دجودر
« H.Djouder » صوبوا جميعا أسلحتهم نحو سي صالح ورفيقه على أبهة
إطلاق النار عند أي حركة تحدث من قبل القادة.. في الوقت الذي حصل كل من
تريكو و ماتون مسدسات.

فتح باب مكتب الجنرال عند الساعة العاشرة بالتحديد وظهر ديقول واقفا
بقامته الفارعة وذراعيه الطويلتين... وأشار إليهم بالجلوس قائلا بصوته الغليظ
التميز: « أيها السادة تفضلوا بالجلوس»، توسط سي صالح رفيقه قبالة الجنرال
وإلى يمينه جلس سي لحضر وعن يساره جلس سي محمد بونعام، وكان الجنرال
يتوسط معاونين وهما تريكو و ماتون.

كان سي صالح يدرك أن ذلك اللقاء ليس هدية يقدمها للعدو، وأنه لا يفاوض
من فراغ.. ولا من موقع الضعيف المهزوم... وإنما يعتمد على تاريخه الشخصي
والنضالي وإلى الانتصارات العسكرية التي حققها جيش التحرير على أرض
المعركة والانتصارات السياسية التي حققتها دبلوماسية الثورة النشيطة في

الرأي العام الدولي وفي دورات الأمم المتحدة المتعاقبة... وأن الفرنسيين يعلمون حق العلم رصيده النضالي في المنظمة الخاصة التابعة لحزب الشعب وأنه رفيق كريم بلقاسم و أوعمران ومن بين الأوتائل الذين التحقوا بشورة التحرير، إلى جانب كونه من المقربين من القائد العظيم سي امحمد بوقرة ومحل ثقة الجميع وأنه قائد محنك وسياسي داهية..

فتح باب التفاوض مع الجنرال ديغول وهو على بينة من نتائج المجلس الوطني في دورته الثالثة التي انعقدت في طرابلس ودامت من يوم 16 ديسمبر 1959 إلى 20 جانفي 1960، وقد سجل فيها الاعتراف بحق تقرير المصير للشعب الجزائري ولرُحظ فيها اهتمام الرأي العام الدولي والإفريقي بالخصوص والعربي بالأخص بموضوع تحرير الجزائر وظهر بعد ذلك جليا في ندوة رؤساء الدول الإفريقية في أديس أبابا وفي أروقة منظمة الأمم المتحدة حيث اعترفت بها سبعة عشر دولة...

وهكذا جلس على مائدة المفاوضات الند للند مقدرا حجم المسؤولية التاريخية الملقاة على عاتقه، مدركا خطورة ديغول كشخصية حربية وعسكرية من الطراز الأول، عرفت الشورة في عهده أخطر مراحل حروبها وأكثرها بشاعة وإجراما... فضلا عن كونه رجل المراحل الصعبة والظروف الحرجة في تاريخ فرنسا المعاصر فهو الذي قاد حركة مقاومة النازية في الأربعينيات... وجاء لينقذ بلاده من جديد في حربها ضد الشعب الجزائري مستعملا جميع الأساليب والطرق العسكرية لإخراج بلاده وقوات الحلف الأطلسي من مازق كاد أن يعصف بوحدة فرنسا نفسها وقد وظف كافة وسائل الفتك والدمار والفرقة والفساد وبذلك يكون قد تجاوز في خطورته دور النازيين المحترفين، فحول الجزائر إلى فرن تكتوي فيه لحوم شعب بأكمله... ومع ذلك كله فشلت القوة في القضاء على الإرادة الجماعية...

انطلقت جولة المفاوضات بين طرفي الصراع... كان هم سي صالح ورفاقه استثمار جملة من المعطيات أهمها فشل فرنسا في تدمير الشورة بقوة السلاح طيلة ست سنوات مما أدى إلى تعاقب سقوط الجمهوريات وكانت آخرها الجمهورية الرابعة...:

- إرغام ديغول للحصول منه على مبدأ تقرير مصير الشعب الجزائري.
- الدفع بالحوار إلى مده الأخير.
- استغلال حالة التملل والتصدع المستشري داخل قواته بين دعاة الجزائر الفرنسية وغيرهم.

استهمل ديغول اللقاء بقوله : « أريد أن أقول لكم قبل أن تبدأ الحديث، أن موقفي الذي أعبر عنه هو موقف فرنسا... ».

وفي أقل من ساعة واحدة تم عرض وتلخيص كل ما جاء في المفاوضات الأولية في المدينة.. وبعد أن استمع الجميع لهذا العرض الذي قدمه أعوانه.. استأنف الحديث من جديد وقال: « إن استفتاء سيقع بشرط أن يضع المقاتلون الجزائريون أسلحتهم في أماكن يتم تحديدها مسبقا والاتفاق عليها بين الطرفين ».

تدخل سي صالح وتلاه سي محمد بونعامة ثم سي لحضر وانتهى الطرفان إلى الاتفاق على مبدأ تقرير المصير طبق شروط موضوعية وسلمية أضاف سي صالح قائلا لديغول: « أرجو ألا تعتبروا مجيئنا إلى الإليزي هو موقف انعزالي أو معارض لأي من رفاقنا في جيش وجبهة التحرير الوطني ».

وتلاه سي لحضر بقوله: « سنعمل على الاتفاق مع باقي المسؤولين والقادة في الداخل... وعليه لا بد أن تسهلوا مهمة تنقلنا عبر مختلف الولايات » . وافق ديغول على هذا الطلب وأردف قائلا: « سيوجه نداء إلى الحكومة المؤقتة ندعوها فيه مرة أخرى إلى وقف إطلاق النار ».

تناول الكلمة من جديد سي صالح وقال: « لا بد أن نوافي كافة مسؤولي الولايات الأخرى بما بحثناه واتفقنا عليه هنا... وإذا استمعت الحكومة المؤقتة لندائكم واستجابت لطلبكم وهو ما نرجوه عندها لم يعد بد لمفاوضاتنا معكم ولا حتى للقائكم لأننا لا نملك صلاحيات حوار باسم مصير الثورة أما إذا رفضت مقترحاتكم فإننا سنستمر من جهتنا في دفع حركة التفاوض والحوار بهدف وقف شلال الدم من الجانبين ».

هكذا انتهت المحادثات ووقف ديغول وهو يقول: «أيها السادة أتمنى أن نلتقي مرة أخرى وعندها أتمنى أن يكون باستطاعتي أن أشد على أيديكم. أما في هذه المرة فتحيتي لكم، تحيتي لكم تحيتي لكم ».

وقف سي صالح ورفيقاه بردون التحية العسكرية في انضباط واحترام وفتح تريكو باب المكتب واستبق الجميع الى البهو الخارجي فيما ظل ديفول واقفا يراقب خروج الجميع، وأسدل الستار بعد ذلك عن هذا اللقاء السري الذي خرج بمقتضاه القائد سي صالح ورفاقه عن الاجماع الثوري وتصرفوا تصرفا خاطئا لكن لا أعتقد أنه تصرفا خيانيا... وقد ظل هذا اللقاء الى اليوم مثار جدل خلاف أسال حيرا كثيرا بقدر ما أسال دما فياضا... وبقي جرحا ينزف في الضمير ويشدنا بأطراف الحيرة إلى تلك الأيام العصبية.

ولا أضيف شيئا للحقيقة بعد أن تقادم العهد، وتعاقت السنين اذا قلت أن التصدع الذي أصاب قيادة ولايتنا جرى رأبه من داخل الولاية وتمكنا على بساطة تفكيرنا وضالة تجربتنا من تجاوز المحنة دون تدخل من أحد وتحملنا مسؤولياتنا التاريخية بالتصدي الحاسم والفوري لمخطط لقاء الاليزي الانفصالي وقضينا عليه في المهدي واني لأعجب اليوم من أولئك الذين يزعمون دون حياء أنهم هم الذين قضوا على مايسمى «بقضية سي صالح» وقد راحو يفتعلون الأحداث ويختلقون بطولات لبسوا أهلا لها ويشوهون صورة هؤلاء الرجال دون جمع القرائن وتحليل الأحداث في أطرها التاريخية وملاساتها العامة...

4 - خطة إحباط نتائج لقاء الاليزي،

طلب مني الأخوان لحضر وحليم يوم 02 مارس 1960 الالتحاق بهما في منطقة «تابلاط» على أن يكون اللقاء في منتهى السرية ودون أن يرافقتني إليها أحد، حضرت إلى قرية الباكسية في ناحية تابلاط فوجدتهما هناك، وكان من المفروض أن يواصل سيرهما نحو أهداف المهام التي كلفا بها في الولاية الأولى والسادسة لكن لم يفعلوا...؟ أمراني في هذا اللقاء بالكف عن إرسال الأفواج إلى الولايات الأخرى وسألاني عما إذا انطلق سي بونعام في مهنته فذكرت لهما أنه توجه إلى المنطقة الثالثة ومنها سيتحول إلى الولاية الخامسة. وأذكر أنني التقيت سي بلقاسم هني مسؤول المنطقة الأولى في ذلك اللقاء، وقد تم استدعاؤه لكي يمكنهما من الدخول إلى الولاية الثالثة كما كان مقررا قبل أن يتغير رأيهما...

بقيت برفقتهم من 12 إلى 18 مارس 1960 وفي هذه الاثناء التحق بنا سي عبد اللطيف طلبة مسزول المنطقة الثانية الذي عاد لتوه من مهمة كلف بها..

كنت أجهل خلفيات تلك المهمة رغم أنني نانبه، طلب مني سي عبد اللطيف أن أصحب تلك المجموعة فيما بعد إلى حيث يريدون التوجه وأذكر أن اتصالات هثشة كانت تجري على مقرية من مكان تواجدنا دون علمي بحقائق الأمور...

لكن خيوط العملية بدأت تنكشف مع تسارع الوقت وتطور الأحداث بحيث اتضحت مهمة سي عبد اللطيف في لقائه بأحد قضاة مدينة المدية ويسمى مريفي لدور، وهو الذي كلف بالاتصال بالوكيل العام لدى محكمة الجزائر.

وهكذا بدأت أطراف الموضوع تتألف لتنظم لقاء الإيليزي الذي كاد أن يعصف بالثورة ويغير جميع معادلات المرحلة.

لا أزعم علم الغيب ولا سرائر الأمور، لكن النقاء الثوري وهداية الله كانت وراء ذلك المنهاج الذي توخيته طيلة المرحلة الصعبة.

أمرني سي عبد اللطيف بعد يومين بالالتحاق بالمجموعة التي كلفنتي هي بدورها بالذهاب في الحال إلى المنطقة الخامسة من الولاية الرابعة وقد تم اختياري لكوني أكثر الناس معرفة بالمنطقة.

لكن لماذا أمروني بالذهاب إلى المنطقة الخامسة على أن أعود إليهم بعد يومين؟ ولماذا لم ينفذ حليم ولخضر مهمتهما...؟ ولماذا سألوني عن سي بونعامة ما إذا كان قد انطلق في تحقيق مهمته...؟

ولعل أخطر تلك الأسئلة جميعا هو عدم مساءلتي عن القائد سي صالح المقيم في مقر الولاية ورسومهم لي طريق الذهاب والعودة من وإلى المنطقة الخامسة لمقابلة مسزولها سي بابا علي بشير... وأتشكك فيما يخططه رفاق السلاح ضمن السرية والتكتم فعمدت فورا إلى تغيير وجهة مهمتي متخذنا طريقا تعودت أن أسلكها وتوجهت رأسا إلى مقر الولاية في بوغار ناحية (قلاية) لعلمي بوجود قائد الولاية يومها هناك.

ودون مقدمات أطلعته على كل ما رأيته من وقف للأفراج نحو الولايات إلي تراجع حليم ولخضر عن مهماتهما واجتماعهما مع عبد اللطيف ولكن لم أفاتحه

بما كان يختلج في صدري من شكوك وريبة، ويسرعة البديهة أدركت أن سي صالح كان آخر من يعلم ثم تأكد لي ذلك بعد أن ناولته الرسالة التي حملوني إياها كي أسلمها إلى مسؤول المنطقة الخامسة... عندها لم أستطع صبرا وقلت له بالحرف الواحد أنني لا أعلم شيئا عن كل ما يجري، بل أن ما شاهدته شد انتباهي وها قد جئت أخبرك... وأضع نفسي رهن إشارتك فيما تراه خيرا للشورة والوطن...». نظر إلي طويلا دون أن تبدو عليه علامات التغير، فلم أميز بين ما إذا كان حزينا أو متألما أو مرتاحا لهذه المستجدات، وبعد لحظة صمت ثقيلة أمرني أن أذهب فوراً إلى المنطقة الخامسة وأتم تنفيذ المهمة التي كلفوني بها.

قلت بيني وبين نفسي لينظر الله فيما يدبر لنا، وعمت بوجهي شطر قيادة المنطقة الخامسة، لم تتوقف هواجسي وأنا في طريق إلى تنفيذ مهمة لا أعلم من أمرها شيئا، قررت أن أبعث رسالة إلى محمد بونعامة الذي كان وقتها في المنطقة الثالثة بالونشريس يهين الأفواج التي سترسل إلى ولايات أخرى وطلبت منه أن يأذن لي بالاتحاق به وقد حملت رسالتي مبعوثا خاصا وبعد مدة قصيرة جاء جوابه مخيبا كل آمالي.

إذ رد علي بقوله: «اذهب واخبر قائدك سي صالح لأنه المسؤول الأول ومسؤوليته فوق الجميع...»، لم يهجرني الأمل في أمر يقوم به فعاودت الكرة وأرسلت له رسالة ثانية رقيقة نفس المرسل الأول وأكدت له فيها أنني فاتحت القائد سي صالح في الموضوع وكانت في تلك الأثناء قد وجهت مجموعة لخصر وحليم رسالة إلى سي بونعامة بعد أن وصلته رسالتي الثانية وهو في طريقه إليهم في الوقت الذي كنت أواصل سبيلي إلى المنطقة الخامسة.

انهيت مهمتي وعدت إلى الجماعة تنفيذا للأوامر ولشدة ما كانت دهشتي عندما لقيت سي صالح إلى جانبهم بعد أن أشعروه بدورهم في رسالة بما خططوا له.

كانت الأحاديث في ذلك اللقاء سرية، ولم يتناه إلى سمعي إلا اسم القائد طارق الذي كان قائدا للولاية الخامسة يومها بالنيابة... اشتد توجسي وتأكدت أن أمرا خطيرا يحضر في الخفاء التام.. وما كان من تلك الجماعة المجتمعة إلا أن تكلفني بمهمة عاجلة إلى المنطقة الأولى وفي الطريق أخذت مني الوسواس

مأخذها ولم يعد بإمكانني تصور مخرج من معضلة ما يحضر في الخفاء، وفي سرية مطبقة لثورتنا... لجأت كاليائس في آخر محاولة إلى السيد بوسماحة وكان قائدا للناحية الرابعة وقتها بعد أن استخلفتني فيها لأصبح مسؤولا على المنطقة.. لجأت إليه ولم أكن على معرفة جيدة به لكنه بدا لي نشطا وأشد الجميع حساسة للثورة ... وأكثرهم إخلاصا لها، لم أصارحه بما في نفسي فور لقائنا ولكن تماديت معه في عموميات حتى لمست فيه قدرا من الاطمئنان والثقة، وكان الليل قد ذهب نصفه... ودون أن يهملني أدرك أنني جئت لأمر هام، فبدروني بقوله ثق أنني سأقف إلى جانبك وأواجه معك جميع الاحتمالات الممكنة . وهنا فقط ذكرته بأن لا خوف على مصري الشخصي لكن خوفي على مستقبل الثورة وما يمكن أن يصيبها من سوء، وبعد تحليل الوضع تأكدت لكلينا قناعة مشتركة بوجود التصدي لما يدبر في الخفاء... استوثق الواحد منا بالآخر وانطلقنا نخطط كيف نواجه كل الاحتمالات الممكنة بدءا بالاستيلاء على جهاز الإرسال للاتصال بالقيادة في الخارج... رغم ما في هذا الاحتمال من محاذير ومخاطر فقد لا تصدق قيادة الخارج زعمنا وقد تصرفنا مشطا يؤدي بالوضع إلى التفجير، ثم عدلنا عن ذلك مقابل أن نعلم قادة الولايات ومسؤولي المناطق بالأمر، لكن ذلك أيضا بدا لنا غير مأمون الجانب، وفجأة طرأت على ذهني حيلة عرضتها على سي بوسماحة، عارضها أولا لكنه تراجع ووافق عليها وبذلك هيا فوجا احتياطيا لمواجهة أي طارئ محتمل.

أما هذه الحيلة فمفادها أنني أباغت الجماعة وهم في مخدعهم أخبرهم أن القائد طارق الذي تردد اسمه في مجلسهم موجود في ولايتنا ويرغب في لقاء أحدهم وأنه موجود في جبل موقورنو ينتظرهم، وقد نفذت المكيدة بحيث جنتهم للمقيتهم مجتمعين وكانوا على التوالي: صالح زعموه، محمد بونعامه، محضر بوشامة، حلیم وعبد اللطيف، فقلت ما ذكرت وتحقق ما نويت في أن يصحني أحد الاثنين: القائد صالح أو سي بونعامه لكونهما أكثر الجماعة معرفة بالقائد طارق، رافقني بونعامه وبقي الجماعة في مخدعهم حتى إذا توغلنا في غابة موقورنوولفنا ظلام الليل الحدلك فالتحنا بونعامه بحقيقة المكيدة في هدوء وطمانأه بأننا نريد أن نفك طلاسم ما يجري في الخفاء بمعرفة اليقين منه أو من القائد سي صالح رغم ما في هذا السلوك من تجاوز لصلاحياتنا وخروج عن طاعة قوانين الثورة.

اطمأن بونعامة إلينا واندفع بنفسه علينا كافة ملاهيات القضية بدءاً بأول لقاء جمع عبد اللطيف بالقاضي حتى احتماع الإلزمى بالجنرال ديفول. هبط علينا الخير كالصاعقة، ولم أعد أتفكك نفسي وأتابع الاستماع بل ذهلت أيما ذهول فشرد ذهني عبر فضاءات الخيال عن خلفية اللقاء ونوايا مهندسيه... متسائلاً كيف قبل الجنرال ديفول مقابلة قادة الفلاحة بهذه السهولة وكان الأولى به أن يلتقي رجال السياسة، بل أن يلتقي ببلونيس أو كوبيس أو حتى مصالي الحاج؟ ثم ماذا قال سي صالح للجنرال في هذا اللقاء، وما هي النتائج بل وما هو مستقبل الثورة علي ضوء هذه السابقة الخطيرة؟

صارحنا بونعامة بنوايانا كمجموعة قامت بمبادرة تتعدى صلاحيتها لتتصدى لهذا الوضع المفاجئ لكن دون أن نحكم عليه بالخيانة أو العمالة وحملناه مسؤولية اتخاذ القرار. فيادر دون تردد إلى تبني موقف مضاد لما كان عليه الأمر الذي حمل بعض المؤرخين إلى اعتبار تصرفه هذا تصرفاً انتهازياً بوجهين مختلفين، والحقيقة أن سي بونعامة لم يكن من هذا القبيل، لكنه اقتنع بوجهة نظرنا في الأمر فغير مواقعه، وهو يعلم أن ما قام به صالح ورفاقه ليس انتهازياً بقدر ما يمثل انتهازاً ديفول الذي قبل التفاوض مع من يسميه «الفلاحة»، وأن يكشف فيهم دهاء سياسياً عال بحيث لم يفاوضوه باسم الثورة ولا باسم الولاية التي يمثلونها، ولكن فاضوه باسمهم الشخصي بل قطعوا أمامه جميع الطرق الأخرى باستثناء طريق التفاوض الرسمي مع الحكومة المؤقتة، الممثل الوحيد المؤهل للتحدث باسم مصير ثورة التحرير واستقلالها... كما أنهم لم يوقعوا على أية وثيقة تلزمهم أو معاهدة مع العدو فكل ما هنالك أن قيادة الولاية ارتكبت سابقة في حق الاجماع العام للثورة... بحيث تجاوزت صلاحيتها كقيادة ولاية من بين ست ولايات أخرى، ووافقت على الالتقاء برئيس دولة تحاربنا منذ سنوات وتحتل وطننا منذ قرن وربع قرن دون أدنى شرط ودون إذن من القيادة العامة السياسية أو العسكرية...

أدرك بونعامة بحسه الوطني خطورة الموقف فأصدر أوامره وكانت كالتالي:

- 1 - إقالة سي صالح من مهامه.
- 2 - إلقاء القبض على المجموعة المشاركة في لقاء الإلزمى.

3 - تكثيف العمليات العسكرية ضد العدو داخل المدن وهي الجبال وعلى جميع الجبهات.

تسلمت شخصيا أوامره كتابيا ثم انطلقنا في تنفيذها فوراً، توجهت وبوساحة على رأس فوج من جنودنا ليلا إلى مدينة المدية حتى جئنا منزل القاضي قدور، حاصرناه ولكن لم نعثر بداخله إلا على لمخضربوشامة أما سي صالح ورحيم فقد انتقلا إلى الولاية الثالثة لإخطار قائدها محمد أولحاج بما تحقق في لقاء الإيليزي..

عزلنا فوراً القاضي بغرفة مجاورة قائلين له بما أن دورك في هذه القضية انحصر في ترتيب الاتصال بين الطرفين الفرنسي والجزائري فإننا لا نمسك بسوء عليك فقط أن تشجع أن سي لمخضربوشامة ذهب في مهمة عاجلة وسيعود علي أثرها... وللزيد في الحيلة طلبنا من لمخضربوشامة أن يؤكد هذا الأمر بكتابة رسالة... لكنه رفض الطلب رفضاً قاطعاً ورغم أن ما قام به يتحمل مسؤوليته بنفسه... وطلب منا أن نذهب به إلى سي بونعامة ليجرح أمامه بكل شيء. . قيدها توجهنا جميعاً إلى بونعامة وفي الطريق عملنا على تهدئة الجو زاعمين أمام مجموعة الجنود المرافقة لنا أن ما نقوم به هو بأمر من القيادة العامة، ومع خيوط الفجر الأولى بعد مسيرة ثلاث ساعات وصلنا إلى مقر سي بونعامة حيث سلمناه وانطلقنا من جديد لإنجاز مهمتنا.

علمت بعد ذلك أن سي لمخضربوشامة لما طلب منه أن يقدم تقريراً مفصلاً عن مشاركته في لقاء الإيليزي تبين أن السبب الذي دفعه بحماس إلى ذلك إنما هو نداء ديفول نفسه الذي حث فيه المحاربين على الحوار لأجل تقرير المصير لأنه حسب رأيه لم يعد يثق في أولئك القابعين في العاصمة التونسية يحترفون سياسة البذخ ورجب في أن يستمع إلى ديفول شخصياً دونما أي وسيط لكي يختبر نواياه بشأن وقف القتال وتقرير المصير الذي يريح الشعب من محن الحرب والمجازر البشعة التي يتعرض لها يوميا على أيدي الجلادين.

وقد جاء في التقرير أيضاً أن من أهداف اللقاء (إذا حسنت نوايا الجنرال ديفول) هو الاتفاق على حق تقرير المصير والتعاون المشترك بعد ذلك بين الجزائر وفرنسا في أطر الاحترام المتبادل لكلا السيادةتين، وأن لا يكون هناك اندماج بين

البلدين أبدا. وذكر سي لحضر بوشامة أن من أقوال ديفول في ذلك الاجتماع قوله: «...أؤكد لكم أننا نجتمع اليوم كمحاربين من أجل قضية ولم التق بكم كاشخاص انحرفوا عن الخط الثوري أو خونة يبيعون قضيتهم».

ذلك بعض ما جاء في تقرير سي لحضر بوشامة الذي أرسله إلى «جناف» ومنها إلى تونس موجهًا إلى السيد فرحات عباس رئيس الحكومة المؤقتة آنذاك، وقد اعترف فرحات عباس بهذه الرسالة بعد ذلك صفة لما التقيته أول مرة في المجلس الوطني فقال عني هذا الرجل قد شتمني في رسالة وجهها إليّ من الولاية الرابعة بعد أن زار «الإيليزي» والحقيقة أن فرحات عباس قد تشابهت عليه الأسماء بين اسم صاحب الرسالة لحضر بوشامة واسمي لحضر بورقعة.

وقد علمت أن من محتويات تلك الرسالة ذكر المشاكل والاضطرابات التي عانتها الولاية الخامسة والسادسة وتدخل الولاية الرابعة لفض بعض تلك المسائل، وقد جاء أيضا أنه لا بد على قيادة الخارج أن تبادر بإرسال الأيلحة والذخيرة لمواصلة الحرب وفي حالة عدم الاستجابة لهذه المطالب هدد سي لحضر بأنه ورفاقه سيعرفون كيف يتصرفون... ولعل ما قصده إنما هو الاستمرار في نهج لقاء «إيليزي».

بعد هذا الاستطراد أعود إلى أنني ذهبت جادا في البحث عن عبد اللطيف، وبعد مسيرة ليلة كاملة عثرت عليه جنوب الشريعة في قرية الشعاطية، وخلال هذا الوقت القصير تم إعدام سي لحضر بوشامة. كانت أوامر سي بونعامة إليّ أن أقبض على عبد اللطيف وأجرده من سلاحه وإذا رفض أو مانع أقتله فوراً.

لكن ما إن أقبلت عليه حتى منعني حياتي من تجريده من سلاحه وهو المجاهد المغوار والبطل المحنك الذي كان ضمن فيلق الشهيد علي خوجة، وكان قد أصيب بعقدة في كبرياته إثر ذهابه إلى المغرب وسجنه وإساءة معاملته من قبل قيادة الخارج، كما سبق ذكره من قبل.

احترار سي عبد اللطيف لحضوري المفاجئ، وسألني السبب فقلت أن بونعامة كلف بشن هجوم واسع على العدو في المتيجة والساحل وهو يعد خطة محكمة على أن يتصل بك لاحقاً... وهذه المرة الثانية التي أخالف فيها أوامر ثورية محددة. وقد هداني الله لذلك حتى لا أذل رفيق سلاح مخلص...

لكن عبد اللطيف أصر كل الإصرار على أن يرافقتني ليرى لحضرم بوشامة قائلاً: لا بد لي أن أراه طالما أن سي بونعامه قد غير رأيه فلا بد أن سي لحضرم غير هو الآخر رأيه، تحاملت عليه مرة أخرى فقلت: إن الرجلين انتقلا إلى جهة مجهولة بمنطقة الونشريس ولا أمل في العثور عليهما في عين المكان.

لكن عناده كان أكبر من أن يغفل، وأمام شدة تصميمه على لقاء بونعامه قبلت على مفض... بقينا يوماً كاملاً نستعيد الذكريات ونتناقش الأمر الذي مكنتني من معرفة جزء من الحقيقة وهو أن سي عبد اللطيف كلف بجانب الاتصالات في قضية لقاء «ديغول»، أما صاحب الفكرة الأساسية فهو سي لحضرم بوشامة. بحيث خطط لها ونفذها بعونهم، وما قاله عبد اللطيف أيضاً أن بوشامة كثيراً ما كان يجاهر القول أن قادة الخارج لا يهمهم من مستقبل الثورة شيء، وأضاف أنني كنت أشك في أن يوافق سي بونعامه على لقاء «الإليزي»، أحسست براحة نفس وانتعاش جديد لما علمت أن بونعامه لم يكن من المتحسين للقضية وسرنا باتجاه الموعد طبقاً لخطتي المرسومة حتى وصلنا قرية بوسة شرق المدية وقد قطعنا المسافة في ظرف ثلاثة ساعات.

ما إن شاهد بونعامه سي عبد اللطيف واقفاً معي رفقة بوساحة دون أن أجرده من سلاحه حتى ركب رأسه وحلق في بنظرة فاحصة، أشرت له خفية، نهذاً وطلب مني أن ألقاه وبوساحة على انفراد، شغل بوساحة عبد اللطيف بأحاديث عامة وانفردت ببونعامه الذي وجه لي سؤاله المباشر: لماذا لم تنفذ الأوامر الصادرة إليك بأن تنزع سلاحه وتقيده وإن قاوم قتلته؟ قلت رجاء أعطني فرصة للتوضيح وأن تكون بحضور بوساحة، رد بعنف أن كل ما أعرفه أن عبد اللطيف هو المتسبب الأول فيما حصل، قلت: هل تعرف عبد اللطيف عن كتب قبل هذا الحادث؟ لم يرد الجواب، قلت لقد جاء عبد اللطيف ليعرف منك كل شيء ويضع نفسه رهن إشارتك مع لحضرم بوشامة، قاطعني بقوله: أن لحضرم لم يعد بيننا قد نفذ فيه حكم الإعدام... صعقت للخير وازدادت خوفي على عبد اللطيف الذي أرجو أن يظل مقاتلاً إلى جانبنا على أن يموت على أيدينا وتخسر الثورة إلى الأبد.

لكن من حسن الحظ أن بونعامه اقتنع ذلك اليوم بصدق نوايا عبد اللطيف بعد نقاش طويل حضر جزءاً منه بوساحة محمد، وبعد ساعتين من المشاورات

قررنا تغيير المكان، وفي اليوم الموالي أصدر بونعامه قراراته الجديدة بصفته قائدا للولاية الرابعة تتضمن ما يلي:

1 - حل مجلس الولاية دون إعطاء مبررات لذلك على أن يتم الشرح في اجتماع يقرر تاريخه ومكان انعقاده لاحقا.

2 - تعويض أعضاء مجلس الولاية برؤساء المناطق.

3 - تعيين سي عبد اللطيف الذي كان مهددا بالإعدام عضوا في المجلس ومنحه مسؤولية الإشراف على منطقتين عوض منطقة واحدة وهما «الأولى والخاصة».

4 - إشعار رؤساء المناطق ووضعهم على أهبة الاستعداد لحضور اجتماع سيتم تحديد مكانه وزمانه لاحقا، تدرس فيه طبيعة وأسباب تلك التغييرات.

5 - وضع برنامج ثوري موسع لكل منطقة ضمن حدود اختصاصها.

أذكر أن الظروف والملابسات التي أحاطت بإعدام سي لحضر بسرعة ودون محاكمة إنما مردها تأثر بونعامه بالحدث من جهة وغياب مدافع عن سي لحضر عكس ما حدث مع سي عبد اللطيف الذي وقفنا بجانبه وتمكنا بفضل الله من إقناعه بعدم قتله.

تحدد اجتماع المجلس وضم قادة المناطق تحت رئاسة سي بونعامه، وأحيل الموضوع برمته على المجلس لدراسته وتحديد موقف نهائي منه، فجاءت بعض نتائجها مخيبة للآمال بحيث أدان المجلس سي عبد اللطيف وحكم عليه بالإعدام ولم تغلح جهود سي بوساحة في إقناع باقي الرفاق بالعدول عن موقفهم والعفو عنه، والذي غير الموازين في المحاكمة إنما هو موقف القائد سي بونعامه الذي التزم الحياد ولم يدل برأيه في الموضوع رغم وزن رأيه كقائد له كل الصلاحيات الثورية، ولا تدري إذا كان موقفه ذلك عن قناعة أو خشية من أن تتحول محاكمة عبد اللطيف إلى محاكمة كل من شارك في ذلك اللقاء، وهكذا أصدر قرار الإعدام وأعدم عبد اللطيف فورا.

التهم التي وجهت إليه في المحاكمة،

قبل عرض التهم التي وجهت إليه من مجلس الولاية، تتساءل عن سر منح سي عبد اللطيف عضوية مجلس الولاية وإسناد مهمات خاصة له قام بأدائها على أكمل وجه، هذا إذا كان مكتوب عليه أن يحاكم ويعدم...؟

هذا السؤال لا يجد جوابه وسط زحمة الارتجال وسرعة المحاكمة وطبيعة الظروف المتميزة بالإضافة إلى قناعات أعضاء المجلس بأن التهم الموجهة إليه لا تقبل الشك ولا الطعن وكانت كالتالي:

1 - أن عبد اللطيف قد وقع في الأسر سابقا دون أن يكون مصابا بجروح مثل التي كان مصابا بها الرائد عز الدين.

2 - ل. يمكث طويلا في الأسر حتى أطلق العدو سراحه في الوقت الذي قتل فيه جميع رفاقه، وهم حمدان، وعبد الرزاق، مسؤول مخابرات الثورة بالناحية الرابعة في الولاية، وطبيب الولاية الدكتور فارس يعد أن أسره العدو متأثرا بجراحه.

وقد أول الحادث إلي أن العدو أطلق سراحه بسرعة دون أن يمسه بسوء ليستغله في قضية «لقاء الإليزي».

3 - التقى الجنرال روان رفقة الكولونيل «دريبو» وقد حاول الجنرال أن يظلل عبد اللطيف ويتوصل من خلاله إلى معرفة نتائج لقاء «الإليزي» والتغيرات الجارية في الولاية، متظاهرا بأنه خالي البال من كل شيء وهو الأمر الذي حمل عبد اللطيف على أن يتجاهلهم لكنهم ضلوا إليه أن يظل وسيطا بينهم وبين قادة الولاية وحر الأسلوب الذي اتبعوه من قبل مع الرائد عز الدين الذي وقع في الأسر جريحا... إلا أن حكمة سي امحمد بوقرة وبعد نظره حملاه على أن يبعث بالرائد عز الدين إلي تونس لقطع دابر الشكوك ومحاصرة مخططات العدو وضمان كرامة رجال الثورة.

5 - وصول رسالة ندسوسة من المخابرات الفرنسية موجهة لسي عبد اللطيف سلمها العميل عنوة إلى مسؤولي المناطق الذين كانوا مجتمعين وفيها إشعار بفشل مهمة لقاء «الإليزي» وتحذيره مما قد يلحق به من الأذى.. كانت الرسالة

هي القطرة التي أفاضت الكأس واعتبرها القادة دليلا ماديا علي عمالة عبد اللطيف للعدو لقد تخاشى العميل أن تسقط الرسالة بين يدي شخصيا أو بين يدي سي بوساحة لاطلعنا على مخططاته ومناوراته الخسيسة في الإيقاع بالثورة من داخلها... كما سبق له أن جرب مع الرائد عز الدين ومن خلال رسائل وجهها إلى بوساحة وإلى شخصيا...

الرسالة وخطر الجواسيس،

في الوقت الذي تسلم قادة المناطق رسالة العميل الفرنسي الموجهة إلى سي عبد اللطيف كنت رفقة القائد سي بونعام في المنطقة الخامسة في مهمة عاجلة للاطمئنان علي سلامة الثورة والثوار، بتلك الجهة، حاصرنا العدو بقوات هائلة علي إثر رشاية أحد الحوثة، وبعد اشتباك ومواجهة عنيفة بيننا مجونا بما يشبه الأعجوبة دون خسائر باهضة إلا أن مرافقنا أسر في ذلك الاشتباك وتحت التعذيب الوحشي اعترف للعدو بمكان وجودنا قرب قرية الربيعة في الجنوب الشرقي لمدينة البرواقية، استغل العدو تلك المعلومات فأرسل إلي شخصيا رسالة حملها أحد جواسيسه في هيئة مموهة جدا بحيث كان بحوزته رخصة مرور مزورة عليها ختم المنطقة الأولى ومجموعة من صور الشهداء، وكراس صغير كتبت على صفحاته أناشيد ثورية حماسية فغدا مظهره الخارجي يؤكد أنه مبعوث من قبل كاتب المنطقة الأولى وقتها إسماعيل عبد النور.

وكان الهدف أن يدرس إمكانية محاصرنا ثانيا. والحقيقة أننا خرجنا وقتها من حدود المنطقة الخامسة ولم يبق علي إدراك مكان تواجد الجاسوس إلا مسافة ساعة من الزمن، شاء القدر أن يضارع وقت وصول الجاسوس وصول فوج من المجاهدين قدموا لترهم من المنطقة الثالثة في طريقهم إلى المنطقة الأولى وكان رئيس الفوج يدعى العربي حالي يعرف المنطقة الأولى حق المعرفة وله فيها أصدقاء ومعارف كثيرون، ولما علم بوجود دليل قادم من هناك (الجاسوس) دخل معه في جدل وراح يسأله عن أمور دقيقة لا علم للجاسوس بها فشك الجاسوس أن يكون قد وقع في الفخ واستغل انشغال المجاهدين فيما بينهم ليتسلل هاربا بين الأشجار الكثيفة... تنبه بعضهم إلى أن الدليل قد اختفى وخامرهم الشك في أن يكون وراء أمر فسارعوا إلى جمع أسلحتهم وأمتعتهم العسكرية تأهباً

للاتسحاب قبل أن يحكم العدو قبضته عليهم ويحاصرهم. وبينما هم في ذلك الحالة وصلت رفقة القائد بونعامه وسي بوساحة الذي لحق بنا في منتصف الطريق، فها هنا أمر اضطرابهم الشديد فأعلمونا أن جاسوسا تسلل إليهم وهو ما عليه من الصفات حاملا معه رسالة مزعومة... عندها فقط أخبرنا سي بوساحة أن رسالة مماثلة موجهة إلى سي عبد اللطيف وصلت بدورها وبذلك أيقنت أن العدو قد أحكم قبضته علينا وضرب حصاره لأنه أصبح يعرف عنا كل شيء، وما كل ذلك إلا لينتقم من فشل مخططه الذي نسج خيوطه في السر... إن محاصرة خطة الإليزي أصابت العدو في الصميم وقد اعترف كتابه بعد ذلك في مؤلفات عديدة أن لخضر بورقعة ومحمد بوساحة كانا السبب المباشر في إفشال مخطط ديغول الذي أراده على حلقات متتابعة.

أدرك العدو أن فشله هذا سيعترب عنه ما يمكن أن يسيء إلى ديغول ويشوه صورته الخارجية لذا سارع إلى العمل على تصفية جميع الذين شاركوا في لقاء الإليزي حتى لا يتمسك أي سر من محادثات يوم 10 جوان 1960، وعليه فقد تصرفت أجهزة مخابراته تصرفا مهوسا لوضع حد نهائي للقضية ومحاصرتها ضمن حدود ضيقة حتى لا تتمكن أجهزة الإعلام العالمية وإعلام الثورة في المقام الأول من عرضها على الرأي العام وفضح نوايا سياسة فرنسا، وكان تقديرهم أن أصل الخطر ما زال قائما مادام سي صالح زعموم وحليم على قيد الحياة، ومن المعلوم أن سي صالح وحليم كانا في زيارة إلى الولاية الثالثة لإطلاع آيت أولحاج على مخططهما دون أن يعلما بكل المستجدات التي طرأت بعدهما على الولاية، في تلك الأثناء وجه سي بونعامه بوصفه قائد الولاية رسالة إلى محمد أولحاج يحذره من التعامل مع الرجلين ويناشده أن يحافظ على سلامتهما حتى يعودا إلى مقر ولايتهما، دامت رحلتها إلى الولاية الثالثة زهاء شهرين كاملين ذهبا فيها على متن سيارة وعادا مشيا على الأقدام عبر الجبال والغابات والسهول، وشتان ما بين الذهاب والإياب!

5 - سي صالح ورفيقه يهاكمان،

عاد سي صالح ورفيقه حليم من الولاية الثالثة وكان بإمكانه ألا يعود، بل كان باستطاعته لما علم بالتدابير التي اتخذت ضده والتهم الموجهة إليه بأنه خائن

وخارج عن طاعة الثورة... الخ، أن يطلب حق اللجوء من أحد جنرالات فرنسا ويعيش «ملكا».. لكنه فضل العودة إلى مقر ولايته حتى يقارع الحججة بالحجة والبرهان بالبرهان، ويؤكد للجميع أنه المناضل الصلب الذي لا يلين، رضع فضيلة الثورة منذ نعومة أظفاره، هكذا فضل المواجهة بكل ما يترتب عنها على الهروب، وأن يقول كلمته تاركا الحكم للتاريخ وحده... وقد رضي أن يصبح مساعدا بعد أن كان قائدا دون أن يقلل ذلك من عزمته الثورية.

عاد إذن إلى مقر الولاية ووضع نفسه فور وصوله تحت تصرف القيادة لمحاكمته، وقد كان يدرك معنى المحاكمات أثناء ثورة التحرير، إذ كان نفسه مرارا ممن حاكموا المنحرفين بما في ذلك حكمه على علي بن مسعود ومحمد القاضي وكلاهما رئيس منطقة، وأمره بإعدام سي الطيب الجفغالي وجماعته، وأقول كلمة للتاريخ أن سي صالح زعموم كان عادلا في أحكامه لا يلين ولا يظلم وكان قلبه لا يعرف الحقد ولا الكراهية... يعطي كل ذي حق حقه.

صادف وصوله وصول العقيد أحمد بن شريف قادما من تونس بعد رحلة شاقة دامت سنة كاملة وكان ذلك يوم 16 سبتمبر 1960، وفي اجتماع ضم على انفراد بن شريف وبونعامة علم بن شريف بكل ملابس القضية كما رواها له سي بونعامة طبعاً، وعندها التقى بن شريف سي صالح صافح كل المحاضرين لكنه امتنع عن مد يده إليه وقال بسخرية: «كان بودي ياسي صالح أن أقبلك على جيبك مرتين تلبية لرغبة شقيقك فرحات الذي تركته في الحدود، لكن بعد أن علمت كل الذي جرى، فإني أعتذر عن هذا الرجاء وإني...»، وقد تحدث بن شريف بسخرية وعدوانية وقبل أن يتم كلامه لم أقالك نفسي ونطقت قائلاً: «إذا كان لا بد من اتهام سي صالح ومحاكمته فلن تكون أنت الحكم بالتأكيد لأنك تجهل الموضوع جهلاً تاماً ويعيدا عنه بعدك عنا».

لم يعجب تصرفي هذا سي بونعامة الذي تغيرت سحنه، وربما اعتقد بأنني أصبحت أتحدى الجميع... وبإشارة خفيفة منه انزورنا بمفردنا وتحت غصن شجرة ضخمة حجبتنا عن الجماعة طلب مني أن أشرح له ما قصدت إليه من كلامي فقلت على الفور: « ليس من حق أحد خالي البال بدقائق القضية أن ينصب نفسه حكماً على أمر قد قضينا فيه، سيما وأن الموضوع يوشك أن ينتهي وعوض أن

نرمم ما افسد فإننا بهذا التصرف سميع الفضية ونفتح ملفها من جديد...»، وأضفت قائلاً: «أنت وحدك القائد الذي له حق البت في الموضوع دون سواك وما نحن إلا جنود مطيعين لأوامرك الثورية».

صمت سي يونعامة قليلاً متأملاً ما قلت ثم عدنا إلى حيث الجماعة وكان الليل قد أظلم وحجب عنا الرؤية، وما إن ابتعدت قليلاً حتى سمعت حركة غير عادية، تراجعت على إثرها إلى الوراء، فإذا بي ألقى «حليم» وقد قيد بالحبال ولم أدر وقتها إن كان بأمر سي يونعامة أو باتفاقه مع بن شريف.

وقع حليم قيد الأسر مكبلاً بالحبال، التفت إلى سي صالح في نظرة رجاء يستجديه العطف والدفاع عن النفس لكن سي صالح صوب نظره إلى الأرض وقال بصوت مسموع: «على مراد الله». ودون أية محاكمة عادلة أعدم حليم فوراً في عين المكان حتى أنه لم يعط الفرصة لكتابة تقريره على غرار رفاقه الآخرين...

هدأت العاصفة بعد أن صفى كل من شارك في قضية «الإليزي» ولم يبق إلا القائد سي صالح ينتظر أوامر القيادة العليا بشأنه، كلفني في تلك الأثناء قائد الولاية سي يونعامة أن أبقى سي صالح تحت مسؤوليتي وأن ننتقل إلى جبل «تمزقيدة» غرب الشريعة، نفذنا الأمر على الفور حتى قبل أن يوارى جثمان حليم التراب، غادرنا المنطقة وما إن وصلنا منحرجات الشريعة في أعالي الجبال (قرب المطعم السباحي الذي أقيم بعد ذلك في عهد الاستقلال)، حتى وقعنا في كمين نصبه لنا العدو الفرنسي ودخلنا في اشتباك معه، لكن كثافة الضباب والأمطار الخريفية المتساقطة ساعدنا على تجاوز المحنة إلى أن وصلنا إلى مقر تمرکزنا، رغب سي صالح في قسط من الراحة بعد مسير شهرين على الأقدام، وما شاهده في عودته من إحياء وانكسار فبعد أن كان قائداً فذاً يخطط وينفذ ويتصدر الطليعة الثورية تحول فجأة إلى مجرد جندي يتبع غيره في حلهم وترحالهم، وقبل أن يلف داخل «قشايته» الصوفية وتكئى إلى جذع شجرة لينام اكتشف فجأة ضياع ساعته فانتصب جالساً وقال بنبرة لم أعهد لها فيه: «أنت تعرف يا لحضر أنني لا أؤمن بالخرافات والأوهام، لكن ضياع ساعتى هو مؤشر مستقبل مجهول».

وباغتني بسؤال قال فيه: «لماذا أنا معك أنت بالذات دون غيرك؟ وهل أنت مرافقي أم أنا رهيتك؟»، قلت بسرعة: «يأسي صالح إن مهمتي لا تتعدى مرافقتك إلى مقر الولاية. استلقى على ظهره ينظر إلى بعض النجوم التي تخفيها سحبات الخريف.. وكأني به يريد أن يأمرني ومن أين له أن يأمرني؟ يريد أن يقول خطط لعمليات عسكرية ضد العدو ولا تبق إلى جانبي فما قيمة أن يرافق جندي جنديا آخر؟

أعود للتذكير بأنه بعد إعدام حلیم تفرق بن شريف وبونعامه كل في اتجاه.

أما أحمد بن شريف فتوجه رفقة فوج من الجنود بقيادة البطل الشهيد العياشي إلى المنطقة الأولى وصادف أن اصطدموا بقوات العدو وخرجوا من تلك المعركة منتصرين وغنموا بعض قطع الأسلحة، لكنهم وقعوا من جديد في كمين نصبه العدو فقاوموا حتى أبيدوا عن آخرهم بمن فيهم قائدهم العياشي ووقع كل من أحمد بن شريف وفلاح البطل المغوار في الأسر، فلاح هذا مجاهد من نوع خاص وبطل أسطوري بكل معاني الأسطورة، لقد دأب على مرافقة المجاهدين من الولاية الرابعة إلى الحدود الشرقية المسيجة بالأسلاك الشائكة والمزروعة بالألغام المختلفة والمحرسه أتوماتيكيا بأجهزة إشعار مبكر، وقد جرح مرارا وتكرارا، وإذا كان من شق هذه الأسلاك مرة واحدة يعد بطلا مغوارا، فإن الشهيد فلاح تجاوزها عشرات المرات حتى أصبحت هوايته المفضلة.

وقع البطل فلاح أسيرا مع بن شريف في تلك المعركة القاسية وفور القبض عليهما أعدم فلاح وأبقوا على بن شريف!؟

أما سي بونعامه فقد اقتفى أثرنا ليلتقي وقتها بـسي صالح، لكن في تلك الأثناء جاءت معلومات تفيد أن قوات العدو تقوم ببناء مركز عسكري متقدم في الشريعة وأن أعمال الحفر وشق الطرقات على أشدها... التفت إلي سي صالح وكان إلى جانبي وقال: «لم لا تباغت العدو وبهجوم مركز تدمر ما بناه؟»، فقلت: «سأفعل إن شاء الله».

تركت سي صالح في مقر الولاية ونصبت كميناً محكماً بعد أن درسنا كل احتمالات الهجوم وفي أحد المضائق، وفي طريق مكشوف بوضوح النهار، بينما كانت قوات العدو مارة هجمنا عليها هجوما كاسحا، احترقت فيه الشاحنات

المحملة بالمواد المتفجرة وقتل جل العساكر وغنمنا مدفعا رشاشا وثمانية عشرة قطعة سلاح، وقد وصفت صحف العدو هذه العملية (بالكمين غير العادي) لكننا تبينا بعد ذلك أن المركز المزعوم ليس لأغراض عسكرية ولم يكن ثكنة، وإنما هو (مركز أريال للإرسال التلفزيوني).

بعد هذا الحدث الكبير بأيام قليلة فقط نفذ بوسماحة وجنوده هجوما آخر متميزا تماما، بحيث هجموا على العدو في وضح النهار أيضا وفي قلب البرواقية فقتلوا عددا هائلا من المعمرين الغلاة وفي مقدمتهم ضابط الجندرية «فلوري» الذي يعد جلادا خطيرا عرف بجبروت القتل والتعذيب في أوساط الجماهير. أفستت هذه العملية جميع حسابات العدو وأربكت أجهزته وصارت حديث الجميع، بحيث لم يعد المجاهدون يرهبون عدوهم في الجبال وحسب ولكنهم يقضون مضجعه في المدن وفي كل مكان ويهددون سلامة معمره أيضا.. ولا زلت إلى اليوم أعتبر أن أكبر عملية عسكرية وآخر عملية نفذتها وجنودي في تلك المنطقة هي عملية مركز الإرسال التلفزيوني التي خلدها النصب التذكري الذي أقيم بعد ذلك في عين المكان.

وفي غمرة نشوة الانتصار بعملية بوسماحة وعمليتي الكيبرتين تناقلت إلينا أنباء سارة أيضا تفيد أن المنطقة الرابعة الواقعة في نواحي التنس الساحلية والتي عرفت حصارا برياً وبحريا كبيرين انتفضت ونفذ ضابطها وجنودها هجومات كاسحة ضد جميع مراكز دفاع العدو الذاتي وغنموا فيها حوالي مائتين وخمسين (250) قطعة سلاح، والأهم من كل ذلك هو القضاء النهائي على فرق الكومندوس الخاصة التي جيء بها خصيصا من الهند الصينية، وهي فريدة من نوعها في بلادنا... سلطوها على تلك المناطق فأحدثت رعبا في قلوب الجماهير وارتكبت مجازر لا يمكن وصفها أبدا.

إثر هذا الانتعاش الجديد والانتصارات المتلاحقة، اقترح عليّ سي صالح أن نوزع منشورا يمضيه قائد الولاية نشكر فيه مسؤولي المنطقة الرابعة على ما حققوه من نصر ونحشهم على المزيد من المقاومة ويكون عنوانه: «المنطقة الرابعة تغير المعادلة».

واقفنا على اقتراحه ونفذناه حرفيا حتى إذا رأى تلك النتائج استعاد نشاطه تدريجيا وعادت إليه روح الحماسة والنشاط اللذين عرف بهما كأنه طائر جريح مل المكوث في الأرض واشتاق إلى التحليق في الفضاء وعلى قمم الجبال العالية.

بقي يونعمة على اتصال دائم بمقر القيادة في الخارج إلى أن صدرت الأوامر بترحيل سي صالح ونقله إلى تونس ولم ندر إذا كان هذا الأمر بالترحيل بإيعاز من يونعمة أو صدر عن القيادة نفسها في تونس...؟ المهم تلقى سي صالح الأوامر كمادته بمصدر رحب وغادر جبل تمزقيدة تاركا وراءه فراغا مهولا في نفوسنا، لقد ظل طيلة أيامه الأخيرة رفقتي يشارك مشاركة رمزية في قرارات الولاية وكان يونعمة يمه بالتقارير لإبداء الرأي فيها وكثيرا ما كان يقدم ملاحظاته كتابيا دون أن ينطق بها وكأنه يعادي الكلام.

في يوم من أيام نوفمبر 1960 شهر البركة والنور عندنا نحن الثوار، كان الجو يغدره السحاب الأسود والمطر يتساقط ممزوجا بحبات الثلوج والبرد يلسع عظامنا على هامات الجبال. في ذلك اليوم اندي خلدته ذاكرتي إلى الأبد غادرنا سي صالح إلى المجهول ميمسا وجهه شطر تونس في رحلة عبر الجبال والمغاور المزروعة بانوت والشقاء...

كانت آخر كلمة لفظها إلي رحمه الله هي « أن أعتن ببوشريط ولا تفرط فيه » وما بوشريط هذا الذي مازال على قيد الحياة إلى اليوم إلا أحد الجنود الصغار سنا الذي كان يرافقتي في جميع تنقلاتي وقد رافق سي صالح في أيامه الأخيرة أيضا، كانت لحظة وداعه صعبة ومؤثرة لم تسعفه لغة الخطاب لأن يبوح بأسرار قلبه كان ما يحس به ويعانيه في دفائن نفسه أكبر من قدرته على الجرح واختنق صوته وأثر أن ينظر الينا نظرة وداع قاتلة وأن يخصني من دون الجماعة بحوار داخلي ونظرة اخترقت كباني إلى الأعماق قال لي فيها (يا لحضر يفيض صدري ولا ينطق لساني).

أوصاني سي صالح بذلك الجندي الصغير خيرا وبالثورة والمجاهدين وغاب إلى الأبد بين جذور الأشجار وأغصانها المتشابكة يحضنها ظلام ليل الشتاء، وغاب عن أنظارنا إلى أن توارى في المجهول وساد المكان صمت.

بعد صدمة تلك اللحظات المؤثرة تراقصت بي الرؤى وكرهمت اليوم لأول الذي رأيت فيه سي صالح الوقور بهيته الى جانب القائد سي أمحمد بوقرة وقد عادا من مؤتمر الصومام ولعنن الظروف التي تدفع بالثورة إلى إضاعة أعز أبنائها المخلصين.. لقد كان سي صالح مجاهدا مخلصا وقائدا محنكا وسياسيا داهية وجنديا مغوارا وإنسانا عادلا ومهذباً... منعه كبرياؤه من الاحتجاج ونفسه من الخضوع، لقد عاد من تونس إلى ساحة الحرب غاضبا على تصرفات الرفاق سامحهم الله، ويعود إليها بعد ذلك مفضوبا عليه ليحاكموه...؟

لقد كان بإمكانه أن يقبل شروط السلام التي طرحها «ديفول» بوصفه قائد ولاية لها أهميتها الاستراتيجية تحيط بالعاصمة وفيها مقر الحاكم العام ومقر القيادة العامة والمطارات والموانئ وبها أكبر كثافة سكانية من المعمرين المتمركزين في سهل المتيجة وسهول الشلف وما إليها من امتيازات كبيرة ولكن سي صالح التقى ديفول وفاوضه باسمه الخاص ودله على القيادة الشرعية في الخارج وبذلك أخرجته ووضع نوابه على محك التجربة... وإذا قبل سي صالح مبدأ الحوار فلم يقبل التفويض ولا الشروط وكان بإمكانه أن يرفض المحاكمة ويحتمي بالعدو ولكنه رفض وظل يقاتله وهو سليب حريته ووافق على أن يحاكم من قبل قيادة الخارج دون أدنى اعتبار لنتائج المحاكمة وما أدراك ما المحاكمات في عهد الثورة...

ذلك هو سي صالح الذي قاد الولاية الرابعة من يوم 1 جانفي 1960 الى غاية 10 جوان 1960.

أ- عمليات استهدادية لتعديل الموازين.

استغل العدو أحداث «الإليزي» الشهيرة ليعتم على وحدة الثورة في الداخل وقلص من القدرة التفاوضية لدى الحكومة المؤقتة في الخارج... سعبا منه إلى تمرير مخططه التقسيمي وتقسيم رسالة الثورة وهي تصدر إلى الأقطار الأخرى إن في إفريقيا أو في آسيا وأمريكا اللاتينية... لقد أفلقت الثورة بانتصاراتها العدو... فخطط بدقة لتحجيم دورها وإظهارها أمام الرأي العام الدولي بأنها حرب لم تستوف أبعادها الثورية... ولم تبلغ خطاب القيم إلى غيرها... مع الحفاظ على سمعة فرنسا الدولية الامبريالية الكبرى ذات المصالح والمواقع الاستراتيجية الشاملة في المنطقة...

دعم العدو مناورة حادثة «الإليزي» بما نفذه من عمليات عسكرية كبرى ضد الثورة وعزل الداخل عن الخارج... الأمر الذي بدت معه الولاية الرابعة قائدة التنازلات التي يخطط لها العدو بدقة... وانطرح علينا الأمر بهذه الحدة... وكان علينا أن نرفع التحدي معنويا وعسكريا فلجأنا إلى تنفيذ عمليات عسكرية لا يقرها منطق ثورتنا منذ أن اندلعت إلى أن توقفت ولولا حاجتنا الحتمية لاستئصال جميع احتمالات العدو ودعاياته بأن ولايتنا قلبت التفاوض المنفرد مع العدو... وأن لقاء «الإليزي» بدأ يشعر... لولا هذه الحتمية ما كنا نلجأ إلى تنفيذ عملية مثل التي نفذناها ضد مصطافين على شاطئ تيبازا... رغم أن جلهم من العسكريين الفرنسيين وعمالهم من الجزائريين، كان لجوؤنا إلى أسلوب رفع التحدي حتمية مفروضة علينا في ذلك الوقت العسير وبالتالي جاءت عملياتنا العسكرية عامة وعنيفة إلى حد التهور والانتقام..

هذا الأسلوب أسمع صوتنا الرأي العام الدولي... وأخرج قيادة الخارج التي لجأت إلى أسلوب المزايدة والتعتيم بل والتشكيك في جدارة جهادنا مستغلة حادثة «الإليزي» أسوأ استغلال...

إن من بين بنود استراتيجية عملنا الثوري في تلك المرحلة هو فرض المعركة على العدو وجره إلى ميدان نختار منازلته عليه... بحيث نقلنا مجال المعركة من الجبال التي يتفوق فيها علينا عدة وعددا... نقلناها إلى المدن واشترك الشعب عبر حرب الأزقة في تلك العمليات الاستشهادية الرائعة... وتسلم الفلاحون وسكان الجبال المسؤولية القيادية بعد أن كانت حكرا على المتعلمين وأشباه المتعلمين من سكان الحضر.

أخضعت بنية القيادة في ولايتنا وقتئذ إلى تغيير شامل مس حرب العصابات وفرضنا على العدو حرب المواجهة السيكلوجية بحيث شددنا الخناق على الكولونون الذين ضاقوا ذرعا من حماية جيشهم الضعيفة وثاروا ضده متهمين إياهم بعدم القيام بالواجب وخيانة المعمرين... وكنا لا نفرق في مواجهتنا بين عسكري وكولون وعميل... ومن بين العمليات الاستشهادية الحاسمة (واقعة ساكامودي) التي بكل أسف تبرأ منها قادة الخارج وأدانوها مثلما أدانها العدو نفسه.

الفصل الرابع

المصاليون، بلونيس وكوبيس وحدهم

الهدف، الخيانة

1 - الجبهة مؤسسة معتدة.

تميزت جبهة التحرير الوطني بشقيها السياسي والعسكري بالتنظيم المعقد والمحكم، فتعبنى الجماهير وتجندهم إما في صفوف جيش التحرير أو من أجل ردف الثورة ودعمها واحتضانها في القرى والجبال والمدن، وتتصدى لمخططات العدو ووسائل استخباراته المدنية والعسكرية وتصفي الخونة والعملاء العاملين في صفوفه ضد إرادة الثورة، ولم يقتصر دورها على الجانب العسكري والقتال اليومي فقط، بل تعداه إلى تحقيق رسالة ذات أبعاد إنسانية شاملة، بحيث وضعت في مقدمة اهتماماتها الجوانب المتعلقة بالإنسان باعتباره محور الوجود الذي تناضل من أجل تحقيقه برؤية ووسائل مغايرة للواقع الذي فرضه العدو طيلة قرن وربع القرن.

إن اهتمام الثورة انصب على الجوانب الاجتماعية للشعب الجزائري من غذاء وإيواء ومقاواة وتوعية يومية من خلال عمل المحافظ السياسي الذي يسابق يومها وسائل الدعاية الفرنسية التي تبث سمومها وتغالط الجماهير بحقيقة الثورة فيتصدى لها ويفند مزاعمها، ويعمق بذلك روابط المواطن بثورته، فضلا عن المحاولات المتواضعة بالتقليل من واقع الأمية المستفحلة، سيما في الأرياف وتدبير المعاش ومعاونة الفلاحين ومربي المواشي...

لقد كانت ميزة الولاية الرابعة في كون معدل سن جنودنا وضباطها لا يتعدى الخمسة والعشرين سنة، وهذا التميز على بعض سلبياته يعد إيجابيا لأنه يساعد على تفجير طاقات عمل هائلة ويوفر مناخا حماسيا وإقداما على التضحية والمواجهة بلا حدود وهو الأمر الذي حملنا على حصر كل مجالات الحياة ضمن إطار منظم شمل جميع التخصصات التالية:

- (1) لجنة الولاية.
- (2) مجالس المناطق.
- (3) مجالس النواحي.
- (4) مجالس الأقسام.
- (5) مجالس الداوير (الداير).

بحيث تمثل هذه المجالس سلسلة الممرود الفقري الذي يشد جسد الثورة شدا.

2 - من داخل المصار.

يعد المحافظ السياسي العدو الأول للجيش والقيادة الفرنسيين لا لكونه مقاتلا فحسب ولكن لأن دوره متعدد الجوانب، فهو المحرض على الثورة والقائم بالتوعية والمنظم والوسيط ما بين جيش التحرير وجماهير الثورة أينما كانت... وجامع الاشتراكات والأدوية والمخير ومنظم المراكز ومنظم الاجتماعات بالقدر الذي تسمح به الظروف الأمنية، بل ويقدم أحيانا سوقا شعبية يحضرها سكان الجبال والقرى ليس الهدف منها البيع والشراء ولكن الهدف منها التعبئة وتبادل المعلومات والإبقاء على الوشائج الإنسانية بين أفراد الشعب الواحد واستمرار الحضور الاجتماعي رغم الأوضاع الجهنمية المفروضة على الجميع، وإحياء التقاليد الضاربة في أعماق تاريخ الشعب الجزائري المتسمة بالتكافل الاجتماعي والتعاون والتأزر «كالتوزيع» ومساعدة الفلاحين الصغار بالقروض لفتح الأرض الخ... وأذكر أن مواطنا اسمه بلعيد أقرضته الجبهة قسطا من المال لشراء ثورين ليفلح بهما أرضه، وبعد حين تفقده المحافظ السياسي فتبين أن لا وجود للثورين فسأله الخبير، فقال الفلاح: «افتكت مني جماعة بالحاج أحدهما على أثر وشاية من أحدهم فخفت على مصير الثور الثاني فبعته كي لا يؤخذ مني هو بدوره واشترت بثمنه مذياعا أتابع عبر موجاته صوت الجزائر من قبل الجزائر»، رد المحافظ بسرعة بديهة: «هل ستفليح أرضك على ظهر «فريد الأطرش» و «محمد عبد الوهاب» بعد أن بعث الثور الثاني 1؟». لقد أدرك المحافظ السياسي بصدق سريره نوابا الفلاح.

أما بخصوص قض نزاعات المواطنين فإن المحافظ قد حل محل محاكم العدو وأصبح المواطنون يتقاضون لديه، وأذكر أن منازعة بين فلاحين على قطعة أرض

دامت عشر سنوات في المحاكم الفرنسية ولم نجد حلها السهل إلا في قضاء الجبهة، لقد كان قضاء عادلا وثوريا ينتقل بين المواطنين ويفصل في منازعاتهم باسم الثورة، كما أقرت الثورة أسلوب التعاونيات الجماعية في فلاح الأرض واستثمارها بين الفلاحين الذين زودتهم ببعض الوسائل الأساسية على أن يتم اقتسام المحاصيل مناصفة مع جيش التحرير في نهاية كل موسم جني، ثم يجري طمر تلك المحاصيل في أماكن آمنة حتى لا تصلها أيادي العدو أو تتفطن لها عيون المشوثة في كل مكان، وكثيرا ما كانت توزع على المعوزين والمعدمين أقساطا من المحاصيل أو أثمانها.

لم يقف دور الثورة في النهضة بالإنسان عند حدود الجوانب المادية بل اهتمت أشد الاهتمام بالتوعية كما ذكرنا، وفي مقدمتها التعليم بحيث شجعت وأنشأت مدارس قرآنية في المداشر والقرى وتصدت لكارثة الأمية المستشرية في أوساط الجماهير بحيث كان عدد التلاميذ المتدربين في إحدى إحصائية سنوات الثورة الأخيرة لا يتعدى تسعة وستين ومائتين (269) تلميذا في المدارس الفرنسية في الوقت الذي كان فيه العدد الرسمي المؤهل للدراسة يصل إلى حدود المليون تلميذ، ونظرا لخطر هذه المعضلة عملت الثورة على تغطية ما لا يقل عن 86% من نسبة التلاميذ الذين حرموا من حقهم في الدراسة.

ولولا تلك الثقة المتبادلة بين الثورة والشعب والتصميم القوي على تغيير الواقع البائس تغييرا كليا ما كان بإمكان الثورة أن تسحب إرادتها وحضورها من جميع أنشطة الجماهير في الفلاحة والتربية والتعليم والحراسة والأمن والقضاء... وتشرك الجماهير في رفق الثورة بكل ما تملك...

كان المواطن بمحض إرادته يقوم بواجبه في التبليغ عن كل ما يجري من حوله من تحركات العدو وعملاته وعدد قواته ونوعها وطائراته ومجهزاته التي صار يعرفها حق المعرفة... إلى درجة أننا لم نكن نتحرك من منطقة إلى أخرى أو نقوم بعملية ناجحة دون معونة المواطنين الذين يمدوننا بأدق المعلومات وأخلصها.

لقد توصلت الثورة إلى ضبط الإطار الاجتماعي ضبطا محكما وسنت قوانين مختلفة وإدارة تشرف على سير الحياة وتنظم العلاقات العامة والخاصة بطوعية ودون إكراه إلا من خرج عن طاعتها.

فكان لكل دوار رئيس يدير لجنة القرية وهو بدوره مسؤول مباشر أمام المحافظ السياسي الذي يشد اهتمام الجميع إلى الثورة ويربطهم بها عضوا ومصيريا، وهو النهج الذي مكن الثورة من التصدي لمخططات العدو الذي وزع عملاء على جميع الأوساط والمستويات وانتقام من بين ضعاف النفوس والمصلحين والجواسيس، وحاصر المواطنين في مراكز تجمع لتسهيل عليه مراقبتهم وفصلهم عن ثورتهم حتى يضعف هذه الثورة ويبيدها تدريجيا.

لقد كانت المناطق المحرمة، قبل أن تصبح بؤرا ثورية يحكمها قانون الثورة بشقيه المدني والعسكري، قفرا مخيفا نشأت فيه إلى صوت إنسان أو صياح دابة ... كنا لا نسمع إلا أزيز الأسلحة وحفيف الأشجار وصفير الريح.. لقد توحدنا بالطبيعة المحضة... ولولا إيماننا بالله وبالقضية لكان من المحتمل أن تستحيل بعض طباعنا إلى طباع وحوش ضارية، كان العدو يحاصرنا من كل صوب يحرق الجبال والغابات يلغم الطرقات والمعاير، يهجر المواطنين ويراقبهم في محتشدات يطلق النار على كل شيء، يتحرك في المناطق التي حرمها على كل شيء حي.. لكن الإرادة الثورية تحدت جيروت الظلم وتمكن الثوار من قلب معادلة الصراع لصالح الثورة، أعانهم على ذلك الشعب الذي كان ينفذ تعليماتنا إليه بحذقها رغم ما يمكن أن يترتب عنها من عواقب خطيرة، فقاطع إدارة العدو إداريا واقتصاديا وانفصل عن فلكه ليحيى تحت لواء ثورته... ولا أدل على ذلك من أمر الثورة للمواطنين بالامتناع عن التدخين الذي طبق تطبيقا حرقيا فأريك سلطة العدو أيما إرباك، وغيرها من الأوامر الأخرى بعدم التعامل مع إدارته في الإدارة والأحوال الشخصية والقضاء... الخ.

هذا الدور الطلائعي في ثورتنا التحريرية من قبل الجماهير لم يكن وقفا على مساهمة الرجل دون المرأة بل أن النساء في ثورتنا تحمّلن عبئا تنوء بثقله الجبال، فبالإضافة إلى تحمل مسؤوليتهن الطبيعية في البيت اضطلعن بمسؤوليات ثورية أخرى إضافية كإعالة الأسر في غياب رب البيت وتربية الأبناء ورفد المجاهدين وإطعامهم في أي بقعة حلوا بها ولا يسعني اليوم إلا أن أقدم شهادة للتاريخ عما قامت به المرأة في ثورتنا، بحيث كنا ننزل ضيوفا على دشرة أو عائلة بأعداد هائلة يصل تعدادنا الكتيبة أي: حوالي مائة وخمسون مجاهدا وفي لحظات قليلة جدا تقوم النسوة بإسعافنا بالطعام والقهوة اللذيذة، ولقد شاهدتهن

يحولن جبوب القمح في أوقات محددة من مادة صلبة مطمورة تحت الأرض إلى دقيق ثم طعام شههي يقدم للمقاتل فينتعش ويواصل مسيرة التحرير... كل ذلك كان يتم في سرية وحذر شديدين إذ تكفي وشاية من أحد حتى يقتل أهل الدشرة أو البيت وتدمر المباني وتتلغ المستلكات والمواشي.

أما الحديث عن المرأة المقاتلة في صفوف الثورة فلا مجال للتعليق عليه، لقد كن الفدائيات والمرضات ذوات المهام المتعددة في الأرياف والمدامر والجبال... يقمن بالتوعية وتعليم الطبخ وتربية الأبناء، وترتيب البيت وما إليه... وكن عضد الرجل في العمليات الكبرى فكن مهربات سلاح وذخيرة من منطقة إلى أخرى في الوقت الذي يتعذر على الرجل فيه حمله لكونه محل ربة وتفتيش أكثر منها... فما أكثر ما أخفين مسدسا أو قنبلة أو رشاشا أو وثيقة هامة من وثائق الثورة تحت حياكهن وألبستهن الداخلية.

إن زوجات بعض «الحركة» كن يتريصن بعولتهن ليلا خلال نوم أزواجهن ليسرقن منهم الذخيرة الحربية ويسلمنها في اليوم الموالي للمجاهدين، حدث هذا في مناطق عديدة من الولاية الرابعة: في أولاد هلال وأولاد سهيل وست عزيز وفي مراكز التجمع والمحتشدات(SAS)، فيقدر ما كان العدو يشدد خناقه على الثورة كانت إرادة المرأة تشد باستمرار لترفع التحدي، إن بعض ما لعبه من دور يعد من خوارق الخيال، إذ كانت بعضهن تقود قطيعا من الماعز إلى الحقل والجبال وتشد على أضرعتهما بقطع قماش توهم بها الناظر إلى الماعز أن أضرعتهما ملأى حليبا وتخشى عليها من أن تتدلى فتصاب بنواتي الباب والأشواك، والحقيقة أن ذلك ما هو إلا خطة تمويهية تخفي بها المرأة شيئا ما، أكلا أو وثيقة أو سلاحا لتسلمها بعد ذلك للمجاهدين... يحدث ذلك في الظروف الصعبة والمتحيلة حين تشتد الرقابة ويظفي الحصار، لكن حتى هذه الخطة كغيرها من المخطط لم تنج من التفتيش اليومي بحيث أخضع الجيش الفرنسي الماعز للرقابة العسكرية وأطلق أحكامه عليها بالاعتقال أو الإعدام.

تلك إذن قطرة من بحر عما قدمته المرأة لثورتنا، لقد استوعبت خطاب الثورة وشعارها: «أن اعتمد على نفسك بنفسك في كل شيء»، وطبقته خير تطبيق ولولا ذلك ما كنا لنحقق حلم الشعب المستحيل بكسر شوكة فرنسا ومن ورائها قوات الحلف الأطلسي قاطبة والغرب أجمع.

لا نبالغ اليوم إذا قلنا أن صمود مجاهدينا في ظروف قاسية هو ضرب من تجاوز المستحيل، هذا المستحيل الذي فجر فينا قدرة خارقة على استنباط الحلول وتذليل الصعاب على اختلافها من ذلك أن شيخا من أصل مغربي جاء الثورة وولدين له، فاحتضنته الثورة وأجبه المجاهدون لإخلاصه وتصميمه على القتال الصادق، سألته يوما بوصفه مسزول المركز بمنطقته عن وضع منطقته وحاجتها إلى السلاح والمؤونة فقال واثقا: «نحاول أن نجد حلولا لمشاكلنا الطبيعية من حونا فنحن لا نحتاج إلى طعام لجنودنا لأننا نطعمهم من الطبيعة»، وقد علمت أنه يصطاد بطرق بدائية، لكن ناجعة: الأرنب وحيوانات الغاب ليطعم جنوده ويجفف ثمار الأشجار ويقدمها لهم ويحتفظ بالباقي ليوم مسفة... وهو الأسلوب الذي كنا نتوخاه نحن المجاهدين في الجبال طيلة سبع سنوات ونصف السنة. أما عن إحضار الخبز قال الشيخ المجاهد إن معي آلة طحن تقليدية صنعت من أحجار الصوان غنمتها من بيت مهجور نطحن بها ما يتيسر لنا من الدقيق وأحلها معي في حلي وترحالي إذ يستحيل طحن الحبوب في مطاحن القرى أو المدن لأنها مراقبة من قبل العدو الذي يراقب أيضا كميات الدقيق المطحون حسب بطاقة شخصية لكل عائلة.

إن حصار العدو لثورتنا ولشعبنا هو حصار الموت والتركيح وأن قبيلة المداشر والقرى وحرقت وتدمير مصادر الرزق والقوت في كل مكان، هو الحل الوحيد لإرغام الجماهير على إخلاء سكتاهم ومغادرة أوطانهم واللجوء إلى محتشداته التي كانت بمثابة مخابر يحول فيها المواطن إلى خائن والثائر إلى مستسلم... وقامرس فيها أجهزة مخابراته وضباط المكتب الثاني وسائل وأساليب جهنمية يعجز اللسان عن وصفها، فقد كان التعذيب الجهنمي فيها موزعا بين الإهانة الإنسانية وكسر الإرادة وتحطيم الأعصاب والتدمير النفسي الشامل وبين التعذيب الجسدي إلى حد الاغتيال... حيث تخصص جلاذوه في فلسفة القهر والموت...

وما كان أمام الإنسان الأعزل إذن إلا أن يشد على إرادته وأن يقهر الخوف في نفسه والانتهيار أو يموت صامدا، وقد خبرت الثورة هذه الفلسفة من بدايتها لعرفتها العميقة بنفسية المستعمر الحاقد وهمجيته المغلفة بالدعاية والتمدن والزيغ، فانطلقت الثورة في مواجهته إما بالسلاح أو بدعم المواطن الريفي في

المقام الأول على أن يظل في حقله وفي ضيعته لا يبرحها وهو أحد الأشكال الناجعة في مقاومة الإبادة الجسدية والمعنوية والثقافية المسلطة على الشعب من قبل العدو.

وأن الحصار الذي ضربه على المقاومة بعزل الجماهير داخل محتشدات اضطرارية وتسييج الحدود بالأسلاك الشائكة والمناطق المفلّعة، لم يمنع هذه الجماهير المحاصرة من أن ترفع تحديها وتوظف عبقريتها في تمويل الثورة بالرجال والوسائل من داخل الحصار بحيث كانت مصادر تمويل مختلفة.

(1) دفع الاشتراكات للثورة وحددت أداها بـ 200 فرنك فرنسي قديم.

(2) غرامات يدفعها اليسورون من الجزائريين.

(3) غرامات يدفعها مخالفو أحكام الثورة وأوامرها والمنحرفون عن مبادئ ديننا الحنيف والأخلاق العامة.

(4) تبرعات مختلفة كالملابس والأدوية ووسائل أخرى عديدة.

إذا كان سكان المدن يتبرعون عادة بالملابس والأدوية فإن أهل الريف هم الذين يمدون الثورة بكميات الحبوب والفواكه اللازمة... لكن سرعان ما لجأت الثورة إلى أسلوب الاكتفاء الذاتي من خلال تعاونها مع الفلاحين وفئات الشعب عامة... ولا أعتقد أن النجاح سيكون حليفها لولا أسلوب الاعتماد على النفس نظرا لجسامة مخطط العدو في مواجهتنا، إذ بلغ عدد مراكز الفرق الإدارية الخاصة أي المحتشدات (SAS) أربعة وعشرين ومائة (121) دون الثكنات ونقاط المراقبة والحواجز إضافة إلى قوات «الحركة» و «القومية»^(هـ) في ولايتنا وحدها.

إن تنامي الثورة واعتمادها على نفسها بتجنيد طاقات شعبها، حمل العدو على الاعتراف بهذه الحقيقة من خلال ما جاء في وثائق العدو بعنوان «الاتصال» أنه: «في سنة 1956 لاحظنا أن الحرب هنا أخذت تنمو بقوة تختلف اختلافا كبيرا عنها في حرب الهند الصينية، وانطلاقا من حسنا الوطني الفرنسي بهذا

(هـ) اللوموية: تقر: بثلاث نقل فوق القاف، وهم المتعاونون المجندون في الجيش الفرنسي (الناشر).

المشكل. فإن ضرورة القضاء على الإرهاب تقوم على أمر واحد وهو تسيط ضربة قوية ومفاجئة على عدونا وتشتيت صفوفه...».

وجهت هذه الوثيقة إلى جميع العسكريين العاملين في القوات الجوية الفرنسية من أعلى رتبة عسكرية إلى أدناها، وقد حددت أهدافها في النقاط الآتية:

(1) إعادة هيكلة وتنظيم الجيش.

(2) تكثيف النشاط العملي الميداني.

(3) تكوين الجيش وتدريبه على الإدارة ليتحالف مع الإدارة المدنية ويضطلع بمهام طويلة الأمد باعتبار أن الحرب في الجزائر ستكون طويلة الأمد أسلوبا.

(4) تجريد آلية العمل الميداني في القتال والتنسيق ما بين مختلف أسلحة الجو والبر والبحر... ومركزة قيادتها تحت القائد العام للناحية الخامسة وخلق دينامية جديدة في تركيبة الآلة العسكرية تتجاوز النمط الكلاسيكي للحروب إلى نمط سريع التحرك والاستنفار والردع القوي الحاسم ضد قوات جيش التحرير في أية وضعية حربية كانت.

وقد ورد في وثائق العدو أيضا أنه في عام 1957 وحده نفذ سلاح جوه مائة ألف طلعة ميدانية دامت ما لا يقل عن ألفي ساعة طيران دون إحصاء الطلعات الأخرى غير المبرمجة التي نفذت فجأة على أثر معلومات ترد على مركز القيادة عادة ما تنتزعها بأسلوب التعذيب الوحشي من المناضلين الثوريين. لقد حرصت قيادة العدو على تطوير وسائلها الحربية الجهنمية إلى درجة العصرنة التامة بحيث كانت تزج في ساحات العمليات بأحدث ما أنتجتها مصانع الحلف الأطلسي من مدافع ودبابات وطائرات وقنابل محرقة فتاكة...

ففي سنة 1956 صرح «قي موللي» رئيس وزراء فرنسا في خطاب صوجه لمجلس حكومته أن: «الجزائر لن تكون دولة إسلامية بسبب وجود المليون أوروبي مسيحي بها، كما لن تكون دولة عربية نظرا لوجود البربر فيها».

أما وزير الدفاع في حكومة فرنسا «بورجس مونوري» فقال: «إن الشباب الفرنسي يغادر الآن فرنسا إلى الجزائر بإرادة حديدية وتصميم قاطع ليسجل صفحة مشرقة في تاريخ شبابنا. وصرح «أنوان بينيه» في مؤتمر صحفي عقد

في باريس يوم 5 ماي 1956 قائلا: «لقد صرحت امام الامم المتحدة بان القضية الجزائرية قضية فرنسية بحتة...».

إن حرب فرنسا ضد الشعب الجزائري لم تكن من فعل العسكريين وحدهم، بل أخذت أسلوبا متميزا بحيث اشترك فيها الضباط والمثقفون ورجال الدين ولم يتخلف حزب أو اتجاه على الموافقة على قتل الشعب الجزائري وتجهيل أبنائه باسم وحدة فرنسا وسيادتها وسلامة ترابها ولا نستثنى منهم إلا قلة قليلة كانت تمثل ضمير الحق الغائب...

لقد صرح الكاردينال فالوتان عام 1956 فقال: «إن المهمة التي أقيمت على عاتق الشباب الفرنسي المدعو للخدمة العسكرية في الجزائر هي مهمة سلام وتهذبة وحماية السكان الأمنين من إرهاب العصابات المسلحة وتحقيق الأمن العام في سائر بلاده».

أما القس «غابيل» رئيس جريدة «لاكروا» فأدلى هو الآخر بدلوه قائلا: «إن الشباب المسيحي يدعو نداء السلم إلى ترك زوجه وعائلته للاشتراك في أعمال الحرب وعليه أن يدرك ما يفعل، إنه السلام».

وقال الأب «ديكانيو» ليس لأي شعب من الشعوب التثبيت بحقوقه الوطنية عبر أعمال الإرهاب ومن الضروري في كل الأحوال القضاء بدون رحمة على كل مصادر الإرهاب».

هكذا توحد على الإجرام، وذبح الأطفال والنسوة . رجال دين يدعو دينهم إلى التسامح والمحبة: «إذا ضريك أحدهم على خدك الأيمن أدر له خدك الأيسر».

ورجال فكر وأدب وسياسيين وعساكر ومرترقة ومعمرين وعملاء... توحنوا جميعا حول مبدأ القتل والتشريد وإفقار الجماهير وتجهيلها...

لم تمارس ثورتنا العنف غير المبرر ضد أحد إلا ما كان من باب الشطط والخطأ العابر، ولم تتعصب باسم الدين أو العرق أو الملة.. ضد أي كان ويشهد لنا أننا عاقلنا اليهود معاملة حسنة في الرقت الذي حاربتهم فيه أوروبا وشردهم، والدليل على ذلك أن مؤتمر الصومام وجه نداء لفئة اليهود بتاريخ أكتوبر 1956 جاء في بعض فقراته: «إنكم لا تجهلون يا معشر المواطنين الأعزاء أن جبهة

التحرير التي جعلت رائدها إيمانا قويا رفيعا متينا قد قضت على السياسة الشيطانية التي كانت تحاول بث التفرقة بيننا، إذ برزت أخيرا في مقاطعة إخواننا التجار المرابين.. وقد كادت تتعداهم إلى كافة التجار الاسرائيليين، إن هذه المحاولة التي قضينا عليها قبل استفحالها كانت كأخواتها السابقات من صنع الإدارة الفرنسية».

3 - حقد المصاليين على الثورة.

كلفت الولاية الرابعة الشهيد علي زويوش في خريف 1956 بمهمة الاتصال بالمصاليين لإثباتهم عن دورهم المعادي للثورة والتفاوض معهم على صيغة للتعاون المشترك ضد العدو وسار إليهم في فصيلة من المجاهدين تعدادهم خمسة وثلاثون رجلا حتى أشرف على حدود الصحراء، وبقيت المهمة في حكم الغائب إلى ما بعد اختطاف القوات الفرنسية طائرة الزعماء الجزائريين الخمسة وهم في طريقهم إلى تونس قادمين من المغرب لحضور لقاء يضم ملك المغرب المرحوم محمد الخامس والرئيس الحبيب بورقيبة إلى جانب قادة الثورة وكانت تلك السابقة الأولى من نوعها في مجال القرصنة الجوية حيث اعتدت القوات الفرنسية على طائرة أجنبية في مجال الفضاء الدولي وأجبرتها على النزول في مطار الجزائر واعتقلت ركابها...

ولم تكن تلك المرة الأخيرة بحيث تمادت القوات الفرنسية بعد ذلك مرارا في اعتراض الطائرات، وإجبارها على النزول، من ذلك الطائرة البريطانية التي أجبرت على الهبوط يوم 04 نوفمبر 1960 في ظروف غامضة لم تعرف أسبابها وقد سارع الطرفان إلى تسوية المشكل في سرية كاملة... ولتعد إلى موضوع المصاليين، فبينما كنا نعيش صدمة اختطاف الزعماء، ويجتهد بعضنا في تأويل الحدث تأويلا سياسيا وعسكريا... على المستوى المحلي والدولي، وقد قال يومها الشهيد والقائد البطل علي ملاح «عسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم» وأضاف رحمه الله «ليست الثورة قضية في حقبة بل هي قضية وطن وشعب...» وتجاوز في حديثه الكارثة ليحثنا على المزيد من المقاومة والجهاد... ولم استوعب ما قاله ملاح الا بعد استرجاعه السيادة الوطنية وظهور المخلاتات والتناحر على السلطة وكان بنبله أحد أكبر عناصر الصراع...



الشهيد مصطفى بن تركية،
استشهد سنة 1959 بدشرة
بوحنشاش في الولاية الرابعة.
إنه من مواليد 1937.
بعد استشهاد الأخ الأصغر
استشهد الأخ الأكبر محفوظ بن
تركية، وهكذا قدمت الأم فاطمة
الزهران بلعقون 3 شهداء للثورة.



أحمد شفا رئيس كتبية

(استشهد في نواحي مدينة تنس سنة 1959).



المجاهد بشير رويس
وزير الإعلام بعد الاستقلال
(في الثمانينيات)



المجاهد صادق بطل
أول وزير للشباب
والرياضة سنة 1962

اذن بينما كنا نخوض فيما خلفه الحدث جمعنا القائد العام للولاية سي
أحمد بوقرة وأمرنا بتكثيف العمليات العسكرية ضد العدو لرفع معنويات
الجماهير والثأر للزعماء المخطوفين وعلى الفور قمنا بهجمة من العمليات
الهجومية استهدفت ضرب مواقع العدو وحرق مزارع الكولون في نواحي جنبل
وسد غريب، وعين الشياح وجمعة عمورة وأمرغنا خزانات المحور في هذه المناطق
وأسرنا معمرين عرفا بهجرهما الشديد ضد الجماهير وتصاعدت صهاريج النار
ليلا فأحسنا بنشوة النار.

وفي غمرة تسارع الأحداث عاد أحد المجاهدين ممن كلفوا بالاتصال
بالمصاليين، عاد وحيدا مذعورا وطلب الاتصال فوراً بالقائد العام للولاية وأخبره
بأنه فر بأعجوبة من الموت أن اكتشف أن المصاليين غدروا بالفصيلة وقائدها
وذبحوهم جميعا كما تذبح النعاج ومثلوا بهم... وذلك بعد أن أوهموهم أنهم في
سأمن، وقد ارتكب المصاليون هذه الجريمة النكراء على أثر شيوخ خبر تحويل
الطائرة المقلدة للزعماء الخمسة ظنا منهم أن الثورة في طريق الفشل بعد القبض
على قيادتها في الخارج وبذلك قدموا للعدو هدية ثمينة تعداها ست
وثلاثون مجاهدا.

وأذكر أنه في إحدى المعارك التي واجهناهم فيها في مارس 1959 جنوب
غرب قصر البخاري، وقد شاء القدر أن يقع في قبضتهم إحدى عشرة أسيرا من
خيرة شبابنا المجاهدين لم يعاملوهم طبقا لأعراف الحروب، ولا بما يقره ديننا
الحنيف بل ذبحوهم من خلف رقابهم! وتجاوزوا بذلك حدود الاجرام والفاسية، ومن
ضحايا هذه الحادثة البشعة الشهداء عمر النقيس وعبد الرحمن بن عفو...

لم تكن في الولاية الرابعة نقاتل فرنسا فحسب، ولكن كنا في حرب مفتوحة
مع المصاليين ومع الجهل والفضى وقلة الوعي... بالإضافة إلى عدونا المركزي
بكل ما لديه من عتاد وأجهزة وقوة ومكر ودهاء.

إن من أهداف المصاليين صنع جيش التحرير من أن يتمركز حول دوائر العاصمة
ويسيطر على الأماكن الاستراتيجية التي تمكنه من التمويل والتزود بالعتاد
والرجال، ويسد بذلك ضريات مرجعة للعدو وعملاته ومعمره بل ويكون على
صلة دائمة بالجماهير ووسائل الدعاية والإعلام.

تحالف المصاليون مع الجيش الفرنسي للقضاء على الثورة وإبادة الجماهير، وكان من بينهم غلاة صنع منهم العدو قادة ومعارضين لقضية الشعب من أمثال كويس، ولترنيس، والسعيد وغيرهم.

4 - العميل كويس وقصة قتله،

إن الناظر إلى الولاية الرابعة وتقسيمها في زمن الثورة تستقر بذهنه صورة قلب في جسد منتفض..

شجع الخونة العملاء على أن يتخذوها منطلقا لأعمالهم الخيانية، ومن هؤلاء العميل كويس.

تري من يكون «كويس»؟ وما هي أهدافه؟ ولماذا جعلت فرنسا منه عميلها المخلص...؟

كويس اسم يلعبه تاريخ الثورة أينما ذكر، ارتبط بالخيانة والمكر إلى أن نال جزء الخائن على أيدي الثوار المخلصين، أما اسمه الأصلي بلحاج الجيلالي عبد القادر، من مواليد قرية «زدين» الفلاحية المتاخمة لعين الدفلة معقل الشيوعيين الجزائريين آنذاك، ينتمي بلحاج إلى عائلة عريقة، التحق بمدرسة ضباط الصف بشرشال وتخرج منها برتبة عريف. انتسب إلى حركة انتصار الحريات الديمقراطية وأصبح عضوا في المنظمة الخاصة (O.S) ونظرا لكونه عسكريا أسندت إليه مهمة تدريب أعضاء المنطقة، ولما كان مؤتمرا حركة انتصار الحريات الديمقراطية عام 1946 احتضنته في مزرعته بـ «زدين».

ولما اكتشف أمر المنظمة الخاصة اعتقلت الشرطة الفرنسية مناضليها بمن فيهم بلحاج، لكنه لم يلبث في السجن طويلا حتى أطلق سراحه دون غيره، بعد أن أباح لها بجميع الأسرار التي كانت في حوزته متحديا بذلك أوامر قيادته التي تقرر التكتف عن الأسرار وعدم البوح بها مهما كانت ظروف الاستنطاق والتعذيب.

ما إن غادر السجن حتى تحول إلى مخبر يعمل في جهاز شرطة العدو دون أن ينسى ما كان عليه أبوه الضابط في جهاز الصابحية... أتقن بلحاج مهمة المخبر بوجهين، بحيث ظل على اتصاله الدائم بالحركة الوطنية من جهة وبجهاز شرطة العدو من جهة ثانية، حتى إذا اندلعت ثورة التحرير اختار بلحاج أن

يكون في صفوف المصاليين، واتخذ لنفسه اسم «كوبيس» عوضا عن بلحاج في نهاية عام 1956.

تمكن في بداية الأمر من مغالطة المواطنين في نواحي الشلف «الأصنام»، على اعتبار أنه سجين سياسي قديم ومناضل في الحركة الوطنية فأوقع الكثير في شركه وجندهم في صفوفه مدعيا أنه سيصنع منهم النواة الصحيحة لثورة التحرير تؤازره ماديا ومعنويا أجهزة الاستخبارات الفرنسية، وقد تركزت قواته بإحدى الشككات الفرنسية، وكان جل أتباعه من نواحي الشلف ومنطقة الشارقة وشر الحادم بأحواز العاصمة، ينتمون في غالبيتهم الساحقة إلى فئات الفقراء المدومين الذين غرر بهم معتدا أسلوب الوعود الكاذبة والمغالطة موهما بإباهم بأنهم هم الفئة الناجية التي تقع على عاتقها تجديد الجزائر، والحقيقة أن «كوبيس» هو مجرد منفذ لمخطط العدو لضرب الثورة من داخلها وإشعال نار الفتنة بين الجزائريين وتحويل الأنظار عن الثوار الحقيقيين إلى غيرهم من الزائفين، فقد طلب من العدو الذي وافق بخبث على طلبه رفع العلم الجزائري إلى جانب العلم الفرنسي فوق ثكنته وانطلق في محاربة الثورة ونصب الكمانن للمجاهدين والاشتباك معهم بقوة وصل تعدادها خمس مائة رجل مدعمين بعناد معتبر وأسلحة متطورة مده بها العدو، كانت مجموعات المقاتلة لا تعلم شيئا عما يجري باستثناء قلة من معاونيه أعمتها الخيانة وأفسدها الطمع.

تفطن أتباعه لمكائدهم الذي كان يحرضهم على قتال الجزائريين دون الفرنسيين وارتابوا في أمره حتى إذا تبينوا حقيقته غادروه إلى صفوف جيش التحرير... فما كان إلا أن ركب رأسه وتحالف مع العميل الخائن «باش أغا بوعلام» وصارا يقاتلان جنبا إلى جنب مع قوات العدو جيش التحرير وجبهة التحرير الوطني، ومن ورائهما كل الشعب الجزائري.

وبقي على هذا الأمر إلى رمضان سنة 1957 عندما قام كومندوس جيش التحرير بقيادة النقيب سي محمد بلحاج بمهاجمة مركزه وقتل عددا هائلا من عناصره، وقد تدخل يومها طيران العدو إلى جانب قوات العميل «كوبيس» يؤازرها، فتأكد بذلك لمن كانوا على غير بينة منه أنه يمثل الخيانة والردة، وهكذا فر نفر كبير من جنوده والتحقوا بالثورة، ودب الشك في العناصر القريبة منه

وبدأوا يدبرون لاغتياله والتخلص منه، وسعياً للصفح على ما ارتكبه في حق الثورة.. لكنه تطفن للأمر ويادر إلى قتل قائد حركة التمرد أحمد قاسم.. لكن جذوة الانتقام من عمالته لم تمت بحيث استمرت الاتصالات بين المنشقين والمجاهد رشيد بوشوشي من المنطقة الثالثة المكلف بالأخبار والاتصال في جيش التحرير.. وبعد مشاورات طويلة وتمحيص دقيق وافقت قيادة الثورة على انضمام ما تبقى من عناصر كويس إلى صفوف الثورة على شرط أن يصفوا قائدهم العميل ولا يقبل منهم دون ذلك شرط آخر وإن كان تعدادهم ألف مقاتل.

أ - خطة قتل العميل كويس،

شغلت عناصر «كويس» جماهير الشعب والثورة لما أحدثته من شغب ونهب ومحاربة المجاهدين وسطو على المواطنين العزل تسندهم قوات العدو بالعدة والأسلحة وسط حمايتهم عليهم.

رتبت مجموعة من أبطال جيش التحرير خطة سرية شديدة الإحكام لقتل هذا العميل بإشراف المجاهد رشيد بوشوشي وأحمد بلحاج صهر «كويس» بعد أن جمعت كل المعلومات عن تحرك العميل ومكانه وأنشطته وأوقات تواجده.. رسمت خطة تصفيته ثم رصد لها خيرة المجاهدين... تحركت جماعة المجاهدين المكلفة بالمهمة إلى نواحي عين الدفلة حيث ثكنة العميل وأقيمت حراسة مشددة لتحديد وقت ومكان تواجد العميل الذي عرف بكثرة تحركه وسرعة انتقاله بين مراكز قواته التي لا يفتأ يتفقدتها ويزودها بالإمدادات، وهكذا تمت مهاجمة مرقعه بعد محاصرته وتم القضاء عليه ونقل رأسه إلى مقر القيادة.

نفذت هذه العملية الجريئة يوم 16 أبريل 1958 وقد كنا يومها في اجتماع عقده القائد سي أحمد حضرته بصفتي قائد الكتبية الزبيرية المكلفة بتأمين ذلك اللقاء المنعقد في نواحي «سد اغريب» تحدث سي أحمد في ذلك الاجتماع عن ظروف تشكيل فرقة كومندوس تابع للمنطقة الثانية والأسس التي يجب أن يتم على ضوئها اختيار عناصر الفرقة وكان من بينهم بعض جنود كتيبتي، كما تطرق إلى موضوع إرسال بعض ضباط ولايتنا إلى الحدود المغربية (كأحمد بن شريف ويشير رويس وعبد الرحمن مامي) ..



الإخوة المجاهدون من اليمين إلى اليسار:

1- الرائد عمار رمضان - 2- التقييب سي حمدان (محمد حمداني) 3- ضابط أول الطيب بن تيقور - 4- الرائد يوسف بن خروف - 6- بلعيد (اتصال الولاية) 7- ضابط أول محمد سعيدي 8- الشيخ طه (محمد بوزينة) 9- ضابط أول زين الدين مولاي



مجموعة من المجاهدين من المكتبة الزبيرية (كلهم شهداء).

من اليسار إلى اليمين، - ممرض المكتبة (من البرواقية) - مجاهد (من دوار حناشة) - الطيب بن خربيل (استشهد يوم 21 أبريل 1959 قرب بوغار) - عبد الرزاق القليعي (مدرّب ومعاظ سياسي للمكتبة) استشهد في قلب مدينة المدية في سنة 1960 - مجاهدان من المدية الجالسون في اليسار، - بن عيسى الرزاق (استشهد في معركة موقورتو).



الواقفون من اليسار

- زروق من بلكور (حي)
- الأزهري من الأغواط (شهيد)
- مسعود من البرواقية
- (أخ لثلاثة شهداء)



الإخوة المجاهدون والشهداء: منهم:

- الرائد عمر رمضان عضو الولاية
- الشهيد محمد مارانفو
- الشهيد سليمان (رئيس ناحية)
- الضابط الثاني المختار السايحي (شهيد)
- الضابط الأول قدور سرباح
- الملازم السعيد بوراوي.

وتحدث أيضاً عن نتائج مهمة الوفد الذي عاد من نفس المكان بقيادة سي عبد اللطيف وبصحبة الطبيب فارسي يحيى، ولكم كانت بهجتنا كبيرة يوماً بعد أن أصبح إلى جانبنا طبيب هجر جامعة «نابولي» ويزخ المدن وتعيم المدينة ليتوغل في أدغال الجبال ويعاشر الثوار. ويؤسس مستشفى في المغاور والكهوف بعد أن تعود على نور الكهرباء، والأجهزة العصرية. اختلقت يوماً في أنفسنا مشاعر الفرح بمشاعر الحزن. كانت اللحظات صعبة بين مودع راحل وقادم مقبل في حضرة القائد الحكيم سي امحمد بوقرة الذي كان ينادي كل واحد باسمه ويسلمه جواز مروره ويزوده بنصائحه، ثم توقف فجأة إثر تسلمه برقية من المنطقة الثالثة، جلس القائد وإلى جانبه حامل الخبر يتحدثان، ثم نهض واستوى واقفاً وعلى وجهه علامات الحيرة والنصر، وكانت أصابعه تلاعب مقدمة بندقيته، افتر صحياه عن ابتسامة عريضة قبل أن يعلن النبأ العظيم، أمرنا بالترصاف وضم الصفوف، وطفق يقرأ ما تنهى إليه في تلك الرسالة الوافدة عليه من سي بونعام، كانت قراءته تشد الأذنان لما في محتواها من وصف دقيق لخطوات القضاء على العميل الخائن وأسر جنوده، وغنم أسلحته وذخيرته... تفننا الصعداء لهذا النصر ثم أمرنا القائد بالترجح إلى مكان العملية الجريئة لمعاينة الحقيقة، وفي طريقنا إلى المكان التقينا بمجموعة الجنود الذين أنجزوا العملية البطولية بعد أن طاردتهم قوات العدو مدة ثلاثة أيام بلياليها، لكنهم لم يستسلموا ولم يضيعوا صيدهم الثمين.

تحلقنا مرة ثانية حول القائد سي امحمد الذي أمر بفك رباط الكيس، والكشف عما بداخله فإذا بالمفاجأة تهزنا جميعاً أنه رأس العميل «كوبيس» وقد تدرج أرضاً مضرجا بدمائه، هذا الرأس الذي سكنته الخيانة وملأه الغرور وأعماه الحقد على الشعب والثورة، هو ذا معفر بالتراب بعد أن فصلته يد الثورة العادلة عن جثته وأراحت منه الجماهير التي عانت من ويلات.

علق الرأس على جذع شجرة ووقف القائد سي امحمد يخاطب نينا قائلاً: «إخواني، في بداية كلمتي أنيهمكم ألا تعجبوا لهذا المشهد الذي أمامكم إذا قلت لكم أن صاحب هذا الرأس المعلق مفصلاً عن جثته هو لشخص كان ذات يوم مسؤولي المباشر إبان فترة نضالنا الوطني قبل اندلاع الثورة...»

أصابتنا الدهشة جميعا لما سمعناه من فم القائد، إذ لم نكن نعلم قبل اليوم عن «كوبيس» إلا أنه عميل فرنسا معاد لثورة التحرير، لذا وجبت تصفيته.

تناول بعده الكلمة السيد عمر أوصديق فأفاض في سرد معلومات دقيقة وضاغية عن شخصية «كوبيس» ونضاله في صفوف الحركة الوطنية سابقا وعن خيانتة وعن ظلمه الجماهير والثورة.

وهكذا اجثت داء العمالة من جذوره، وأقيمت محكمة ثورية عادلة لمحكمة رفاقه فنالوا جزاءهم من بعده، وقد صادف أن شن العدو هجوما كاسحا مشط فيه مناطق عمرونة ومطماطة وخبازة بحثا عن المجاهدين بعد أن روعته عملية قتل «كوبيس».. فاغتنم بعض جنود كوبيس الفرص ليعودوا ثانية إلى صفوف العدو وما تبقى منهم وزعهم بونعامة على مناطق ونواح عديدة من الولاية بهدف إدماجهم في الثورة وتدريبهم من جديد على حياة الكفاح والبؤس المغايرة لحياة البذخ والرفاهية التي تعودوا عليها في مراكز «كوبيس» ونكثته.

لم يرق هذا الأسلوب بعض من بقي من رفاق كوبيس الذين شاركوا في مخطط تصفيته، فعمدوا إلى مناورة كشفتها الثورة فورا بحيث كانوا يخططون إلى خلق نواة مضادة داخل قوات الثورة ليبقوا على امتيازاتهم في القيادة والنعيم كما كانوا إلى جانب كوبيس يقتلون ويغتصبون ويهتكون الحريات ولا رادع يردهم، لكن الثورة كانت لهم بالمرصاد، أحالتهم فورا على المحكمة ونفذت فيهم أحكامها وطوي بذلك ملف كوبيس الأسود.

أما أهداف الثورة من القضاء على قوات كوبيس نلخصها فيما يلي:

- طمأنة الجماهير على مستقبل الثورة من المنحرفين والعملاء، وتخليصها من ظلمهم.

- إعطاء درس للعدو بأن الثورة قادرة على قهر العملاء وكسر شوكتهم بضربهم وتدميرهم.

- استرجاع المنطقة التي كان يتمركز بها كوبيس باعتبارها من أكثر المناطق استراتيجية وأهمية، وقد حولها إلى بؤرة يرتع فيها المنحرفون والخنوة وتصدر منها المؤامرات.

كانت إذن فلسفة ثورة التحرير فلسفة عملية يجري فيها تجسيد القناعات والمبادئ في ممارسات وإن كلف ذلك ثمنا باهضا فلم تعد إلى الخذلقة اللغوية والخطابات المهيجة بقدر ما سلكت طريق الانحياز والعمل الميداني الفعال، الأمر الذي جعل كل جنودها وضباطها منسجمين مع أنفسهم مقتنعين بشرعية أعمالهم يتحملون مسؤولياتهم بإرادة وقناعة ويقبلون بأحكام الثورة إن معهم أو ضدهم فلم يكونوا يحسون بالتناقض أو الاغتراب بين ما يفعلون ويشملون.

5 - العميل السعيدي على نهج الخيانة،

بعد أن قضت الثورة على العميل كويس وأتباعه حتى ظهر خائن آخر يدعى السعيدي في المناطق الواقعة بين الولايتين السادسة والرابعة للجيلولة دون استمرار التعاون الثوري بين الولايتين.

تري من يكون العميل السعيدي؟

إنه شخص دون ماض تاريخي، بل هو مجرد مجند في القوات الفرنسية، منذ فجر شبابه تعلم فن القتل ورذيلة الخضوع الأعمى لأوامر المستعمر حتى إذا اشتعلت نار حرب الهند الصينية كان من زبائنها المخلصين، فتعلم حرب العصابات وخبر أساليب التنقل في المستنقعات والمناطق الوعرة...

عاد السعيدي إلى الجزائر في زيارة عائلية إبان ثورة التحرير، فوعدت عليه عين المحافظ السياسي الذي دعاه إلى تلبية واجب الجهاد مستبشرا بما يمكن أن يفيد به الثورة نظرا لخبرته العسكرية وتدريبه المحكم...

وافق السعيدي ظاهريا على طلب المحافظ السياسي قائلا: «أهملني وقتا أفكر فيه»، لكنه اتصل في الأثناء بالمخابرات الفرنسية وأطلعها على الحقيقة، فلم تتأخر عن احتوائه ووضع مخطط عدواني ينفذه ضد الثورة والمجاهدين.

أمرته أن يلتحق بالثورة ويباشر مهمته من داخل صفوفها، وصادف أن كان يوم مجيئه هو يوم وصول القائد علي ملاح الذي تم تعيينه قائدا للولاية السادسة، وقد علمت فرنسا بهذا التعيين إثر أسرها بغلا في كمين نصبته وكان عليه بعض وثائق مؤتمر الصومام...

ولا نعلم اليوم إذا ما كانت فرنسا قد أخبرت «السعيدى» بهذه التفاصيل أم لا؟

عين ملاح بقرار من مؤتمر الصومام رغم معارضته الشديدة اعتلاء أي منصب مهما كان شأنه، وكان همه رحمه الله الجهاد خالصا لله والوطن. أسندت له مهمة قيادة الولاية ووضعت تحت تصرفه فرقة مكونة من خمس وثلاثين مجاهدا بقيادة علي زويوش، وكانت مهمة تلك الفرقة بداية الاتصال بعناصر المصاليين وأقناعهم بضرورة الالتحاق بالثورة، أدت الفرقة وأجبتها بعد انتقالها إلى نواحي الصحراء، لكن ما إن تناهى خبر تحويل طائرة زعماء الثورة الخمسة كما ذكرنا سابقا حتى انقض المصاليون على أفراد الفرقة وقتلوهم جميعا ظنا منهم أن الثورة انتهت بانتهاج الزعماء إلى السجن... ولم ينج من بين الـ 35 مجاهدا إلا واحدا حمل إلينا الخبر الأليم.

تمكن السعيدى من الاندساس في قوات الثورة والتغلغل داخلها حتى كان شهر مارس 1957، التحقت قوة تعدادها سبعون مجاهدا بقيادة (سي احسن) ونائبه بلعيد والزويير قادمة من الولاية الثالثة لدعم قوات الولاية السادسة إلى جانب قوة أخرى يقودها (الروجي).

بدأ القائد ملاح يؤسس نواة الثورة في الولاية الجديدة على أن يكون مقر قيادته في جبل اللوح فاستدعى العميل المندس السعيدى والمجاهد الروجى ليشرفا معه على عملية البناء، فاغتنمها السعيدى وطلب من الروجى أن يصاحبه إلى مكان هذا الاجتماع رفقة بعض أفراد ثائته وعشيرته من قرية «العذاورة»، ولما وصل الجميع إلى مكان يسمى «كرمة» ما بين الولاية الرابعة والسادسة قام السعيدى باغتيال رفيقه الروجى غدرا وكلف أحد مرافقيه أن يطلق على زنده النار لإيهام القيادة بأنهم سقطوا في كمين قتل فيه الروجى ونجا فيه هو بعد أن أصيب في زنده، هذا بعد أن أقنع أتباعه بأن ملاح والروجى وكل من يقاتل معهما مجرد غزاة لمنطقتهم جاؤوا لاحتلالهم... معتمدا في ذلك على أسلوب إثارة الفتنة والشقاق بين أبناء المناطق المجاورة.

انطلقت جبل هذا العميل على الجميع وتمكن من حضور الاجتماع الذي ترأسه ملاح وحضره كل من سي احسن وبلعيد، وبعض المحافظين السياسيين الذين اختيروا من بين سبعين فردا، اتفق في هذا الاجتماع على قواعد خطة قتالية محكمة في الولاية ثم غادر المجتمعون المكان.

أما السعيدي فقد أقنع بعض إطارات الولاية بالذهاب معه إلى منطقته ليعرفهم بها جيدا وكان قد نصب لهم كميناً مسبقاً بحيث استبقى عنصره في نواحي الولاية السادسة، وهكذا اغتال العميل المجرم مرافقيه الواحد تلو الآخر وكانوا خيرة الإطارات في هذه الولاية وهم (سي احسن وبلعيد والزوير).

بعد أن اطمأن السعيدي على قتل هؤلاء الرجال استقر في عين بوسيف وضم إليه بني عشيرته والمتعاطفين معه وبدأ يخطط لاغتيال القائد ملاح فاتصل به زاعماً أن الوضعية في منطقته غير مستقرة ويرغب في لقائه منفردا، لم يتردد ملاح في قبول الدعوة وهكذا حدد مكان وزمان اللقاء... وقد كان خلال تلك المدة يقتال كل الجنود والضباط الذين يصلون منطقة تواجه.

اتفق الرجلان على أن يجتمعا في قرية السيوف غرب «دراة» وهناك غدر الخائن بالقائد ملاح وكاتبه عبد الحميد واغتالهما جنبا.

مازلت أذكر يوم ودعت ملاح في جبل اللوح متمنيا له التوفيق في أشغاله ولم أكن أعلم يومها أنه الوداع الأخير.

نفذ السعيدي مخططه اللدنيء بأمر العدو وتخطيط جهاز مخابراته ثم انتقل إلى نواحي «شلالة العذاورة» ليستقر بها ويتم آخر فصل في مؤامراته، فاستدعى بعض من تركهم في الولاية السادسة يترقبون القائد ملاح فأوقعهم في فخ الغدر وذبحهم جميعا ولولا نباهة الجندي عبد الرحمن طهطوه وصحوة ضميره الوطني لاستمرت فصول المؤامرة ضد الثورة تنفذ على أيدي هذا الخائن الخطير.

فر الجندي عبد الرحمن في ظروف صعبة وأخبر القائد سي امحمد بكل جزئيات الموضوع في الغدر بالشوار وفي إثارة النعرات بين القبائل والمناطق، كتم سي امحمد الخبر ولم يطلع عليه إلا سي الطيب الجفلالي والحاج بن عيسى.

خطط سي امحمد للإيقاع بالخائن بموجب خطة مضادة واستمر الاتصال بينهما على أن يلتقيا بضاحية بوقعدون ليتدارسا وضع الثورة... لكن العميل فطن لهذه الخطة وتأكد من انفضاح خيانه، وأمر من العدو الذي كان يخطط له رفض اللقاء. وأعلن عداؤه الصريح للثورة وانضم للجيش الفرنسي الذي أعقد عليه ومول عشيرته وأتباعه بأسلحة حديثة وأموال طائلة ومنحوه هو رتبة عقيد في الجيش الفرنسي كما منحوا بلونيس رتبة عميد، ومنذ ذلك التاريخ أصبحتا يهيمنان بدعم من العدو على منطقة واسعة تربط الشمال بالجنوب تقدر مساحتها بـ 1500 كلم، وعلى أرضها دارت معارك طاحنة وسالت دماء غزيرة وسقطت ضحايا عديدة.

لكن تلك الأراضي الشاسعة الممتدة في الصحاري التي أنجبت خونة غلاة لم تبخل على الثورة بأبطال أشاوس قلما جاد الزمان بمثلهم تصدوا لهؤلاء الخونة وللعدو الفرنسي بشجاعة وثبات.

لم يسعفني الحظ لرؤية تلك الربوع إلا بعد استقلال الجزائر، فشاهدت عجا.. أراض تمتد طرف العين جرداء خالية، كان الشوار يحترقون بفحيحها صيفا وتلسعهم بيردها شتاء وليس لديهم ما يحتمون به عن أنظار العدو وهجماته شي.. إن الصحارى آية من آيات الله فيها بعث الأنبياء وأقام عليها بيوته التي يذكر فيها اسمه، كم عجبت - أثناء زيارتي للمنطقة بعد أن خمدت أصوات المدافع - لوضع الرفاق في حرينا الكبرى، لا مغاور يخشون فيها ولا صخورا يسندون إليها ظهورهم ولا شجرا ولا ماء، ولم أنفلك نفسي فقلت يوم اصطحبتني بعض الأصفياء إلى جبل بوكحيل من أمثال المختار المخلط وحيقون السعيد وعبد الدايم عبد الدايم هؤلاء أمد الله في أعمارهم ولم يستشهدوا وقد كانوا ضمن كتيبتنا، قلت لهم بعد أن قصوا علي أحداث بعض المعارك التي دامت أحيانا أربعة أيام بلياليها: «إن جهادنا لا قيمة له أمام جهادكم نظرا لما نجشتموه من أتعاب وقدمتموه من تضحيات.

إن الفرق قائمة على أشدها بين من يقاتل في الكهوف والغابات وبين الصخور والذي يقاتل في العراء التام، بين أعداء ثلاث: فرنسا والخنوة وقسوة الطبيعة.

لم ينته حنيني إلى تلك الربوع نزرتها ثانية والتقيت بالعقيد محمد شعباني الذي حدثني طويلا عن آلام جماهير المنطقة وما تحملته من مشاق إبان الثورة وعن صعوبة التمويل والتنقل أثناء المعارك ضد العدو وعن انعدام التنسيق بين الولايتين الرابعة والسادسة وعن ظروف اغتيال مفخرة المنطقة والجزائر البطل الطيب الجفلالي رجل العلم والوطنية والجهاد وعن استشهاد علي ملاح على أيدي العملاء بقيادة بلونيس والسعدي اللذين أذاقوا الجماهير ألوانا من العذاب والمهانة والتقتيل... لكن ما أصعب أن أذكر اليوم بعد ربع قرن من الزمان ذلك اللقاء الذي جمعني بمحمد شعباني وهو يعد ليقود تمردا على السلطة الجزائرية وقتها.. كان تقديري للأمور تحفه الخشية والظنون، كنت على يقين بأن شعباني سيلقى مصيره المحترم وسيدفع ثمن تلك الظروف من حياته، لذا كان إلحاحي شديدا على فض الخلاف بينه وبين نظام الحكم وقتها بالطرق السلمية ودون إراقة دماء، فاستفرت جميع طاقاتي ومؤهلاتي لإيقاف شلال الدم ورأب صدع الوطن الذي ظل ينزف كالمكروم سنوات طويلة، وقد كتب علينا القدر نحن بعض أبناء الولاية الرابعة أن نتحرك كل مرة لإطفاء لهب الفتنة بين الإخوة، وما مهمتي لإقناع شعباني إلا امتداد للمهمة التي وقفنا فيها الله على مشارف عين وسارة عام 1962 عندما وقفنا موقفا توفيقيا لحقن الدماء بين مجاهدين من تيزي وزو وتلمسان، ولكن شامت الظروف أن تنتهم في مهمة الوفاق تلك بأننا أطراف في الفتنة وأصبحنا محل متابعة وإدانة.

أتذكر اليوم كم كانت مهمتي صعبة في إقناع شعباني الذي كان رمز الشباب والتضحية، كان عنيدا وصلبا... لذا لم تفلح وساطتنا نحن رفاق السلاح وقد كنا فريقا متكونا من سي حسان وعلي منجلي ومحمد والحاج والعربي ميلي (الذي كان رائدا في الولاية الثانية) وبوساحة محمد ومن بين أصدقائه الذين كانوا معنا غنتار وسليم، كانت محاولتنا معه منسبة على قضية الوفاق وإنهاء حالة التوتر بينه وبين النظام، لكن رفضه إنما كان لأسباب يعرفها غيره؟

طلب إليّ أن أبقى إلى جانبه بعد انصراف الرفاق ليلة أخرى فوافقت على طلبه وبقيت إلى جانبه يومين كانا لي فرصة ثمينة طهرت فيها ناظري بنور

الرمال ووقفت على فيض الذكريات التي رحلت مع رفاق قتلوا غدرا على أيدي
العلاء سقطوا على أرض عطشى للحرية والطهارة في معارك كبرى وكمانن
أبلوا فيها البلاء الحسن، لقد تراقصت ذكرى أولئك الأبطال من أمثال علي
ملاح، والجفلاي وعمر إدريس وعميروش والحواس وغيرهم بذهني في ذينك
اليومين وهام ظني في مقدرات موقف شعباني وألني أن يكون مصير الرجل
كمصير غيره ممن صفوا على أيدي الثورة لسبب أو لآخر، لم يحزني أن أرى
الثورة العظيمة تبتلع أبناءها المخلصين، وهكذا كان مصير محمد شعباني الذي
قتل بأمر من السلطة ليكون أول ضابط من ضباط جيش التحرير "بطني يعدم
بعد الاستقلال، كان نموذجا في شخصيته وحزمه وشجاعته إلى حد التهور كأصغر
عقيد في جيش التحرير وقائد ولاية من أصعب الولايات.

الفصل الخامس

من أزمة الولايات... إلى الصراع على السلطة

١ - الاستقلال ومحنة الولايات،

في إحدى القرى الصغيرة الواقعة بضاحية مدينة المدية استمعت لنداء بن يوسف بن خدة رئيس الحكومة المؤقتة والرئيس الفرنسي ديغول الخاصين بقرار وقف إطلاق النار والفصل بين القوات المتحاربة، ومما جاء في كلمة بن خدة العبارات التي مازالت عالقة بذاكرتي إلى اليوم من فرط المفاجأة:

«أيها الشعب الجزائري، بعد عدة شهور من المفاوضات الصعبة والمشرفة تم التوصل إلى اتفاق عام في مؤتمر (ابفيان) بين الوفد الجزائري والوفد الفرنسي، وهذا يعتبر انتصارا يحرزه الشعب الجزائري الذي انتزع ضمان حقه في الاستقلال، وبهذه المناسبة نعلن باسم الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية المفوضة من المجلس الوطني للشورة الجزائرية، وقف القتال في كافة أنحاء التراب الوطني ابتداء من يوم الاثنين 19 مارس 1962 على الساعة التاسعة ليلا كما نأمر باسم الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية كافة القوات وقف جميع العمليات العسكرية والأعمال المسلحة في جميع التراب الوطني..»

لم أتمالك نفسي أمام النداء.. وشعرت أن أشجار الغابات التي احتمينا بها سنوات المحنة، والوهاد والكهوف والصخور.. طففت تردد معي نشيد الثورة، لم يعد أي شيء ثابت في مكانه، الكل يتحرك في الوجود ويقاسمني وقع الحدث، حتى الشهداء قاموا جميعا ومروا مواكب أمام عدسة الذاكرة واحدا واحدا لم يتخلف شهيد عن مهرجان الفرح، فالعهد كان معهم والعرس عرسهم.. هوذا سي امحمد قاندي ومعلمي وكل رفاقي وأصدقائي والذين جمعنتي معهم اللحظات الحرجة على أناشيد البارود وصيحات الله أكبر حتى أخي رابع بورقعة شهيد الواجب لم يتخلف هو الآخر عن مهرجان الفرح.. لم أتمالك نفسي، فسالت دموع

فرح مشوب بالفموض إنه الخلاص لكنه البداية.. البداية المفتوحة على كثير من الاحتمالات..

في تلك الليلة التي كان يزف فيها الفرح للشوار وأنشدهاء وفدت علينا جماعة من المجاهدين قادمة من تونس وقد سبقتنا إلى مركز القيادة إنهم الإخوة:
عز الدين، عمر أوصديق، العقيد صادق، بوعلام أوصديق، علي لونيبي وسي الشريف.

وجميعهم ضباط من الناحية الشرقية، إن ما شدني إلى مجيئهم وحبرني إنما هي الكيفية التي وصلوا بها؟ قد جازوا بالطائرة ونزلوا بالمطار بجوازات فرنسية مزورة؟

ترى لماذا جازوا في تلك الفترة بالذات وبأمر من جازوا وما هي مهمتهم..؟ كان الفرح أكبر من الظنون وقتها.. لكن حدثتني نفسي ببعض الشكوك حول مجيئهم بالطريقة التي ذكرنا... زعموا يومها أنهم مبعوثين من قبل الحكومة المؤقتة وبأمر من رئيسها شخصيا (بن يوسف بن خدة) على أن يخبرونا بفحوى الخلافات التي انفجرت بين أعضاء من قيادة الأركان بزعامة العقيد هواري بومدين وبين أعضاء الحكومة المؤقتة.. لكنهم تعمدوا التعميم والسطحية طمعا في معرفة مواقفنا المبدئية من الصراع بعيدا عن أي تأثير خارجي، كما أظهرنا لنا قرارا من إمضاء الرئيس بن خدة يخول فيه للرائد عز الدين مسؤولية الاشراف على منطقة الجزائر بعد فصلها عن الولاية الرابعة، سارعنا إلى تطبيق القرار حرفيا دون أية معارضة ولعله الخطأ الجسيم الأول الذي ارتكبناه على طريق الأخطاء العديدة، ثم استظهرنا تعيينا ثانيا للسيد (امحمد امقدم) المناضل القديم في الحركة الوطنية بصفته قائدا للجزائر الوسطى، ومن العجيب أن الأمرين موقعين من قبل الرئيس بن خدة، يجعل على الجزائر بمقتضاها قائدين على الجزائر العاصمة.

كنا في جهل تام بما يجري في الخارج ولا ندري في أية جهة نقف من الصراع فتؤيد من؟ وتعارض من...؟ لذا لزمنا الحياد إلى أن طفت الحقيقة على السطح

وظهرت أطراف الصراع بين مؤيد للحكومة المؤقتة وبين مؤيد لبومدين وعصابته... عندها واجهنا العقيد بن شريف فمزق وثيقة الأمر بالمهمة التي تحمل توقيع بومدين مفتعلا الغضب والانفصال التام عنه وعن جماعته.

أدركنا أن لوثمة الخلاف والصراع بين قيادة الثورة قد استفحلت داخل صفوفنا وتناهد إلينا بعد ذلك كافة المعلومات المتعلقة بالصراع الذي بلغ أشده في مؤتمر طرابلس والانقسام الواضح بين طرفين لا تهمهما إلا السلطة والزعامة وبينت الأيام اللاحقة أن ما حدث في طرابلس كان شبه انقلاب على الحكومة المؤقتة.. اتخذنا من جانبنا موقفا حياذبا تفاديا لوقوع أية مأساة أخرى بعد مأساة حرب التحرير.

إن الصراع الذي احتدم له ما يبرره في تكوين المجلس الوطني للثورة الجزائرية، بحيث تمت الموافقة على الأسماء التالية:

- من الحكومة المؤقتة: بن بلة وخيضر وبومنجل وفرحات عباس وبن علة وأحمد فرنسيس ورايح بيطاط والصاغ ناصر.
- من أركان الحرب: هواري بومدين وقايد أحمد وعلي منجلي.
- من الولاية الأولى: الطاهر الزبيري وعمر ملاح وإسماعيل محفوظ ويحياوي محمد الصالح.
- من الولاية الثانية: الصاغ العربي والصاغ رايح.
- من الولاية الثالثة: محمد السعيد ومحمد لحاج والصاغ الطيب والصاغ حسان ومحمد وعلي.
- من الولاية الرابعة: حسان ويوسف ومحمد بوسماحة ولخضر بورقعة وأحمد بن شريف.
- من الولاية الخامسة: عثمان أبوبكر وعبد الوهاب وناصر وعباس.
- من الولاية السادسة: شعباني محمد وسليمان سليمان وصخري عمر وعز الدين بن شريف وروينة محمد.

تم عقد اجتماع بتونس ما بين 22 و27 فيفري 1962 وافق فيه الحاضرون على لائحة وقف إطلاق النار وأوكل الفائزون إلى بعض الحاضرين حقهم في التمثيل وقد حضر الاجتماع السادة:

(1) أعضاء الحكومة المؤقتة: بن يوسف بن خدة، وبن طوبال، وعبد الحميد بوصوف، ودحلب، وكريم بلقاسم، وسعيد محمد، ومحمد يزيد.

(2) القيادة العامة: هواري بومدين، رقايد أحمد، وعلي منجلي.

(3) الولاية الأولى: مصطفى بن قوي.

(4) الولاية الخامسة: سي ناصر وسي عثمان.

(5) فدرالية فرنسا: عمر عدلاني، ورايح بوعزيز، ومحمد بوداود، ومحمد واعلي هارون، وعبد الكرم سويسي.

(6) من المجلس الوطني: فرحات عباس، ومصطفى بن عودة، ومحمد بن سالم، ومحمد بن يحيى، وأحمد بومنجل، وسليمان دهليس، ومحمد حجابي، ومحمد خير الدين، وعبد الحميد مهري، وعمر أوصديق، ومحمد يازورت، وظهالي امحمد، والحاج لخضر، وعلي كافي، وعمر أوعمران.

المركلون: رايح بلوصيف، والعربي بن رجم، وصالح بونيدر، والظاهر بودريالة، وعبد المجيد لكحل الراس، هؤلاء وكلوا السيد رئيس الحكومة المؤقتة للحديث بأسمائهم.

والسادة: احسن محبوز، ومحمد واعلي، وأكلي محند، والحاج الطيب صديقي، وجميعهم من منطقة القبائل، أوكلوا أمرهم للسيد يازورت محمد. وفوض الظاهر الزبيري من الأوراس لخضر بن طوبال.

الولاية الرابعة مثلها: بن يوسف بن خدة، وبوسماحة وخطيب واعمر أورمضان.

الولاية الخامسة مثلها: أحمد بوجنان وعبد الوهاب ومرابي ابراهيم ويويكر قاضي.

الولاية السادسة مثلها: الحاج بن علة وأحمد بن شريف.

وتغيب عن ذلك الاجتماع كل من: الرائد عز الدين وإسماعيل ومحفوظ مصطفى وعمر ملاح ومحمد الصالح يحيوي، وامتنع عن المشاركة أحمد فرنسيس واحسن قادري ومصطفى لشرف.

بلغ عدد المشاركين في دورة المجلس الوطني للثورة من 22 إلى 27 فيفري 1962 / 49 عضوا يمثل (5/4) أربعة أخماس طبقا لما ينص عليه الدستور المؤقت الذي تم الاتفاق عليه في دورة خاصة عقدت بتونس في شهر ديسمبر 1959 وجانفي 1960 للموافقة على لوائح وقف إطلاق النار بين الثورة من جهة والجيش الفرنسي من جهة ثانية.

ما إن تناهت إلينا نتائج ذلك الاجتماع حتى أرسلت قيادة الولاية الرابعة السيد بن خروف إلى تونس عن طريق جماعة «روشي نوار»^(*) للإحاطة برمة الموضوع ومعرفة ما يمكن اتخاذه من إجراءات، وفور وصوله بدأت اتصالاته بالحكومة المؤقتة والقيادة العامة، وكان يحمل تفويضا للقيادة في تونس شريطة أن يكون هناك إجماع على موقف موحد. أما إذا لاحظ انقساماً في المواقف فلا يحق له تفويض أي كان للحدث باسم الولاية الرابعة، لكن بن خروف لم يلتزم بالأوامر وتنازل عن هذا التفويض لأحمد بن شريف الذي ظن بذلك أنه قد امتلك ورقة ضغط قوية وراح يستعملها على هواه، متحدثاً ومفاوضاً باسم الولاية الرابعة، الأمر الذي مكّنه من الضغط على الحكومة المؤقتة والانضمام إلى جماعة بومدين.

لما تأكدنا مما يحيكه بن شريف باسم قيادة الولاية الرابعة.. أمرنا بعزله لكنه لم يقف عند ذلك الحد وتمادى في غيه، وكان بإمكانه أن يظل محايداً وأن لا يكون سبباً في إراقة الدماء، وصادف أن جاءنا في تلك الظروف (أحمد قايد) مبهوثاً خاصاً للقيادة العامة (رغم أن القيادة العامة كانت معزولة من قبل الحكومة المؤقتة) وقد حصل إلينا علم قيادته بحشيات الخلافات التي جرت في مؤتمر طرابلس وتونس بين جميع الأطراف، ومما جاء من أجله أيضاً التحضير لدخول جماعته عاصمة البلاد واستلام السلطة.

(*) روشي نوار: هو الاسم السابق لمدينة بومرداس خلال العهد الاستعماري.

ولا يفوتني أن أقدم جملة من الملاحظات المتعلقة بقايد أحمد الإنسان والقائد، كان صريحا وصادقا إلى جانب ذكاء ووقار ورجولة وحزم شديد يعرف ما يريد، ويعبر عن رأيه بشجاعة ووضوح، لم يعد إلى مغالطتنا وتضليلنا كما فعل أحمد بن شريف بل بصرنا بما حدث وبالهدف الذي جاء من أجله.. وطلب يد مساعدتنا... لكننا رفضنا طلبه وقلنا له حرفيا: «قد يكون لديكم من الأدلة والبراهين ما يجعلكم ترفضون أعضاء الحكومة المؤقتة وهذا من حقكم لأنكم تعرفون بعضكم البعض أما نحن في داخل الوطن فبعيدون عن واقع الصراع لا علم لنا بأي من الطرفين... إذن لا مبرر لنا في الوقوف إلى جانبكم أو الوقوف إلى جانبهم ضدكم... ولا نملك أن نوجه بنادقتنا، التي صوبناها لصدر العدو الواحد، إليكم أو نصوبها إليهم، وإذا كان بإمكاننا أن نفعل شيئا إنما أن نوقف الشرخ ونبعد الكارثة المحدقة بنا، ونرحد الصف ونهني جزائر المستقبل التي مزقتها معارك العدو، وإذا لم نفلح في هذا المسعى نسوف نلتزم الحياد إلى أن تبلور المواقف.. أما إذا استمر تدهور انوضع فإننا لن نقف مكتوفي الأيدي ولن نسمح للعابثين بمستقبل الشعب الشهيد أن يتبادوا في عيهم، وإذا كان لا بد من المحاكمة فأنتم جميعا معنيون بها لأنكم مسؤولون على تمزيق وحدة الثورة وإطالة المأساة التي يدفع ثمنها جيش التحرير ومن ورائه كل الشعب الجزائري».

بعد هذا الرد الواضح والمبدئي، غادرنا قايد أحمد متوجها إلى الولاية الثانية وفور الوصول إليها تم القبض عليه وتحول من مفارص إلى أسير ومرة أخرى نجحت مساعينا الأخوية وأمر الأخ صالح بونيدر بإطلاق سراحه والسماح له بالعودة من حيث أتى.

استمر التوتر بين الفرقاء في القيادة وساعت الأحوال إلى درجة مخيفة رافقتها مساع حثيثة لرأب الصدع، ودعونا إلى اجتماع ضم ممثلي الولايات الثانية والثالثة والرابعة ومنطقة الجزائر الوسطى واتحادية فرنسا في مدينة زمورة بالولاية الثالثة يوم 26 أوت 1962 ونم تتمكن من حضوره الولايات الأخرى فأعطت موافقتها المسبقة على ما سيصدره من قرارات.

وقد جاء في تقرير الاجتماع: «إننا لا نفهم سبب استقالة خيضر كما لم نفهم المغزى من سفر بن بلة إلى القاهرة وكل هذا الشقاق الذي أوصلنا إلى ما نحن عليه من خلافات ستؤدي بنا إلى حرب أهلية... لذا فإننا نطلب من الحكومة

المؤقتة ألا تتسرع في الدخول إلى الجزائر وهي على ما هي عليه من تمزق.. وهذا لا يعنى منعها من دخول العاصمة وإنما حماية الوطن من أية أزمة ممكنة تحول الخلاف إلى صفوف جماهيرنا في الداخل، إننا ندعو جميع المسؤولين في الخارج أن يجتمعوا ويحددوا صفوفهم وبعد ذلك فإن أبواب الجزائر مفتوحة للجميع..»

إثر ذلك اللقاء أوفدنا الأخوة: العقيدين: حسان ومحمد أولماح والدكتور سعيد هرموش للاجتماع بين بلة في المغرب الأقصى وتسليمه نسخة من التقرير الجماعي على أن يكف عن التنقل بين القاهرة والمغرب ويدخل هو ورفاقه موحدين لا مفرقين للجزائر للتعاور في داخل البلاد بين الشعب وبمشاركته لا خارجها... فشلت مهمة المبعوثين ولم يرضخ بن بلة لهذا النداء، بل انتقل إلى تلمسان حيث التقى السيد خيضر وهناك تشكلت جبهة مضادة لطموح الجماهير..

بقيت مهمة الرفاق منحصرة في التنقل بين تلمسان وتيزي وزو بغرض تهدئة الأوضاع والحيلولة دون وقوع اشتباكات مسلحة على غرار ما وقع في قسنطينة... اشتعلت وقتها حرب بيانات وبيانات مضادة وكان أغربها الذي حمل إلينا نبأ تشكيل المكتب السياسي، اجتهدت جبهة تيزي وزو موظفة جميع طاقاتها لكسب الرهان وتقويض مخطط جماعة تلمسان التي ظنت أنها دعمت مواقعها... وقعنا بين المطرقة والسندان وأخبرنا أن مجموعة تلمسان تقادت في استفزازها فسلحت جماعة العاصمة بقيادة ياسف سعدي مستغلين بساطة تفكيره وغروره بنفسه للوصول إلى أهدافهم..

رأينا من الضروري أن نضع حدا لتلك المظاهر المنافية للشورة وقررنا السماح لأعضاء المكتب السياسي بالدخول إلى العاصمة بناء على اتفاق مبدئي تم يوم 25 سبتمبر 1962 ينص على التحضير لانتخاب مكتب سياسي مؤقت، وانتخاب أعضاء مجلس وطني جديد تخول له جميع الصلاحيات ليعين أعضاء الدائمين في المكتب السياسي على أن يبقى على الهياكل الإدارية على ما هي عليه دون أدنى تعديل... ثم تم عقد أول اجتماع بمدينة الأصنام بهدف توسيع قاعدة المناضلين والمجاهدين في مختلف الولايات حضره ممثلون عن جميع الولايات دام يومان كاملان كانا امتحانا عسيرا عشناه بأعصاب متوترة ونفوس مفعوجة خوفا على مصير الوطن من الدمار الذي أوقعنا فيه العدو الجاثم بشكائته ودورياته يهدد السيادة التي كان ثمنها شلال الدم الندي...

- اسفر الاجتماع على اتفاق مبدئي ينص على ما يلي:

1 - وضع حد لكل عمليات المزايدة والاحتكاك.

2 - الإسراع بعقد اجتماع يضم أعضاء المجلس الوطني للشورة الجزائرية وفي حالة الشغور وعدم حضور أعضائه يتم تشكيل مكتب سياسي على الطريقة التالية:

أ - يتكون من قادة الولايات الست يضاف إليهم عضوان من فدرالية فرنسا، وعضوان آخرا ن يمثلان قاعدتي الحدود الشرقية والغربية، وبذلك يصبح عدد أعضاء المكتب المقترح عشرة أعضاء.

إثر الاتفاق بالإجماع على أسلوب العمل انتقلنا إلى مدينة تلمسان لنفاوض أولئك الذين نعتبرهم متمردين ونحملهم مسؤولياتهم التاريخية.

فوجدنا في مدينة تلمسان بحركة غير عادية، سيارات عسكرية تجوب الطرقات في حركة لا تنقطع، جنود مسلحون يمشطون الشوارع والأزقة وقيمون حراسة جد مشددة أمام مقر إقامة القيادة المتمردة.

في أول اجتماع ضمنا إليهم تولينا شرح موقفنا وحذرناهم من مغبة الاستمرار في تمزيق وحدة القيادة التي ستضرب بدورها وحدة الوطن... لم يهلونا وقتا نتم فيه شرح وجهة نظرنا حتى عارضونا مبدئين تعنتا بل أشعرونا أنهم لا يعترفون باجتماع الأصنام بل إنهم على أتم الاستعداد لاستعمال القوة في صورة ما إذا اعترض طريقهم أحد.

أعدنا الكرة ثانية طمعا في إقناعهم... لكن تراجع الحوار الصريح ليصبح في الكواليس وتعاد بمقتضاه صياغة المعادلة السياسية بحيث انضم إليهم كل من ممثلي الولاية الأولى والخامسة والسادسة وبذلك سقطت جميع الأفتعة عن الوجود وبقينا وحدنا في الولاية الرابعة نواجه المزامرة... وقبل أن نغادر تلمسان قلنا للجميع بالحرف الواحد: «كنا نفضل أن نظل كما عرفتمونا دائما في موقع الحكم لا في موقع الخصم.. وتركنا لكم وقتا كافيا لتبدوا حسن نواياكم تجاه الجماهير التي ملت مآسي الحرب، وهي ترفض اليوم بشكل قاطع إراقة دماء الأشفاء... وبما أنكم أغلقتم باب الحوار... فإننا نقول لكم ولآخر مرة أن

العاصمة ليست ملكا لكم أو لجماعة تيزي وزو بل هي عاصمة الجميع وقلب الوطن النابض بالحياة... وبما أنكم مانعتم في توحيد صفوفكم وفضلتم الاستيلاء على السلطة بأسلوب القوة.. فإننا سنعلم الجماهير بكل ما وقع من خلفات ومزق غلاية ونترك لها الخيار في اتخاذ الموقف المناسب وها قد بلغنا اللهم فاشهد.

استمعوا لنا بأذانهم ولم يستمعوا لنا بقلوبهم وتكروا لصوت العقل ومسؤولية الواجب الوطني ولم يعودوا يسمعون إلا نداء المصلحة والاستيلاء على السلطة كما خططوا لها من وراء الحدود.

لم نكد نغادر تلمسان إلى مركز قيادة الولاية الرابعة حتى عقد الجميع لقاء أعلنا فيه عن تشكيل مكتب سياسي وتم تحديد محضر الجلسة على ضوء شعبة بعد انقطاع التيار الكهربائي صدفة، وهكذا برزت قائمة أعضاء المكتب السياسي.

أثر هذا الإجراء طلب من جنود جيش التحرير الموجودين في الحدود الشرقية والغربية وفي الجنوب وفي جميع الولايات المؤيدة لهذا الاتجاه الزحف على العاصمة واحتلالها... دون أدنى اعتبار لما يمكن أن يترتب عن هذا الإجراء الذي نعتبره غير حكيم وفيه من المغامرة الكثير.

تكونت التشكيلة العسكرية التي ستحاصر العاصمة من :

أ - قوات الولاية الثانية بقيادة الصاغ العربي والساغ رابع بلوصيف.

ب - قوات الولاية الأولى بقيادة الطاهر زبيري.

ج - قوات الولاية السادسة بقيادة العقيد شعبياني.

د - قوات الولاية الخامسة بقيادة عثمان.

لم يتمهلوا في الزحف على العاصمة وبدأت الأحذية الثقيلة تدك الأرض دكا والسيارات والشاحنات العسكرية تجوب الطرقات وتتقدم نحو العاصمة من جميع الجهات، انطلقت القوة الأولى من مدينة تلمسان وتالت بقية القوات لترابط كلها على مشارف المدينة ترقبا لساعة الصفر والانقضاض عليها.

أخرجنا في الولاية الرابعة هل نسلم بكل سهولة ونتحلى عن مسؤوليتنا التاريخية أم تصدى لهم في معركة يقتل فيها الأخ أخا والأب ابنه..؟

اضطربنا لأن نختر الحل الصعب دفاعا عن شرعية الثورة فرفعنا السلاح
مكرهين ضد قيادة ركبت رأسها ونسيت كل شيء ما عدا الاستيلاء على السلطة
بأي ثمن كان.

أما في العاصمة فإن كميات هائلة من الأسلحة تصل يوميا عبر البحر سرا
تنقلها بواخر صيد على مرأى ومسمع من القوات الفرنسية ويجري توزيعها على
وحدات ياسف سعدي في الداخل ليسهل طعننا من الخلف، وقد اشترك في
عملية تهريب الأسلحة عبر البحر جماعة روشي نوار وبمباركة القوات الفرنسية
التي كان كل همها إغراق الجزائر المنتصرة في دوامة الحرب الأهلية...

كانت أوصفة الميناء مخصصة للمعمرين وأصحاب الأقدام السوداء والحركة
المتزاحمين لمفادرة الجزائر نحو فرنسا وكل أوروبا.. بحيث منحناهم مساحة
القيين وخمسمائة متر مربع (2500م²) على طول الرصيف لتسهيل مهام
الشحن والهجرة، ولم ننس أن نضع رقبنا من قواتنا يترصد سرا جميع حركات
العدو وتصرفاته...

كانت شكوكنا في محلها سيما وقد اعتبر العدو تلك المساحة المحددة من
رصيف الميناء ميناء حرا يشرف عليه السيد «تشافينو» وتوسع بعد ذلك لتصل
مساحته إلى 4500م²، أشعرنا الرقيب في عين المكان بما كان ينفذ سرا، بحيث
أن بواخر الصيد كانت تفرغ حمولتها من صناديق عملاقة بها كمية من الأسلحة
والذخيرة ويجري تسليمها فوراً إلى جماعات في العاصمة ومن العجيب أن
عملية التفريغ هذه كانت مصاحبة لعملية شحن صناديق على ظهر بواخر متوجهة
إلى فرنسا... لا نعلم ما بداخلها!!

ولما تأكدت لدينا معلومات تؤكد تورط العدو في أعمال مشبوهة أمرنا بوقف
عمليات الشحن فوراً وعمدنا إلى مراقبة المحمولات، وصادف أن فتحنا أحد
الصناديق التي يجري شحنها يوميا على بواخر متوجهة إلى فرنسا عثرنا بداخله
على وثائق سرية وخرائط تحدد أماكن الآبار الارتوازية المنتشرة عبر التراب
الوطني، ومخطط عن قنوات توزيع المياه في أعماق الأرض في كل المدن
الكبرى، كما اكتشفنا من خلال وثائق سرية أن 400 موظف فرنسي كانوا
يعملون في وزارة المالية غادروا الجزائر نهائيا دون أن توقف أجورهم وتغلق

حساباتهم وأن شركة «بيجو» الفرنسية غادرت هي الأخرى الجزائر دون أن تسد أجور عمالها التي تقدر بـ 75 مليون سنتيم.

أصدرنا أوامرننا بتوقيف عمليات التهريب والقرصنة، فحجزنا بعض ما طالته أيدينا من سيارات مهربة من نوع 403 وغيرها... كما أوقفنا قرصنة الأسلحة وتهريبها إلى الجزائر لتسليمها عناصر ياسف سعدي من أجل محاربة الجزائريين... وتكفلت عناصرنا بمراقبة الميناء وحماية الوطن والبلاد.

استغل العدو هذه الحادثة وحولها إلى أزمة بين البلدين مفتنما حالة التوتر المستشرية منذ مدة بين الولايات وقد ساندته في ذلك بكل أسف جماعة «روشي نوار» واتفق الجميع على محاربة الولاية الرابعة لاعتقادهم أنها الولاية الوحيدة التي تضع العراقيل في سبيل تطبيق اتفاقيات «إيفيان».

باشرت القوات الفرنسية مرحلة المضايقات فمنعت وصول الأغذية إلينا والأدوية والتسوين... مثلنا في ذلك مثل جميع الولايات الأخرى، وعمدت إلى وضع دوريات حراسة متنقلة على طول الطرق الرئيسية تراقب وتفتش السيارات والشاحنات بذريعة الخوف من وصول الأسلحة والمعدات الحربية والمتفجرات في غمرة تلك الأوضاع الغامضة، كانت قوات الزاحفين على العاصمة تتقدم مرحليا لدعم مواقعها، فمن الجنوب وصلت طلائعهم إلى حدود عين وسارة، ومن الشرق انتهوا إلى مشارف سيدي عيسى، ومن الغرب حاصروا مداخل مدينة الأصنام وفي العاصمة يجري تدريب عناصر ياسف سعدي، وكان الكل يراقب إحكام الكماشة على الطائر وتدمير عشه.

هكذا تحول الحوار الإيديولوجي والإجرائي إلى صدام دموي بين الأشقاء وصممت كافة الأصوات لتفسح المجال لأصوات المدافع والرشاشات التي فتحوها على حدود الولاية الرابعة وقراها وأحياء مدنها... تلك المدافع التي ظلت رابضة خلف الحدود.. ولم تعرف المعارك الضارية التي كنا نتصدى فيها للعدو بصور عارية.

مازلت أذكر يوم أن شارفت طلائع قواتهم على مداخل عين وسارة، وكنت يومها مقيما في أحد مراكز القيادة العامة في ضواحي المدينة تلقيت مكالمة هاتفية من أحمد بن شريف وكان في عين وسارة وقد كرر رغبته في مقابلي

شخصيا دون سواي، لكنني فرجت بوجوده في عين وسارة وكنت أحسب أنه وباقي قيادة الزحف يوجدون في مدينة البلدة... وقبل أن أقرر التقاهم أو عدم التقائهم قفز إلى ذهني المشهد الذي مرق فيه أحمد بن شريف جواز المرور المعضى من قبل العقيد (هوارى بومدين) وباقي مواقفه المتعددة... وخشيت أن تكون رغبته في لقائي مجرد خدعة محبوكة كلف بتنفيذ فصولها... وتهايا لي أن أرفض هذا اللقاء لكن الموقف بكل ما كان يطرحة من إحراج وخطر على مصير الوطن والثورة حملني على الموافقة الحذرة، امتطيت سيارة من نوع 403 سوداء اللون يرافقتني أحد أعوانتي، وتوجهت إلى اللقاء الذي حدد مواعده في الساعة العاشرة صباحا بمقر بلدية البلدة بعد أن كلفت أحد جنودي في زي مدني بمراقبة تحركات قيادة الزحف على العاصمة وجميع المستجندات بالمدينة، وأن يكون كذلك نقطة استشعار يتصل بقيادة ولايتنا في صورة ما إذا تم حجزي أو الفدر بي... تمعدت الوصول قبل موعد اللقاء وعلى مدارج البلدية بدا بن شريف منتصبا يترقني واصطحبني بدوره إلى داخل مقر البلدية فدخلت قاعة الاجتماعات الفسيحة، تقدم مني شاب قصير القامة يتقد حيوية وما إن صافحتني حتى عرفت أنه العقيد شعباني الذي تعودت أن أراه في الصور التي تنشر في الصحف وغيرها.. ثم تلاه سليمان سليمان وتولى أحمد بن شريف التعريف بالجماعة واحدا تلو الآخر وقدمني بدوره إليهم معربا عن اسمي ومسؤوليتي الثورية.. وجلس رجل إلى منضدة كان يبدو نحيف الجسم تلمع عيناه من وراء وجه شاحب، وفم عريض يغطيه شارب كبير، حركات يديه سريعة وبين أصابعه الرقيقة أدار فنجان قهوة وسبجارة غطى دخانها أعلى محياه... شدني إليه صعته الرهيب وشكله وحركاته المتميزة لكن سرعان ما نسيت في غمرة الضجيج الذي كان صدها يغزونا من الخارج إنها أصوات أذية الجنود وتساؤلات المواطنين الحائرة بشأن ما يجري في غيابهم... كان أول المتحدثين في ذلك الاجتماع أحمد بن شريف الذي أدار عيناه في كل مكان قائلا: « اخترناك لتفاوض معك دون سواك ونظرا لأهمية وجودك معنا وأغتنم فرصة هذا الحضور لأكرر على مسامعهم أنك أفضل شخص في مجلس ولايتكم لما أنت عليه من إخلاص وجد وعمل.. على العكس من باقي زملائك فهم غير واقعيين... استدعيناك إلى هذا الاجتماع لتأخذ موافقتك بدخولنا العاصمة شريطة ألا يعترض طريقنا أحد... »

ساد المكان سكوت طويل ولم أهله الاستزادة، قلت مخاضا الجميع: «كيف تريدون دخول العاصمة وأنتم فيها؟ وقد ظننتك هتفت من العاصمة ياسي بن شريف.. وأسألکم بحق السماء من يا ترى منعکم من دخولها؟ ثم لمصلحة من تعمل أنت؟ بصوت قلبي رد: «أنا أحدثك باسم الجماعة...»، قلت: «أية جماعة تقصد؟». قال: «أعضاء المكتب السياسي الذين فوضوني لأنوب عنهم وعن القائد العام للجيش الوطني الشعبي العقيد هواري بومدين الذي أمر بدخول العاصمة».

عندها رفعت يدي وأشرت عليه بالكف عن الحديث بصوت صارخ وقلت: «أما المكتب السياسي الذي فوضك.. أرجو أن توضح لي بصدق أي المكتبين تقصد، هل مكتب تلمسان أم مكتب تيزي وزو وأضفت مع العلم أنني مناضل محيد لا تريطني أية علاقة بأحدهما البتة؟ وأن العاصمة لجميع الجزائريين لكن دخولها لا يتم عبر دروب الغدر والخيانة وشهر السلاح في وجه الأشقاء والرفقاء.. أما بخصوص أوامر القائد العام للجيش التي تنص على دخول العاصمة فوراً وأفياك بما خفي عليك ان قاندي لم يحصل له الشرف يوماً أن ينام مرتدياً ببيجامته مرتاح البال ولم يذوق يوماً طعم فطور الصباح (من الخليب والقهوة) والكرواسون) ان قاندي لم يكن يصادف من الطعام الا بعض كسرة يابسة ويظل على الطوى أياماً وليال وينام معنا كل أيام الثورة في العراء.. أما عن المسمى بومدين أو قائد العام يؤسفني أن أخبرك بأنني لا أعترف به قائداً سيما في فوضى الإزدواجية وأن قاندي الحقيقي هو رئيس مجلس ولايتنا الذي تركته يرقب عودتي... وأعلمك آخر مرة أن دخول العاصمة مباح لكل جزائري ولا حق لأحد أن يمنع آخر من دخول عاصمة بلاده.. لكن دخولها بهذا الأسلوب الاستفزازي المهين مرفوض إطلاقاً».

سكت الجميع وكأن على رأسهم الطير ويوغتوا بأسلوبي ولفرط ما سمعوا عن ولايتنا من معلومات مشوهة ومغرضة... في تلك الأثناء صدرت مهمة من الرجل النحيف الذي التزم الصمت ولم أكن أعرف لحد تلك الساعة أنه العقيد هواري بومدين إثر ذلك تدخل العقيد شعباني في هدوء تام وتوجه إلى قائلاً: «هنالك من الجنود من يرغب في الاجتماع بأهله فهل تمنعهم من ذلك.. ثم إلى متى سنبقى هنا على مداخل العاصمة دون أن ندخلها نجلدنا الشمس

وتعوزنا المؤونة والأغذية.. الخ» قلت فوراً: «إذا كان الأمر لا يتعدى احتياجاتكم فسوف نوفرها لكم في حدود إمكانياتنا بعد أن أستشير مسؤولي الذين هم أعلى رتبة مني.. أما عن دخولكم العاصمة غزواً فذلك محذور للأسباب التي ذكرت سابقاً... وأعدكم بقاء قريب أو أفيكم فيه بما تقرر في مجلس الولاية».

اعتقدت صادقاً أنني قد بلغت.. وأن التفاهم سيسود بيننا وسندخل جميعاً العاصمة منتصرين مكللين فوهات بناقدنا ومدافعنا بالزهور والرياحين التي حميناها من أقدام الهمجية الفرنسية...

انتهى اللقاء وعدت إلى مركز قيادتي... أركبت معي في سيارتي الجندي المكلف بحراسة المدينة وحمدنا الله على نجاح مهمتنا... التقيت في طريقي بقيادة الولاية وقائد المنطقة الذي كلف بمهمة انتظاري حتى انتهاء المهمة، وكانت بوادر اللهفة بادية عليه وشغف استقصاء الرأي يهيم على قلبه... وبمجرد أن لقيته حتى اطمان وكلفته فوراً بتوفير المأوى الضرورية.. وإرسالها إلى إخواننا المرابطين على أبواب عين وسارة وأن يرسل زجاجات المشروبات الغازية وخزانات المياه.. وأن ترافق قافلة المؤونة تشكيلة من جنودنا مجردة من السلاح تتوقف مهمتها على توزيع المأوى على القوات المرابطة وأن تتصرف بكرم وضيافة الجزائري المعهودة، وكانت دهشتي عظيمة حين رأيت تسابق جنودنا لأداء المهمة طمعا في لقاء أخ أو صديق أو قريب ضمن القوات المرابطة، وشارك في هذا المسعى الحميد مواطنونا بسياراتهم الخاصة وإمكانياتهم المتواضعة إلى جانب جنودنا بشاحناتهم حتى اطمان قلبي وواصلت مسيري إلى مقر القيادة المؤقتة بحي تيليطي حيث يوجد العقيد (سي حسان) ورفاقه، وفور وصولي أخبرتهم بكل ما دار من حديث في ذلك اللقاء، ولم أكد أتم حديثي حتى بدأت الإذاعة تبث أنباء خطيرة تؤكد أن عملية غزو العاصمة من قبل قوات بومدين قد استؤنفت وانتقل جنوده من مشارف عين وسارة إلى قصر البخاري بقوة السلاح وتناقلت إلينا الأنباء بأن قادة الزحف سيوضحون في إعلان نهائي بعد يوم من وصولهم إلى قصر البخاري جميع تفاصيل عمليات سيرتهم وأن يكون موعد لقائهم مدينة المدينة، أو شكت على الانهيار وأنا أفاجأ بهذه الأخبار في مقر القيادة، نظر إلي الرفاق نظرة شك، سنة لما بين ما تناقلته الأنباء وبين

ما صرحت به إليهم من تناقض، وكادوا يشككون في نيتي لولا أن صدمهم
حياؤهم وتسارع الأحداث.

2 - من هو العقيد المتأمر؟

ألقى بعض مجاهدينا القبض على العقيد أحمد بن شريف ومصطفى فتال في
نهاية شهر جويلية سنة 1962 وذلك بعد مراقبة مشددة عليهما إذ تأكدوا بأن
الرجلين إثر خروجهما من سجن العدو راحا بتأمران مع جماعة العاصمة بقيادة
ياسف سعدي بالتنسيق مع جماعة بومدين لتسهيل دخول قوات الحدود إلى
العاصمة.

وبعد أن ثبت تأمر بن شريف ورفيقه.. صدرت الأوامر بالقبض عليهما
وحملهما إلى منطقة «بوقارة» حيث قيذا وتركا محروسين في مزرعة مهجورة
وبينما كنت عائدا من مهمة رأيت المشهد وقد بدا التعب والإهانة على بن
شريف... لم أحتمل رؤية ضابطين من جيش التحرير على تلك الحالة فأمرت
فوراً قائد المنطقة الأولى (يوسف ومعاوية بن اسماعيل عبد النور وعكوش
الطبيب) أن يفكوا رباط الأسيرين وأن يأمرؤا تشكيلة من الجيش تؤدي التحية
للعقيد بن شريف، وانتحيت جانبا بقائد المنطقة لأعاتيه وأحذره مما قد يصيب
معنويات الجنود وهم يرون قادتهم في الأسر، وأعدت على مسمعه ما قد يكون
قد خفي على ذهنه من أنه إذا تأكد من وجود خطر يهدد أمن الوطن يجب عليه
كجندي أن يقبض على المشبه فيه ويقدمه فوراً إلى القيادة لتنظر في أمره دون
تقييده وإهانته، كرر (سي يوسف) ما قد ثبت من إدانة بن شريف، وكأنه يريد
أن يذكرني بجرم الرجل، لم أتمالك نفسي وكررت أوامري، فامتثل فوراً وقال:
«سعما وطاعة»، وهو يهم بالذهاب... ثم تراجع قليلا وهو كسير البال ليقول:
«هذا الرجل سوف لن يترك أول فرصة تمر حتى يذبحك أنت الأول»، ثم غادر
المكان ليطبق أوامري إليه.. فجمع تشكيلة من جيش التحرير ليلقي فيها
بن شريف كلمة ثورية تشريفا له ورفعاً لمعنوياته ومعنويات الجنود... لم يبسم
بن شريف وهو يتحدث للجنود كعادة القادة، ولكنه راح رافعا يديه إلى السماء
وأجهش بالبكاء وقال: «أرايتم هاتين اليدين اللتين ظلتا عشر ساعات مقيدتين
بالحبال رفعتهما في مؤتمر طرابلس لأعلن بهما بطولاتكم وتضحياتكم في هذه
الولاية الشهيدة..».

وانتهت خطبة بن شريف عند هذا الحد... وكان يهدف بهذه المداخلة إلى التوية على ما ثبت ضده من تأمر على الولاية الرابعة.

على إثر هذا الحادث ناديت أحمد بن شريف وطلبت إليه أن يغادر الولاية قورا مرفوع الرأس حفاظا على كرامة الثورة والثوار، وهكذا انسحب لينضم إلى جماعة هواري بومدين ويصبح أحد أكبر ركائز نظام الانقلابيين الذين وجهوا مستقبل الجزائر توجيهها انحرافيا خطيرا.

3 - الصراع على السلطة.

في حياة كل إنسان أفراح وأتراح، وأحداث من الغبطة والألم بحيث تغدوا رواسب ثابتة في فضاء الذاكرة تمارس فعاليتها القصوى على ذات الكائن وتوجه حياته توجيهها قسريا.. وفي حياتي الشخصية محطات يصعب عليّ نسيانها أو تجاهلها، منه:

- (1) يوم التحقت بجيش التحرير الوطني.
- (2) ويوم رزئت بمقتل الشهيد القائد سي امحمد بوقرة.
- (3) ويوم تلميت نبأ وقف إطلاق النار بيننا وبين العدو الفرنسي.
- (4) وحادثة الاقتتال بين ولايات الثورة (صانغة 1962).

وما أنني بصدد الحديث عن معضلة أزمة الولايات أذكر بما كانت عليه العاصمة محور الصراع من إرهاب وتدمير ويؤس اجتماعي...

كانت آثار الجيش الفرنسي بادية على وجهها العصيب ودمار المنظمة السرية (O.A.S) شاهد على نازيتها إن في النفوس أو في البنائات والمنشآت المختلفة... لقد ألحقناها بالولاية الرابعة بعد استرداد السيادة... وخلصناها من الأيادي العابثة التي أرادت لها أن تكون وكرا للأسلحة ومخابئ الجنود لإغراقها في حمامات دماء جديدة بعد التي عرفتها طيلة سبع سنوات ونصف من حرب مدمرة. كان صراع الفرقاء يستهدف السيطرة على العاصمة لكونها المركز الاستراتيجي الذي يحتضن الموانئ والمطار والخزينة العامة والبنوك ومقر الإذاعة والتلفزة وكل المنشآت الحيوية والسياسة والثقافية... كان منطق الفرقاء على اختلافهم واحد وهو أن إخضاع العاصمة يحقق استلام السلطة وتوجيه الرأي

العام وإخضاع الجميع، وفي غمرة الفوضى السائدة وقتها وتدافع الوصليين المدوسين والمتكالبين على السلطة والمنافع الشخصية... أمرنا وحداتنا بالتمركز في النقاط الحساسة وتم اختيارنا لأحسن العناصر وأكثرها انضباطاً وتنظيماً الأمر الذي أشاع الثقة بين المدنيين وتأكدوا من استقلال عاصمتهم وهم يشاهدون حماة ثورتهم من المجاهدين في زيهم الذي اشتاقوا لرؤيته سنينا يحرسون المراكز ويسهرون على أمن وسلامة حياتهم...

كان متفق أن يتم لقاء بين تشكيلات عسكرية من مختلف الولايات في مدينة سيدي فرج ليلة 05 جويلية 1962 ويرفع العلم الوطني في المكان الذي غزت منه القوات الفرنسية الجزائر (يوم 05 جويلية 1830)... وأن يتم دخول العاصمة في صبيحة اليوم الموالي... لكن محتوى اتفاقيات إيفيان فاجأنا بما تضمنه من قرار احتفاظ الفرنسيين ببعض المواقع الحساسة في البرلمان والعدالة والمراكز والشكبات واستمرار الأوروبيين في بلادنا 15 سنة أخرى. لم نوافق على هذه الاتفاقية وعمدنا إلى تمحيص نصها وعرضه على الخبراء والمستشارين حتى تأكدت قناعتنا بمتضمناته... رفضناها ومزقنا النص مستنكرين بعض بنوده التي اعتبرناها مخلة بالتصور العام لاسترجاع السيادة الوطنية... وعمدنا إلى إرسال قسم ممزق منها إلى عبد الرحمن فارس الموجود في (روشي نوار) وكتبنا على ظهر ظرف الرسالة «عبد الرحمن يساوي «باوداي» مقسم الفيتنام... أما القسم الثاني الممزق من نص الاتفاقية فبعثنا به إلى الجنرال ديغول واحتفظنا بالجزء الأخير من النص كحجة دامغة على رفضنا لأسلوب فرنسا وجماعة «روشي نوار» وكل من يدور في فلكهم...

لم يعجب هذا الموقف جماعة «روشي نوار» المدعومة من قبل القوات الفرنسية وجماعة تلمسان في غرب البلاد، وجاءت ردود أفعالهم معادية لمواقفنا.

وفي ليلة 05 جويلية 1962 أمرت شخصياً جنودنا المتركزين حول المناطق الحساسة في العاصمة بإطلاق الرصاص بكثافة في الفضاء وإعلان مبدأ استرداد السيادة الوطنية التي حرمانا منها طيلة قرن وربع القرن، ودفعنا ضربتها عدة ملايين من شهداء الواجب والحرية... فشاع جو من البشر في كل أنحاء

العاصمة وخرجت الجماهير عن بكرة أبيها وتعانقت صيحات البنادق بأصوات الزغاريد وأبواق السيارات وهتافات الله أكبر ونحيا الجزائر، الأمر الذي أربع المعمرين رعبا، وغادروا منازلهم حاملين حقائبهم وأمتعتهم وما ملكت أيانهم متوجهين إلى المطار والموانئ محميين قوات الجيش الفرنسي، وكانت فرحتي لا توصف وشعوري بلذة النصر لا تحصى وأنا أشاهد ثنات المعمرين بعائلاتهم يتدافعون على ممرات البواخر باحثين عن مقاعد للهروب من فرحة نصر الجزائر وعرس السيادة عائدين إلى فرنسا يحملون تاريخ خزيهم وعارهم في الجزائر وجرمهم الذي ملأ الدنيا وشغل الناس.

من جهة أخرى تحدث جماعة (روشي نوار) مشاعر الجماهير ونفذت مخططها... وأبقت على وضع الاحرب والالاسم.

لم نشأ أن نفوت فرصة تصحيح مسار التاريخ.. وتشبنا بمبدأ إعلان استرجاع السيادة من المكان الذي اغتصبت فيه.. بحيث توجهنا إلى مدينة سيدي فرج الواقعة في غرب العاصمة وعلى ساحلها الشهير رقعا العلم الوطني في فجر يوم 05 جويلية 1962 وعلى مرأى وسماع من قوات المظليين الفرنسيين اخترنا أكبر المجاهدين سنا وهو العقيد محمد ولحاج ليلقى كلمة فائحة الاستقلال وقد كانت عفوية ومؤثرة حي فيها وفاء شهداء الاستقلال وإخلاص الشعب وشكر الله على ما من به على الشعب الجزائري من نعمة الحرية...

حافظ جنودنا في تلك الفترة على أمن العاصمة... وسلامتها رغم ماكان يدبر وينفذ من عمليات عدوانية تستهدفهم وتهدف سلامة البلاد.. وكان رواء معظم تلك العمليات القادرة والفتن... داخل العاصمة باسف سعدي وشلته... وقد استهدفوا طرد قوات الولاية الرابعة والاستئثار بالعاصمة بالتسبب مع جماعة هوارى بومدين...

واصل بومدين وقواته زحفهم على مناطق الولاية الرابعة وبعد قصر البخاري، احتلوا مدينة المدية، ولم يترددوا في أسر الجنود الذين كلفتهم بتزويد قواتهم بالملأ والأغذية وسجنوهم واستولوا على سياراتهم واستمر غزوهم في اتجاه العاصمة.. وحققنا لدماء الأشقاء. سحبا قواتنا المتمركزة ببعض النقاط الهامة بالعاصمة إلى الولاية الرابعة ولم يحترم المهاجمون الود الذي ضرته معهم..

وهكذا دخلوا العاصمة بجيوشهم ومعداتهم وتحولت إلى مدينة مفتوحة على الفوضى تدكها أقدام الجيوش ويملؤها ضجيج المحركات، وتتعالى فيها حرب البيانات والتصريحات والتهديدات والتهديدات المضادة.

وفي غمرة تلك الأحداث وتشابكها أقبل علينا القائد الكبير محمد بوضياف من مدينة مسيلة إلى البرواقية صحبة العقيد صادق دهليس وكانت موافقتنا في تلك الأيام التزام الحياء الإيجابي، لم نمانع في لقائه نظرا لما له من سمعة ثورية عالية، اجتمع إليه أعضاء مجلس الولاية: العقيد سي حسان، والدكتور هرموش وبوسماحة، وبعد مداوات طويلة اقترح بوضياف على القادة تشكيل جبهة موحدة من جماعة تيزي وزو ضد جبهة تلمسان بقيادة بن بلة وهوارى يومدين... مبديا نعتته الشخصية على أحمد بن بلة ولا أظن ذلك إلا لأسباب قديمة تتعلق بالتنافس على الزعامة بين الرجلين، لكن القادة رفضوا اقتراحه رفضا مطلقا وترجوه أن يلتزم الحياء ويخفف من التوتر الذي صبغ المرحلة حفاظا على سمعته الثورية والنضالية وحقنا للدماء... اغتاض لموقفهم واعتبره سلبيا واقترح على القيادة أن يلتقي ببوسماحة على انفراد لأمر في نفس يعقوب.

أعاد بوضياف الكرة مع بوسماحة طمعا في إقناعه وكسبه إلى جانب موقفه مستغلا صفر سنه ونشاطه.. لكنه صدم لما رآه من إصرار على الالتزام برأي القيادة... وبذلك خسرنا ثقتنا فيه وسقطت الهالة القدسية التي كنا نوشي بها شخصه وبدا لنا ساذجا وهابط المستوى وهل من سذاجة تفوق محاولة الانفراد ببوسماحة وهو عنصر من قيادة موحدة لم تضعف ولم تساوم على مواقعها مع الجميع...؟ إثر ذلك عقد بوسماحة ندوة صحفية قال فيها: «إن آماننا معقودة على الزعماء الخمسة في تجاوز الأزمة ووضع تصور لمستقبل قيادة البلاد وذكر بشخص بن بلة لما له من سمعة وشعبية واسعة في أوساط الجماهير ولما يمكنه له العالم وقتها من احترام وتقدير...»، دون أن يذكر اسم بوضياف الأمر الذي جعله يحمل حقدا وكراهية لبوسماحة...

غادر بوضياف مقر ولايتنا متوجها إلى مقر الولاية الثالثة حيث انضم إلى جبهة تيزي وزو المتصارعة على السلطة ضد جبهة تلمسان.

في تلك الأثناء حملني قائد ولايتنا مهمة تقديم رسالة إلى قيادة الولاية الثالثة، فالتقيت في قرية (ياكوران) بالقائد (محمد ولحاج) وشرحت له بدقة

تطور الأحداث وتلاحقها في المنطقة منذ بداية الصراع على السلطة إلى يوم مجيء بوضياف... وناشدته أن تلتزم ولايته الحياد وأن لا تدفع في مغامرة الحرب الأهلية التي تنسج خيوطها عناصر الردة والثورة المضادة بمباركة العدو الموجود بين ظهرانيها... وقد أكرمني محمد ولحاج وقتها بحيث أشركني في اجتماعاته الخاصة... الأمر الذي حملني بعد عودتي إلى مجلس ولايتي أن أنوه بشخصه ويكرمه ولايته وتفهمه لموقفنا الحيادي... لكن لم يدم هذا الحلم طويلا، إذ سرعان ما جاءت النتائج مكذبة لمقدماتها تماما كما حصل مع جماعة بومدين في لقاء عين وسارة.

نقض قادة الولاية الثالثة العهد وطالب قائدها محمد ولحاج بعقد مهرجان جماهري كبير تحدث فيه كل من (كريم بلقاسم، وبوضياف، ومحمد ولحاج) وتقرر في ذلك المهرجان رسميا تشكيل جبهة مضادة بجميع الوسائل لجبهة تلمسان. وهكذا بقيت ولايتنا بين فكي الحرب الأهلية تدعو للحياد والحوار والسلام، وسرعان ما برز قائد آخر يدعو لنفسه، إنه رئيس الحكومة المؤقتة بن يوسف بن خدة الذي اتصل عبر جماعة «روشي نوار» ورغب في لقاء قادة ولايتنا، رفضنا طلبه حتى لا نتهم بالانحياز لطرف دون آخر.. واستقبله في المطار ممثلنا في المنطقة (يوسف فرحاني) ... بعث إلينا بن خدة مرة أخرى رسالة يطلب تمكينه من فرصة عقد مهرجان شعبي موسع يشرح فيه موقفه وخطوة حكومته في مفاوضات «إيفيان» مع العدو الفرنسي، وكان يدرك حاجة الجماهير العريضة إلى شرح وتوضيح في ظل الغموض المنسحب على البلاد ومستقبلها بصفته رئيس الحكومة المؤقتة منذ سنوات وحامل الشرعية لحد تلك الساعة ... ومرة أخرى رفضنا طلبه وذكرناه بالرسائل العديدة التي وجهناها له ولحكومته نبصره بما يمكن أن يترتب عن المناورات والدسائس التي كانت مستشرية في دوائر حكومته... ولم يياس بن خدة ولم يفقد الأمل في عقد مهرجانه، وجاء إلى مدينة البلدية والتقيناه في اجتماع استمر عدة ساعات عاد على إثره إلى العاصمة دون أن يستجيب أحد لاقتراحه، وفي العاصمة وجد من يحسن استغلال الفرص وركوب المناسبات، إنه الرائد عز الدين الذي عينه بن خدة من قبل قائدا على منطقة العاصمة.

إن التاريخ سيسجل لبن يوسف بن خدة أنه لم يشارك في إشعال نار الفتنة والتكالب على السلطة كغيره وكان بإمكانه أن يفعل وهو رئيس الجمهورية الجزائرية المؤقتة وشريك مع غيره في السلطة... ربما لأن قاعدته الجبهوية لم تستجيب كما استجابت جهات أخرى لشخصياتها البارزة في السلطة... 11

كما أن التاريخ لن ينسى لبن خدة أنه تصرف بميوعة لا تليق برجل دولة في الوقت المناسب، لم يعمد بن خدة لسا كان على هرم السلطة في أوج إمساكه بالحكم إلى إصدار قرار يعزل فيه جميع الأطراف المتصارعة ولا سيما أعضاء القيادة العامة ، وعندما فقد مواقعه في السلطة جاءت أوامره متأخرة عن أوانها ومائعة حتى سخر منه هؤلاء، واعتبروا قراراته لاغية بل وأولوها إلى جملة من الأسباب أهمها:

1 - اعتقدوا خطأ أن قرار بن خدة بعزلهم... كان من وحي قادة الداخل سعي إلى طردهم من قيادة الجيش.

2 - صدور قرار عزل أعضاء القيادة العامة جاء بعد أن كبر نفوذ هذه الجماعة داخل الجيش وخارجه حتى غدا قرار العزل كارثة على بن خدة نفسه. فاعتبر هؤلاء وجوده على رأس الحكومة... غير شرعي.

3 - استغلال بن بلة وبومدين ضعف السلطة لإعلان تمردهما وتنصيب نفسيهما مسؤولين عن الدولة والجيش.

لم يستوعب بن خدة في رأينا معطيات المرحلة ولم يحسب بدقة عناصر الصراع والتحالفات، ولم يستغل عامل الوقت في زمن الحكم لكي يرسم مصير المستقبل.. لا أعتقد أنه استفاد من دروس الثورة العديدة في مجال المناورة والتصفيات... رغم كونه شاهدا على حوادث دامية ذهب ضحيتها رجال أفاض بحق ويدون حق... من أمثال عباس لغرور، وطالب العربي، ولعموري، وعبد الواحد، وعبد الهي، ومصطفى لكحل وعبان رمضان... الخ. لم يعمد بن خدة إلى كسر شوكة بعض ضباط القيادة العامة للجيش قبل أن يتمردوا على الشرعية بعيدا عن أرض المعركة ويتمادوا في رفضهم، بما في ذلك رفضهم قرارات اتفاق «إيفيان» متهمين أعضاء الحكومة الموقعين على تلك القرارات بالسليبيين

والمخادلين وحسر الوطنيين، لم أنه نوسل إلى ربط العلاقة بين الزعماء الخمس وبين أعنساء الحكومة الموقنة لدخلوا العاصمة واستمر حكم الشرعية دون إراقة الدماء، وودنا أي استعراض عضلات القوة والاستبداد بالسلطة.

إن ثورة التحرير هي التي جعلت من هؤلاء زعماء مشهورين وقادة مرموقين، فما كان لفرحات عباس (الذي ظل طفلة حياته باحثا عن شخصية الجزائر بين القبور وفي دروب التاريخ، ولم يجدها)، أن يصيح زعيما لثورة عالمية، ولا لبن خدة ولا لكريم بلقاسم ولا لبن بلة ولا لبومدين...

لم يكن بوسع هؤلاء وغيرهم أن يصيروا ذوو شأن في العالم لولا تضحية الجماهير واستمرار الثورة على الحق والنضال، لكن من بين هؤلاء الذين رفعتهم الثورة رجال تأمروا على الثورة وفتحوا أبوابها للانتهازيين والمحاقدين عليها، وأزروهم ليصيروا قادة ومسيرين ويحاربون بدورهم قيم الثورة والشوار ويتحالفون مع العدو الفرنسي الذي رباهم على نهجه في عداة الجزائر وأرضعهم مبادئه الاستعمارية.. إن أبناء المدرسة الاستعمارية لهم أشد مكرا ونقمة من أساتذتهم..

إن أخطر مرحلة عاشتها بلادنا في رأيي لهي مرحلة الاستقلال وما تبعتها من مؤامرات على الثورة بجميع قيمها، لقد حولت أزمة ما بين الولايات المجاهد الذي كان يحمل هالة قدسية والشهيد الذي شارك الأنبياء في المقام... حولت هؤلاء إلى قطعان تموت بقاء الصراع والفتنة الداخلية التي رسم ملامحها العدو ونفذتها أدواته في الداخل... لقد اكتسحت جماعات تلمسان بقواتها منطقة غرب الولاية الرابعة... ورغم النداءات المتكررة والتوسلات العديدة وبكاء الأطفال ووعويل النسوة وأثر الخراب، واصلت هذه الفتنة مسيرتها الفاصلة للاستيلاء على السلطة وقهر الغير مستغلة أبواق الدعاية الفرنسية الجاهزة وبما خبروه في البلدان التي قبعوا فيها إبان الحرب التحريرية، ولا زلت أذكر تصريحاً أدلى به السيد خيضر أثناء تلك المحنة قال فيه: « بمجرد دخولنا العاصمة سنقبض على المتحردين من جماعة الولاية الرابعة ونشققهم علنا ونعلق جثثهم على أبواب العاصمة جزاء ما ارتكبه من خيانة وقرود... »

أطلق العنان للدعاية كي تلحق جميع النعوت بأعضاء ولايتنا، كنا في أبوابهم تارة خونة ومتحردين، وتارة أخرى عصاة... الخ.. في الوقت الذي

كانت دفاعات ضباط الجيش الفرنسي المدسوسين في جيش التحرير يعدون العدة ويرتبون خططهم لاغتيال الشرعية الثورية والاستيلاء على قيادة الجيش وتولي المسؤوليات الكبيرة...

امتدت معارك الاستقلال بعد وقف إطلاق النار بيننا وبين العدو المركزي في كل من البرواقية جنوبا وفي حجوط وأماكن أخرى عديدة... وسقط عدد كبير من الشهداء وعدد آخر من العملاء أمثال: الرائد بن شريف مسؤول القطاع العسكري في منطقة البليدة والتقيب مصطفى، والتقيب تومي وبوشنافة وغيرهم كثير ممن التحقوا بقطار الثورة في محطته الأخيرة...

حارب هؤلاء جنود جيش التحرير وقتلهم باسم السلطة والمنصب وإبقاء الولاء لفرنسا.

وأعتبر أن الانحراف في ثورتنا بدأ يوم أن انفصلت الثورة في داخلها عن خارجها وانضم العملاء إلى جيش التحرير في الخارج بعد أن دربتهم مصالح فرنسا وهبأتهم عسكريا ونظاميا ليكونوا قواعد المستقبلية في الجزائر ويستمر الاستعمار من خلالهم في أبشع صورته إلى اليوم... لا يجب أن نباغت إذا قلنا أن مخطط الدس على الثورة بدأ منذ اندلاعها... ولم يبدأ فقط يوم انتهائها إلى النصر العسكري والسياسي، لقد جاء تمادي هؤلاء المدسوسين وتعنتهم في الظلم والحقد على الثورة والمجاهدين والوطن من خطأ استراتيجي ارتكبته القيادة بحيث عوض أن تحاكمهم على جرائمهم باسم الخيانة العظمى ضد الثورة والوطن... راحت تخلع عليهم الألقاب والنياشين وتقدم بسلطة لم يحلموا بها وهم في خدمة العدو... وأخضعت المجاهدين المخلصين لأوامر هؤلاء الخونة... وبذلك صارت الخيانة تحكم الوطنية، والعمل يسير الخلف والحركي يأمر المجاهد... وتكرس الأمر إلى حد الاستفحال التام والفساد العام.

إن العفو عن مركب الخيانة العظمى هو خيانة بحد ذاتها ولنسأل أنفسنا عن مصير ذلك العجوز الفرنسي الذي بلغ الثمانين سنة ونيفا عندما أوقعه حظه التعيس بين أيدي شرطة بلاده وهو ينزل من طائرة قادمة من لبنان هارب من حصار الموت الذي ضربته إسرائيل عام 1982 على بيروت ألقى القبض عليه واقتيد إلى المحكمة وفي اليوم الثاني ملأ حادثه افتتاحيات الصحف الفرنسية

تحكي قصته الغريبة بأنه منذ أكثر من أربعين سنة خلت قد أرشد قافلة من جيش هتلر إلى إحدى القرى الفرنسية دون سابق إصرار بحيث دلها على الطريق المؤدية بصدق إلى القرية التي موهت القوات الفرنسية لاحتفائها قصد مغالطة القوات المعادية، لم تنس فرنسا لهذا المواطن خطأ، الذي كان ربما عن غير قصد، ولم يرق أبدا إلى مستوى الخيانة، أما دعايتها التي فاقت كل الحدود في التشجيع بجرعة "كلوس باربي" النازي والظروف المهرجانية لمحاكمته وهو مجرد جندي بسيط لا غير تدل دلالة لا يداخلها الشك على حرص الفرنسيين على قدسية الوطن ومحاسبة كل من تحدته نفسه مسه بسوء... لقد امتلأت كتبهم لعنات صوبها على المارشال "بيتان" وعلى مغطبي "أرخائن الوطن الأم".

إن الفرنسيين لا يغفرون ذنبا ارتكبه أحد في حق وطنهم ولو بعد أكثر من نصف قرن يجدون في البحث عنه والاقتناص منه كيف ما كان الأمر.

4- من الدفاع عن الشرعية... إلى غزو جماعة تلمسان للعاصمة.

أشد الهجوم على الولاية الرابعة من جميع الجهات سعيًا إلى غزو العاصمة... كما ذكرنا سابقًا وتمت محاصرتها بقوات كبيرة العدد، أمام هذا الوضع أرغمتنا على الدفاع عن أنفسنا وعن الشرعية التي دست... ووضعنا خطة دفاعية وزعنا فيها الأدوار على قيادات الولاية كالتالي:

- رابع بن خروف يوسف بقواته في منطقة سيدي عيسى وتصدي للغزاة ومنعهم من التقدم...

- أما الرائد رمضان عمار فعكسر هو الآخر في ضواحي الأصنام وعمد إلى منعهم من الإستمرار في زحفهم نحو العاصمة...

- وتكلفت قراتي بصددهم في مناطق عين وسارة... وشاء القدر أن أعود إلى عين وسارة محاربًا "الآخوة الأعداء" بعد أن جنتها مفاوضًا، تركت الزميلين (حسان ويوساحة) في مقر القيادة لكي يتصلا بالولايتين الثانية والثالثة ويومدين شخصيا وجماعته علنا لتفادي الصدام الدموي بين الإشقاء، لكن كانت ردوده رافضة وتوزعوا الأدوار كالتالي:

- الولاية الثانية: انقسم أعضاؤها فانضم فريق منهم إلى جماعة تلمسان.. والتزم الفريق الثاني الحيداد، وبذلك خدموا جماعة بن بلة ويومدين.

الولاية الثالثة: أرسلت في بداية الأحداث بعض كتائبها إلى مدينتي سورالغزلان وسيدي عيسى لمقاومة الزاحفين.. لكن سرعان ما انسحبت هذه الكتائب عائدة إلى ولايتها أمام اشتداد هجوم قوات بومدين.. وقد خدم هذا الانسحاب تقدم القوات الزاحفة .. وهكذا وجدنا أنفسنا أقلية نقاتل هجوما كاسحا بمعدات وأسلحة جد متطورة... ولم يساندنا في صمودنا إلا جماعة من فدرالية فرنسا، كما أيدنا (آيت أحمد) وأدلى بتصريح يدعمنا فيه وهو الموقف الذي سيدفع بعد ذلك ثمنه غالبا... أما عن انسحاب قوات الولاية الثانية من ساحة المعركة لم أتأكد إلى اليوم ما إذا كان بإيعاز من كريم بلقاسم أو غيره... ؟ .

اندلعت المعارك بضراوة واحتدم الجمعان طيلة يوم وليلة وقاتل المجاهد المجاهد والأخ أخاه والإبن أباه ولم يتببه أحد لحجم الجريمة إلا بعد سقوط أعداد كبيرة من القتلى والجرحى.. كنت يومها في جبهة قصر البخاري وقد وصلت المدينة ليلا من العاصمة بعد أن حاصرتها القوات الزاحفة وتسلمت بقواتي التي كانت متمركزة في العاصمة إلى الخطط الخلفية لقواتهم لمنعهم من التزود بالإمدادات أو التراجع إلى الخلف وأشدت القتال ولم نفلح في معرفة أنواع الاسلحة المستعملة ولا أن نحصى عدد المقاتلين الذي كان من بينهم أطفال صفار غرروا بهم ورموهم في قلب المعركة.. وكان من بينهم من لا يعرف استعمال السلاح أو يحمي نفسه من قصف وكثافة الرصاص لأنهم لم ينصبوا كمانن للعدو ولم يشاركوا من قبل في معركة ضده بحيث كانوا يطلقون الرصاص بكثافة وعشوائية مما زاد في عدد القتلى والجرحى . تحولت المنطقة إلى جحيم وأصبح قصر البخاري " برلين ثانية " ولم نعد نشاهد إلا الموتى والدمار.. في غمرة هذا الوطيس حومت طائرة عمودية في ساحة المعركة ثم حطت على مقربة منا نزل منها العقيد حسان ويوساحة ومعهم رجل طويل القامة قال بعضهم إنه بن بلة لم تتوقف محركات الطائرة الرنيزة بالقرب من ساحة المعركة في موقورنو هذه المنطقة التي دارت فيها معارك طاحنة طيلة سنوات حرب التحرير... حمل هؤلاء الثلاثة أمرا بإيقاف القتال من الجهتين وكان أول من تلقى النبأ اللقيب المدعو (موسطاش) (ذا الشارين) وبلغه إلي بدهشة.. فلم ألحظ فيه مزيدا على ما كنا اتفقنا عليه سابقا في لقاء البليدة مع بومدين وشعباني وأحمد بن شريف وغيرهم.. وقد احتوى نص الاتفاق على أن يظل الوضع السياسي والعسكري

على ما هو عليه وأن يجتمع أعضاء المكتب السياسي لتحضير الانتخابات على أن يتم تشكيل مجلس وطني وحكومة وطنية تمثل فيهما جميع الأطراف بكامل الحقوق، كدت أنفجر من شدة الفيض وأحاجج بن بلة في الأمر لولا أن وقف إطلاق النار كان أهم من الحاجة.. لم يتبين الاتفاق الجديد في شيء عن اتفافي مع قيادة الفوز بقيادة يومدين وجماعته من قبل... أذكر أنني أصدرت أوامري فوراً لوقف إطلاق النار لكن بعض الجهات لم يصلها الخبر إلا بعد أن انتقلت إليها الطائرة المروحية بمن فيها.

صمت الرصاص صمتاً حزينا وخرجت الجماهير عن بكرة أبيها ساخطة باكية رافضة قتال الأشقاء مرددة الكلمة التي غدت إلى اليوم مثلاً يضرب وحكمة قاسية تدب التفرقة والعنف (سبع سنين بركات).

هل كان سبب وقت القتال هو صمودنا في وجوههم أم جهم للشورة وعطفهم على جماهيرها وتفاديا لمزيد من زهق الأرواح البريثة.. لا أعتقد شيئا من ذلك أبداً ولكن تلك كانت بداية تنفيذ مشروع حبك أطرافه يومدين ونفذه بمشاركة بن

بلة، لقد اتصف يومدين بدهاء شديد وخبرة في المناورة وتعلمها في مواقع تواجد خارج الحدود بالغرب والشرق، استغل شخصية بن بلة ليلهب بها عواصف الجماهير ويمر من خلاله خطته في الوصول إلى الحكم والانفراد به.. لم يكن في نيته الحفاظ على الثورة وحماية الوطن وتوحيد أبنائه بقدر ما كان يهمه أن يحكم.

كان بإمكاننا أن لا نحارب أحداً ولا ندافع عن الشرعية ونشترك في قسام الغنيمة دون جهل كما كان بإمكاننا أن نحتفظ بالعاصمة «وما أدراك ما العاصمة» وقتها نساوم معهم عليها لا بتزاز المزيد من المنافع... لكن ذلك ليس من طباعنا ولا من مبادئنا... أعترف أننا نجعل الحسابات الضيقة ونمقت الدهاء ونرفض المناورة ونحب الصدق الثوري ونعشق الحرية في الوطن العزيز... وهذه القيم لا تجدي أمام دهاقنة المناورة شيئاً!!

إن أشد ما ألتني أن المناورة المشتركة بين بن بلة ويومدين لم تنته عند هذا الحل الذي سالت فيه دماء الإخوة الأشقاء وسقط الحب الذي ظل سمة تربط المجاهد بأخيه في كامل البلاد... بل تواصلت وتطورت إلى حد اتهامنا بالتمرد وإشاعة الشغب والفضوى واستعمال السلاح ضد الشرعية وسودوا صفحة دفاعنا

عن أصالة الثورة وقدسيته وزعموا أننا طامعون في السلطة والمؤسف أن الذين روجوا هذا الادعاء وغذوه هم ضباط فرنسا المندسين في جيش التحرير باذن بومدين الذي استغلهم أبشع استغلال لخدمة أغراضه في الاستيلاء على السلطة كان بالإمكان أن يهون الأمر لو أن بومدين حاربنا بجنود الثورة المخلصين... لكنه أطلق علينا جنود وضباط فرنسا الذين مازالت على صدورهم نياشين الجيش الفرنسي وعلى أكتافهم ميدالياته وعلى أيديهم دماء الشعب الجزائري المجاهد أهرقوها وأزهقوا آلاف الأرواح البريئة.

استمر قادة المؤامرة في محاصرتهم لي شخصيا واتهامي يستفردون بي ويحملوني تبعة ما جرى دون سواي...

واليوم، كلما خولت إلى نفسي سألتها ماذا جنبنا من صراعنا الداخلي... ذلك الصراع الذي ذهب ضحيته مجاهدون وقادة كبار... وماكانوا ليحوتوا لولا المناورة الخبيسة التي لا أستبعد أن يكون للاستعمار وأذنا به يد فيها لضرب كبرياء الثورة وتشويه سمعتها وتفتيت وحدة شعبها وهو في عزة الفرح وفي نخوة النصر... لم يكن صمودنا في الولاية الرابعة لغير كرامة الإنسان وحماية قيمه وأحلامه في الحرية والسيادة... لم نكن نطمع، والله شهيد على ما أقول، في غير تحرير الوطن وتحقيق استقلاله ولم تحركنا مصالح أو مطامع أخرى... كما يجرى الترويج لها اليوم ومنذ تلك الأحداث، لقد تعلمنا من قادتنا الأوائل «ابن بولعيد، بن مهدي، وبوقرة، وعمبروش والحواس، ولطفي وزيفود وغيرهم..» إن حب الوطن من الإيمان وأن حمايته والدفاع عنه شرط من شروط المحضوة برضى الله تعالى... لا أنسى ما ردهه على أعلى أذنا قائدنا ومعلمنا سي أمحمد بوقرة بقوله «إياكم وتمزيق الوطن وإياكم وفرض ديكتاتورية على مواطنكم».

وحز في نفسي أنني منيت بهزيمتين إحداهما يوم أن حطت معلومات الاتفاق من عين وسارة إلى العاصمة ولم أكد أصل حتى نقض بومدين وجماعته الوعد وأصحبت في نظر رفاقي مشبوها والهزيمة الثانية يوم تمكن فيه بن بلة وبومدين من تحميلي مسؤولية الخلاف الدموي الخطير... كانت هذه الأحداث سببا في تفجيري تفجيرا عنيفا، وان جاء متأخرا كما قال أحد أصدقائي لكنه مع ذلك انفجار عنيف لمحنة عشتها في أحلك ظروف، وقد تعلمت من قبل من قادة حكماء كيف أحنى رأسي أمام العاصفة ريثما تمر لأستعيد المبادرة وأثقا بنفسي

مؤمننا بالله... وهكذا قررت أن أواجه السلطة والقيادة مهما كلفني الأمر أمام السلطة وطرد أعضاء الحكومة المؤقتة الذين رفعوا شعار التهديد لكل معارض لسلطنتهم... ولم يجدوا معارضة حقيقية إلا من قبل قلة قليلة من المجاهدين المخلصين لم يتورطوا في استلام القروض واستلام المحلات التجارية... ومداهمتهم للتسرب إلى السلطة... كما فعل الكثير... وأحمد الله أنني بقيت على العهد مؤمنا بما يليه عليّ ضميري وأن رأى بعضهم اعوجاجا فيما رأيت... لكنني أخلصت لقلبي ووطني متحديا الاغراء والتهديد وسياسة (سر معنا أو فلتصمت) واستمرت الأعوام وتعاقت علي بين الجبال والسجون... ولم أفق من غفوة العمر إلا وقد غزا الشيب مفرقي دون أن أندم على شباب راح وعهد ولى يشفع لي أنني آمنت بمبدأ فضل عليّ من الدنيا وما فيها.

لقد بدأ العهد مع الثورة يوم أن دخلت الجيش الفرنسي لأتدرب على السلاح وتقنياته قبل 1954 وسرت من احراج قريتي الفقيرة المدممة بمواطنيها البسطاء وأزقتها المظلمة إلى ثكنة الجيش الاستعماري في فرنسا... وعانيت بعد ذلك الأمرين للوصول إلى جيش التحرير في الجبال وبين الأودية... و بقيت على العهد طيلة أعوام الجهاد أتعلم من المقاتلين في أصولهم الفلاحية البسيطة الحكمة والصبر وعلى قادتي الاخلاص والثبات على الحق إلى أن فرض عليّ التحدي ضد جماعة تلمسان تلك الفئة الباغية في رأبي... فانتسبت إلى جهة القوات الاشتراكية دفاعا عن الشرعية وقد تصدبت من قبل إلى رغبات المرحوم صالح عموم...

ورضيت بحكم أظفقته علي محكمة أمن الدولة بثلاثين عاما سجنا من أجل فكرة آمنت بها.

الفصل السادس

من جبهة القوات الإشتراكية F . F . S

إلى عدوان ملك الرباط على الجزائر

1 - من البرلمان إلى جبهة القوات الإشتراكية،

افتتحتنا عهدة الاستقلال بصراع مقبت بين ضباط الجيش وقيادته وعرف الصراع تكتل جماعات فرنسا التي لا تنفي أن لها كفاءة عسكرية وإدارية وتنظيمية عالية تعلمتها في معاهد العدو وفي مؤسساته العسكرية لكنها تفتقر لفضيلة حب الوطن والتضحية من أجله وإعطائه ما يستحق دون مقابل بحيث جرى استقطاب هذه الفعاليات العسكرية دون النظر إلى ما تشكله من خطر قاتل على مستقبل المؤسسة العسكرية وعلى الوطن برمته ونظر لها كأدوات لتنظيم الجيش وعصرنته... لكنها تمكنت بمالديها من دهاء وخبث بالتنسيق مع بعض المتعاطفين إلى السلطة من اغتيال مشروع تحرير الجزائر... وتوصيلها اليوم إلى مرحلة الإنفلاس الكامل على جميع الأصعدة...

أما الحكومة وقتها فكانت سمتها المهرجانية والخطب واستعراض الفرور الذي ركب رأس بن بلة الذي كان يخوض غمار حرب طواحين الهواء في الوقت الذي كان فيه بومدين يراقب و يخطط ويتحين فرصة الانتفاض على الحكم... وكان بوضياف هو الآخر يبني مشاريعه على كسبان رمل متنقلة من الريح فلا شخصه ولاجزيه تمكن من رفع الكارثة.. هذا إلى جانب برلمان تهتز العاصفة الخارجية يأتمر بأوامر التكتلات الجهوية وتفتال فيه كل مبادرة ديمقراطية وتوزع فيه التهم وتقمع فيه الحريات... كان ذلك هو وضع مؤسساتنا الرسمية ماعدا الإدارة التي كانت فرنسية في شكلها ومضمونها.

2 - من تجربة السلاح إلى تجربة البرلمان .

بعد تنفيذ قرار وقف إطلاق النار بين الفرقاء، دخل الجيش العاصمة وبدأت التحضيرات لتنصيب أول مجلس وطني شعبي في الجزائر المستقلة، اقترحنا في الولاية الرابعة أن يكون جميع أعضاء مجلس ولايتنا ممثلين أسوة بباقي الولايات الأخرى على أن أبقى في صفوف الجيش الوطني الشعبي ولا أغادره إلى الحياة المدنية سعياً إلى دمج جنود ولايتنا في صفوف الجيش الوطني الشعبي. وكان الأولى بنا أن ندمج جيش الخارج في الداخل عكس ما حدث، للإبقاء على هبة الجيش وعلى قدرته القتالية ضد أي مفتصب... بدأنا مهامنا العديدة في التنظيم وتصنيف الرتب العسكرية وجمع الأسلحة وإحصائها... وبينما نحن كذلك حتى قدم إلينا العقيد (هوارى بومدين) رفقة محمد بن أحمد عبد الغني ومحمد يزيد) وقد كان دور محمد يزيد التنسيق بين بومدين وأعضاء مجلس الولاية الرابعة... وحضر ذلك اللقاء العقيد حسان وأحمد برواقية والدكتور هرموش، اتفقنا بالإجماع على تنفيذ بنود الاجتماع المتعلق بدمج مجاهدي الولاية الرابعة في الجيش الوطني الشعبي... حضرت جزءاً من ذلك الاجتماع بعد أن ارتديت زبي العسكري لأشهد مقرراته وأوافق عليها مع الأعضاء الحاضرين وأذكر أنني تعرفت يومها على بومدين بعد لقائنا الأول الذي التزم فيه الصمت والملاحظة على طريقته وقد انتقدته بشدة وتجرّيع ولم أكن أعرفه، طبعاً لتداخل الأمور وانتشار الفوضى... لم نشأ في ذلك الاجتماع الثاني أن نشير ما جرى في سابقه حتى لا نؤزم الوضع وقبل أن يهم بومدين بمغادرة مكان الاجتماع في مزرة (البيركي) قرب البلدة مدت له يد المصافحة وأنا مصمم أشد التصميم على مغادرة الجيش وعدم العمل تحت أوامره وأوامر ضباط الجيش الفرنسي الذين أصبحوا قادة الجيش الوطني الشعبي الجديد وأن أنزع ساعتها لباسي العسكري الذي أحبته أكثر مما أحببت نفسي لأن فيه رائحة الجبل ولون الطبيعة وارتبط لدي بمبدأ التضحية والكرامة... أصبحت أعافه وأستخف به... عانيت تلك الأيام أزمة لا مثيل لها.. بين أن أنسلخ عن الجيش وأخلي المكان للحركة الجدد والعملاء المدسوسين في الجيش والانتهازيين، وهو هدف بومدين وجماعته الذين يدركون أن مخططاتهم للوصول إلى السلطة والاستفراد بها لن تتحقق إلا عبر هؤلاء المطيعين الذين لا تاريخ لهم ولا فضل على الثورة... بحيث استغل

بومدين ملفاتهم السوداء لبتزهم ويساوم معهم عليها فكانوا له خير مطيع وأحسن عميل، كما كانوا من قبل لدى فرنسا... أما الإحراج الآخر فهو استحالة أن أبقى تحت قيادة رجل كهذا أذل المجاهد وطمس معالم الثورة وبجل الخونة على المجاهدين الخالص، وأن أؤدي التحية لأشخاص لوئت أياديهم وقلوبهم بدم الأبرياء... عشت التمزق والمعاناة وعاتبني الأوفياء أشد عتاب إلى حد الاتهام بالخذلان وترك المجال لهؤلاء الخونة يعيشون بالمقدسات ويخربون المؤسسة الوطنية الوحيدة المنظمة وهي مؤسسة الجيش الوطني الشعبي... بسرعة البرق وصل خبر مغادرتي الجيش العاصمة وبادر بومدين فوراً إلى رفضه وأرسل إليّ مبعوثه (بشير روس) المكثى «بنهرو» وقتها على أن أعدل عن رأيي لكنني أكدت له ثانية «بأنني لن أتخلى عن قراري البتة ولا أحتاج إلى إذن أحد طالما أنني لم أستشر أحداً يوم التحاقني بالثورة كذلك الأمر عند خروجي من الجيش لأنه بكل أسف لم يعد كما كان ثورياً يقوم بمهمة شريفة لقد انحرفوا به عن مبادئه» على إثر ذلك جد بومدين في مقابلتي فذهبت إليه والتقيته في مكتبه في مقر القيادة العامة للجيش الموجود بقصر الحكومة وكان لقائنا الثالث به، أذن لي فور وصولي للاجتماع إليه وصادف أن وجدت إلى جانبه السيد رابح بيطاط المنسق بين قيادات الجيش في الداخل وبين بومدين وقتها... بدأ الحديث بيننا وتفرع ليشمل موضوعات مختلفة غلب عليها طابع المجاملة.. وإذا بنا نسمع أزيز طائرة عمودية يهز المكان وكانت تلقي من على المدينة أوراقاً تحجب بها نور الشمس الضليل... تهيأت نفسي لمعرفة محتواها وقد هربت بي الذاكرة إلى تلك المناشير التي كانت طائرات العدو تلقي بها في ساحات المعركة ومن بينها تلك التي حملت على وجهها صورة ديفول وعلى وجهها الآخر كتبت رخصة مرور لسلم الشجعان... لم يمهني بومدين كثير الوقت حتى أجابني قائلاً «لا تنزعج... فالأوراق التي ترى مجرد تحية منا إلى سكان العاصمة... تحية جيشهم الوطني الشعبي...» لم أرد على هذا التصرف وكنت أتصور، أن ينوب عني في الجواب رابح بيطاط بما له من سمعة ثورية وأقدمية نضالية كبيرة... ولكنني أثرت الصمت الذي طال وتحول إلى ثورة مستترة وإلى بداية حقد على خزيعلات بومدين وما كان من طبعي الحقد وقد طهرتها الثورة تطهيراً لاردة بعده... لم أهضم وقتها أن أستمع إلى بومدين المتبجح في كل لقاء بحب الوطنية..

وأن يستعير طائرة العدو التي تعود المواطنين رؤيتها لتلقي رجال المظلات فوق المباني وفي الشوارع وما أدراك ما رجال المظلات الفرنسيين من فاشية ونازية وقهر لا يوصف فهم لا يفرقون بين مدني وعسكري ولا بين رجل وامرأة قبل أن أعب فنجان قهوة وقبل أن يفتحني بومدين في الموضوع الذي جنت من أجله نهضت مصمما الخروج حتى لا أضطر إلى تصرف غير لائق لما أشاهده من استعراضات سيرك لا يليق بشرة شعب مشخن بالجراح فقد الملايين من أبنائه وآلاف القرى والمدن دمرت وملايين البشر شردوا ونهبوا وجوعوا وأهينوا في كرامتهم. عرفت الجماهير في ثوارها الصدق والبساطة والفورية في التنفيذ... ولم تعرف أبدا مظاهر الاستعراضية "السيركوية" والتفاق... الذي جاء مع مرحلة الانحراف الجديدة... توجهت من على مقعدي مباشرة إلى باب المكتب خارجا ولم أهمله فرصة يتم فيها حديثه إليّ وقلت بحزم "اعلم أنني قررت أن أستقيل فوراً من الجيش ولا أحد له الحق أن يعارضني في قراري هذا..." لم يعقب بجواب سوى أنه ألقى نظرة سريعة على ملف كان فوق مكتبه وختم عليه بقلم كان يعبث به بين أصابعه وينقر به الطاولة من حين لآخر... وأردف وهو محدد في الملف دون أن ينظر إليّ "إن مهمتنا واحدة سواء كنت داخل صفوف جيش التحرير أو داخل صفوف الجيش الوطني الشعبي وستظل عضواً فعالاً في أية مؤسسة من مؤسسات الحزب والدولة" لم أعلق على كلامه بأية عبارة ودون أن أودعه انطلقت خارجاً... انتابني صورة غريبة وراجعت شريط الذكريات وتعاقت الأحداث متسارعة انتهت بي إلى مرحلة الانحراف الذي بدأت أعيشها بإحساس مقرف مع بداية العد التنازلي... وتصورت أن الذي يستعير طائرة العدو لتلقي أوراق التهاني على شعبه مستعد لأن يأمرها فتلقي قنابلها على هذا الشعب... كما حصل بعد مدة وجيزة من ذلك التاريخ... لا أدعي نبوة لكن التاريخ تصادف مع أوهامي في لحظة ثورة على التحريف والثورة المضادة... نزلت مدارج قصر الحكومة في غمرة آلاف الأوراق المتساقطة... وفي ذهني أن بومدين سيحسّر بارتياح لمغادرتي الجيش ويتمنى لوكل المجاهدين الأوائل يقدمون على ما أقدمت عليه هذه اللحظة فيخلو له الجو ولجماعته التي رضعت إيديولوجية فرنسية إن في مدارسها أوفي مؤسساتها العسكرية... لكن لحسن حظ البلاد أن بعضهم فطن للأمر ولم يغادر الجيش وصبروا وتحملوا جميع المشاق ويفضلم حفظ بعض ماء

الوجه على محيا هذا الوطن الذي أراد له المنحرفون أن يكون مقاطعة فرنسية خلف بحيرة البحرا الأبيض المتوسط...

نزلت مدارج القصر.. لامت نسمات الحريف الندية وجهي، اعترضتني مواكب الأطفال كبراعم انبثقت في فجر الحياة يتصارعون على جمع الأوراق المتساقطة.. سمعت أحدهم يقول لرفيقه "ألم أقل لك أن هذه الأوراق المتساقطة من الطائرة الفرنسية ليست موجهة لنا نحن السكان العرب ولكن موجهة الى الفرنسيين.. لأنها كما ترى خالية من كلمة " (F.L.N) جبهة التحرير الوطني " انتبهت عل وقع عبارته إلى خلو الورقة من جبهة التحرير.. ألقىت بها أرضا ودستها مع أوراق أخرى، واصلت سيرى نحو الشارع المزدهج بالمارة امتزجت في طريقي أوراق الطائرة بأوراق الحريف بخوف على مستقبل الثورة المضادة التي سينفذها الاستعمار بوسائله الجاهزة داخل مؤسساتنا العسكرية والمدنية والسياسية..

لم تدم استقلاتي حتى التحقت برفاقي في البرلمان وشاء القدر أن أكون ممثلا لولايتي في أول برلمان للجزائر المستقلة... ليثني لم أدخل ذلك البرلمان لما كان فيه من دسائس و الأعيب ومناورات.. وجدت نفسي فيه من جديد أمام مواجهة الأعيب أخرى و تناقضات لم أعهد لها في حياتي البسيطة ك مقاتل في صفوف الثوارلم يتميز عملنا في البرلمان بالممارسة الديمقراطية والدفاع عن المثل العليا التي عشنا من أجلها وقاتلنا عدونا...!!

كثرت الدسائس وطغت المصلحة الشخصية على العليا وانقسمنا كتلا ثلاثا.

1 - كتلة العملاء المدسوسين من أتباع فرنسا وفرنسيي الجنسية طبقا لما نص عليه اتفاق ايفيان وهم الأغلبية الساحقة.

2 - كتلة جماعتي الحدود الشرقية والغربية (غار دماؤ ووجدة).

3 - كتلة مكونة من أقلية تمثل جماعة الداخل.

لا أعتقد أن مجلسا هذه تركيبته كان بإمكانه أن يضطلع بمهمات خطيرة ملقاة على عاتقه وفي مقدمته إرساء تقاليد ديمقراطية لمستقبل بلاد حوصر فيها عقل الإنسان وعطلت إرادته وذبح فيها ضميره عشرات السنين في ظلام القمع الاستعماري.

في إحدى اجتماعات مجلسنا ويصدد ترشيح رئيس الجمهورية وقف الأخ "الحاج بن علا" يعلن نتائج الانتخابات قائلا: "رُشح جميع أعضاء مجلسنا الأخ أحمد لمنصب رئيس الجمهورية الجزائرية الديمقراطية.. فدوت القاعة بالتصفيق إلا أقلية التزمت صمتها... وكان إلى جانبي أحد النواب كان يصرخ بأعلى صوته وسط هستيريا التصفيق متسائلا من يكون أحمد هذا واسم أحمد في مجلسنا كثير جدا ... ؟".

بدأت قصة القمع داخل المجلس عندما صوتنا بلا ضد ترشيح الرئيس وكان عددنا وقتها في حدود عشرة أصوات، وأصبح كثير من النواب ينظرون إلينا كمعارضين داخل البرلمان وقد استمرت معارضتنا داخل البرلمان لمشروع قانون الميزانية الخاصة بالوظيفة العمومي الذي أجحف في حق بعض الفئات الاجتماعية... بحيث قرر المشروع منح ابن الشهيد ما يعادل دينارا واحدا في اليوم وقتها في حين يمنح الطفل الذي لم يتشهد أبوه أكثر من هذه النسبة.

كما ينص المشروع على منح والدة الشهيد تسعين دينارا في الشهر دون مراعاة ما إذا كانت هذه الشكلي أمًا لشهيد واحد أو لكثير من الشهداء... عارضنا المشروع وبشدة وكنا 11 عضوا حتى دعينا التمردين من قبل الأغلبية، سألني رفيقي الذي كان إلى جانبي وهو يحدق في عنوان مقال على وجه صحيفة كنت أحملها وينص على الإعدام قائلا "لمن يكون هذا الحكم" ؟ قلت "لحاكم دولة مجاورة لنا... " قال وما التهمة يا ترى" ؟ قلت: الخيانة العظمى كما ورد في الصحيفة" قال ألا ترى أن الذي لا يسوي بين مصير طفلين وعائلتين وشعب بأكمله.. يعد خائنا خيانة عظمى يعاقب عليها بالإعدام على رأي ومسمع من الناس" ؟ وذكرني بتلك المحاولة المتواضعة التي أنجزناها لصالح أبناء الشهداء على مستوى ولايتنا بحيث جمعنا حوالي سبعمائة ابن شهيد تتراوح أعمارهم بين 05 و10 سنوات ووضعناهم في مراكز كانت سابقا تابعة للجيش الاستعماري رمنها وهيأناها حتى غدت لاتفق بأبناء الشهداء، وانتقينا عاملات وعمالا ليسهروا على رعايتهم وأذكر أننا جمعناهم من أماكن مختلفة وكانوا مشردين حفاة عراة.. وبعضهم كان يتعمل حذاء، جندي كبيرمما يثير الألم والنعمة في النفس وبعضهم لا يجد ما يستر به عورته... كانوا لوحة تراجيدية قاسية تدين وجه الاستعمار الحقير الذي يقتل الآباء ويشرد الأبناء... لم يكن في وسعنا أن نهيه،

لهم جميع الظروف الملائمة... ورغم ضائقنا توصلنا إلى إنجازهم.. ولم اعلم فيما بعد إن انحرف هؤلاء أو تحولوا إلى لصوص أو تنكروا لمجتمعهم بل أن من بينهم من أصبح محاميا أو طبيبا، وأستاذا ومهندسا، وضابطا وموظفا شريفا ومواطننا عاديا...

إن رفضنا المشروع المتعلق بمنحة أبناء الشهداء يدخل ضمن مبادئنا الثورية، التي تدافع عن الشهيد حيا وميتا وتحفظ عرضه وأبناءه لأنهم امتداد لرسالته في التحرر الشامل ومن لا يحترم شهداءه لا يحترم وطنه وهي المؤامرة التي نفذت في بلادنا فيما بعد.

تأكدت أن العمل داخل برلماننا لن يجلب إليّ إلا مزيدا من المصادمات والحصام.. بعد كل ما تحمّلت من اتهام وتقريض في شخصي وفي كل الذين يعارضون رأي اللوبي القوي، أو الكتلة التي تعمل على تغريب البلاد وتوجيهها في ركب المستعمر، وتوجهنا بإمكانياتنا المتواضعة إلى خدمة البلاد، بادرنا إلى الإصلاح الزراعي وخدمة الأرض بوسائلنا الذاتية، كما كنا نعتمد على إمكانياتنا في حرب التحرير من الخبز إلى السلاح والذخيرة تحقيا لاكتفائنا الذاتي. بادرنا إلى تجميع الفلاحين في مزارع عديدة بعد أن شتتهم العدو، واتفقنا معهم على أن يتقاضوا أجورهم من إنتاج أرضهم بحيث حملناهم مسؤولية العمل والإنتاج الذي يوفر لهم الرزق والازدهار ولم نجعلهم أجراء أو مزارعين يتسلمون رتبهم الشهرية لا فرق بينهم وبين موظفي البنوك والمؤسسات الأخرى.. وقد بدأت هذه التجربة التي لم نطلق عليها اسما ولا شعارا وإنما هي محاولة عفوية وتلقائية جاءت امتدادا لعملنا الثوري في حرب التحرير، الأمر الذي أعطى نتائج مذهلة... و أقبل الفلاحون على خدمة الأرض إقبالا منقطع النظير في كل من أولاد بوعشرة وادي المالح الرميلى ويني ميسرة... الخ... وأقبلنا على ترميم القرى المهدامة التي هجرها أهلها تحت قهر العدو وتقنبله سكانها... وأمرنا ببناء قرى صغيرة لإيواء الفلاحين... كما رمنا مراكز تجمعات المواطنين في المحتشدات وحولناها إلى مدارس مؤقتة ومستوصفات ومنازل إيواء المعلمين... وهي مرافق أولية تشد المواطن إلى أرضه كي لا يهجرها إلى المدينة.

هذه التجربة مغايرة كل التغيير لتجربة القرى الفلاحية التي بنتها الدولة بعد ذلك، وهي اليوم مهجورة في غالبيتها وغم الأموال الخيالية التي صرفت في بنائها... لأن القرى الفلاحية العصرية بنيت في أرض سهلة وبعيدة عن المزارع.. بحيث تنزع الفلاح عن محيطه ومناخه وأرضه ومواشبه لتجعل منه شبه موظف حضري، وقامت وسائل الإعلام بتحريف الحقيقة بحيث صورت الثورة الزراعية والقرى الاشتراكية تصويرا كله نهريل وملأت رؤوس الناس دعاية وزيفا وغلبت الشعارات على الواقع والخطب الرنانة على الانتاج الحقيقي. وضاع الفلاح والأرض وهم عليها الوسطاء. وأعوان الدولة وموظفوها السامون وغيرهم ليفسدوا التنمية إفسادا لا من يزيد عليه.

لقد جند جهاز الحكم جميع الوسائل لخدمة دعايته وليس لخدمة الأرض، وصارت الثورة الزراعية في الصحف والأناشيد والأغاني والمسرحيات فيخيل إلينا أن الجنة أزلقت والمجازيريون استقر مقامهم بها... بحيث ظننا أن السكن أصبح من نصيب كل مواطن والعمل والمدرسة والمستشفى والسعادة عمت الجميع... وكانت أمنيتي وأنا في سجنني أن يكتب لي البقاء فأشهد المعجزة، وكان لي ما تمنيت بإذن الله، وفور إطلاق سراحي توجهت رأسا إلى منطقة الأوراس لأفضي حجا إلى تلك البقاع التي ولدت فيها روح الثورة أول مرة... ودخلت قرية "أولاد موسى" التي اجتمع فيها أول فريق لمجاهدي نوفمبر بقيادة الشهيد البطل مصطفى بن بولعيد، ودون مبالغة قد سحقت مشاعري لما رأيت أناسا يسكنون الكهوف والمغاور ويمشون على الأرض هونا.. لم تطلع عليهم أنوار الحرية والاستقلال في أواخر السبعينات من هذا القرن... أما عن المرافق فالحديث فيها كالحديث على المريخ... سألت نفسي ترى إلى هذا الحد كانت دعاية النظام نافذة وزائفة في نفس الوقت ومضللة ويادية أكاذيبها للعيان.

أحسست بقرق السياسة والسياسيين وراجعت شريط الزيف من أيام التسيير الذاتي للمؤسسات إلى الثورة الزراعية... والقرى الاشتراكية فلم أعثر إلا على حقيقة واحدة هي شقاء الفلاح وإفساد الأرض والاعتداء على قيم المجتمع الزراعي الذي كتب على نفسه أن يحب الأرض ويموت من أجلها ويجعلها عنوان شرفه وكرامته... لقد حولنا النظام إلى آلات مستهلكة وأنفس ذليلة خاوية

تترقب قدوم بواخر الحبوب والبيض والبطاطس والزيت والغلال من أعدائنا التاريخيين... وخلت السوق من المواد الأساسية ذات الاستهلاك اليومي وهجم تجار الأسواق السوداء على قوت المواطن.. قابل هذا العرض المهدوم قدرة شرائية مرتفعة قليلا لدى بعضهم من جراء فساد النظام المصرفي بحيث أن ربع النفط الذي كان يصدر إلى الخارج تعود بعض أرباحه لتنشط السوق السوداء وتذل العملة الوطنية ويرتفع الصرف لعملة متسكعة دون رقابة بنكية مضبوطة..

انتهت الأرض الزراعية الى بور عوام، وتلاحقت المشاريع الفلاحية الخاطئة والمبته في كثير من الأحيان وتقدمت الصناعة الهامشية على حساب الفلاحة فبنت المعامل والمصانع فوق الأراضي الزراعية المحصبة بعد أن اقتلعت أشجارها المشجرة وغلالها وفواكهها... ولا أدل على ذلك مما لحق منطقة الشلف التي فاقت فيها خسائر الفساد الزراعي خسائر الزلازل المتعاقبة... وما تبقى من الأراضي الزراعية هجم عليها الإسمنت المسلح وشيدت فوقها القصور والملاعب.. فسمت الأرض بنفايات المصانع... وكان بإمكاننا أن نقيمها على أراض بعيدة غير زراعية.. ولا أرى مندوحة للتذكير بخيرات أرضنا ويكرم سهولنا عبر التاريخ فقد سماها الرومان (مطامير روما) وتكرمتنا على أوروبا بفواكهنا وجبونا قرونا حتى أن فرنسا مازالت إلى اليوم مدانة لنا بسعر القمح التي اشترتها منا ولم تسد ثمنها. "بل واستغلتها ذريعة بشعة في حادثة المروحة لتفزوننا وتحتلنا قرنا وربع القرن".

إن منطقة "متيجة" التي تقع فيها عاصمتنا تعد من أخصب مناطق الدنيا.. وكان المعرون يحرسون مزارعها بالأسلحة ويحجون إليها من بلدانهم يتمتعون بمنظرها ويتفلسفون في حدائقها ويلتقطون الصور التذكارية بين غاباتها وأشجارها الباسقة وعيونها الجارية... هي اليوم مقابر للبناء الفوضوي ومصانع الخشب وأدوات الرفاهية وغرف النوم... هي اليوم تدفع من دمها ولحمها تعريفه الجنون البرجوازي الطفيلي الذي قاده نظام الحكم منذ الاستقلال إلى اليوم ورعاه ليصبح عفرينا صاعقا.

لم يحدث في تاريخ الشعب الجزائري ما حدث منذ عهد الاستقلال إلى اليوم بحيث تحولنا في مدة وجيزة من مصدرين إلى مستوردين، ومن مكتفين ذاتيا إلى

جانعين... لقد تمكنت الاحتكاكات الأجنبية من محاصرتنا بسياستنا وسوء تخطيطنا وأغرقتنا عبر عملاتنا في الداخل في دوامة اللعبة الدولية التي تحاك خيوطها بعيدا عنا وفي غيابنا المطلق... هل بعد هذه الألاعيب والمؤامرات الشيعة على الوطن... من صبر وثبات...؟ لا أنكر أن من طبعي التمرد على الظلم والفساد، تمردت في الثورة على محاولات التشويه وابتزاز السلطة، وتمردت ضد بن بلة عند اغتصاب السلطة وضد بومدين الذي فتح المجال لعملاء فرنسا ليدسوا في مؤسسة الجيش والدولة... وتمردت في البرلمان عندما كنت عضوا في لجنة الشؤون الاجتماعية بالمجلس وطالبت بتصفية أوضاع وملفات المجاهدين وأرامل وأبناء الشهداء... كان مركز استقبال المجاهدين في بن عكنون تشقق فيه كرامات المجاهد وذوي الحقوق، كان بعضهم معطوبا أو مريضا أو طاعنا في السن وكانوا يقضون أياما عديدة بل أسابيع يترقبون قضاء حوائجهم البسيطة، كان المجاهد القادم من بعيد يربط أياما طويلة في العاصمة ليحضى بمقابلة مسؤول أو ليتسلم شهادة بسيطة أو رخصة شاحنة أو محل أو ليحصل على منحة

البسيطة وقد تتكرر زيارته للمركز لأسباب لا تذكر... لم يكن هذا السلوك بريئا أبدا كان وراءه مخطط إذلال المجاهد وتركيعه، وغرر النظام بالكثير من المجاهدين فقدم لهم تسهيلات الحصول على رخص حذات ورخص إدارة مبولات البلديات، وكثر الحديث عن تميع المجاهد وانحرافه وجاءت ردود أفعال مضادة من الشرفاء قابلها النظام بخطف الرجال فجرا بحيث تقتحم عناصر مخابراته بيوت المناضلين الشرفاء وتقودهم إلى مناطق مجهولة وقد تكررت العملية مع عدد هائل من المجاهدين والنواب رغم ما يتمتعون به من حصانة برلمانية وماض نضالي مجيد...

أ - ظروف تأسيس الجبهة الشعبية للقوات الاشتراكية (F.F.S).

تورط نظام بن بلة ومخابرات بومدين في خطف رئيس الحكومة المؤقتة سابقا فرحات عباس ورئيس مجلس النواب وقتها دون مراعاة منصبه وكرامته وسنه وألقى القبض بنفس الأسلوب على كل من هوضياك وصالح صوت العرب وبوعلام أو صديق... الخ، ولفقت لكل واحد منهم تهمة صاغها النظام على مزاجه أهمها الإخلال بالنظام والتشريح...

توسعت الهوة بيننا ولم اعد اثق في جهاز الحكم الذي ضيق الخناق على الشرفاء ودفعهم إلى الانسحاب من المؤسسات ليخلوا له الجو ويعبث فيه نسادا ...

حاولت من جهتي الاتصال بالسيد آيت أحمد الذي رابط في قرية، على شمم جبال جرجرة يراقب عن بعد الأعيب السياسة والسياسيين... وكان في رفقتي إليه السادة : الدكتور هروش رمضان وعلي عبد النور وأبو بكر بلقاند الذي كان عضو حزب الثورة الاشتراكية (P.R.S) وانفصل عنه بعد ذلك عندما أصبح لا يمثل إلا صاحبه، رفض آيت أحمد أن يستقبلنا في بيته وفضل أن يكون اللقاء في مقهى عمومي أمام أنظار العامة في سبتمبر 1963، بدأ اجتماعنا العملي بتوضيح موقفنا من اختياره لقيادة منظمة عملنا مستقبلا، نظرا لما يشتمع به من ماضٍ محترم قبل الثورة وأثناءها وعدم تكتله في أية جهة بعد استرجاع السيادة، وبادرنا إلى اقتراح أسماء نعتقد أنها ما زالت نظيفة للعمل في إطار منظم، استمع آيت أحمد للأسماء حتى إذا ذكر اسم كريم بلقاسم نهض معترضا وأعلن عدم موافقته على كريم، حاولنا إثناؤه عن رأيه مؤكدين له أن كريم قائد له من الخبرة والصداقة مع جهات عديدة ما يخدم حركتنا وله مواقف محترمة ولا يمكن تغافله وإذا كان مقيما مؤقتا في فرنسا فسوف نقتعه بعدم الانتماء لأية معارضة أو حزب وقد تكلفت فيدرالية فرنسا بإقناعه بالانضمام إلينا... وافق آيت أحمد على الاقتراح واشترط أن ينظم إلى حركتنا كل أعضاء منظمة بوضياف (P.R.S) وبهذا الاتفاق خرجت منظمة جبهة القوات الاشتراكية (F.F.S) للوجود، ثم اجتمعنا ثانية بعد أسبوع واحد وقد تخلف عن ذلك الاجتماع بوعلام بن حمودة الذي كان وقتها الناطق الرسمي باسم الولاية الرابعة، وفضل أن يعلم رئيسه بن بلة باسم المنظمة وأعضائها وجميع الأسرار التي يعرفها عنها قبل ظهورها إلى الوجود... لم يؤثر موقفه هذا على توازن بنية المنظمة التي كانت تضم بين صفوفها رجالا من خيرة المناضلين والمجاهدين والسياسيين المحنكين.. ولم تكن منظمة سرية أبدا.

تمت الموافقة في فلك الاجتماع على القائمة النهائية للأعضاء المؤسسين لجبهة القوات الاشتراكية (F.F.S) وكان عددهم ستة عشر عضوا، وبمجرد ظهور منظماتنا انتهى عمليا دور منظمة بوضياف.

حددت منظمتنا أي (F.F.S) أهدافها كالتالي:

- أ - تحذير المواطن من الاستغلال السياسي.
- ب - وضع حد لفوضى الحكم والارتجال الذي يمارسه رئيس الجمهورية.
- ج - تنقية الجيش الوطني الشعبي من المدسوسين وعملاء فرنسا.
- د - وقف أعمال (زوار الفجر) وهم عناصر المخابرات الذين كانوا يداهمون بيوت المناضلين ويعتقلونهم فجرا.
- هـ - إرساء قواعد ديمقراطية صريحة.
- و- إطلاق سراح جميع المعتقلين.

لم ينظم إلينا السيد (محمد ولحاج) الذي كان قائد الولاية الثالثة واشترط أن يكون دخوله مقرونا بدخول كريم بلقاسم الذي يجب أن يكون دوره حسب رأيه في مستوى دور آيت أحمد... وافقنا على رأيه وأخبرناه أننا نرقب موافقة كريم على الانتماء ترد علينا من فرنسا، فوعدنا بأنه سيكون إلى جانبنا إذا دعت الضرورة لكن بعض من ضباطه التحقوا بنا دون علمه...

عقدنا أول اجتمع موسع حضره جميع الأعضاء وبدأت بوادر الأمل تلوح في فضاء المستقبل، جاء بعض الضباط إلى ذلك الاجتماع بأسلحة وذخيرة قدموها لرئيس المنظمة (آيت حمد) دون أن يطلب منهم ذلك قائلين له: "تساعدنا على الدفاع على أنفسنا أمام المdahمات، أو في حالة تعرض منظمتنا لمكروه...".

تم الاتفاق على تسليم كميات الأسلحة إلى النقيب موسى (الضابط في الجيش الوطني الشعبي) للتمويه، وكان النقيب موسى في ثكنة البليدة وعلى اتصال سري ودائم بآيت أحمد.

جاء النقيب إلى المكان المحدد لتسلم الأسلحة وكان بملابسه العسكرية.. أثار ذلك هلع المجموعة التي نقلت إليه السلاح لعدم معرفتها المسبقة به واعتقدت أنها تورطت في كمين نصبه لها الأمن العسكري وأن مصيرهم جميعا السجن الأبدي أو الإعدام الفوري... سلموا الأسلحة واتصلوا فوراً بقائدهم (محمد ولحاج) الذي كان على غير علم بوضعهم داخل المنظمة.. خشي أن يسأل عن

دور لم يشارك فيه، وكان بلعيد أكثر الجميع حرصا على انضمام محمد والحاج إلى المنظمة فدفعه إليها.. أما بلعيد فكانت خشيته على نفسه أكثر لأنه كان يشغل منصب رئيس دائرة (الأربعاء ناث يرائن) وشارك شخصيا في تسليم الأسلحة إلى النقيب موسى ضمن مجموعة الضباط.

انضم محمد والحاج إلى منظمنا دون رغبة منه فكان مكرها لا بطلا.. باشرنا نشاطنا كمجموعة صغيرة بأحلام وطموح كبيرين نواجه نظاما له جيش ودرك وشرطة وسجون ومعتقلات وامكانيات معتبرة وحب للسلطة لا مثيل له... لم نكن نخشى هؤلاء، وقد تحملنا مسؤولياتنا التاريخية بمعارضتهم والتصدي لهم... ولكن خوفنا كان من هزيمة غنى بها فيستغلنا الخصم ويشدد قبضته الحديدية على الجماهير ويطلق عنان قمعته وديكتاتورته الأمر الذي سيؤخر الديمقراطية سينا طويلة.

3 - اتهامات باطلية،

عمد النظام فوراً إلى تقزيم دورنا وتشويهه، فأطلق علينا هو وأتباعه دعاية تضليلية مفبركة مفادها أننا جماعات بربرية ترغب في فصل منطقة القبائل عن باقي الوطن مدركا مدى تأثير هذه الدعاية في الحس العام وتكران شعبنا للأفكار الفئوية والتطرفية.. وراحت أبواقه تبث مزاعمه الواهية بأننا منظمة إرهابية وعنصرية تعمل على إثارة النعرات القبلية الضيقة إلى أن صدق بعض ضعاف النفوس وكان النظام يسعى بهذه الخطة إلى تحقيق جملة من الأهداف أهمها:

(أ) اشاعة الفتنة والفوضى بين أفراد الشعب ليم له الهيمنة عليها.

(ب) تحويل الرأي العام عن جوهر القضية وتضليله بسبل المزاعم والتهم... وفي المقابل التهليل للزعيم وعبادة الشخصية.

(ج) تحذير الحركات التحررية العالمية من الشعب الجزائري في الصراع على استقلال واستغلال هذه الدعاية لضرب حركتنا والتشنيح بها على مرأى ومسمع من الصحافة العالمية التي حطت رحالها في الجزائر بأعداد هائلة... بحيث تمكن النظام من تقديمنا إلى الرأي العام العربي والدولي على أننا عناصر مشاغبة

ومضادة للثورة في عنصرينا وانفصاليتنا.. حتى أن صحيفة عربية أسبوعية كتبت تهمةنا بالعمالة للعدو الإسرائيلي وقد دعمت رأيها بصور مزيفة علما أن هذه التهمة الخطيرة كانت من أبشع التهم بومها.. وليست من الفضائل كما هو الشأن في أيامنا هذه... ولم ينته الزعم عند قذفها بالعمالة للصهيونية بل قيل أننا ندعم المخططات الأميركية في المنطقة، أكتفي ببعض مذكرته هذه الصحيفة لتتوب عن الإعلام العربي، أما الإعلام الأجنبي وفي مقدمته الفرنسي فقد خرج عن تقاليد المهنة ليصور الوضع في الجزائر تصويرا مهولا زاعما أن الوضعية السياسية والعسكرية في الجزائر خطيرة للغاية.. مما دفع ببعض الوزراء الفرنسيين إلى القول: ان القضية تمس سياسة دولة لنا معها معاهدات ومصالح المطلوب منا دعم السلطة الحاكمة ومدّها بكل الامكانيات سعيًا إلى خلق مناخ مناسب من شأنه أن يساعد على بقاء مكاسبنا... لأن في تغيير الوضع مساس بمصالحنا.. " .

لم تتنا هذه التصرفات وهذه الدعايات المفرضة التي تعودناها من العدو الذي بث فينا سمومه بدءًا بحركات التبشير والآباء البيض إلى التفوق العنصرية.. إلى جيش "الحركة" و "القومية" إلى الثورة المضادة من خلال عناصره وعماله في الجيش الوطني الشعبي، استمرنا في نضالنا على جبهتين اثنتين مواجهة الدعايات المفرضة وتسفيهاها، ومواجهة النظام بوسائله وأدواته التي وظفها ضدنا... ويفضل صمودنا انتصرنا وأسقطنا الدعاية المفرضة، وخرجنا إلى الجماهير نعلن لها عن أهدافنا ونوايانا الحقيقية ونؤكد لها أن حركتنا أصيلة ووطنية وليست عميلة ولا انفصالية ولا شوفينية فاحتضنتها الجماهير وأصبحنا نتجول في الأماكن العمومية بزينا العسكري وشعارنا المميز (F.F.S) الجيش الوطني الشعبي الذي حمانا في كثير من الأحيان ولم يمنع تجمعاتنا.. بل كان يسهل مرورنا من منطقة لأخرى ويحاورنا في مضمون حركتنا الأمر الذي خشيته (بن بلة ويومدين) وكادا له مكيدة الفتنة بحيث أصدر بن بلة ويومدين أوامرها السرية إلى بعض جنودهما باقتعال معارك هامشية لجر منظمتنا إلى حرب أهلية تكون بمثابة ذريعة للعدو وأن علينا وقد كانت جميع المعلومات والمؤامرات التي تحاك في الرئاسة والقيادة العامة للجيش تصلنا بأمانة.. وعلى ضونها أصدرنا أوامرنا إلى مقاتلينا ومواطنينا بعدم الانخداع بالمؤامرة وعدم

الدخول في مصادمة مع أفراد الجيش الوطني الشعبي ودعوتهم إلى إحسان استقبالهم ومؤازاتهم ، ففتحوا بيوتهم لأفراد الجيش وتجنبوا كل مصادمة معه مما أثار حفيظة بومدين الذي نادرا ما كان يخطئ، في توجيه مؤامراته.. وين بلة الذي تعود يأمر فيقطاع...

لم تقطع قيادة حركتنا شعرة معاوية مع قادة النظام وبقينا على اتصال دائم بحثا عن مخرج يشرف ثورتنا ويحقق وحدة تراب بلادنا بعد مفاوضات عديدة تم أول اتصال مباشر مع مبعوثي بومدين ببلدة (جمعا سريج) شرق مدينة تيزي وزو وقاد وفد النظام (سعيد عبيد) وقد جاء المنطقة على رأس قوات كبيرة معززة بأسلحة ثقيلة.. بعد اطلاعه على خفايا القضايا التي من أجلها انتفضنا.. وأكدنا له أننا نرفض اقتتال الأشقاء، على غرار ما حدث بين الولايات ولو رغب في ذلك المسؤولون في العاصمة، واشترطنا أن تحل الديمقراطية ويلغى أسلوب الحكم الفردي وتوقف حملات المدسوسين من الجيش الفرنسي وأن توضع القيادة الحقيقية للجيش الوطني الشعبي بين أياد أمينة مجاهدة ولا نعارض في أن يحتفظ بومدين بوزارة الدفاع على أن تكون القيادة العامة للجيش من نصيب قادة الولايات الأكثر نزاهة وثورية ووطنية واقترحنا بعض الأسماء البارزة (كالظاهر الزيري وشعباني) .

اقتنع سعيد عبيد بوجهة نظرنا وبدت على وجهه بوادر الطمأنينة والرضى وعاد إلى العاصمة محملا باقتراحاتنا.. ولا أظنه أوصلها إلى بن بلة ولكنه اكتفى بعرضها على مسؤوله المباشر العقيد هواري بومدين الذي أدرك أبعاد هدفنا... فكلفه ثانيا بالتفاوض معنا باسمه وقد جاءنا مرة ثانية صحبة الرائد (زرقيني) إلى مدينة تيزي وزو، وقبل أن يصلا المكان ناور زرقيني من وراء ظهر سعيد عبيد، فأرسل شاحتي جنود مدينتين في مهمة زعم أنها سرية في مدينة (عزازقة) بمنطقة تيزي وزو.. وأصدر أوامره في نفس الوقت لمجموعة ثانية من الجنود كلفها بمهمة التصدي للمجموعة الأولى مدعيا أنها من أتباع جبهة القوات الاشتراكية تنوي القيام بأعمال تخريبية في مدينة عزازقة... وهكذا بوغت المجموعة الثانية بالشاحتين قران فسارعت إلى إطلاق النار عليها واشتكت الجمعان، فسقط من الجانبين ثلاثة قتلى وجرح عدد هائل من الجنود.. وقبل انكشاف سر الكمين أمر قائد المجموعة جنود بالانسحاب قبل اكتشاف أمرهم..

ما إن بلغ الخبر سعيد عبيد حتى اشتد غيظه وتوهم أن منظمتنا تفتعل الأدوار الخطيرة لتورطه وقواته شك في أن لا يصدقه بومدين عن مهمته الفاشلة الأمر الذي حمله على إرسال زرقيني رقبيا على أعماله.. بحيث أصيب بصدمة كبيرة ولم يعد يصدق أحنا فجاء للقاتنا مرة أخرى ليقف على حقيقة ذلك الحادث لكنه لم يتوصل إلى ادراكها وبقي في شكه لعدم توفر الشروط المادية إلى أن استفاق ضمير أحد الجنود الذين شاركوا في الحادث بأمر زرقيني وكشف جميع أوراق المؤامرة بدقة.

استغل بن بلة وبومدين ذلك الحادث شر استغلال ووصفاه بالكارثة الوطنية وذهب بن بلة في أحد تصريحاته إلى القول:

"إن الوضع في البلاد على وشك الانهيار وأن الانتقام حاصل لا محالة وأن الثورة في خطر..." ودعا أعضاء قيادة جيشه أن يشاركوا في الحملة العسكرية ضد المنظمة بما فيها ومن فيها وحول مكتبه الرئاسي الى غرفة عليات حتى وصل به الاستهتار حد القول: "يجب مشاركة جميع قوات الجيش في القضاء على المنظمة F.F.S... " ودعا شعباني أن يتوجه بقواته فوراً إلى منقطة القبائل ويدهام المتمردين ويصفيهم جماعياً.. لكن شعباني رفض أن يورط جيشه في دوامة الموت دون علم بخفايا كواليس السلطة... أغاض ترمده الرئيس بن بلة أما بومدين فالتزم الصمت كعادته وأسرها في نفسه.. وأمهله مدة للتفكير.. وبالغ في إكرامه طمعا في استماتته وكان آخرها أن دعاه الى مأدبة عشاء تواصل فيها الحديث بين الرجلين حتى ساعة متأخرة من الليل... رتب فيها بومدين "سيناريو" دقيقا ليوقع بين منظمتنا وشعباني، بحيث بعد أن ودع بومدين ضيفه ذهب ليتابع من بعيد فصول خطته التي نسج خيوطها مع بعض رجال مخابراته.. وكانت الخطة هي نصب كمين للعقيد شعباني وهو في طريقه إلى مقر قيادته، بمفترق الطرق بنواحي "بالسترو" (جنوب العاصمة) وبينما كان شعباني يقود سيارته حتى فوجيء بإشارة حاجز تسد عليه طريقه.. اختل توازن سيارته إلى أن توقفت على حافة الطريق.. أطلق جنود الكمين النار باتجاهه لإرهابه... وأشعلوا في وجهه إشارات الضوء الكاشفة كي لا يراهم وأمطروه شتاً وسباباً وأمروه بتقديم أوراق ثبوت شخصيته ورخصة المرور.. وأعلموه أنهم عناصر من قوات جبهة القوات الاشتراكية "F.F.S" يراقبون المنطقة وبعد أن فتشوه شخصياً وفتشوا

سيارته أخلوا سبيلَه.. لكن شعباني، ذلك القائد المحنك لم تشره استفزازاتهم وتالك نفسه طيلة المحنة... وأدرك بذكائه وحسه الثوري أن العملية من تدبير يومدين الذي استدرجه إلى مأذبة امتدت حتى الفجر وأنه الوحيد الذي كان على علم بالطريق التي سيسلكها إلى بسكرة...

مجاهلّ شعباني الحادث ولم يعط يومدين فرصة أخرى لإدانة المنظمة "F.F.S" كما أدرك يومدين بدهائه المعروف فشل خطته التي لم تنطل حيلها على شعباني... فغير أدوات تكتيكية معه بحيث عمد إلى أسلوب الاتهام المباشر زاعما أن كلا من خيضر وشعباني يرفضان مقاومة قرد المنظمة وعصيانها، كما استغل المصاهرة بين آيت أحمد وخيضر ليؤلب بن بلة ضدهما ويعلن الهجوم على الجميع دون تمييز. التزمت منظمتنا في تلك المرحلة الهدوء والحكمة وعمدنا إلى توعية الجماهير بضرورة البناء الوطني والتحلي بالأسلوب الديمقراطي وعدم الاعتداء على أي من مؤسسات الدولة أو الجيش والشرطة والدرك... حتى لا يقال أننا قطاع طرق، لقد فوتنا عليهم فرصة المصادمة وإغراق البلاد في دوامة الحرب الأهلية.. ولم نقتل جنديا واحدا في حدود معلوماتي في الوقت الذي قتلت فيه قواتهم بأمر يومدين خمسين ومائتي ضحية (250)، لم يكن يمر يوما دون أن نعلم فيه بخطف جنودهم بعض المواطنين حتى غصت بهم السجون وامتلات المعتقلات وكان من بين هؤلاء النقيب حسناوي محمد المعروف (بمسطاش) والنقيب موسى الذي اغتيل في ظروف بشعة وهو يتناول طعامه بعد أن غررت به مخابرات يومدين وأوهمته بأنه سيتوجه إلى جبهة القتال ضد قوات المغرب الأقصى التي غزت مناطق تندوف...

تميزت أعمال السلطة في تلك المرحلة العصبية بالاعتقالات والتعذيب والخطف والسجن... وكانت حجتها حماية البلاد... وتأمين الديمقراطية..

4 - جبهة القوات الاشتراكية F.F.S ومبدأ التطهير،

لم تكن دعوة المخلصين من المجاهدين والناضلين الى تطهير صفوف الجيش والسلطة وليدة ما بعد استيلاء بن بلة ويومدين على السلطة في البلاد... وإنما تعود إلى ما قبل حرب الولايات عندما تحسست الأميرالية الفرنسية مصير مستقبل الجزائر وأدركت أن الاستقلال حقيقة آتية رغم جميع أساليب القتل

والغدر والخيانة.. فلجأت الى تلغيم هذا المستقيل بدس عناصرها من الضباط والموالين لها في صفوف الجيش الوطني الشعبي والإدارة الجزائرية وهيأت لهم ظروف الاستيلاء على المناصب القيادية بطريق المناورة والتنسيق المحكم مع الذين لهم أطماع الحكم والتسلط داخل الجيش... هذه المؤامرة التي تعد فاتحة عهد الثورة المضادة أو مرحلة الردة تنبه لها المجاهدون الأوفياء وتصدوا لها بجميع ما يملكون... لكن حجم المؤامرة كان أكبر من وسائل الدفاع... فارتفعت أصواتنا عالية تنادي بالتطهير.. وتمردنا عمليا لحماية الشرعية الثورية وتطبيق مبدأ الديمقراطية.. لكن كل ذلك اصطدم بتعنت الذين اغتصبوا السلطة، وبخوفنا على الوطن... وما قد ينجر عليه من حروب أهلية مدمرة... الأمر الذي تفاديناها كل مرة تكون في أمس الحاجة لاستقبال القوة...

ومن بين تلك الأحداث التي أبت أن تفارق الذاكرة إلى اليوم، ذاك الجمع الضخم بقاعة سينما -أفريقيا- بالعاصمة يوم 4 أبريل 1964 الذي ضم ما يزيد على خمس مائة وألف "1500" مناضل في مؤتمر حزب جبهة التحرير الوطني وقد وقف الجميع مناديا بصوت واحد يتردد كالرعد "التطهير، التطهير، في جيش التحرير..." واستمرّ المشهد طيلة ربع الساعة، وكان في النصّة رئيس الجمهورية السيد أحمد بن بلة والى جانبه العقيد هواري بومدين... نظر بومدين في المحاضرين نظرة استخفاف ومجد وقال بصوت عال: "ترى من هو الطاهر ابن الطاهر الذي يريد أن يطهر الجيش...؟"

هذا الموقف من بومدين هو بمثابة صك تأمين على عملاء فرنسا داخل الجيش.. وتلويح معمم أراد به دمج العميل والمخلص تحت راية واحدة ظاهرها توحيد الصف وتأمين وحدة الجيش، وباطنها بناء أول قاعدة للانحراف وأول جسر للعصابة الجديدة للاستعمار في الجزائر المستقلة.

أقام بومدين جهاز مخابراته على أشجع أساليب التعذيب والاعتقال، ولا أبالغ إذا قلت أن وسائل التعذيب التي وظفها تضاهي بعض وسائل وأساليب الإرهابيين الكبار من أمثال بيجار وماسو وجودار وغيرهم... فكم من مجاهد ومناضل مخلص قطعت رجله أو يده أو اقتلعت أسنانه أو ألقي به في قاع زنزانة مظلمة شهورا وأعواما... بعد أن لاقوا جميع ألوان التعذيب الجسدي... والنفسي.. وكان لا يتحرج في تكييف التهم واختلافها ضد كل مخلص نظيف..

بحيث اتهمت منظماتنا "جبهة القوات الاشتراكية بالشوفينية والبربرية وقطاع الطرق والعنصرين..." ووجد في كل من يعارض غطرسته مسوغا لاتهامه وإلقاء القبض عليه وتصفيته أو سجنه... ولما أدركنا حجم المخطط التأمري على البلاد تحاشينا المصادمات العسكرية... وتفادينا سقوط أرواح بريئة دون ميرر.

5 - جبهة القوات الاشتراكية، وعدوان ملك الرباط على الجزائر،

زحفت قوات مغربية كبيرة على حدودنا الغربية يوم 09 أكتوبر 1963 واحتلت جزءا منها دون علمنا... لم يضع ملك المغرب في حسبانته أن الشعب الجزائري الذي خرج لتوه من حرب سبع سنوات ونصف، واستعمار دام 132 سنة... مشردا بمزقا جانعا منهوكا.. تجلده الخلاقات الداخلية.. قبل أن يستتب فيه الأمن.. شعب شقيق لشعبه في اللغة والدين والهوية والتاريخ والمصير... بل وجد في مأسية ضالة لإرضاء نزواته ونرجسبته في التوسع وقتل الجماهير الجريحة والاعتداء على أراضيها التي كالتها بأرواح أبنائها من الشهداء وما إن وافتنا الأخبار بالاعتداء السافر على قطرنا حتى قررنا وقف جميع نشاطاتنا السياسية والعسكرية ووجهنا جميع قواتنا وجهودنا إلى جبهة القتال.

لم نفاجأ بقرار العدوات الملكي على بلادنا لأننا نعرف أطماع الملك جيدا.. ونعرف حقه على ثورتنا وتنسيقه الدائم مع العدو ضد هذه الثورة التي غيرت معادلة المنطقة ووصلت أصدائها إلى جميع أصقاع الأرض.. إن المجاهدين الذين تعودوا اجتياز الحدود الجزائرية المغربية إبان حرب التحرير... يحملون الأسرار الكثيرة عن ممارسات الملك ضدهم.. فكانت السجون تفضى بهم والمعتقلات والاعتقالات... ولا يختلف في ممارساته هذه عن عضده في الدعامة السياسية الاستعمارية الرئيس الحبيب بورقيبة الذي تنكر للأمة العربية وعادها ووجه شعبه وسياسته توجيهها غربا بحتا.. وأن حادثة الطائرة التي اختطفها القوات الفرنسية في عملية قرصنة جوية تعتبر الأولى من نوعها عالميا سنة 1956 يدينها القانون الدولي وكل الأعراف والأخلاق الإنسانية وكانت قادمة من المغرب متوجهة إلى تونس لا يمكن أن تكون إلا بتأمر الرجلين في الدولتين.

إن معاداة ثورة التحرير من قبل الملك لم تكن خافية أبدا، وقد كان عملاء حزب الاستقلال على بينة من تورط نظامهم في العدوان الدائم على الثورة وفي مقدمة هؤلاء، علال الفاسي...

في الساعات الأولى من فجر يوم 19 أكتوبر 1963 تم الاتصال بيننا وبين السلطات في العاصمة بواسطة العقيد حسان وجاءنا فريق مكون من الإخوة (هوسماحة وصايشي محمد) وتم اللقاء في مزرعة كائنة بمدينة الشبلي، بعد هذا الاجتماع اتصلت رأساً بمسؤول منظمنا (آيت أحمد) ووافيته بتفاصيل الاجتماع... وقد فوجئت بما فاتحني به من أنه اتصل بالمسؤولين في العاصمة عن طريق الأستاذ (المحامي بن حسين) ..

وخلال يوم 19 أكتوبر 1963 كنا في سباق مع الزمن لمواكبة الأحداث المتلاحقة... عدنا إلى الاتصال بأعضاء الفدرالية الفرنسية التي كان على رأسها قدور عدلاني وعمر بوداود واتفقنا جميعاً على أن نلتقي بالرئيس بن بلة ونتفق معه على برنامج عمل ينهي الخلاف بيننا وبينهم بكل وضوح عمل المرحلة المستقبلية. اقترح علينا آيت أحمد أن يتم لقاءنا بين بلة مباشرة دون أي وسيط حتى نضعه أمام مسؤولياته في كل ما يقول ويقرر... وبسرعة مذهلة تم اللقاء بعد أن رتبنا له ظروفنا أمنية مشددة خشية أن يتكرر حادث شعباني ووزعنا جنودنا على بعض ضواحي العاصمة وأماكنها الاستراتيجية وخاصة قرب "فيلا الجميلة" أين يعقد الاجتماع.

امتطينا سيارة سوداء اللون من نوع بيجو 403 وقبل النزول منها أعدنا قراءة نص الاتفاق وعدلنا فيه بعض الجمل كي لا يجد فيه بن بلة مسوغاً لرفضه أو فتح مجال جدل حوله.

توقفنا بأحد الشوارع بضاحية الأبيار بالقرب من منزل آيت أحمد ريثما يأتي السيد مصطفى فتال مدير الأمن ليصحنا إلى مقر عقد الاجتماع، وبينما كنت متكياً على إعادة قراءة نص الاتفاق جلب انتباهي وجود رجل في البيت غير واضح الملامح لم يأت حتى لمصافحتنا لكن سلوكه التلقائي في البيت جعلني أظن أنه هو صاحب البيت وليس آيت أحمد كما علمت... لكن بعد لأي تبين أن السيد محمد خيضر وتفاجات بوجوده في البيت دون علمي المسبق بذلك حرت بين ما إذا كان وجوده صدفة في البيت أو بسبب تخفيه من زبانية النظام... ولم أكن أعلم وقتها أنه يؤيد منظمنا أم لا؟ وما هي مواقفه من حركة بوضياف... الخ؟ لكن وجوده في تلك اللحظات بذلك المكان سبب لي قلقاً

وإحراجا وصل حد التقزز ولما تأكد أننا أنهينا نقاشنا الدائر بخصوص الاتفاق تقدم منا مصافحا... عندها فاجأني آيت أحمد قائلا هو السيد محمد خبضر صهري... ثم جلس إلينا دون أن يتحدث في أمر ذي بال بل اقتصر كلامنا على حدود المجاملة وأحوال الطقس، بعد دقائق وصل المدير العام للأمن بسيارة رسمية يقودها شخصا دون أية حراسة علنية وتوجهنا فوراً إلى "فيلا جميلة" وفي طريقنا إليها كانت نسيمات الخريف تداعب أوراق الأشجار، وتلقيها على فوانيس النور الشاحب المعلقة على أعمدة الكهرباء... كان الصمت يخيم علينا ومئات الأسئلة تعربد بداخل كل منا إلى أن دخلت بنا السيارة مقر فيلا جميلة - أدى لنا الحراس التحية ورفعوا حاجز المدخل... وكان أحدهم يعلن وصولنا هاتفياً من داخل غرفة حراسته، ركبنا المصعد نحن الثلاثة إلى الطابق العلوي من البناية وما أن توقف بنا الجهاز حتى لقينا الرئيس أحمد بن بلة بقامته الفارعة يرتدي رداء صوفياً فوق لباسه العادي اشتكى مسبقاً وهو يمد يده المرتعشة لمصافحتنا من نزلة البرد التي أصابته... لم أكن متأكداً من سبب ارتعاشه في تلك اللحظات، هل فوجيء بلقاء آيت أحمد، أم لأن الأحداث الداخلية والخارجية نزلت عليه كالصاعقة فأفقدته توازنه...؟ فتح باب غرفته وهو يشير علينا بالدخول وجاء مصطفى فتال بكرسيين جلسنا على المقعدين وجلس بن بلة على حافة سريره وأسند رأسه إلى الحائط كانت غرفته كنية بتوسطها سرير حديدي من أسرة الجيش وعليه ألقى غطاء بني اللون وإلى جانب الفراش وضعت منضدة خشبية سوداء اللون. عليها مذياع صغير وأكوام من الصحف الوطنية والأجنبية وأوراق كثيرة بعضها بخط يده وبعضها الآخر مكتوب بالآلة الراقنة إلى جانب العديد من الملفات المختلفة.

كان اللقاء عبارة عن لقاء مفارقات عديدة فالرئيس كان يعاني مسؤوليات الرئاسة وأتعاها ويفكر في الخروج من ورطة الخلافات الداخلية والتحالفات داخل السلطة وخارجها ، أضف إليها طوارئ العدوان الخارجي على البلاد وما يحاك من مؤامرات على الثورة التي لم تضمد جراحها بعد .

أما آيت أحمد فهو منشغل بهوموم منظمة الـ "F.F.S" التي ما إن بدأ عودها يشتد حتى طعنت البلاد كلها من الخلف في هجوم ملكي ساقر... ولخضر بورقعة ثائر رفض اغتصاب السلطة. وعارض عملاً فرنسا داخل أهم مؤسسة

وطنية آنذاك هي مؤسسة الجيش ومجروح القلب من جراء الغدر الملكي بالثورة... وبعد لحظة صمت ثقيل قال بن بلة " لم يخطر ببالي يوما أن يرفع آيت أحمد حسين سلاحه ضدي... " ولم يقل ضد النظام أو ضد تصرفات القائد العام للجيش... ودون أن يتم كلامه بل بقي يحدق في آيت أحمد الذي رد عليه فوراً بقوله "أما أنا فلم يخطر ببالي أبداً أن يأتي يوم يزوج فيه أحمد بمحمد في سجن الجزائر المستقلة..." وكان يقصد بمحمد السيد بوضاف، لم يجبه بن بلة عن كلامه وخيم الصمت من جديد على المكان... لم تتوقف أصابع بن بلة على العيب بأطراف الفراش ورأسه لم يفتأ يغالبه على إيجاد وضع مريح على الحائط ، أما حبات العرق البارد فتتصبب على جبينه... قاطع الصمت من جديد محدثاً آيت أحمد: "كيف حال جميلة ودرروس يوغرطة، وكان يقصد زوجته وولده، واستمر يسأله عن كافة أفراد أسرته فرداً فرداً... عدل آيت أحمد من جلسته دون أن يجيبه عن أحوال عائلته وسأله قائلاً: "ما هي يا ترى الأسباب الحقيقية التي أدت إلى انفجار الوضع بيننا وبين ملك المغرب، ومن تراه يكون المتسبب الرئيسي في ذلك...؟" وكان أشد ما يخشاه آيت أحمد أن يجيبه الرئيس بتأويلات مبالغ فيها. الهدف منها تضليل الرأي العام بما يحدث من تناقضات داخل السلطة الأمر الذي شجع الأعداء على أن ينتفضوا على الثورة في حالة ضعفها وانقسامها... لذا ألح على انتزاع تحاليل دقيقة من الرئيس شخصياً ليضعه أمام مسؤولياته.

أدرك بن بلة مقاصد آيت أحمد ويدت عليه علامات الغضب وقال : "كان الأولى بك أن تسألني قبل كل شيء، عما يحصل في ساحة القتال من تطورات وأين وصل الجنود المغاربة في هجومهم على أرضنا... متتهزين هذه الفرصة لمحاربتنا، كما انتهزتم أنتم في داخل البلاد نفس الفرص لمحاربتنا.. إذ لا فرق بينكما في هذا الموقف.. وأعلمك أن الجنود المغاربة قد احتلوا "حاسي بيضاء" وهم في طريقهم إلى منطقة (كلوم بشار) لمحاربتنا ومنع كل الامدادات التي تصل برياً إلى جيشنا ورغم كل ما نحن فيه من تأمر وضائقة لم يقدم لنا أحد يد المساعدة إلا جمال عبد الناصر وفيدال كسترو... وكان الأولى بك أن تفكر معي كيف تجيب على تساؤلات الأصدقاء الذين يستفسرون عن موقفك مني ومن واقع العدوان...".

جاءت كلماته سريعة مزمجرة حيناً وحيناً هادئة وبرقت عيناه وتهدج صوته..

ودون ترقب فتح خارطة كانت إلى جانبه وراح يشير بأصابعه إلى المناطق التي تم العدوان عليها وإلى بعض المدن المحدودية التي بعد الملك العدة لاحتلاعها. ورفق رأسه وأضاف دون أن يتوقف عن الحديث إن جيشنا سيحاصر إذا استمرت الوضعية العسكرية على ما هي عليه وسيمنعون عنه الامدادات والمؤونة والماء... "لم يتمالك آيت أحمد نفسه وقاطعه قاتلاً بعد أن تخير كلماته بعناية: "إذا كان الرضخ كما ذكرت فما نحن جنتاك لنضع أنفسنا وإمكانياتنا في خدمة الدفاع عن حرمة ترابنا الوطني... وأود قبل أن أغادر هذا المكان لأداء الواجب الوطني، أطلب منك أن تتعهد بإطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين وأن تعيد تشكيلة القيادة العامة للجيش الوطني الشعبي كما أشرنا عليك بذلك، وأن يشارك فيها أعضاء الولايات الست واحد عن كل ولاية وأن تعين على رأس القيادة رجلاً تتوسم فيه الكفاءة والإخلاص وأن يكون من ضباط جيش التحرير الأوفياء وأن تبعد بومدين وضباطه المعروفين... عن الجيش وأن توزع الأراضي على المجاهدين وتأخذ زمام المبادرة بحضور المؤتمر المقبل على أن تعلن للجماهير محتوى هذا الاتفاق فوراً، قاطعه بن بلة قاتلاً: "إن بوتفليقة الموجود حالياً في كوناكري سوف أعزله فور عودته كما تم عزل مدغري من قبله، وإذا احتج بومدين أو أحد حاشيته فسيلقى نفس المصير أما إذا رغب أن يبقى وزيراً للدفاع دون تدخل في صلاحياتي فله ذلك...".

اتفقنا في ذلك الاجتماع مع رئيس الجمهورية على تطبيق جميع بنود الاتفاق بما في ذلك إعلانه للجماهير عبر وسائل الإعلام فحوى المحادثات وما تبعها من اتفاق، ثم غادرنا غرفته الشخصية إلى قاعة الاجتماعات حيث شاهدنا بعض الوزراء، تقدم محمد حربي من الرئيس وتحدث إليه همساً... أما الوزراء الذين كانوا حاضرين ليلتها فهم علي محساس وعمر أوزقان وزهوان حسين ومعاشو عبد القادر مدير الديوان لدى الرئاسة.

حيًا بن بلة الحاضرين بيده يتبعه آيت أحمد وأنا شخصياً وكنا نتردي بذلتين عسكريتين جلسنا خلف منضدة عريضة وجلس رئيس الجمهورية وراء الأجهزة السمعية البصرية والمكروفونات.. ثم اشتعلت الأضواء الكاشفة وبدأ تسجيل تصريح رئيس الجمهورية وما جاء في كلمته: "أعلن ابتداء من اليوم وبصفتي

رئيسا للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية قرار الاتفاق الذي ينص على مايلي: "... وجاء في كلمته على جميع بنود الاتفاق دون أدنى تغيير أو إخلال... والتقط الصحفيون والمصورون ورجال الأعمال كل ما جاء في ذلك الخطاب التاريخي رغم قصره وأعطيت الأوامر لبش على أمواج الاذاعة وفي صحف اليوم الموالي، وتفرق الجميع بعد أن شارقت الساعة على الثانية عشر ليلا.

عاد آيت أحمد إلى منزله بالأبيار، وتوجهت بدوري إلى أماكن تركز قواتنا المسلحة بكل من الشلف.. والمدية... وتابلاط... والساحل لأعطيتها الأوامر بالتحرك إلى جبهة القتال، وافقني إلى ضواحي البليدة (مصطفى فتال الذي أعطى أوامر مشددة لرجال الأمن بتسهيل عملية تجميع الجنود وإحضار الحافلات التي ستقل قواتنا إلى الجبهة.

تمكنا بفضل مساعدات الحزب والسلطات المدنية من تجميع قوانا في ثكنة البليدة في مدة وجيزة جدا، وتحركنا فوراً إلى جبهة القتال، وقام القائد محمد أولحاج بدوره. بنفس المهمة حيث توجه بقواته من ولاية تيري وزو الى جبهات القتال بغرب البلاد وبهذا يكون دور منظمة جبهة القوى الاشتراكية انتهى عمليا، ومازالت أذكر تلك اللحظات التي عدت فيها إلى قواتنا أخبرهم بما اتفقنا عليه مع الرئيس وأستحثهم لأن يلتحقوا بجبهة القتال ليتصدوا للملك الجائر... فأجهش بعضهم بالبكاء فرحا وحمدوا الله أن كابوس قتال الأخ أخاه قد انتهى وأن المياه عادت إلى مجاريها (وعسى أن تكوهوا شيئا وهو خير لكم) صدق الله العظيم.

لم يسعفني الوقت حق أشرح للجنود جميع بنود الاتفاق وأقنعهم بضرورة حل منظماتنا والمشاركة في بناء الوطن إلى جانب كل الإخوة... ولا أن أتصل بآيت أحمد وأواقيه بجميع الترتيبات التي تمت بخصوص تعبئة قواتنا ودفعها إلى جبهات القتال.

انصب جميع اهتمامي على مايجري في جبهات القتال وعلى كيفية إمداد رفاقنا الذين سبقونا إلى المعركة بالأسلحة والمؤونة والعتاد الحزبي، ولم يكن بذهني أن أفكر فيما إذا بث خطاب الرئيس وبلغ إلى الجماهير أم لا...؟ ولم أعلم بأنه ألقى بعد فوات الأوان.. وكانت مفاجأة آيت أحمد كبيرة بعدم صدوره

رغم التأمينات التي أخذها شخصياً من الرئيس... تأكد مرة أخرى أن الرئيس خاضع لبعض مراكز القوى في السلطة المفضة بالضباط المدسوسين بزعامة بومدين فخرج آيت أحمد برأسه ينشد الأمان في قريته بعدما غادرها آخر جندي إلى الجبهة لكن الرئيس أذاع تصريحاً آخر مختلفاً تمام الاختلاف أشار في بعضه إلى اتفاقنا معه لكن بطريقة مبهمه وفي نفس الوقت ركز بإطنابه على شعباني شخصياً وعلى تحرك قواته إلى جبهة القتال مفنداً ما شاع من قمرده...

تأكد بومدين وجماعته بعد تلك الأحداث أن رئيس الجمهورية شخصية سهلة الانقياد والاستمالة، ورغم تواجده في قلب الأحداث (بكلوم - بشار) إلا أنه استطاع أن يوجه ضربات خفية لرئيس الجمهورية وإلى أعضاء منظمنا (F.F.S) مستغلاً الفرص لإحداث التغيير الذي يراه موالياً معتمداً حرينا مع الملك كفظاء عام، بحيث صب جام غضبه ونقده على آيت أحمد ومحمد ولهاج وعلي شخصياً وعلى ضباط وجنود مخلصين كانوا في مقدمة التصدي للجيش الملك، وادعى أنه لولا انفصال منظمنا وإضعافها الصف في الداخل ما كان للملك المغرب أن يستهين بقواتنا ويفزو حدودنا الغربية... وبذلك زيف موضوع الخلاف الداخلي وحوكه عن إطاره الصحيح الذي سبقت الإشارة إليه إلى قضية انفصالية وقمرد على الشرعية وإخلال بالتوازن العام مع العدو واستطاع أن يجمع لصالحه هذه الأوراق السياسية على حساب رئيس لا يحسن المناورة السياسية ولا يعرف كيف يدبر بؤر الصراع ويتحكم في التوازنات داخل أجهزته المختلفة...

6 - بعض أصداء المعركة أو من شارك فيها؟

تصدى الجيش الجزائري للقوات الملكية الغازية وأبلى بلاء حسناً وذلك رغم بعض الممارسات المشينة التي توختها جماعة بومدين داخل الجيش، بحيث لجأت إلى أسلوب المفاضلة والتمييز بين قواتهم وقوات المعارضة التي التحقت بالجبهة تقاتل العدو جنباً إلى جنب مع باقي فصائل جيشنا... وقد وصل استهتار ضباط بومدين إلى درجة عزل جنود منظمنا المنحلة وشتمهم والتشكيك في نواياهم... لكن لم يزداهم ذلك إلا ثباتاً على المبدأ وإقداماً على المواجهة والقتال بل استطاع بعضهم التسلل إلى الخطوط الخلفية للعدو بحوالي 70 كلم وتنفيذ عملياتهم الجريئة رغم عدم تعودهم على أرضية المعركة وأهوال الصحراء.

سقط عدد كبير من شهدائنا على أرض المعركة وعاد الناجون منتصرين يحملون شرف الدفاع عن الأرض ضد الغزاة... أما الذين اغتروا بأنفسهم من أتباع يومدين فقد سقط عدد منهم في الأسر بحيث ألفت القوات المغربية القبض على عدد كبير من أعضاء القيادة العامة للجيش الوطني الشعبي... وكان هذا الحادث امتحانا فاصلا بين الذين أعطوا كل شيء للوطن دون أن يسألوه شيئا... وبين الذين أخذوا كل شيء منه دون أن يعطوه مقابلا... لقد وقع ضباط جيشنا في الأسر ومعهم بعض ضباط الجيش المصري الذين شاركوا رمزيا لكن بفعالية في تلك المعركة... واحتجزت طائرة الهليكبتر التي كانت تقلهم وأذكر أن ضباطا كوبيين اشتركوا معنا في دفاعنا على حدودنا الغربية أيضا، وقد كان الرأي العام الدولي معنا إلى درجة إدانة الغزو الملكي ووصفه بالجرمة...

وما كان ذلك الدعم ليكون لولا سمعة الثورة الجزائرية وصيتها العالمي وتعاطف شعوب المعمورة كلها مع رسالتها التحررية...

أما الملك فقد استنفر وسائل إعلامه وعبأ الشعب المغربي الشقيق ضد الجزائر وثورتها ووسمها بجميع التبعات والخبائث إلى درجة التفرير بشعب شقيق شارك بأبنائه وأمواله من أجل نيل حريته وقاتل رجاله معنا في خندق واحد ضد الجيش الفرنسي... وأشهد أن عدد المجاهدين المغاربة الذين ضمتهم واحدة من بين كتائبنا بلغ عشرون مجاهدا مقداما.. وصادف أن كان الأب المجاهد إلى جانب ولديه في نفس الكتيبة التي كنت أقودها وهي (الكتيبة الزبيرية) المعروفة لدى العدو برقم 424 طبقا لتقسيمه العسكري لمناطقنا وسال الدم المغربي في شلال واحد مع الدم الجزائري وتوحدت قومية الثورة التي لم يتخلف عن دعمها وتقديرها عربي واحد من الخليج إلى المحيط وكانت قبلة العرب والمسلمين وجميع أحرار العالم...

توقف القتال بين الجبهتين بعد أن وافق الملك على قرار وقف القتال تحت ضربات الشوار الجزائريين... ووظف الرأي العام الدولي... رعاد الاستقرار الحذر بين الجارين بعد أن أسفرت المصادمات على ضحايا من الجانبين وجرحى كثيرين... وانسحبت قوات الجبهتين إلى خطوط الحدود الدولية... ورغم حجم الخسائر والعار الذي لحق الجارين الشقيقين من ذلك الصدام فقد خرجت الثورة منتصرة وسجلت صفحة مشرقة في تاريخها ضد الظلم

والطغيان الملكي...، الذي لم ينس هزيمته وظل يترصب بالشورة الجزائرية ويتحين الفرص للانقضاض عليها.

ما إن أغلق ملف صراع الثورة مع الملك.. حتى فتح ملف صراع الثورة مع نفسها... وانطلقت الحروب السرية والعلنية بين المسؤولين في الحكومة والحزب والجيش، وفتحت أبواب السجون والمعتقلات من جديد وأصبح الجميع يخاف الجميع... واشتدت الأزمات الاجتماعية على المواطن الذي لم يعد يرى إلا الضباب المالحك.. تفجرت المعارك المباشرة بين الرئيس ومعارضيه وفي مقدمتهم محمد خيضر... ووصل الخلاف إلى حد التلويح بالتهديد ثم إلى التنفيذ... فأصدر بن بلة أوامره الرئاسية إلى البنوك بعدم اعتماد توقيع خيضر لصرف أي مبلغ مالي مودع باسمه... وطالب بسحب هذه الأرصدة فوراً منها خيضر بتهديد أموال الثورة المودعة في البنوك الأجنبية، وبالأخص البنوك السويسرية... الأمر الذي رفضه خيضر وسارع إلى القول: «إنه سيضع تلك الأموال تحت تصرف المعارضة للإطاحة بنظام بن بلة وهكذا تحول الصراع من صراع داخلي إلى صراع خارجي بأطراف عديدة...»

وشارك في نفس الصراع كريم بلقاسم الذي له حسابات شخصية وعامة مع بن بلة وقيادة جيشه واستعمل فيها تجاربه وأصداءه في الداخل والخارج.

ولم يتأخر عن هذه المعارك السيد محمد بوضياف الذي تمكن من داخل زمراته أن يكتب كتاباً بعنوان: «ديكتاتورية بن بلة»، ويوزعه على نطاق واسع...

كانت هذه المعارك الظاهرية أقل بكثير مما يحاك في السر من دسائس تقودها بياض الثورة المضادة بقيادة بومدين وجماعته الذين كانوا يختبئون خلف ظلال الغلاطات الظاهرية ليخططوا في أمان لمشروع انقلابهم العسكري واغتصابهم السلطة، ثم تصفية جميع الأطراف... وملاحقة الوطنيين وقتلهم أو سجنهم... وفي مقدمة هؤلاء آيت أحمد الذي ظل يترقب أن يفني الرئيس بوعوده التي التزم بها لمنظمتنا في لقائنا معه في بيته بفيلا الجميلة، لكن الرئيس اتصل من تلك الالتزامات وغدر بنا ولم يلتزم إلا بقرار إنشاء لجنة تحضيرية لعقد المؤتمر... بل وأمر بالقبض على رئيس منظمتنا (جبهة القوى الاشتراكية)، وجذت أجهزة أمنه في البحث عنه ليلا ونهارا وصدرت الأوامر إلى الشرطة والدرك والأمن

العسكري بالقبض عليه حيا أو ميتا، وسيق الرجل إلى السجن وبدأت محاكمته في سرية تامة كي لا يثير الحكم عليه أية شفقة أو ردود فعل من قبل بعض الجهات... وكان قرار بومدين أن يُصَفَى جسديا حتى لا تتحول محاكمته إلى محاكمة النظام نفسه... لكن يفضل المخلصين تمكنا من تخفيف الحكم عليه بالسجن عوض الإعدام.. وأذكر أنني كنت على اتصال مستمر بالرئيس حتى أنني التقيته ست مرات في ظرف أيام معدودات... وكان هاجسي الوحيد هو إنقاذ أيت أحمد من إعدام محقق.. وأبلغت الرئيس مرارا احتجاج رفاق أيت أحمد ومعارضتهم الشديدة لمحاكمته... لكنه في النهاية خضع لمساومات بومدين و«لوبيه» القوي في السلطة، نظرا لما كان عليه الرئيس من سرعة غضب وسهولة انقياد وطيبة خاطر... وهكذا انتصر جناح بومدين مرة أخرى على بن بلة الذي وافق على إبداع أيت أحمد السجن، وعلى إثر هذا الحادث المؤلم قررت قطع أي اتصال به.. وتمت زواله، وأخذني الندم المقيت لتفريطي في منظمنا في لحظة طفى فيها حب الوطن والتضحية في سبيله على أية حسابات سياسية أخرى... وقبل أن أودعه في آخر لقاء به قلت له حرقيا: «إذا كان لا بد من تنفيذ حكمكم عليه... فلم لا نحاكم جميعا ليتبين للشعب من الضالم ومن المظلوم... وأقول لك طالما استمرت في عنادك، وسوء تصرفك، فإنك تدعوننا إلى الاحتفاء بالجبال مرة أخرى وإلى التمرد عليك... لكن أعلمك بأننا لن نفع مرة أخرى في الفخ طالما قواعد اللعبة أضحت واضحة ومكشوفة... ولم يبق أمامك إلا أن تتخذ قرارا حاسما بوصفك المسؤول الأول على البلاد لوضع حد نا يحاك في البلاد... وقد أندرنك مرارا من سوء العاقبة، واعنم باسيادة الرئيس إذا لم تسارع إلى تطهير الجيش من الخونة فإن الدائرة ستضيق عليك لا محالة...»

جرى هذا الحديث غي بيته الذي تعودت دخوله دون استئذانه ولو في ساعة متأخرة من الليل... ولم أره ثانية إلا يوم 5 ماي 1965 عندما استقبلني ضمن المؤتمرين إثر إنهائنا مؤتمر المجاهدين وكان بصفته رئيسا للجمهورية لا بصفته صديقا... واستمر ذلك اللقاء كالعادة إلى ساعة متأخرة من الليل، قدمت له فيه بعض ملاحظاتي على المؤتمر... دون الدخول في التفاصيل التي كان جهازه السري ينقل له حتى أحاديث الناس إن رغب فيها...

ذكرت له مظاهر الاحتفال التي أشرف عليها يومين في المؤتمر وتوجست من خلفيات الاحتفال الذي قصد به التودد إلى المجاهدين وكسب ثقتهم وهي عملية جديدة في أسلوب تعامل يومين... كما شرحت له موقفي في النقاش الحاد الذي جمعني إلى بعض وزرائه خاصة منهم (الدكتور النقاش، والحاج بن علة)... ثم فاتحته في مسألة رأيت بأنها تهدد مستقبل منظمة المجاهدين... وهي مسألة يقف وراءها يومين بكل ثقله في السلطة والجيش، بحيث عمد يومين إلى دعم قائمة معينة من رجاله ليعينهم في الأمانة العامة للمنظمة، وكان جميع هؤلاء إما من بين الذين شاركوا في الثورة مشاركة رمزية متسللين إليها من الجيش الفرنسي أو من بين الذين لم يعرفوا عن الثورة إلا ما تناها إليهم عن طريق وسائل الإعلام الدولية، وشرحت للرئيس معارضتي ومعارضة المجاهدين المخلصين لقائمة يومين المقترحة... وأحفظ اليوم بهذه القائمة لأن من بين أعضائها أشخاص ما زالوا على هرم السلطة ما في الجيش أو في الحزب أو في الإدارة...

وذكرت للرئيس أن يومين اغتاض لموقفي واستدعاني شخصيا في المؤتمر، وهددني بالسجن إذا استمرت معارضتي لرجاله ولرغباته... وحذرت الرئيس من لعبة يومين في استمالة بعض المجاهدين الذين هم على خلاف معه ليوظفهم ضده في خطة انقلابية خطيرة... أحس الرئيس بندم شديد على بعض خلافاته مع المجاهدين وبدا حزينا لبنا وارتد إلى نفسه في لحظات تصانفي مع الذات عليها كانت بداية الوعي بما يحاك له ويحاك ضد الثورة وضد قيمها التي جرى اختيالها باغتيال رجالاتها... تواصل سمرنا في بيته وتشعبت بنا دروب الأحاديث... ولم يَأب إلا أن نشاركه عشاء الخاص... الذي كان من وجبة الكسكس التقليدي التي هي في متناول أي مواطن عادي تختلف كلية عما رأيناه في يومنا من بذخ وإسراف على موائد يومين وجماعته التي تعودت المآدب الفاخرة، كنا خمسة أشخاص هم (حسان الخطيب ويولجروف وأنا وزمضان عمار ومحمد حربي مستشاره الخاص الذي لا يفارقه ولا يفتأ يلتقط كل ما يقوله الرئيس وربما ما يدور في خلده)... تطارحتنا موضوعات المرحلة ومصاعبها وقدم بعضنا آراء تستشرف مستقبل البلاد ومستقبل المنطقة المغربية والعربية والدولية... وتوقفنا عند أوضاع بلادنا الصعبة وهي تحاول وضع أسس عامة تقوم عليها...

كانت مشاعري التلقائية تحدثنني بعكس ما أسمع منه وأرى... ورأيت
بحدسي أن مستقبل الجزائر لن يكون بين يديه... رغم شعبيته... وإخلاص نيته
وجه لوطنه... شارف الليل على الانتهاء، وبدت بوادر الفجر في الفضاء...
استسمحناء في الخروج.. لكنه أبى إلا أن يرافقنا في جولة خارج القصر...
مشتكيا من جفوة النوم.. قائلا أفضل أن تداعبني نسيمات الفجر الأولى...
ترجلنا جميعا نحن الخمسة من بيته "بفيلا الجميلة"، إلى قصر الشعب... وفي
طريقنا كانت قرافل العمال متجهة إلى مقرات عملها... شارفنا على الدخول
إلى بهو قصر الحكومة... عندها أشار علينا الرئيس بالترث قليلا وقال في
صوت هادئ مطمئنا نفسه... "تأكدوا أن بومدين لن يصل إلى الحلم مطلقا...
ولن يحقق أهدافه... وذلك لأسباب عديدة :

أولا: لأنه شخص من صناعي شخصيا ولا أحد عليه فضل مثلي .. فأنا الذي
أوصلته إلى تلك المرتبة العالية ...

ثانيا : إن حب الجماهير لي وتعلقها بي وإخلاصها لي يمنع كل من تحدته
نفسه سوما أو مكروها بلحقه بي ...

ثالثا : انعقاد المؤتمر الأفرو - آسيوي الثاني في بلادنا على الأبواب
ودعوات الحضور وصلت إلى الملوك والرؤساء... والمواقفة عليها تأكدت ولا
أعتقد أن أحدا يجرو على المغامرة بالوطن... هذا وأعدكم أنه بمجرد انتهاء
المؤتمر... سأضع بومدين في مكان أعرفه جيدا... فلا داعي إذن للخوف...".
مددنا له أيادينا نصافحه.. ولما كان دوري شعرت كأني أصافحه لآخر مرة..

لست أدري السبب. ربما لأن الفكرة التي استوثقت بي منذ مدة لم تفارقني
أبدا... حتى وهو يؤكد سيطرته على الوضع ويخطط لوضع حد لطموح بومدين
في الاستيلاء على السلطة... نفرقنا تاركين الرئيس يدخل بهو القصر بقامته
الفارعة وعلى محياه ابتسامته العريضة وصدى أقدام حراس القصر تملأ المكان
تحية له .. بعد شهر بالتحديد من ذلك اللقاء الودي نفذ العقيد هواري بومدين
وزير الدفاع خطة انقلابه العسكري ليلة 19 جوان 1965 وانتهى بذلك عهد بن
بله بسيئاته وحسناته وبدأ عهد بومدين بسيئاته وحسناته.. وكان لي شخصيا
مع كل عهد منهما ظروف وأحداث...

7 - يومدين أخرج الجاهدين من شرف الجهاد وجعلهم تجارا.

سافرت ضمن وفد رسمي إلى جمهورية بوجسلافيا وكانت أول زيارتي الى هذا البلد الجميل المضيف، الذي أكرمنا كبير الاكرام... وفي جلسة ثقافية ممتعة مكثنا وقدنا من مشاهدة شريط سينمائي وثائقي يحكي أحداث المقاومة الشعبية في بوجسلافيا ، وبعد فترة المشاهدة فتح باب الحوار السياسي والثقافي حول هذا الشريط وتفرغ بعد ذلك ليشمل قضايا عديدة في العالم ومنها مقارنة مقاومتهم الشعبية بثورة التحرير الجزائرية، وكان إلى جانبي جنيرالا يدعى "مايور" وقد لاحظت أنه شديد الرغبة في أن يقول لي أشياء عديدة لكنه محرج... فشجعت على الكلام واستدرجته إليه حتى إذا لمس ثقة مني استرسل في الحديث وأفاض فيه فقال: " إياكم والتعامل مع الضباط الذين أنضخوا إلى صفوفكم وجاؤوا من القوات الفرنسية، فإن الخطر كل الخطر ينبع من هؤلاء الذين خانوا الوطن، ومن خان الوطن مرة يخونه مرات (بل دائما) قاطعته قاتلا: لا يوجد ضباط بين ظهرانينا في الجزائر مرسلين من قبل العدو.. نظر إليّ "مايور" نظرة فاحصة وكأنه يتهمني بأني أستغفله وأسر إليّ أسماء عديدة لا أعرفها ولا أدري وقتها أنها إطارات عليا في الجيش الوطني الشعبي لسبيل جيش التحرير... أحسست ساعتها بصاعقة تنسف وجودي وتوقظني من غفلة الصدق الثوري والعفوية إلى المكر والدهاء والمؤامرة التي حيكمت وتحاك ضد الثورة ومجدها... لم أغادر بوجسلافيا واستمر مقامي بها شهرا كاملا تعرفت خلاله على شخصيات لا تقل أهمية على الجنرال "مايور" ومن بين هذه الشخصيات ضابط طاعن في السن يقول أنه كان أميا أثناء الكفاح المسلح وبعد تحرير بوجسلافيا تعلم القراءة والكتابة وتدرج في الدراسة إلى أن تحصل على شهادة البكالوريا، ونظرا لجهوده الوطنية وشجاعته الحربية أكرمته وزارة الدفاع اليوغسلافية بأن منحته برنامجا تعليميا خاصا وسريعا... وصادف أن حضرت حفل تكريمه وشاهدت كيف أن عدسات التصوير غطت هذا الحدث العظيم لرجل وهب حياته لوطنه، وبعد أن تسلم شهادته أمام الجميع ألقى بجسمه النحيل إلى جانبي فلم أتمالك أن أسأله قائلا: "هل مازال باستطاعتك وأنت في هذه السن أن تدافع عن بوجسلافيا؟ قال: «حاربت في إسبانيا في صف الاشتراكيين وحاربت الفاشية التي غزت بلادي ومازلت على أتم الاستعداد لأضحى بنفسي في أية لحظة من أجل بلادي شريطة أن تكون تضحيتي تحت راية النجمة الحمراء...»

صدمتني كلماته بصدقها الصارخ وقفزت إلى ذهني مقارنة سريعة بين ضباط منحتهم الجزائر مناصب عليا وخلعت عليهم النياشين وقد سمعتمهم يشدقون بأقوالهم: أنهم لن يقاتلوا مرة أخرى مهما كان السبب والخطيب... وبين هذا الضابط اليوغسلافي المتقاعد، وقلت في نفسي أن الفرق بسيط فالضابط العجوز تعلقت روحه بمثل عليا ومبادئ واضحة، أما ضباطنا المتخاذلون فتعلقت همهم بمنافع ذاتية كالحصول على شاحنات وخمارات الخ... وحتى إذا نالوها ارتدوا على أعقابهم ونسوا الواجب والجهاد ليستولي عليهم جشع التجار والتعسف في استعمال المنصب والرتبة...

أعتقد مخلصا أن الانحراف الخطير بدأ في ثورتنا لما استولى على السلطة بن بلة وبومدين عام 1962 وتعمق بعد الانقلاب العسكري في 19 جوان 1965 بحيث غرر بومدين المجاهدين ولاسيما أصحاب الرتب العليا وأرياهم بقروض وأعطاهم محلات تجارية وبذلك أخرجهم من شرف الجهاد ليجعل منهم أجراء أو مرتزقة تسلموا ثمن قتالهم بعض الملايين من السنتميات، وحانات ومطاعم فخمة... وبذلك أفرغهم من محتواهم... وصادر ألسنتهم كي لا تنطق بكلمة حق بعد أن اشترى منهم ضمائرهم، وهكذا سقط الرمز وبقي التاجر أو الأجير... وتساوى في ذلك العار، ومجاهد في الله وفي الوطن وعميل كان بالأمس في صف المستعمر النازي وأصبح اليوم قائد ثورة ورمز تقدم...

لا يمكن لعاقل أن يصدق أن المجاهد الذي كان بالأمس يجدد أنف مخالف الثورة أو يقطع شفاهه لأنه شرب الخمر واعتدى على فضائل ديننا الحنيف أو قامر أو سرق... ألخ أن يصير هو نفسه اليوم يأتي هذه الفواحش بل ويتاجر فيها...؟ كان المجاهد أيام العز يعد نبيا أو يكاد بحيث كلما مر بقرية أو دشرة إلا واجتمع إليه الناس يتباركون بملامسته والحديث إليه بل ويزعم البعض أنه يشفي المرضى ببركته وصدق سريرته... لم يخطط بومدين المشروع بمفرده، بل قد تعلم مبادئ الدس والمناورة والحديث وراء الحدود فأعاد تجرية الحبيب بورقيبة في تونس، والمعروف أن بورقيبة خان المقاومة الوطنية في بلاده وجردها من سلاحها وهي في عز مراحل تحريرها وعمد إلى تصفية جل أبطالها وقادتها والإطاحة بمن بقي منهم بأسلوب الإغراء والإفساد تطبيقا حرقيا لرغبات فرنسا في إخفاء شعلة الثورة... وقد لا أكون مخطنا أن نفس المشروع مع تعديلات

مختلفة تماثيا مع طبيعة المناطق وطبيعة استعمارها قد نفذ في الأقطار المغربية الثلاثة... إن نظرية الاستعمار تطورت إلى نظرية جديدة لعب فيها العقل والدهاء والمناورة دورا رياديا وتحول الصراع من موقع العداء بين عربي وفرنسي إلى صراع بين الأشقاء إن في تونس، أو في المغرب أو في الجزائر... وبدأت بوادره تظهر في إفساد الرمز وتشويه القيم التي ضحى من أجلها الوطنيون المخلصون وإفراغ الثورة من محتواها تماما...

كنا نتباهى أيام الجهاد بعدد الجروح التي تزين أجسامنا... ومن لم يجرح أو لم يقطع أحد أعضائه يعد في نظر أقرانه دون مستوى المجاهد المتحدي... المجاهد الذي ينازل العدو ليلا ونهارا في السهول والغابات وبين الصخور يواجه القذائف والقنابل والرصاص والغازات المحرمة أما اليوم فاصبحتنا نتباهى بعدد الحمارات والشاحنات وأرصدة البنوك...



أكثر من 110 مواطن أحرقتهم فرنسا بالنابالم سنة 1959 بالولاية الرابعة. (التقطت الصورة في منطقة تنس)

الفصل السابع

بن بلة وبومدين ، أو من تدعيم ضباط الجيش الفرنسي إلى تهميش الحزب.

1 - بومدين، من الانقلاب... إلى الزعامة،

من تعرف إلى بومدين ودرس مواقفه وخطته... وتعرف إلى بن بلة وكشف سريره وعفوفته لا يباغت بانقلاب 19 جوان 1965... وقد لا أكون مبالغا إذا زعمت بأن بومدين الذي درس في القاهرة في السنوات الأولى من خمسينيات هذا القرن... وواكب جميع أحداث ثورة 23 يوليو 1952 المصرية ضد الملك فاروق . . أعاد نفس السيناريو في الجزائر مع فارق الظرف والمعطيات وطبيعة الأشخاص... إلخ.

كان بن بلة شخصية رومنسية عاطفية مفرورة بظواهر الأشياء لا مقتنعة بجواهرها بحيث كان يتصور في نهاية مرحلة حكمه أنه زعيم الجماهير دون منازع ومنقذها وأنها حليفه انذي لايسمح لأي كان المساس بشخصه وبحكمه... وزاد في غروره نداءه إليها ودعوته لكي تتبرع بكل ما تملك من مال وذهب وجواهر... "لصندوق التضامن الوطني" الذي لم تتأخر الجماهير في إسناده بكل ما تملك نظرا لما كانت عليه هذه الجماهير من صدق واستعداد للتضحية والتكافل الاجتماعي قبل أن يتسرب إليها داء الفساد الذي استشرى وعم... بالإضافة إلى ذلك التجند التلقائي الذي تميز به شعبنا في مواجهة جيش الملك في غزوه لحدودنا الغربية... بحيث توحد الفرقاء جميعا... وهب الشعب متطوعا بالنفس والنفيس، تشكلت لدى الرئيس مع الأيام قناعة ذاتية بأنه زعيم أوحده لعب فيها التهيوء والخيال دورا حاسما... بحيث كان دائم الحديث في التجمعات الجماهيرية حتى هبط بالسياسة من مجال التنظير والتخطيط المحكمين والتنفيذ الجيد... إلى مجال الخطابة والمهرجانية التي يمتطي فيها صهوة العاطفة

الشعبية فيصّب جام غضبه على معارضيّه في الداخل والخارج ويشبعهم شتماً وسباباً... دون أن يقدم البدائل العلية... في حين كان معارضوه وفي مقدمتهم بومدين يخطّط بدقة وفي صمت مطبق للقضاء عليه... حتى إذا كان يوم 19 جوان 1965 اكتشف الرئيس الحقيقة المرة... وتأكّد بأنه يقف في الهزيمة وحيداً... لا حزياً يدعّمه ولا مغامراً يضحي من أجله... ولا جماهير هبت لنصرته وحمته من مأزق الوقعة... إلا الرئيس والصدّيق الوفي عبد الناصر الذي أرسل على الفور مبعوثه الخاص زكريا محي الدين إلى الانقلابيين وطلبهم بأن لا يحاكموا بن بلة أو يعدموه حفاظاً على سمعة الثورة وعلى رموزها... وعدم إعطاء فرصة لأعدائها فيقطعون فيها ويشوهون قدسيّتها ويعرقلون رسالتها... فضلاً عما كان بين عبد الناصر وبن بلة من صداقة شخصية تعود إلى السنوات الأولى من الخمسينيات...

وقد رفض الانقلابيون تسليم بن بلة إلى زكريا محي الدين لا نكاية في بن بلة ولكن خوفاً من عبد الناصر الذي كان شديد الميل إلى بن بلة.. وهكذا أودعوه غياهب السجن طيلة عهد حكم بومدين وبعض حكم الشاذلي بن جديد.

كان حقد بومدين على عبد الناصر مشوباً بالغيرة والتآمر بحيث استفاد بومدين من تجرّبة عبد الناصر ودوره في مجموعة الضباط الأحرار، فكما هو معروف تمكّن عبد الناصر من أن يستعمل رفيقه محمد مجيب في بداية الثورة وأن يكون بوقاً لزملائه وأول رئيس للثورة... والحقيقة أن الرئيس الفعلي كان جمال عبد الناصر... وقد رأى بحكمته وبعد نظره أن يستمر في التخطيط في الظل إلى أن تحين ساعة الحسم... وهذا ما حصل في مصر وتكرّر في الجزائر مع بومدين ضد رئيسه بن بلة مع بعض الفوارق الطفيفة...

بعد أن استولى بومدين على السلطة في الظروف التي نعرفها جميعاً وبالأسلوب الذي طبقه استولى على الحكم ووزع عملاء على مواقع السلطة وبدأ استبداده فركز جميع السلطات في شخصه... وبذلك وضع يده على الجزائر كاملة ومد يده إلى الوطن العربي باحثاً عن مناطق نفوذ تمكّنه من بسط زعامته والظهور بمظهر الزعيم البديل لعبد الناصر، واستغل هزيمة حزيران 1967 بأن طار إلى العاصمة السوفياتية والتقى في الكرملين بزعمائها وتفاوض معهم بشأن



الصورة من اليمين إلى اليسار: المؤلف - محمد بن علي (مجاهد من قرية أولاد براهيم بالمدينة)
- الرائد سي محمد بونعامة - عبد العزيز حراث (المحافظ السياسي) - المجاهد علي بن زرقفة
مسؤول الاتصال (مات بعد الاستقلال)



مجموعة من المجاهدين الشهداء: من اليسار إلى اليمين:
- قائد الولاية الرابعة (العقيد سي محمد بونعامة) - الضابط الأول خالد عيسى الباي - الضابط الأول
محمد ثقيف - الضابط عبد القادر وادفل
وقد أخذت هذه الصورة أيام قليلة قبل استشهادهم (باستثناء محمد ثقيف الذي أسر في نفس اليوم)
في مركز جيش التحرير الوطني بدار عائلة النعيمي بالبلدية.



تمثيلية من تأليف وآداء الشهيد أحمد أرسلان (شاعر الثورة و مرشد الولاية) بمناسبة إحياء ذكرى اندلاع الثورة في 1 نوفمبر 1959 م في قرية أولاد بوعشرة.



الواقفون من اليسار - طهراوي عبد القادر (شهيد) - المؤلف - الدكتور يحي فارس من صدوق (ببلاد القبائل) طبيب التحق بالثورة من جامعة (مونبيليه) بفرنسا سنة 1958، الذي عليه القبض وأعدم سنة 1960 في مدينة المدية. - بشير بابا علي المدعو إلياس (شهيد) رئيس المنطقة الخامسة. الجالسون: - سيد علي (من ثنية الحد) - محمد بلعباس محافظ سياسي (شهيد) - محمد من المدية (شهيد) - محمود من المدية (حي).

الأسلحة إلى الجيوش العربية... وقدم لهم شيكا على بياض وعاد فوراً ليخاطب جمال عبد الناصر من موقف الحكيم الناصح أن يواصل الحرب ضد العدو الاسرائيلي ولو أدى ذلك إلى احتلال القاهرة... ووعد بإرسال قوات جزائرية إلى الجبهة... وفعلاً اشتركت وقتها قواتنا في الحرب العربية الاسرائيلية... لكن على غرار قوات عربية أخرى كثيرة لم تأت مشاركتها بشمار بعد أن اغتصب الصهاينة أراض عربية أخرى كثيرة واحتلوا مواقع متقدمة بفضل الدعم الأمريكي والأوروبي غير المشروط...

صعد نجم بومدين بعد هزيمة 1967 وصار زعيماً عربياً... يدعو إلى القيم الاشتراكية والثورية مستغلاً سمعة الثورة الجزائرية وهبتها العربية والعالمية... وضعف الأنظمة العربية وهزيمة مصر عبد الناصر التي ترتبت عنها تغيرات خطيرة في المنطقة العربية كلها شملت الثقافة والاقتصاد والسياسة والأمن... إلخ

2 - الانقلابيون يوزعون الأدوار،

وجد الانقلابيون معارضة خارجية من قبل دول وحكومات أجنبية كثيرة... أما في الداخل فإن المعارضة في عمومها كانت صامتة إلا من بعض «المظاهرات الشعبية» في بعض المناطق... بحيث لم تتصد المنظمات الشرعية لهؤلاء الانقلابيين لا الطلبة أو العمال أو المجاهدين!! وتفوق أنصار بن بلة، فمنهم من فر إلى الخارج ومنهم من اختفى وأغلبهم قبض عليه وأودع السجن... وهكذا خلا الجو لبومدين وطغمته... ولم يبق في المعارضة إلا نفر قليل، وكنت من بين هؤلاء. ولم نعترف بالانقلابيين إلى يوم 22 جوان 1965 عندما جاءنا بوعلام بن حمودة موقفاً من قبل أحد أعوان قائد الانقلاب يخاطب ودنا ويحملنا على الاعتراف تأييداً لموقفه ودعماً له... وكنا قبل ذلك قد انطلقنا في حملة شرح وتوعية في صفوف المجاهدين والمناضلين لتبصيرهم بأخطار الانقلاب... ولكنني أعتز اليوم أن بوعلام بن حمودة هو الذي جرنني شخصياً إلى الاعتراف بالانقلابيين الذين اعترف بهم الجميع، اعتبر بومدين موقفاً شاذاً وعدائياً وحصره في أعضاء الولاية الرابعة الذين كما قال لم ينسوا ضغائن صراع الولايات عام 1962...

تسلل بوعلام بن حمودة في ليلة من تلك الليالي التي لم أذق فيها طعم النوم وجاءني إلى بيتي بحي حيدرة... اندهشت لرؤيته ليلا دون موعد مسبق وهو في لباس النوم... وفاتحني فوراً بضرورة الاعتراف بالانقلابيين لأن ذلك يدعمه شخصياً، وأضاف مذكراً بما لحق ولايتنا من خسارة فادحة من جراء المصادمات مع جماعة تلمسان بقيادة بن بلة وبعدها في منظمة جبهة القوى الاشتراكية وزعم أن الذي فشلنا في تحقيقه بالسلح والثورة والعصيان... سوف نحققه بالسياسة بفضل التحالف مع الانقلابيين... وأعلن أمامي أنه لم يبق معارض سواي لم أجد بدا من مساندته فوافقت على الذهاب معه إرضاء لرغبته إلى مقر الانقلابيين... وفي نفسي شعور بالعبث الوجودي... دخلت معه مقر القيادة فوجدت قائد أحمد ومدغري والشريف بلقاسم وغيرهم... وفي حركة دائبة واستنفار مشهود... واجهني الشريف بلقاسم بخطابه قائلاً: "اتفقنا على ما تفاهمنا فيه..." وكان يقصد عزل وزير الشبيبة والرياضة في حكومة بن بلة «الصادق باطل» وتعيين بوعلام بن حمودة مكانه... لم يمهله بن حمودة فقال: «نعم.. نعم.. اتفقنا». وهكذا فهمت لماذا تسلل بن حمودة ليلا إلى بيتي وجد في إقناعي بدعمه لأن اعترافي بالانقلابيين كان ثمنا لمنصبه على رأس الوزارة... انتهى لقائي بالانقلابيين عند حدود المجاملات...

كان الانقلابيون يدركون جيدا ما يمكن جنيته من خلال شخص بن حمودة لما عرف عنه من ضعف شخصية وخضوع للأوامر.

وهكذا لم يتأخر بن حمودة في تضييق الخناق على المجاهدين سيما الذين هم من أبناء ناحيته... وظل مخلصاً لأوامر الانقلابيين طيلة أيام حياته السياسية.

لازمت بيتي طيلة تلك الأيام وانكفأت على نفسي متأملاً مقارنة الفارق الذي يفصل ما بين وضعي في الأمس القريب لما لقيت يومدين بعين وسارة مفاوضاً وإلى جانبي قوة عسكرية... ووراثي قاعدة شعبية عريضة تعارض اغتصاب الشرعية وترفض المؤامرات والذسائس وبين وضعي... في مواجهة الانقلابيين وقد ضاع مني كل أمل في الدفاع عن شرعية الثورة وحمل لواء الاخلاص لعهد الشهداء... وخامرني شك بالخيانة والتخلي عن مبادئ التي واجهت بها فرنسا مع المخلصين من أبناء هذا الوطن... لكن لم تدم أزمة المعاناة

كثيرا حتى ثبت إلى رشدي واستبعدت كل قناعة بإمكانية الاعتراف بهؤلاء الغامرين لا سيما وأني أعرف تركيبتهم ونواياهم... لم يطل بي مقام الاعتراف حتى عدت لأكفر عن ذنوبي وأعلن قردي من جديد على النظام...

شكل يومدين حكومته... واحتفظ لنفسه بمنصب رئيس مجلس قيادة الثورة والحكومة ووزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة والأمن العسكري... ووزع باقي المناصب على أتباعه... ودعم عملاء من ضباط الجيش الفرنسي في مؤسسات الجيش... وبدأ إهمال الحزب وتهميشه ومساومة المجاهدين على جهادهم وأخرجت الإدارة مخالها الفرانكوفيلية... لتوجه البلاد توجيهها عميلا لفرنسا وتفصل الجزائر عن إطارها القومي العربي... ويسود المسخ ويعم الانحراف

تفوقعت، في المراحل الأولى للثورة، على نفسي داخل الحزب، كمحافظ وطني للحزب لولاية التيطري، وحاولت إصلاح بعض أوضاع مجاهدي ثورة التحرير ومن بينهم كثير من الجنود الذين أعرفهم في تشكيلاتنا في الولاية الرابعة إبان الثورة. انفجر الخلاف بيني وبين النظام تلقائيا... سيما وأن تدهور الحزب بدأ يتفاقم ودوره يتراجع أمام الإداريين ومحترفي السلطة إلى درجة أن صودر دور الحزب نهائيا وخضع لوصاية الإدارة في نظام يدعي الاشتراكية والطلائعية الثورية؟ بحيث رفض الإداريون تسليم الحزب ميزانيته لتسيير شؤونه مما حمل قطاع البريد على قطع الهاتف... وإدارة الكهرباء على قطع النور... الخ، وتسلط أحمد مدغري الذي كان يملك صلاحيات الإدارة تسلطا لامثيل له على الحزب وإطاراته مدعوما من قبل جماعة وجدة وخولت للإدارة صلاحيات مراقبة الحزب وإلقاء القبض على كل من يشبه فيه أنه ضد النظام.. أو أنه يعارض أسلوب الإدارة الطاغية... وقد نال المناضلون جزاءهم الأوفى من السجون والمعتقلات والتعذيب... ولا يفوتني أن أذكر ببعض الأسماء القليلة التي أعرفها بحكم مسؤوليتي الحزبية على محافظة التيطري وكان من أشجع مظاهر الجور والاستهتار بقيم الثورة وبمستقبل البلاد.. ما اقترفه رفاق يومدين من جرم وظلم في حق كل من يرفع صوته في وجه طغيانهم، من بين هؤلاء العقيد أحمد بن شريف الذي نصب نفسه إقطاعيا على كل مناطق الجلفة وما

جاورها.. وبسط نفوذه الجائر على كافة مناطق البلاد بواسطة قوات الدرك الوطني، نصب أحمد بن شريف شقيقه عبد القادر الذي كان في الجيش الفرنسي ولم يغادره حتى سنة 1962 حيث التحق بالجزائر المستقلة.. عينه ضابطها في قيادة الدرك بمقر القيادة العامة بالعاصمة.. واستغل هذا الأخير سلطة أخيه وجوره ليبسط نفوذه، على منطقة الجلفة ويؤكد سلطة أسرته الموالية لفرنسا من أبناء "القيادة" سابقا إلى أن اصطدم ببعض المجاهدين المخلصين الذين كانوا في اتحادية الحزب بالجلفة التي أراد أن يؤجرها عبد القادر بن شريف ضمن أمتعته وحشمه وخدمه... ولما بلغ الصدام حدا من المجابهة العلنية أصدر أوامره لرجال الدرك بالمنطقة لإلقاء القبض على المناضلين الأوفياء وكان في مقدمتهم رئيس القسمة وهو رجل طاعن في السن أفنى حياته في النضال السياسي في الحركة الوطنية ثم في الجهاد في صفوف ثورة التحرير، كان هذا المناضل المجاهد المسؤول المنتخب معتزا بظهوره الخارجي وشهامته البدوية... وكان حريصا على لباسه التقليدي حتى أيام الجهاد.. لذا عمد رجال بن شريف لتأديب الرجل عبر استعمال سلطة التعسف بإهانة كرامته وخذش شرفه البدوي... بحيث قبضوا عليه وأدخلوه السجن وحلقوا نصف شاربه وتركوا نصفه الآخر على شاكلة البهلوان وأودعوه غياهب الزنزانة دون محاكمة ودون فراش أو غطاء أو مؤونة... وجاؤوه بعد 24 ساعة ليطلقوا سراحه.. وقبل أن يلفظه باب السجن الخارجي قال له كبير الدركيين: "أصامك خياران لا ثالث لهما يارجل، إما أن تبقى في منزلك حتى يبت نصف شاربك المحلوق.. أو أن نحلّق النصف الآخر وتكف عن استعمال الشوارب" وانفجر جماعته ضحكا واستهتارا بالعجوز الطاعن في السن.

ولم تقف مهزلة عبد القادر بن شريف عند هذا الحد، بل أمر زبانيته من الدرك إلى إلقاء القبض على جميع مناضلي اتحادية الجلفة ممن عارضوا ظلمه واستهتاره.. ومن بينهم (مخلط مختار، والبار مخوت، وحيقون السعيد، وبولحواجب أحمد وبوعشرية، وقويدر...) وهم جميعا من مجاهدي الولاية السادسة كانوا في نواحي جبل بوكحيل.

جاء رئيس قسمة الحزب إلى بيتي متخفيا كي لا يراه أحد على ما هو عليه من تشويه، كسير النفس، منهارة القوى... وهو ما هو عليه من بدادة وعزة نفس



من اليسار - بن عمروس العربي (شهيد من العمرية) - بن عيسى ملايكة من قصر البخاري - شهيد
- عبد القادر الريفي - حمدان حمداني رئيس منطقة (حي)



من اليسار: - بوعلام من الصومعة رئيس كتبية (شهيد) - مجاهد (شهيد) - عيد الرحمان بورقعة
(استشهد في معركة مولورنو) - بلعباس (شهيد من قرية هواة) - مجاهد (شهيد) - مصطفى من
البرواقية (شهيد)



الشهيد البطل أحمد اللوحي
(استشهد في فبراير 1962).



البطل الشهيد سي رايح المعروف
باسم (رضا) رئيس قسم سياسي
عسكري استشهد سنة 1959.

كان الرجل يضع لثاماً على وجهه... ولم يفارق سيارة الأجرة إلا بعد أن تأكد من وجودي داخل المنزل... جلس الرجل إليّ واسترسل يروي معضلته بأدق تفاصيلها ومظاهر البؤس بادية عليه ورفض أن ينام ليلته إلى فجر اليوم الموالي حيث اصطحبته إلى المسؤولين في الحزب بعد أن وعدته بالدفاع عن كرامته ضد الطغيان والإهانة في الأطر القانونية اصطحبته إلى الجهاز المركزي للحزب لكنه ألح عليّ بأن يلتقط صوراً تذكارية لحالته تلك وحاولت عبثاً أن أثنيه عن قراره... لكنه أصر أشد الإصرار وقال بصوت عالٍ على مسمع المصور... "سأحتفظ ببعض الصور التذكارية لأجيالنا القادمة حتى تتعض بما قد عاناه مجاهدو ثورة التحرير على أيدي زبانية هوارى بومدين".

سمح لنا بلقاء مسؤولي الحزب واجتمعنا إلى السيد شريف بلقاسم وبحضور الاخوة الدكتور الخطيب ومحمد ولحاج والعقيد عسان والعقيد صالح بونيدر، والطبيب العربي لم يقتنع الشيخ ولم أقتنع معه بالحلول التي قدمها لنا مسؤولو الحزب... وقررنا أن نذهب بالقضية إلى مداها الأخير.. وطلبت شخصياً من السيد الشريف بلقاسم أن يرتب لي موعداً مع الرئيس بومدين كي أبصره بحقيقة ما ينفذ من تحريف وتشويه للقيم في عهد حكمه... وطيلة المدة التي ترقبت فيها جواباً يحدد موعد اللقاء، وضعت تقريراً مفصلاً شرحت فيه جميع ملاحظات الحادثة.. وماترتب عليها من نتائج سلبية لدى المناضلين.. لم أتوخ الأسلوب البروتوكولي في هذا التقرير الشامل ولكن كتبته بصيغة صريحة ومباشرة.. وعرضت لمظاهر سلوك رجاله وتصرفاتهم الرعناء... وكان عنوان التقرير هو "أحمد بن شريف عضو مجلس الثورة والقائد العام للدرك الوطني عقيد يخطيء من التاريخ".

وزعت التقرير على جميع السلطات الأساسية في البلاد (الحزب، والدولة، والجيش).

لم يدم انتظاري طويلاً حتى استجاب الرئيس لطبيي ووافق على استقبالي في أبريل 1967 دخلت عليه في مقر إقامته وسلمته التقرير وقبل أن أفاطمه في الموضوع ظناً مني أنه لم يصله بعد عن طريق البريد.. بادر إلى فتحه وذهب يلبثهم فقراته وبين أصابعه سيجارة تلقي رمادها على مكتبه الفخم وبسرعة مذهلة جاء حارسه بفنجان شاي دون معرفة رغبتني في نوع الشراب الذي أطلبه

والى جانبه جمتم ملفات كثيرة على المكتب وصحف عربية واخرى فرنسية ومن هذه الصحف جميعا تطل صحيفة (لوموند) الفرنسية وقد فتحت أوراقها..

مأن وقعت عيناه على جملة "عقيد بخطىء من التاريخ" التي كررتها مرارا حتى ثارت حفيظته وظهرت على محياه مظاهر القضب والامتعاض.. ولم يتمالك توازنه فراح يمرر يده على ذقنه وفمه... ودون أن ينسب بعبارة واحدة فاجأته قائلا وأنا أرمقه بطرف خفي أراقب ملامحه وأتابع ردود فعله... "أعلمك أنني قد وزعت نسخا عديدة من هذا التقرير على جميع المسؤولين في الحزب والدولة لأنه ليس مجرد رسالة خاصة بك... ولكنها رسالة مفتوحة لجميع المسؤولين بما فيهم أعضاء مجلس قيادة الثورة والوزراء والمحافظين السياسيين".

لم يتمالك انفعاله.. فألقى الرسالة على مكتبه بقوة بما أطاح بكأس الشاي الذي أمامه. وثبت نظره علي محدقا في زوايا الغرفة دون أن يضيف شيئا.. اعتقدت أنه أدرك مغزى بعض فقرات التقرير من ذلك قولي "ان التاريخ قد أخطأ عندما تحصل من لا يستحق عل رتبة عقيد... " وتأكد أن المقصود بهذا المعنى إنما هو شخصا... لم يحتج ويعلق بأية كلمة عما جاء في الرسالة... ولكنه لم يفلح في إخفاء تأثره... وكنت أعلم أن بومدين يتمنى لو أنني أكثرت من الهجوم وإبانة مثالب أسرة بن شريف وجورها في المنطقة... حتى يستغلها في المساومة والضغط على بن شريف بعد أن أنهى قراءتها قال لي: "عد إلى مقر عملك وأعدك أنني سأخذ إجراءات ضد من بشيرون الفوضى... وسأعرف كيف أتصرف معهم".

ودعته وانطلقت خارج القصر وقد امتلأت النفس مني سعادة.. وشعرت أنني حققت هدفين كبيرين. - لأنني أدبت أمانة المناضل المظلوم... وأرغمت بومدين وهو رأس الحرية في نظري على أن يسمع ويقرأ رأيي فيه من خلال رأيي في أعوانه وعملائه... وكان ذلك الموقف لحظة انعتاق روحي لما لحق بها من هزيمة الاعتراف بانقلاب 19 جوان 1965.

لم أكن أدري أنني سأصبح بعد أشهر قليلة من ألد أعداء النظام..

تلقي بن شريف نص التقرير... وما إن أدرك فحواه حتى أصيب بهستيريا الانتقام فأمر قوات الدرك الوطني بإلقاء القبض على جميع أعضاء المحادية

الجلفة... وكان يتمنى ان يلقي القبض علي شخصا لولا انه خشي من ردة فعل لأنه أجنب مما يعتقد الكثير... وعلى أثر هذا التصرف الأرعن نشب خلاف حاد بين الحزب والدولة وبدأ يأخذ أبعاد خطيرة وعلنية.. اتصلت هاتفيا من مقر الحزب في المدينة بوكيل الجمهورية وكنت أدرك قواعد اللعبة الخسيسة.. ولكنني فضلت أن أحيط بجوانبها القضائية لأسجل هدفا آخر للشرعية القضائية التي انتهكها بن شريف وتعمت في استعمال صلاحيات لا حق له عليها.. قلت للقاضي: "أرجو أن لا تنزعج" ولا تعتقد أنني سأطلب منك الافراج عن المحبوسين... لأنني أحترم العنالة وأبجل القانون لكن أود أن أسألك سؤالا واحدا وأرجو أن تكون صريحا في جوابك: هل أنت تقارس وظيفة وكيل الجمهورية في وزارة في الدولة الجزائرية أم تراك وكيلا لدى الدرك الوطني... مع العلم أن أي وكيل للدولة يؤدي اليمين القانوني قبل مزاوله وظيفته... فهل أدبت الرسالة؟

ودون أن أسمع جوابه وضعت ساعة الهاتف، لم يشأ وكيل الجمهورية صبرا وكان شابا حديث العهد بالوظيفة... حضر مسرعا إلى مكتبي وبذرني قائلا: "أدرك حق الادراك ما أقدمت عليه من حبس رجال المندوبية واتفق مع ماقولته لي هاتفيا... لكن أحيطك علما أنني تلقيت أمرا بالقاء القبض عليهم وكان أمري العقيد بن شريف شخصا.. وقد خيرني بين أن ألقى القبض عليهم أو يؤدي الدرك الوطني المهمة عوضا عني.. فخشيت على هؤلاء وعلى نفس من أن ألق نفس المصير...".

اشفقت عليه وعلى ضميره المهني... وقلت قد تأمرني يا ولدي أن ألحق بهم إلى السجن ما دامت مصائرنا بين أيدي الناس مستهترين وودعته ولسان حالي يقول "ها قد علموا امسكين الطاعة العمياء كعصفور في قفص من حديد...".

بعد خروج القاضي دعوت فوراً الى عقد اجتماع لجميع اطارات الحزب في الولاية وطلبت منهم أن يأتوا بمفاتيح اداراتهم ومكاتبهم... تسلمت المفاتيح وكان عددها:

أ- سبع مفاتيح لادارات الاتحادات.

ب - اثنان وخمسون مفتاحا خاصا بالقسمات.. وطلبت من الإخوة المناضلين أن يلتزموا بيوتهم.. وتوجهت فوراً إلى العاصمة حاملا كيس المفاتيح الى مقر

الجهاز المركزي.. ألقيت لكيس أرضا على مسمع أعضاء اللجنة التنفيذية للحزب فأحدث رنيناً وصخباً وقلت بعد أن وازنت كل عبارة أتفوه بها "إليك مفاتيحكم.. ولكم الخيار في أن تسلطوها إلى الدرك وطني إذا شئتم أو أن تبقيها لديكم فأنا مغادر الحزب وإلى الأبد ما دام الحزب ياتمر بأوامر الدرك.. أما الذين يناضلون معي... على مستوى القسامات والاتحادات فلهم أن يختاروا بين البقاء في الحزب وبين تركه لأن الذي وقع في التيطري لا يمكن قبوله أو السكوت عنه مطلقاً وإذا كان بعضهم أثر الصمت على قول الحقيقة في مناطق أخرى عرفت نفس التعسف فإني لن أرضاه أبداً... اندهش مسؤولو الحزب لهذا الموقف لكنني لم أعطهم فرصة الحديث... وخرجت بعد أن فرضت عليهم استقالتي كما فرضت استقالتي من قبل على بومدين... وبينما أنا أغادر المقر والتحم بجماهير الشعب خامتني فكرة أن مهمة المجاهد في ظل أوضاع فاسدة. هي أن يظل يمثل حزب المعارضة الدائم !!

بقيت على تلك الوضعية شهرين كاملين إلى غاية جوان 1967 موعداً اشتعال الحرب العربية الإسرائيلية.. التي قادني إليها شعوري القومي وحماستي لأشهد المعارك على الجبهة السورية كانت المعارك ضارية والمواجهة حادة بين الطرف العربي والطرف الإسرائيلي.

3 - حزيران والجنرال البليد !

بينما كنت في زيارة إلى الشام ضمن وفد رسمي حتى اندلعت الحرب العربية الإسرائيلية في جوان 1967 وقام العدو بغزو الأراضي العربية بعد أن حطم الأسطول الجوي المصري وأغار على الجبهات العربية المتاخمة لحدوده... لم أتمالك نفسي فالتحقت بالجبهة السورية صباح يوم 5 حزيران 1967 وكنت في منطقة عسكرية يقودها جنرال "قائد الدفاع الشعبي".

كانت طائرات الفانتوم الإسرائيلية والأمريكية تدك المدن والقرى بأطنان من القنابل دون أن تعترضها الطائرات السورية أو تصدى لها شبكة الصواريخ المضادة للطائرات ولا المدافع المختلفة الأحجام... وأقصى ما كان يفعله ذلك الجنرال البدين الجثة الارتقاء أرضاً كلما سمع أزيز الطائرات تقترب منا وأحس بانفجارات قنابلها في فضائنا... ولا يفتأ يصرخ في وجهي أن أقلد حركاته

وأرتمي على الأرض حتى لا تصيبي شظايا القنابل... وقد شد انتباهي مظهره الخارجي وبطنه المنتفخ مما يؤكد عدم مجاعته مثل تلك المواقف... أصبت بقرص شديد، ولم أعد أفهم لم لا يعطني أوامره لقواته كي تتصدى لغارات العدو ويحرر إرادة جنوده الأشاوس الذين هدت على وجوههم مظاهر الغضب والتمرد... سألته مرارا لماذا يحجم عن إعطاء أوامر القتال لقواته؟ فيرد بقوله: "إن الأوامر لم تصدر إلي بعد بقتال العدو.

اشتد بي الغضب وأخذتني الحمية العربية حتى ذهبت بتقاليد اللياقة فقممت إليه وشدته من قميصه شدا حتى جعلته يستوي على قدميه وصرخت في وجهه أطلق حرية جنودك يردون على عريضة العدو .

فأجابني بنفس الجواب وكأنه جهاز عدك على ترديد الخضوع والاستكانة وافترت شفاهه عن ابتسامة ساخرة، واستمر على موقفه إلى أن صدرت إليه الأوامر بعد أن كانت للعدو عصا السبق في تلك المعارك وانطلق الجنود العرب يقاتلون الآلة الصهيونية بشجاعة وذكاء كبيرين... وقد طهروا ذاكرتي بتضحياتهم وإقدامهم من لثة ذلك الجنرال الذي يمثل وجه الانتهازية القبيح في الوطن العربي وقارنت بينه وبين مسؤولين في الجزائر الذين يلهثون خلف سراب المناصب لا تعينهم مصائر شعوبهم ولا مستقبل أوطانهم.



صور لفرج من المظليين، وهم يعذبون المواطنين في نواحي مليانة.



الفصل الثامن

شرح في البومدينية، من تمرد الطاهر الزبيري إلى معارضة كريم بلقاسم ،

- لماذا حركة 11 ديسمبر 1967 التمردية؟

انتهت الحرب العربية الإسرائيلية بنكسة الأمة العربية وبدأ العد التراجعي...
في المنهج والشعارات التي رفعتها الأمة العربية بقيادة الثورة المصرية ثم
الثورة الجزائرية العظيمة وبدأت الأنظمة تتعري وبانت عورتها أمام الشعوب
عربية ودول العالم.. وتراجع منطق التحرير والثورة والوحدة... إلى الانقسام
والفساد والتسارع إلى الهزيمة، وبذلك بدأت مرحلة جديدة قاسية على الأمة
العربية... وقد عاينت مرارة الهزيمة في تلك الأيام الحالكة وعشت دوامة عبثية
استنزفت فيها روحي قطنياً وقومياً... حتى جاء تمرد العقيد الطاهر الزبيري، قائد
الزوارق في الجيش الوطني الشعبي يوم 11 ديسمبر 1967 ضد ديكتاتورية
العقيد هواري بومدين... ولم تكن تلك المحاولة التمردية الأولى ولا الأخيرة من
تاريخنا طيلة حكم بومدين... بل سبقتها محاولات ولحقتها أخرى... أقيمت جميعها
في المهد؟ لم يظهر منها للعيان إلا القليل نظراً لما كانت تتمتع به أجهزة بومدين
المخابراتية من تسلط ونفاذ... وما تتميز به وسائل دعاية من قدرة على طمس
الحقائق وتحريفها... لم يرض المجاهدون والمناضلون والسياسيون الوطنيون على
حد سواء، على طريقة حكم بومدين البلاد، فتصدى له الكثير منهم وكان مصيرهم
النفي أو السجن أو القتل... ولم يقبل بسلطته إلا المداخن وأصحاب المصالح
مختلفة...

شاهد الظروف أن أكون طرفاً في تمرد 11 ديسمبر 1967 رغم أنني لم أكن
على علم مسبق بمخطط التمرد وأهدافه... وقبل أن أتى على تفاصيل التمرد
وحياياته أود أن أقدم صورة مختصرة للوضع السياسي الذي كان سائداً يومها
في الجزائر.

كان نظام الحكم في المرحلة التي سبقت تمرد العقيد الزيري. يتسم باللاتجانس واللاتوافق بحيث كان مجلس قيادة الثورة خليطاً من مجاهدين أوفياء حصلوا السلاح باسم المبادئ الثورية من أجل تحرير الجزائر والإنسان والتاريخ والثقافة والأرض... وتحقيق سيادة وطنية حقيقية... ومن مندسين ظلوا معادين للثورة، بل وقد جرى دس الكثير منهم في جيش التحرير خلال السنوات الأخيرة من الثورة بإذن فرنسا وبتخطيطها المعكم ليشكلوا طابورها الخامس وقوتها الداخلية التي ستمر من خلالها خطابها - الفرانكو- بورجوازي رغم ادعاء النهج الاشتراكي الذي طبق خطأ... وإلى جانب هاتين الفئتين هناك بعض الانتهازيين الذين يميلون حيث مالت موازين القوى...

كان هذا الخليط بين عناصر متنافرة في تركيبة واحدة علامة انفجار وتمزق أكثر من كونه علامة تعاون إيجابي... وقد انسحبت الفوضى على جميع الأجهزة ولم تتوقف عند جهاز الحكومة .

فالجيش الوطني الشعبي فقد خبرة رجاله المؤمنين بالثورة بعد أن جرت محايدتهم بالمساومات والضغوط وبعضهم انسحب بمحض إرادته دون اعتبار لما يمكن أن يترتب على مثل ذلك الانسحاب من تسرب القوى المعادية إلى المناصب القيادية... وهو ما جرى فعليا...

أما جهاز الحزب فقد همش منذ البداية وحيدت فعاليته حتى لا يكون دعامة للثورة الصحيحة فيحاسب المترصين بالثورة والمنحرفين والمندسين . أُلخ ويكون بالتالي هو المشرع والموجه والمحاسب... لقد تمكنت القيادة المشبوهة من تصفية الدور الطلائعي للحزب وأفرغته من محتواه الوطني وصادرت وسائله المادية وضربت عليه حصاراً كي لا يرتبط بالجماهير التي منها ولد، وبها قاتل العدو وبها أيضاً يبني صرح نهضته الحقيقية .

أدى اللاتجانس إلى خلاف مستمر داخل حلبة السلطة... وقد أوعز بومدين لرجالته المقربين من ضباط فرنسا إلى تضييق الخناق على المجاهدين الحقيقيين الذين كان يتوجس منهم ويشعر تجاههم بعقدة تقص... نظراً لتاريخهم الماجد وبطولاتهم العظيمة... ولما كانوا عليه من نقد ومعارضة دائمين لمخططاته وانفراذه بالحكم... وتوصل بومدين إلى خلق حالة من التوتر وعدم الثقة دفعت بالعقيد الزيري إلى التمرد يوم 11 ديسمبر 1967 .

2- الذين قالوا للزبيري، تورد ونحن إلى جانبك!

رُنْ جرس، الهاتف على الساعة الواحدة صباحا من يوم 11 ديسمبر 1967 في بيتي، وكان رنينه متصلا ومنذرا بأمر جلل... وتلك هي المرة الأولى التي يرن فيها الهاتف في ساعة متأخرة من الليل، فلم أتعود على استقبال مكالمات لا من الأسرة ولا من الأصدقاء في مثل تلك الساعة المتأخرة من الليل... فقفزت من فراشي ورفعت السماعة وإذا بنبرات محدثي قوية صافية لا أثر فيه للنوم والتعب... قال بصوت أجش: "إني أخاطبك من مقر الحزب في البلدة وإلى جانب جمع من الأشخاص يرغبون في لقائك فوراً لأمر هام لا يحتمل الانتظار..." ودون تعليق قفل السماعة وتركتني في حيرة من أمري... أنني في تلك اللحظة أن ليس لي وسيلة نقل لأذهب على الفور.. فاضطرت فرانصي.. الأمر الذي جلب انتباه زوجتي التي اعتقدت أن مكروها أصاب أحد أفراد الأسرة... ولم تتمالك نفسها فسألتنى.. وظلت قابعة إلى جوارى ترقب الجواب... فأجبها دون تفكير قائلاً: "إن حدثنا كبيراً يكون قد أصاب الوطن بأكمله وليس فرداً من أسرتنا كما ذكرت..."

ودون أن أعرف ما إذا زادها كلامي وضوحاً أو غموضاً... تركتها واندفعت خارج المنزل أبحث عن وسيلة تنقلني إلى مدينة البلدة... لكنني سرعان ما أصبت بنكسة الفراغ الذي كان يملأ شوارع المدينة الفارقة في عواصف الريح الخالكة...

لجأت إلى أحد جيرانتي... ودون أن أشرح له موقعي طلبت منه أن يدير محرك سيارته وينقلني فوراً إلى مدينة البلدة... لم يمانع بدوره ونفذ ما طلبت منه وانطلق في السيارة في اتجاه مدينة البلدة... ولم أع ما إذا حدثت مرافقي أم لم أحدثه في الطريق لفرط ما كنت عليه من شرود بال واهتمام بما عليه الرفاق وما يخفيه طلبهم لي ليلاً...؟

دخلت محافظة الحزب بمدينة البلدة. وقد ظهرت خيوط الفجر تنذر بيوم رهيب... فشاهدت جمعا من الرجال، بعضهم أعرفه وبعضهم رأيتهم لأول مرة... وقيل أن أسألهم الخبر... سارع يوسف بولحروف وتأبط ذراعي إلى ركن منعزل وكان وقتها يشغل منصب محافظ ولاية البلدة... سألتها ما الذي يحدث وما سر هذه الحركة التي اختلط فيها رجال عسكريون بأخرين مدنيين...؟ قال بسرعة

شديدة لا داعي للتفاصيل، إن فيلقا من الدبابات تحرك من الأضنام في طريقه إلينا... وأن تمردا عسكريا وقع فجر اليوم ثم صمت".

سألته قائلا : "لماذا دعوتوني وما هو دوري في هذا التمرد . . . بل لماذا أنا بالذات... ؟ وأردفت، وما هو مخطط هذا التمرد وما هي أهدافه الأساسية وهل تم التخطيط له بدقة أم لا... ؟ قاطعني أحد رفاق بولخروف قائلا: "إن الوقت لا يتسع للشرح... وإن الذين تراهم أمامك على بيّنة من الأمر... وستعرف كل التفاصيل فيها بعد". وجذب بولخروف إليه.. وخرجا مسرعين، وقيت وحدي توثقي الحيرة وقلقتني الإبهام... دخلت غرفة واسعة تعج بالرجال بعضهم بلباسه العسكري وبعضهم بلباس مدني والبعض الآخر بلباس النوم الداخلي تجلببوا بمعاطف عسكرية اتقاء لبرد الشتاء... بدأ يتأكد لدي أن محاولة انقلاب تدبر دون أن أعرف قيادتها ولا خطتها وأسلوبها... ولكني كدت أن أصرخ قائلا: "إن الذي يهيء نفسه لانقلاب عسكري بيجامة النوم هو كمن يواجه الصواريخ بينما دق خشبية..."!! لكنني تراجعت عن موقفني والتزمت الصمت... وبعد أن تعرفت إلى بعض الإخوة من بينهم (حسان، ورمضان عمار، وصديقي محمد بوساحة وصالح بونيدر (صوت العرب) وعلواش حميد...) وهكذا تطوع أحد الأصدقاء وروى لي جميع أحداث خطة الانقلاب التي ينوي العقيد الطاهر الزبيري ومعه الضباط والمجنود القيام بها ضد حكم بومدين ومن معه من قيادات الجيش الفرنسي المتدسين في الجيش الوطني الشعبي... وأضاف آخرا سي الطاهر الزبيري في طريقه إلى محافظة البلدية للاجتماع بنا... وأن ثلاثة فيالق من الجيش في طريقها إلينا... وهي قادمة من المناطق التالية:

- 1) فيلق قادم من المدينة بقيادة معمر.
- 2) فيلق قادم من مليانة بقيادة عبد السلام.
- 3) فيلق مكون من تشكيلة دبابات قادم من الأضنام يقوده العياشي (وهو ضابط من أقارب العقيد الزبيري) .

توجست خيفة هذه المؤامرة غير المضمونة الجانب... رغم دعمي غير المشروط لأي عمل ثوري صحيح... وجالت بخاطري أسئلة عديدة عما يمكن أن يترتب على هذا الفعل ورأيت في أسلوب استخدام الدبابات بحركاتها البطيئة... وما يتحدث من ضجيج وإثارة غبار مدعاة للشك والمباغثة..

وتاه فكري في أمر من خطط ودبرفي الظلام لهذه المغامرة... لكنني فضلت الصمت والترث مرة أخرى وفي صباح ذلك اليوم الباكر ركبنا سيارات وتوجهنا نحو العاصمة ولما وصلنا مدينة "وادي العلايق" انعطفت بنا السيارات إلى إحدى المزارع وهناك بين الحقول المسيرة ذاتيا وأمام مبنى المزرعة نزلنا جميعا... انزويت كعادتي بهيدا عن الجموع أراقب حركة هذا الخليط من المدنيين والعسكريين وأسأل نفسي "هل بإمكان هؤلاء تغيير الأوضاع، وطرده العملاء من صفوف الجيش الوطني الشعبي وإرساء قواعد الديمقراطية في البلاد؟ هل سيذهب حكم يومدين كما ذهب سابقه بعد ثلاثة أعوام من الحكم...؟ وما موقف باقي أعضاء مجلس قيادة الثورة والضباط السامون في الجيش، هل وافقوا على خطة الزبيرى وأعطوه إشارة الضوء الأخضر؟ لم أفكر في الهزيمة ولا في النصر، لا في الجزاء ولا في العقاب... رغم أن بوادر الفشل والهزيمة كانت بادية في مظهر المتحمرين وفي حركتهم وفي طريقة لباسهم... إذ كيف يرتدي ضابط يقود تمردا عسكريا "بجامة" النوم و يرتقب قائده حتى يجتمع إليه ويصدر له أوامره . كنا في المزرعة مفصولين عن العالم الخارجي لا نعلم ما يجري فيه وما يجري بشأننا... كنا في هرج ومرج حتى جئنا رجلا يلهثان من أثر تعب الطريق... وكانا قد أوفدنا ليشهدا تحركات القوات المتمردة... فعادا يصرخان ويعلنان هزيمة التمرد ويؤكدان أن الفيلق الثلاثة لم تتجاوز مشارف مدينة العفرون... بعد أن اعترضتها القوات الحكومية من درك وجيش وطائرات، وجرى تدمير قوات التمرد... هبط الخبر كالصاعقة على قلوب الحاضرين وأصابتهم الرعدة فاتكأ بعضهم إلى الحائط ورمى آخر بجسده على الأرض وتهاورا كأنهم خشب مسندة... وعلى وجوههم مظاهر الفزع من المجهول المنتظر... انبرى أحدهم يصرخ: "ما شأني والذي يجري في العفرون... أنا لا أعرف أحدا ولم تقع استشارتي قبل الشروع في الانقلاب...؟ وقال آخر: "وما الذي يحدث...؟ إن توقعهم عند مشارف مدينة العفرون معناه الهزيمة المطبقة التي ستكون معنا نهايتنا..."، وقال ثالث: «لا لم تنته.. بل انتهيت وحدك إذ لا دخل لي فيما يحصل والمسؤولية تقع على عاتق من دبر التمرد... ولباسي المدني يشهد أنني لم أكن طرفا في هذا التمرد... ولم استشر من قبل ولم أخطط...».

واشتد الصباح والمزايذة على الهزيمة دون أن يتأكدوا مما يجري عمليا... في ساحة القتال... وفجأة تحولت الشجاعة إلى جبن والتصميم المبني إلى خيانة والمحبة بينهم إلى عداوة...

وقال أحدهم . . . وكأنه جاء بالأمر اليقين: "أقترح عليكم أن نعود إلى منازلنا أو نخبتين في أماكن آمنة في انتظار ما ستنتهي إليه الأوضاع من نتائج .. « جاءت كلماته كبرد وسلام على إبراهيم .. ودون تفكير في الأمر بدأوا بغادرون المكان دون مصافحة بعضهم البعض لم أقالك نفسي: فصرخت في وجوههم «تمهلوا قليلا قبل أن تنفروا لنعلم لماذا اجتمعتم ووافقتم على التمرد...؟ وما أنكم اجتمعتم فأنتم على بينة من أمركم... إذن لا يحق لكم أن تفضوا قبل أن تعلموا نتائج التمرد وما أدراكم لعل التمرد لم يفشل...؟

رد (علوش) بقوله وهو مسرع الخطى خارج القاعة: «اسمع لقد تم استدعاؤنا بنفس الأسلوب الذي دعيت به أنت... وجات إلى هنا دون أن أعلم الهدف من مجيئي...».

قلت له: «لا أعتقد أنك تجهل سر وجودك في هذا المكان ولولا اقتناعك بالتمرد ما جئت إلى هنا... وأن هرويك من ميدان المعركة قبل انجلاء الوضع هو خيانة ونذالذ... تتعارض مع صفات الرجل الفحل... «والنفت إلى الجميع ودعوتهم إلى ضرورة أن تلتزم مكاننا إلى أن يأتي الزبيرى قائد الانقلاب ونؤدي واجبا بالوقاء بالوعد الذي ضربناه معه...بعد أن وثق كل الثقة في نوايانا...»

طارت كلماتي مع الريح ولم تأخذ طريقها لأي منهم... واستمرت قلوبهم معلقة على الخوف وبدؤوا يتزاحمون هارين... في تلك الأثناء تسلل أحدهم الى غرفة مجاورة بها جهاز هاتف واتصل مباشرة بمحافظة الشرطة... وقدم لهم صورة وافية عن الحضور بالأسماء والصور ولم ينس أن يصف له معنويات الرجال... وكان هذا الشخص يملك الرقم السري المباشر للمحافظ المركزي للشرطة الذي كثيرا ما كان يرافيه بأخبار أصدقائه وأقاربه بل وحتى... بعد أن أنهى مكالمته عاد إلينا وكأن شيئا لم يكن، لاحظت اضطرابه وقلقه المتزايد... وأدركت بحدسي أن تحركه من ورائنا خفية ليس لشيء سوى لأن يبيئنا إلى جهاز المخابرات...فتعدت مخاطبته بصوت مرتفع يسمعه من بقي من ذلك التجمع... وقلت : «لا بد أن يتحمل كل

فرد منا مسؤوليته كاملة بعد أن انكشف أمرنا وعلمت السلطات مكاننا وعدتنا وأسماءنا وثبتت تهمتنا في المشاركة الفعلية في هذا الانقلاب.. ولم تعد جميع أسرارنا خافية على الأمن، أليس كذلك أيها الأخ...؟!». وقد ركزت عليه نظري.

إن فعلته تلك هي وسيلة لدفع تهمة مشاركته في الانقلاب... لكن جميع الانقلابيين لم يعيروا كلامي أهمية واستمر بعضهم يهرول مغادرا المكان والبعض الآخر يتلملح في مكانه ولم ينفكوا يكيلون أقذع الشتائم لقائد الانقلاب... لم تحتمل أذناي ما تسمع وصرخت بأعلى صوتي كي يسمعي الداني منهم والقاصي: «اعلموا أنني غير موافق على قرار الهروب والخذلان واني مقيم هنا ما بقيت الأرض ثابتة تحت أقدامي ولن أسمح لنفسي أن أنفوه بما تفوهتم بشأن الزيري بعد أن وضع فيكم كل ثقته.. وكنتم قبل لحظات تشبهونه بالمهدي المنتظر... وهكذا في رمشة عين تحول إلى جان ومجرم... ما أجنكم يا أشباه الرجال...!

ومهما كان فراركم بالهروب أو البقاء فإنني مقيم إلى أن يجيء الزيري ولنا الأيام بيننا...».

بعد لحظات قليلة لم يبق في المكان سواي... بقيت أرقب عودة الزيري على أصوات الشاحنات وصفرات الإسعاف وسيارات الشرطة والدرك والجيش تملأ المنطقة. فاجأتني سيارة تقف قريبا من مكان تواجدي... نزل منها يوسف بخروف مسرعا رفقة مساعده، مسحت نظراته المكان الذي هرب منه أصحابه جميعا... وقال بصوت يتعزق: «إن سي الطاهر موجود رفقة سائقه بـمكان ما قرب الشريعة وقد كلفني بالمجيء إلى هنا بعد أن وصف لي المكان وصفا دقيقا... فطمأنته لأنني تعودت التردد على هذه المناطق أيام الثورة التحريرية...»، ركبت سيارته وتوجهنا إلى مكان الزيري وقد كانت حركة المرور توحى بالوضع المتوتر... ومظاهر الحرب... عشرات السيارات المصفحة تجوب الطرقات وسيارات الإسعاف... وانتصبت مراكز التفتيش على طول الطريق... انتهينا إلى مخبأ سي الطاهر الزيري صحبة سائقه بالقاسم ولا أحد سواهما... وقد تخفى بمنزل أحد مجاهدي ثورة التحرير وابن شهيد يسمى: جمال، مدت له يدي أول مرة ولم أكن أعرفه من قبل عن كذب... تفرست في وجهه فوجدت فيه صدقا لم نطل الكلام في المجاملات وذهبت أسأله رأسا عن الهدف من هذا التمرد وما آلت إليه

العمليات العسكرية.. وقبل أن يجيب سألتني عن الذين كانوا معي من عسكريين ومدنيين... قلت: «تفرق الجميع وعاد كل من حيث أتى»، دون تفاصيل... اندهش الزبيرى... لم يكتفم وقع الصدمة على قلبه وقال بصوت غريب: «كيف حصل ذلك الأمر؟ ولماذا تفرقوا؟ لماذا لم ينتظروا أوامري؟ وفي أي مكان هم الآن...؟»، أشفقت عليه أيما إشفاق وكبرت في نفسي أفعال الخيانة في اللحظات الحرجة. فأكدت كلامي إليه ثانية بأن رفاقه قد تفرقوا وما عليه إلا أن ينجو بنفسه وهو المحاصر من جميع الجهات... وأردفت: «أنت في وضع لا يحسدك عليه أحد لأنك وحدك تجابه النظام لاصديق لك ولا نصير... وأرجو أن تشق بي وتعود معي...».

هدأت نفسه قليلا... ورفع يده المرتعشة إلى وجهه يسح عرق جبينه... وقال: «أود أن أعرف أولا بأول ما الذي جرى في منطقة العفرون، لأعرف كيف أتصرف بعد ذلك». قلت: «لا تشغل بالك الآن بهذا الموضوع ولك أن تهتم بما هو أجدى وأنفع... ورغم أنني لا أوافقك على أسلوب ترمك لا دفاعا عن النظام وقد واجهته... وأنت أعلم الناس بذلك.. لكن ما لا أوافقك عليه هو الأسلوب الانقلابي للتمرد... وما ترتب عنه من ضحايا أبرياء... إذ لم أعد أوافق على إراقة دماء الجماهير مهما كان السبب». أحس الزبيرى بالأمان في ذلك المكان... فتركته بعد أن أوصيت به صاحب الدار خيرا... ورجعت أدراجي قاصدا مدينة العفرون رفقة أحد جنوده يدعى حمود الباي وكان بلباس مدني... وما إن دخلت مدينة العفرون حتى صعقتني مظاهر الخراب، بنايات محطمة وسيارات محترقة وشظايا مدافع وقناهل غمرت بدورها الأماكن، جماهير مرعوبة.. أعداد هائلة من رجال الجيش والدرك تغطي المكان... أشلاء ضحايا كثيرين مكدسة على الطرقات... انه منظر مهول يدمي القلب... وأيقنت بخبرتي أن المعركة انتهت وأن الجيش النظامي يسيطر على الوضع كلية.. فلاحظت على حافة الجسر توقف القوات النظامية بعد أن سدت الطريق بعدد هائل من السيارات المدنية والشاحنات.. وعلى الضفة الأخرى رابطت قوات محرس المنطقة مصوبة أسلحتها الرشاشة ترتب الطوارئ... بعد هذه النظرة العامة بدأت أتفحص بدقة مجريات العملية العسكرية والأسلوب التكتيكي المستعمل فيها من قبل المتمردين... فتنبهت الى أن خطتهم التي اتبعوها كانت أحد أهم أسباب فشل

قواتهم دون تحقيق اهدافها المرسومة مسبقا وهي الانتهاء إلى مشارف العاصمة ومحاصرتها...

لما باغتت القوات النظامية جنود الدبابات على مداخل مدينة العفرون ارتبك جنود أول دبابة تهم بتجاوز الجسر... وزاد في ارتباكهم ما شاهدوه من شاحنات وسيارات وضعها الجنود النظاميون على الجسر لقطع الطريق أمامهم... وبذلك ترك هؤلاء دباباتهم ولاذوا بالفرار... الأمر الذي عرقل جميع الدبابات الأخرى عن اجتياز الطريق... وصارت تلك الدبابة حاجزا عسكريا قويا لباقي القوات المتمردة . . . ولولا ارتباك الجنود الذين كانوا على رأس القافلة لتعمت الدبابات المجنزرة بما لديها من إمكانيات تقنية عالية مسح الطريق وإلقاء تلك الحواجز جانبها ومواصلتها الزحف قدما... أما منظر الجثث الملقاة على الجسر وعلى الطريق ويجانب الدبابات فيشير مشاعر الحزني والعار... ومظاهر الجرم التي يرتكها القادة ضد أبناء الجماهير الأبرياء... الذين جاؤوا بهم من مدارس أشبال الثورة... ومدرسة صف الضباط... الذين يجهلون تقنيات القتال... فداخلتهم الفوضى وكانوا عرضة للموت المجاني...

كان قائد الجيش النظامي في تلك العملية الضابط زرقيني الذي التزم الخطوط الخلفية وراء المتاريس والأحجار ودفع بالشبان الى قلب المعركة...

أما عن الجانب الآخر فقد قاد عمليات التمرد كل من الضابط ملاح، والعباشي...

لم يدم الفصل الأول من المعارك طويلا... بحيث وقف الجيشان كل على جانبي الواد يفصل بينهما الجسر المعطل بالدبابات والسيارات، توقفت المناوشة دون غلبة حاسمة لأحد الطرفين.. إلى أن وصلت طائرتان عسكريتان الى أرض المعركة وبدأتا تلقيان القنابل عشوائيا ولم تسلم من دمارها حتى القوات النظامية نفسها مما زاد في حجم الخسائر وعدد الضحايا... وكان بإمكان القوات النظامية أن تستغني عن إدخال الطائرات الى أرض المعركة ما دامت قواته تسيطر على الوضع بما لديها من آليات وإمدادات كبيرة .

إن الأسلوب الاستعراضي الذي مارسه النظام بتحويل حجم التمرد... واستدعاء قوات جراحة وإدخال الطائرات أرض المعركة... كان الهدف منه ابتزاز

الرأي العام... والظهور بمظهر المنتصر القوي من جهة... وبترتيب الأجواء من جهة أخرى ليحصل على مسوخ يعاقب به المتمردين أشد عقاب...

وهكذا ارتفع عدد الضحايا والدمار وكان . من بين الذين قتلوا يومها المجاهد الزبير بن النوفال الذي يشغل منصب محافظ مدينة العفرون... وغيره كثير...

في غمرة قصف الطيران لمواقع المتمردين فر الجنود والضباط تاركين وراحم سياراتهم وآلياتهم المجنزرة... ودباباتهم.. وأعطوا أقدامهم للريح... دون أن يتصدوا للطائرات بما لديهم من مدافع مضادة للطائرات... فتأكدت أن الجنود لم يتدبروا بكل أسف على استعمال الأسلحة التي كانت بحوزتهم ولم يعرفوا حرب العصابات. لجأت قوات العقيد الزبيري إلى الغابات والأودية المحيطة بالمنطقة... بعد أن انتظروا طويلا م وعدمه به سعيد عبيد من مساعدة وهم من ضمن فيالقه... وتحت قيادته... وهكذا أخلف السعيد عبيد الوعد وترك الزبيري وقواته تدفع الثمن دون أن يسدها... بل لجأ إلى مكيدة فاشلة سرعان ما تفتن لها بومدين بدهائه المهود... بحيث اتصل السعيد عبيد بالعقيد بومدين يستشيريه ويعرض عليه الوساطة بينه وبين الزبيري... لكن بومدين الذي فهم قواعد اللعبة فاجأه بجواب منمق قائلا له : « أن الوقت قد فات ولم يعد صالحا للمساومة بعد أن وقع الانقلاب وكان الأولى بك أن تعلم ما يدور حولك ضمن حدود اختصاصك العسكري... أما الآن وقد تم القضاء ووقع الانقلاب بعلمك أو بدون علمك لا أقبل أن تتصل بي ثانية على الإطلاق » . لم يتحمل السعيد عبيد ما سمعه من بومدين.. فعمد فوراً إلى الانتحار حتى لا يتفضح أمر تورطه في التمرد... وتخليه عن وعده وقد تأكد لديه فشل المتمردين... وتفظن بومدين لمناورته في طلب الوساطة. وهكذا مات السعيد عبيد في صمت تام ولم يثر موته أي مظهر من مظاهر الحزن أو السؤال... بل قدم بقتل نفسه فرصة ذهبية للضباط المعروفين بولائهم لفرنسا وترك منصبه الرموق شاغراً لهؤلاء...

أحكمت القوات النظامية قبضتها على جنود الزبيري الذين تفرقوا في الجبال دون قيادة أو دليل... ونشطت حركة أجهزة الأمن بحثاً عن مخبأ الطاهر الزبيري قائد التمرد... أدركنا الليل يظلامه الحالك... وخيم على المدينة حزن عميت بعد أن انقطع عنها نور الكهرباء... وتفشت الفوضى في صفوف القوات التي تحاصر

المنطقة، اغتصمت ذلك الوضع وأرسلت رجلين في طلب الطاهر الزبيري... الذي تسلل مع المبعوثين إلى ميدان المعركة خفية مخترقا الحصار المضروب على المدينة من قبل رجال المظلات... اغتنم بعض أوفياته من العسكريين وجوده لأن يتسللوا إلى أرض المعركة ويناوشوا القوات النظامية ثم انسحبوا إلى مواقعهم الخفية... وتمكن بعضهم من غنم كميات هائلة من الأسلحة والمؤونة إثر انحراف أحد القوافل العسكرية التابعة للجيش النظامي عن طريقها فوقعت بين أيدي رجال الزبيري الذين تمكنوا من غنم كل ما كان معها... وبذلك ارتفعت معنوياتهم القتالية... بعد أن توقفت آلياتهم ودباباتهم... لانعدام البنزين بها... على إثر هذا الانتعاش توجهنا إلى مدينة الحجوط حيث تمكنا من ملء عشرات البراميل بالبنزين والوقود وعدنا بها لنفرغها في محركات الدبابات وبذلك بدأ هديرها يملأ الليل من جديد، الأمر الذي وضع القوات النظامية في حالة ذعر مهولة وفوضى لا حد لها... وقد حذر الزبيري قواته من التقدم باتجاه العاصمة، بل أمرهم بالتراجع إلى الخلف عكس ما كنت أتخيل، كان المشرف على العمليات الطاهر الزبيري شخصا وقد توخى ذلك التكتيك ليخفف من الخسائر في الرجال والعتاد... لعلمه أن الطائرات العسكرية ستواصل قصفها لمواقع قواته في اليوم الموالي... وستشدد القوات النظامية الحصار على قواته وبذلك فكر في الانسحاب طمعا في وصول دعم ومساندة محمد الصالح يحيى الذي وعدته بذلك بعد أن تخلى عنه السعيد عبيد، وبعض من وعدوه من أعضاء مجلس قيادة الثورة... بقينا على تلك الحال من الانتظار والترقب إلى فجر اليوم الثاني من أيام التمرد لكن دون أن تسدنا قوة أو أن يدعنا قائد، وتبخرت وعود الذين قالوا للطاهر الزبيري: « تمرد ونحن إلى جانبك! » سمعت الطاهر الزبيري يقول لي: « لم بات لنصرتنا أحد رغم وعودهم والتزاماتهم... فما العمل وجنودي الذين تحملوا معي مسؤولية التمرد أراهم تانهين في الأجراف والغابات تطاردهم قوات النظام... »، قاطعته وقد أشفت عليه وقد رأيت جفونه تفرحت بفعل البرد وطول السهر، قلت له: « سبق لي أن حذرتك بأن الثقة قد عزت... وأن ما أقدمت عليه غير تام الشروط... ولا يعني أنني أتخلى عنك في هذه الظروف أبدا... وبما أنك استجرت بي فشق أنني على العهد حتى أجد لك مستقرا آمنا... » لم يتفوه بكلمة واحدة وبقي ينظر من فوق أكمة صغيرة إلى الأفق الملبد بالقيوم...

وانشغلت عنه بذكريات الماضي وجراح الوطن الذي ظل يقدم ابنا « قربانا للموت دون توقف. وانبرت أمام عيني صور رجال عظام تهاووا كأعجاز نخل في متاهات الكئيبان... وقفزت بذهني صورة إعدام شعباني... وقلت في نفسي أن مصير الزبيرى هو مصيره... وتراقصت الأوهام بذكرى عشرات الدبابات الرابضة في الوحل والطين وفوهات مدافعها مشرعة إلى المجهول، سيارات محطمة... جثث تهاوت كأنها خشب مسندة... وطن ممزق تتقاذفه الأهواء وتترصص به ذئاب الاستعمار في الداخل والخارج... شاهدت شيابا صفارا من بين المتحردين.. وكهولا... أشفقت عليهم من مصير مجهول بين أيدي ضباط تعلموا أن يمتصوا دم الجماهير... كان في ظني أن أقول كلا ما كثيرا... أن أسأل الزبيرى عن سر مفامرته عن خلفياتها، وأهدافها عن خطته الاستراتيجية، وتوزيع الأدوار في المعركة، عن تحقيق الامدادات... بل وعن تصوره لمحاولة انقلاب تبدأ بزحف على العاصمة بالدبابات عن بعد مائتي كيلومتر؟ وكان الأولى بقواته أن تبدأ زحفها واحتلال المواقع الحساسة في الدولة والجيش ووسائل الإعلام من أقرب مكان ممكن... فضلا عن ملاحظات لا تقل أهمية عن هذه الملاحظات... لكن ما فائدة أن أحدث قائنا مهزوما ينظر بعين البائس لمجنوده وضباطه وقد تاهوا في الجبال... وإلى دباباته المعطلة في الوحل فأثرت الصمت على الكلام والمعاناة على البرح...

تمدت على الأرض التدية أرمق بعض الأنوار المنبعثة من قرية حمام ريفة ومن مصادر النوع في الطريق العام أحسست بقشعريرة برد يلمس عظامي... لكني صبرت وفضلت أن القي بجسدي إلى جحيم البرد على أن أظل أراقب أشباح الهزيمة التي تملأ المنطقة... لكن جافاني الكرى وقضيت بقية ليلتي ساهرا إلى طلوع الصباح حيث بدأت معالم الحركة تملأ الأجواء وأصوات شاحنات الجيش وسيارات الدرك والشرطة تصم الأذان... وبعض رجال ونساء يسرعون الخطى في طريقهم إلى قرية حمام ريفة...

مددت يدي أدير زر المذبح الذي كان صحبتي علني أستمع إلى نص التصريح الذي وعد به يحيوي صديقه الزبيرى... لكن المفاجأة كانت أكبر من كل توقع لم يتأخر محمد الصالح يحيوي عن الادلاء بتصريحه في وقته... لكنه جاء مناقضا لما وعد بحيث صب جام غضبه وإدانته على حركة 11 ديسمبر، هذا بعد أن أكد المذبح أن القوات النظامية تسيطر على الوضع العام في منطقة العفرون

وأن الانقلاب فشل فشلا ذريعا... بعد ذلك قرأ العقيد هوارى بومدين نص تصريحه الموجه إلى الشعب والجيش بوصفه رئيس مجلس الثورة والقائد العام للقوات المسلحة... وكان تصريحه أقل حدة من تصريح يحيياوي وخاليا من الشتائم والمهاترات التي اتسم بها تصريح يحيياوي صديق الزبيري وحليفه. في تلك اللحظة فقط استفاق الزبيري من غفوته وأدرك أنه وحيد يواجه مصيرا مجهولا وأن نظام بومدين لن يمهله لحظة حتى يقبض عليه حيا أو ميتا... تأكد انه خسر المعركة والرفاق والأصدقاء... طلبت منه ألا تغادر المكان إلا لمكان أكثر أمنا وقد تأكد لدي أن القوات النظامية تقوم بحملة قمشيط مركزة بحثا عن الزبيري ومعاونيه وجنوده... لذا أثرت عليه أن نمكث في مكاننا إلى أن يجن الظلام... فنسير إلى مكان آخر أكثر أمنا... هجم الليل على المكان وغطى المنطقة بسواده فتهيأنا إلى الرحيل وكنا أربعة، الزبيري وأنا وجنديان من أصفيناند... تسلقنا الصخور الرعرة باتجاه قمة الجبل... إلى أن انتهينا إلى مكان انتشرت به بيوت من طين تكاد لا تظهر للعيان دخلنا إحداها... فاعترضنا صاحبها بالأحضان ومظاهر الفاقة والفقر تعلق كل شيء في البيت... ودون أن يمهلنا أمر رب البيت بصوت جهوري زوجته أن تحضر لنا أحسن ما تملك من طعام... وكنا أياها في شهر رمضان المعظم. بعد لحظات جاءت الزوجة بأجمل ما لديها وكان الإفطار عبارة عن "حسوة" قدمت من دقيق العدس الأسود وقليلًا من خبز الشعير...

التفت إلى الزبيري وقلت له: «أرأيت ماذا يأكل أبناء الشعب في شهر رمضان... علما بأنه أفضل ما لديهم على الإطلاق... هؤلاء الذين أعطوا أعز ما لديهم للثورة بالأمس، وهامم يجازون عما أعطوا...» ترقرت عيناه بالدموع وكف عن الأكل؛ وطلب جرعة ماء يملأ بها بطنه الخاوي تاركا بعض ما في الصحن لتلك العائلة الفقيرة عليها تسد به رمق الجوع في سحورها...

بقينا على تلك الحال من التخفي نسير الليل ونختبئ النهار في تلك الأماكن الأمانة التي خبرتها طيلة سنوات الحرب التحريرية... إلى أن فاتحني الزبيري بأنه قد مل ذلك الأسلوب من التمرد قائلا: «أن حل قضيتنا لا يمكن أن يكون إلا

في باتنة لأن فيها أقارب ومعارف وأنصار... وتوجد بها فيالق عسكرية جاهزة لأن تتبع أوامري...».

خامرتني شكوك في إمكانية خطته الجديدة بعد أن نشل تمردة فشلا ذريعا... وترددت في مصارحته بما أرى... أكدت له أن ذهابه إلى باتنة يقع على مسؤوليتي لكنني صارحته بأنني لا أستطيع مصاحته إلى هناك...

رفع رأسه متأملا وهو كسير الجانب يريد أن يبوح بكل ما يخبر كيانه من عواطف الحزن ويقايا الهزيمة... والبأس من الأصدقاء الذين خانوه.

3 - كيف تم تهريب الزبيرى ؟

استمر الزبيرى هائما على وجهه من جبل لآخر ومن مخبأ لآخر... وصادف أن كنا على قمة جبل غشاء ضباب كثيف... تناهت إلى مسامعنا أصوات وضوضاء مختلفة قادمة من سفح ذلك الجبل... انتبهنا فإذا قوات الجيش والدرك والشرطة بأسلحتها وكلابها المتخصصة تفتش عنا... وقد كنا وقتها غارقين في حديث أخوي صريح ومباشر، وقد واجهت فيه الطاهر الزبيرى بسؤالي: «لماذا لم تنتفض قبل اليوم وكنت من أكبر المتحمسين لانقلاب 19 جوان 1965 رغم أنك كنت تعلم أن الرئيس المخلوع وافق على اقتراح أصدقائك بتعيينك قائد أركان الجيش وهي الفرصة التي سمحت لك بأن تكون في موقع تعدل منه جميع موازين القوى في السلطة وتظهر صفوف الجيش الوطني الشعبي...»، فرد وهو يطلق صغيرا حادا وعلامات القلق بادية على وجهه: «لا أنكر أنني كنت من الحاقدين على بن بلة بعد أن كنت من أكثر المؤيدين له... وفي لحظة عاطفة غير مشبعة بتوجيه العقل محمست لانقلاب بومدين وأيدته دون اعتبار للنتائج، وقد بدأت كراهيتي لبن بلة يوم أن أساء فهمي وتهكم علي في اجتماع رسمي... حيث كنا نحضر احتفالات ثورة أكتوبر السوفياتية ولففت إليه وقلت: «لماذا لا تصدر أمرا بفتح واحد من ضباط الجيش الوطني الشعبي رتبة «مارشال» وتكون الرتبة رمزية حتى يكون في مستوى الوفود العسكرية الدولية التي نستقبلها من حين لآخر... على أن يكون هذا الضابط مثلا محمد ولحاج باعتباره أكبرنا سنا...»؟

رد بن بلة على اقتراحي باستهزاء قائلا: «انتهى عهد الموس ياسي الطاهر». وقتها لم أقاللك نفسي وقلت على الفور: «لولا الموس لما أصبحت رئيس

الجمهورية ولما دخلت الساحة الحمراء» ونهضت فدخلت غرفتي الخاصة قبل انتهاء موعد الزيارة على أمل أن أعود إلى الجزائر في أول طائرة أعثر عليها... تبعني محمد حربي إلى الغرفة وجلس على حافة الفراش وقال، مبتسما: «لا يجب أن تأخذ الأمر مأخذ الجدد... لأن الرئيس كان يداعبك متعمدا إثارته... لا تنس أنه يكن لك احتراماً لا مثيل له، ثم ما مبرر غضبك وقد كنت في جوابك أكثر قسوة ألم تقل له: «لولا الموس لما أصبحت رئيس الجمهورية» أقنعني محمد حربي وقتها بوجهة نظره وتمت زيارتنا بسلام.

عدنا إلى الجزائر وفي أول لقاء جمعتني بيومدين واجهني بكلماته قائلا: «ألم أقل لك أن الرجل سيذهبنا الواحد بعد الآخر...» وكان يلوح بقوله إلى حادثة الاتحاد السوفياتي وقد علم بتفاصيلها من قبل بعض أتباعه ضمن الوفد... أثار يومدين حفيظتي مرة ثانية ودفعني إلى الحقد على بن بلة من جديد... وكان ذلك الحادث نقطة تحول في موقفني الذي انتهى بتأييدي لانقلاب 19 جوان 1965 إلى جانب ما كان عليه بن بلة من فردية في الحكم...

لم أشأ أن أسأله عن أعضاء مجلس الثورة الذين شاركوه التخطيط... وعن الذين ألقى عليهم القبض وقتها من قبل قوات يومدين لأنني كنت أعلم أن كل رفاقه ممن شاركوه التمرد تم القبض عليهم وجميعهم في مقر دائرة عين الدفلة وقيدوهم بالسلاسل كالوحوش الضارية وساقوهم إلى مصيرهم المجهول... ولم يبق قيد الفرار إلا هو... استغل جهاز الأمن والدرك معلومات هؤلاء المساجين باستعمال جميع وسائل الاستنطاق والتعذيب... استعملوها لأجل تحديد مجال تحرك الزبيري ومراقفه... ووجهوا حملاتهم التفتيشية في مناطق تواجدنا ليلا ونهارا، لكن جميع محاولاتهم باءت بالفشل وينست وسائل مخابراتهم في العثور علينا في الجبال والأودية... فلجأ النظام إلى أسلوب جديد من المناورة، بحيث لجأ إلى توظيف أحد المقربين مني وهو المجاهد (بن ميرة) الذي كانت تربطني به علاقات متينة... وأعطوه جميع صلاحيات الاتصال بي مقدمين له كل التسهيلات بما فيها ترخيصا بالمرور في الليل وفي النهار... وقد حمله يومدين رسالة شخصية موجهة إليّ...

بعد مدة طويلة من التقصي والبحث اهتدى إلى مكان تواجدي... لكنني لم أسح له بلقائي إلا بعد أن تأكدت من صدق نواياه فأشرت على بعض أتباعي

أن يأتوني به، وكنت يومها والظاهر الزبيري في قرية أولاد ابراهيم... تسلمت منه الرسالة : وذهبت أقرأ نصها على مسمع الطاهر الزبيري وأعدت قراءتها ثانية... وكان محتواها: أن طلب منا تسليم أنفسنا للنظام على أن يلتزم من جهته بعدم متابعتنا مع اعتبار أن الأزمة انتهت تفاديا لاستفحال الوضع كي لا ترتب عنه عواقب وخيمة تعادي مصلحة الوطن.

انتحيت بالزبيري مكانا بعيدا وقلت له على انفراد: « ليس هدف النظام حقن الدماء... بل هدفه ربح الوقت لمعرفة ما إذا كان لحركتنا أنصار آخرون غير الذين لبض عليهم... فقلت لبعوث بومدين: «إذا كان هناك بد من التفاهم فلن نبخل به أبدا...».

هكذا عاد الرسول من حيث أتى دون الحصول على جواب محدد، واستمر اختفاؤنا في الجبال والمناطق الوعرة شهرا كاملا... إلى أن قرر الزبيري العودة إلى العاصمة وبعد إلحاح طويل منه... حاولت أن أنتبه عن رأيه فأبى... وبدأت مرحلة جديدة في تهريبه إلى العاصمة، وانطلقنا مشيا على الأقدام متخذين المسالك الوعرة والطرق النائية عن كل أثر حي... حتى دخلنا العاصمة متخفين بجنح الظلام...

بدأنا مسيرتنا من مدينة المدية مروراً بحمام صلوان حيث استرحنا قليلا ومنه إلى ضواحي مدينة الشبلي ثم دخلنا بئر الحادم في أحواز العاصمة... وربطنا عند مدخلها الجنوبي... كان الزبيري يظن أنه سيلاقني في طريقه بعض المساعدات من أنصاره... لكنه صدم عندما لم يلاحظ طيلة مسيرتنا إلا قوات الدرك والجيش والأضواء الكاشفة لمحرس الطرقات... جمدتنا عواصف الشتاء وضبابه الكثيف ويرده القارس وأمطاره التي أرغمت قوات الأمن على التزام مراكزها والاحتماء بسياراتها... وفسحت أمامنا مجال التحرك ودخول العاصمة.. ومن بئر الحادم تحركنا ليلا إلى حي بوزريعة.. حيث بدأ الزبيري الاتصال ببعض أنصاره الموجودين في كل من منطقة حيدرة وبوزريعة، لكنه لم يعثر على أحد.. وقد علم أن رفيقه ملاح هو الآخر تانه يبحث عن ملجأ..

لم ينقطع الاتصال طيلة تلك المدة بيني وبين مبعوث النظام... وكنت أخفي عنه مكان تواجد الطاهر الزبيري باستمرار وقد أوهمته أن الزبيري مختبئ في جبال التيطري (مناطق المدية) والحقيقة أن الزبيري قد أخفيته في إحدى الفيلات بمنطقة بوزريعة في حماية مواطن أعرفه جيدا وأثق به كل الثقة.

ذات يوم اتصل بي مبعوث النظام.. فواجهته بقولي: «انتهت مهمتك معي من الآن وإذا كان لا بد من اتصالات أخرى فيجب أن تتم بحضور المسؤولين المعنيين... مع احترامي لك...» جاء رد النظام سريعا وتمت الموافقة على اللقاء في حيدرة بمنزل السيد (علوش)، انتقلت خفية من مقر الطاهر الزبيري ببوزريعة إلى حيدرة حيث التقيت رجال الأمن وصورة اغتيال شعباني لم تفارقني... لكنني لم أنس أن أكلف بعض أنصاري من المسلحين بمراقبة مكان اللقاء خفية والتدخل عند الضرورة... وما أن وصلت المكان حتى وجدت المرحوم صالح «فيسبة» وكان يشغل منصب محافظ الشرطة المركزي ومرافقته السيد لعربي مسؤولا في المديرية العامة للأمن الوطني إلى جانبهما شخص ثالث لا أعرفه عرفت فيما بعد أنه ضابط في الأمن العسكري. : فاتحني أحدهم قائلا: «أصغ إلي جيدا لأن ما أقول لك الآن هو كلام الرئيس هواري بومدين شخصيا...». قلت: «أسمعني ما قال الرئيس»، قال: «يقول لك بومدين انتهى. الموضوع وانتهت آثاره... ولن تكون هناك متابعات أو محاكمات فيما يتعلق بمشاركتك في التمرد إلى جانب الطاهر الزبيري... لأننا نعتبرك بريئا رغم مساعدتك قائد التمرد الذي بفضل مساعدتك لم تتمكن من القبض عليه... واننا على يقين من أنه وقع إقحامك في هذا التمرد ولم تكن شريكا فيه مع سبق الإصرار والتخطيط والتنفيذ... الأمر الذي جعلنا نتأكد من براءتك...» وأضاف آخر: يقول لك بومدين: «إن المطلوب منك الآن هو كتابة تقرير مفصل عن سير الأحداث مع الإشارة إلى لقائك بالطاهر الزبيري... ولك أن تعود إلى بيتك وأسرتك بعد أن تخبرنا بمكان وجود الطاهر الزبيري». بهذه الرسالة الشفاهية الموجهة من طرف بومدين انتهى حديث مبعوثيه. ضحكت ملأى شذقي من غبانهم... وتأكد لدي أنهم جاؤوا للمناورة وريح الوقت، حتى يسهل عليهم اكتشاف مكان اختباء الزبيري فينقضون عليه دون رحمة...

لم أفوت تلك الفرصة وقلت لهم بحزم: قولوا لرئيسكم عن لساني: «إذا كان التقرير الذي يطلبه مني يخص مجريات أحداث التمرد... أعتقد أن بومدين وأنتم أنفسكم بحوزتكم جميع المعلومات التي أعرفها ولا أعرفها... وما ذلك إلا من اختصاص أجهزة الأمن والمخابرات أما أنا فمجرد مناضل لا غير... أما إذا كان التقرير يخص الأوضاع الاجتماعية والسياسية للبلاد، فإني أطلب بومدين أن

يكتب شخصيا تقريرا يحلل فيه الأوضاع والأسباب التي أدت بنا إلى المأزق الذي نعيشه ومنها تمرد الزبيري... وقلوا له: لو أن الذي انهزم في هذه المعركة بومدين لحبسته كما حبست الزبيري لكونه مجاهدا لأنني أرفض أن يهرق دمه ويداس رمز وطني وصفحة من تاريخ الشعب ضحى من أجل أن تحفظ كرامة أبنائه وحياتهم... إن حمايتي للزبيري هي مسؤولية وطنية وتسليمه إليكم معناه الموافقة على إعدامه كما أعدم شعباني من قبله وفي الختام إنني على استعداد لمقابلة بومدين حتى أبلغه موافقي...».

انتهى اللقاء بهاتين الجولتين... وخرجت من ذلك المنزل متخفيا عائدا إلى مقر إقامة الزبيري وكان ذلك في آخر يوم من أيام شهر رمضان المعظم 1967، وصلت إلى بوزريعة غرويا هائى اليال مطشئ النفس... لأنى أدبت واجبي الوطنى وأخلصت لأمانتى... واقبت الزبيري بتقرير شفهي عن لقائى بمبعوثى النظام... قرر على أثره أن يتحول إلى باتنة كما كان يفكر وبدأت المرحلة الأخيرة من مراحل تخفيه وهروبه...

بعد مفاوضات طويلة وشاقة بينى وبين مالك شاحنة من سكان منطقة باتنة كان قد دلنى عليه الزبيري لثقتة فيه... اتفقت معه على أن يهرب الزبيري بشاحنته من العاصمة إلى الأوراس اليوم الرابع بعد عيد الفطر المبارك... تحت جنح الظلام جئنا بسيارة صغيرة إلى باب القيلا التي بقيم قبيها الزبيري دون أن يتوقف محركها... وخرج في نفر من المناضلين ومعهم رب المنزل وقبل أن يمتطي السيارة حدث الزبيري طويلا في المنزل الذي احتضنته أباما صعبة وهاتقنا الواحد تلو الآخر، وقد كان تأثره لا يوصف وهو يودعنى تقمئيت له النجاح والتوفيق في رحلته وتحركت السيارة إلى ميناء العاصمة أين تترقبه شاحنة خاصة تعودت أن تتسلم حمولتها من محل يبيع بضائع الجملة قرب الميناء...

وهكذا مجحت خطة تهريبه إلى منطقة الأوراس مهد الثورات ومأوى الأبطال... ولم تتركه بسقط بين يدي الذين لا يفكرون الا في تصفيته جسديا، هكذا سلم من الموت تاركا وراءه قصة من الذكريات... وبداية مشوار آخر سأمشيه وحدي على الإبر والأشواك.

4 - وكانت الخيانة أسبق من الهزيمة .

بعد أن اطمان قلبي على مصير الطاهر الزبيري وتهريبه سالما إلى منطقة الأوراس... غادرت ملجأ بوزريعة إلى بيتي في منطقة حيدرة وبقيت أنتسم أخبار وصوله... ولم ينم لي جفن إلا بعد أن تأكدت من وصوله سالما وقد ترسبت في أعماقي حقيقة مؤلة أن الزبيري لم يخسر المعركة يوم أن نبه الرشاة يومدين إلى كثرة تحركاته وتنقلاته بين العاصمة وبين مدينة برج الكيفان (شرق العاصمة) أين يرباط فيلق الدبابات... حيث كان كثير الاجتماعات بضباط الشكنة... ولا يوم أن وافق على خروج ذلك الفيلق إلى منطقة الأصنام، ولا حتى يوم أن هزمت قواته على مداخل مدينة العفرون وتيهان رفاقه وجنوده في الجبال والسهول... ولكن هزيمته الحقيقية بدأت يوم أن باع نفسه لرجال ليس في قاموسهم مكان للشكنة... يوم أن كاشف السعيد عبيد ومحمد الصالح يحيادي بخبطه وياع لهما بسر الحظير... وصدق بعد ذلك مزاعهما بدعمه ومساندته... وكانت الخيانة أسبق من الهزيمة.

عدت إلى حياتي العادية بين أسرتي وأبنائي بعد غياب طويل وعناء الليلي والجبال وبرد الشتاء الذي لا يرحم... توهمت أجهزة النظام أن الزبيري ما زال على اتصال بي وأنه لم يغادر المنطقة... وراهننت على عامل الوقت متوهمة أنها ستقبض عليه لا محالة... والتزمت عدم إزعاجي... فلم يأت إلى بيتي شرطي واحد ولا دركي... إلى غاية شهر أفريل 1968، لم تنم أجهزة النظام طيلة تلك الشهر بل عمدت إلى أسلوب مخابراتي جد متطور ولكنه أسلوب خبس ووضع... بحيث هجرت الأسرة التي كانت تسكن البيت المجاور لبيتي وخصصته لإيواء بعض العجزة وأطفال الشرطة والأمن للتصويه فقط... ونصبت فرق أسطح المنازل وعلى شرفاتها (كاميرات) وآلات تسجيل دقيقة وتصوير وتصنت، وبهذا الحزام الأمني المضروب على بيتي غدت تراقب جميع تحركاتي ولقاءاتي وأحاديثي ومكالماتي... حتى أنفاسي سمعتها في آلات تسجيلهم عندما قبضوا علي وراحوا يستنطقونني... لم أغير طيلة تلك المدة أسلوب حياتي وعاداتي وتقاليدي... وظل بيتي مشرعا للجميع، يأتيه القاصي والداني، الرجال والنساء والشيوخ... ومعظمهم من جنودي القدامى وأطفالهم وعائلاتهم، وأبناء الشهداء... وقد تم استنطاقهم فيما بعد عندما قبضوا علي وبدأ التحقيق معي... ولم يسلم

أحد من زاروني في تلك الأيام من جحيم التحقيق البوليسي والأمني... حتى الشيوخ والأطفال وبعض أصدقائي من المجاهدين المعروفين... تضايقت كثيرا لذلك الأسلوب المفرض... فقررت أن أريحهم من متابعتي وأرتاح بدوري وأضع حدا لمضايقة زواري ومتابعتهم بوليسيا... فسافرت إلى الخارج في رحلة طويلة معتمدا جواز سفر مزيف باسم مستعار، وقد ساعدني عليه بعض أصدقائي المخلصين وتقرر سفري يوم 27 أبريل 1968 إلى فرنسا، حيث دخلت مطار السانية بوهران متخفيا وتمكنت من مغالطة رجال الأمن وحرس الحدود الذين شددوا رقابتهم على جميع المسافرين وقد ملأت صوري الشخصية مراكز الشرطة ومراكز الحدود تحسبا لأي هروب أو طارئ آخر... قشلت مخططات أجهزة أمنهم رغم وسائلهم التكنولوجية العالية... وسقطت خرافة متابعتهم لي... وهكذا غادرت الجزائر تاركا ورائي زوجي وولدي وابنتي التي لم تتجاوز شهرها السادس وباتي أسرتي وأصدقائي.. وما إن حطت بباريس حتى جد الأصدقاء في ظلي...

5 - مع كريم بلقاسم في باريس،

اتصل بي السيد كريم بلقاسم من خلال رجاله وكان وقتها يرأس حركة سياسية معارضة أطلق عليها: «الحركة الديمقراطية الثورية» (M.D.R) وقبل أن أجتمع إليه اتفقا على أن يكون لقاؤنا أخويا وشخصيا لا لقاؤا سياسيا، فوافق على هذا الشرط... وفي أحد الأيام بينما كنت في إحدى المقاهي المتواضعة... التي يملكها مهاجر جزائري في الدائرة التاسعة لباريس شاهدت كريم بلقاسم وقد انتحى ركنا من أركان المقهى، وذهب يعب قهوته بهدوء ويديه صحيفة يطالع فيها أخبار اليوم، اقتربت منه دون أن يحس بوجودي حتى إذا انتبه فجأة انتصب واقفا وفتح ذراعيه واحتضنتني بقوة وهو يطلق ضحكة طفولية خالصة وكأنه يعانق من خلاصي جبال الجزائر وزيتونها وأرزها وصنوبرها... وأخبار البلد... وكنت لم أره منذ أن غادر الجزائر سنة 1965... حدثت في ملامحه قرأيت أمواج التجاعيد تملأ محياه واقتربت عيناه عن نظرات حزينة وقد ضاع عنها بريق سنين الثورة والنصر...

و بعد أن أفرغنا من أحاديث الحال والعيال... والذكرى... واجهني كريم بسؤاله عن طبيعة أحداث حركة 11 ديسمبر 67 وتنازجها ونهاياتها ومصير الزيري...؟ رويت له كل التفاصيل التي أعرفها... سردا وتحليلا... وطمأنته عن حياة الطاهر الزيري الذي تمكن من الهروب بجلده والاختفاء في نواحي باتنة... ثم انتقل كريم إلى الحديث بإسهاب عن حركته السياسية «الحركة الديمقراطية الثورية» وعن دورها وأهدافها التي تشكلت من أجلها... فبالى جانب كونها تطمع إلى الإطاحة بنظام الحكم في الجزائر ستعمل على تطهير صفوف الجيش من عملاء فرنسا من ذوي دفعات لاكروست، (ولالواكادر) وغيرهما... وبناء الجزائر المستقلة... واستمر كريم في سرد آفاق عمله السياسي بحماسة وشجاعة وبصوت عال حتى أنه جلب انتباه زبائن المقهى كان كريم صلبا وشجاعا... لا تعرف الخشية سبيلا إلى قلبه... لست في كلامه صدقا وإخلاصا... حتى أنني نسيت كريم اللاجئ في مقاهي باريس بل عادت بي الذكرى إلى سنوات خوال كان فيها كريم شبلا سكن الجبال وعارض الاستعمار سنين طويلة قبل اندلاع ثورتنا التحريرية... بعد قيامه بتلك العملية البطولية قتل فيها أحد الخونة من عملاء فرنسا وكان من بين أقربائه... لم يعر كريم أهمية للقرابة والدم... بل أثر مصلحة الوطن العليا... ولما عرض عليه رفاقه الأوائل مشروع الثورة لم يتخلف لحظة عنهم وكان بذلك خير أخ وأصدق مجاهد وأقدر قائد... حتى إذا جاءت لحظة جني ثمرة انسيادة قاد كريم مفاوضات ابقيان عن الجانب الجزائري، وجادل العدو الند للند وفرض عليه إعجابته وخوفه منه... وها هو اليوم رغم ما فيه من تشرد وهجرة فإنه يزداد يوما بعد يوم تصلبا وتصميما على الثورة وعلى تصحيح الانحراف... بقيت أراقب كريم في ذلك اللقاء وهو كسعلة من نور لا تنطفى... أراقبه في حركاته وسكناته وقد بدا لي قطعة أثرية تادرة في تاريخنا الثوري... انتهى ذلك اللقاء دون أن نتفق على لقاء ثان... ولم يعدني بشيء... ولم يلزمني بموقف سياسي معين... وتغنيت لوطال اللقاء أكثر حق أعجب من فيض ثورته وصدق سريرته...

تكررت اللقاءات فيها بعد... ولم يتمالك كريم أن دعاني إلى الانضمام إلى حركته والعمل داخل صفوفها... لكنني رفضت طلبه بلطف حتى لا أثير حفيظته.

6 - مغابرات بومدين تفترون صفوف معارضة كريم بلقاسم،

في إحدى لقاءاتي مع كريم بلقاسم صادف أن حضر إليه رجلان... كنت على معرفة جيدة بهما... وهما ممن يعشقون الأضواء وتعاطي الدعاية الإعلامية وحب الظهور... وقد أيقنت أنهما استحوذا على عقل كريم وأوقعاه في شركهما أيما إيقاع... وصورا له الوضع في الجزائر على أسوأ حال... حق أوهما أنه بمجرد وصوله الجزائر ينهار الحكم وتدنو منه السلطة... وكان الرجلان من أتباع كريم كما زعم لي شخصيا... والحقيقة أنهما يعملان لصالح المخابرات الجزائرية وقد اخترقا صفوف حركته... لتقويضها من الداخل... كان أحدهما من بين الذين أعرفهم حق المعرفة وأعرف أنه موظف في جهاز المخابرات الجزائرية وقد دخلها لتحقيق أغراضه ومناقحه ولم يكن رجل مبادئ... وقد كان ضابطا سابقا في جيش التحرير، جرح في ظروف غامضة وأسر... ثم قرمن سجنه جريا... بسرعة لا يصدقها عقل سليم ثم انتقل إلى تونس حيث استطاع أن يوطد علاقته بكريم بلقاسم، وهو وزير في الحكومة المؤقتة...

أخفى في ثيابه يوم لقائنا نحن الأربعة في باريس جهاز تسجيل صغير... أما رفيقه فذهب يسجل كل عبارة تفوه بها كريم عن حركته... ومشروع إطاحة بحكم بومدين وكانا يشجعانه على المزيد من الحديث والتفاصيل التي لا يرغب فيها عادة الا رجال المخابرات والأجهزة الخاصة... لم يبخل كريم بكل ما لديه من معلومات وأسرار عن حركته برجالها وتنظيمها وأهدافها السياسية والعسكرية وخطة الإطاحة ببومدين وسلم لهما نسخة من برنامج عمل منظمته!...

التمت الصمت المطبق ولم أتفوه بكلمة واحدة في حضرتها... باستثناء إلقاء التحية... ولما همت بمغادرة المكان بعد طول اللقاء التفت إلى كريم وقلت له: «أود أن أخبرك يا كريم أن المعارضة من خارج الوطن هي معارضة محكوم عليها بالفشل الذريع، لأن الشعب الجزائري الذي تعرفه أحسن مني برفض المعارضة من الخارج... ولا سبيل إلى اقناعه إلا بمبدأ المعارضة من الداخل المنبثقة منه... إن لشعبنا حساسية مفرطة تجاه أي حركة خارجية... ولا تنس أن ثقته فيكم أنتم أيام كنتم أعضاء في الحكومة المؤقتة أكثر بكثير من ثقته في الفدائيين

والمجاهدين في الداخل... ونظام الحكم في الجزائر اليوم من غير المنطقي أن نغيره من خارج الجزائر...".

رد كريم بهدوء عجيب : قائلا : "ثق أن لي قاعدة جماهيرية واسعة داخل الوطن وبإمكانني الاعتماد عليها عندما تحين الفرصة... لم أشأ أن أذكره بأن هذا الشعار مستهلك وكثيرا ما سمعته من قبل برده بوضياف، وخيضر ثم ودعته متمنيا له النجاح دون أن نتفق على موعد لقاء. وقد أدرك كل منا مبتغى صاحبه وأسلوب عمله وقاعدة انطلاقه... شكرت كريم على كرم الضيافة وقد تشرف يومها بأن قدم لنا وجبة جزائرية أصيلة وسقانا قهوة ساخنة وقد علق بقوله وهو يهتز جذلا: "لاشيء يحمينا برد فرنسا القارس إلا القهوة الساخنة..."

ودعت الحاضرين وتواريت في الشارع الفرنسي بتلغني الجلبة وتعرقني أنفاق المترو... وشدت ذهني صور الجدران الكبيرة الملونة، فشعرت بغرب الوطن واللسان... إذ ليس في هذا البلد مال ولا أقارب ولا أصدقاء كل ما بيني وبينه ذكريات صراع مرير واستعمار... وقتل و تشريد وتجهيل شعب وسرعة ثرواته واغتصاب هويته... واجهتني نفسي بحقيقة كبرى، لا بديل لي عن وطني قاعدة انطلاق... وعادت من جديد صور أطفالي الثلاثة تشدني إلى حنين الوطن ولقاء الرفاق وحديث الأصدقاء، فقررت لحظتها العودة إلى أرض الوطن وفي قلبي استعداد لأية مسؤولية أتحمّلها وأي طارىء أواجهه، لذت بالفندق وما إن دخلته حتى رن جرس الهاتف دون انقطاع... رفعت السماعه فاذا مخاطبي من الجزائر. وقد فاجأني بقوله: إن رجال الأمن جادون في البحث عنك وعن الذين لهم صلة مباشرة بأحداث 11 ديسمبر... ونصحتني أن لا أعود إلى أرض الوطن، سألته عن الأسماء الأخرى وما إذا كان النظام يفتش عنها ومن بينها اسمه الشخصي وقد ذكرته جزافا من بين الأسماء... فرد رجال الأمن يخصوصك وحدك بالمطاردة والبحث قلت له: (إذا كان الأمر على ما تقول فإني عائد إلى الجزائر حالا على متن أول طائرة... " وقفلت السماعه، ثم نهضت أجمع أو باشي وأسوي وضعيتي المالية مع مقتصد الفندق... وخرجت مسرعا لأحجز مكاني على أول طائرة... لكن صادف أن كان موظفو شركة الطيران الفرنسي مضربين ذلك اليوم... توجهت إلى أحد أصدقائي أسأله أن يحصل لي عن تذكرة سفر في أية شركة طيران أخرى.

فلم يفلح... وتطوع بتقلي بسيارته الخاصة إلى جنيف وكان هذا الصديق الفنان الثالث... الشهيد محمد بودية... وفي طريقنا إلى جنيف تشابه علي الأمر وأشكل بين من يحثني على الاتصال هاتفا بمدينة البليدة... وبين الذي ينصحتني بعدم العودة إلى الجزائر... صدمت عندما لم أدرك أية رحلة جوية إلى الجزائر وفوجئت برحلة المغرب الأقصى التي تقلع فيها الطائرة اليوم الموالي... وكان كل ما أملك من مال لا يكفي لقضاء ليلتي في جنيف ريشا تصل الطائرة المباشرة بين جنيف والعاصمة الجزائرية، وبعد لأي... عثرت على فندق متواضع لا يقصده إلا العمال السود في سويسرا والمعدمون مثلي، قضيت به ليلتي على مضض... وفي الصباح البكر انتقلت إلى المطار وأديت الإجراءات الجمركية... ثم ارتويت في جوف الطائرة... لا ألو على شيء حتى فوجئت بمضيئة الطائرة... تعلن أن رحلتنا الجوية ستوقف بمدينة مدريد وسنستأنفها إلى الدار البيضاء بعد يوم كامل... وكان لا مقر لي من ذلك إذ لم أنتبه إلى تعليقات الرحلة في اللوح الإلكتروني... وحمدت الله أن علمت أن تكاليف الإقامة بمدريد ستكون على حساب شركة الطيران... بعد لحظات نزلنا بمطار مدريد وذهبت توا أتأمل مفاصل تلك المدينة الرائعة وأرقب حركة أهلها وأسلوب عيشهم وأراود الذاكرة علي أرى بعض تاريخ أمتي التي صنعت مجنا طالما أعلته في تلك البقاع... وبينما أنا شبه تائه في شارع مكتظ صدمني شخص قادم من الاتجاه المعاكس التفت فورا أعتفر إليه... فإذا هو كريم بلقاسم... وكانت مفاجأتي سارة وعظيمة بقدر ما كانت مفاجأته كذلك... بادرني قائلا: "من الذي جاء بك إلى هنا... وقد تركتك في باريس...؟ وعلت وجهه علامات الدهشة والشك قلت دون تردد: "أنا في طريقي إلى الجزائر... ثم ذهبت أشرح له سبب عودتي إلى الجزائر... فاطمأن قلبه... وطلب مني أن أرافقه إلى بهو فندق ضخم... حيث طلب فنجانين من القهوة وجلسنا إلى جانب طاولة في مقهى نخم رواده من أكابر القوم... وانطلقنا في جولة حديث جديدة... ولم أكن أعلم يومها أن فنجان قهوة أشربه رفقة كريم بلقاسم سيكلفني عشر سنوات سجن...

قبل أن أودعه سألته عن سر وجوده في مدينة مدريد فرد قائلا: "إنني أترقب وصول الرئيس التونسي لحبيب بورقيبة قادمًا من الولايات المتحدة الأمريكية... لقد اتفقت معه على موعد بمدريد لكي نتباحث فيما يمكن أن نقدمه من عمل

مشترك لمنظمة مغربنا العربي ونسحدث في موضوعات أخرى تهمننا... ولا تنس أن لي علاقة قديمة وممتينة بالرئيس بورقيبة... وهو ينظر بعين الرضى لحركتي السياسية (الحركة الديمقراطية الثورية) كرافد من روافد توحيد المغرب العربي".

غلبني الحياء... ولم أتجاسر على القول بأن لقاءك ببورقيبة ليس أكثر من كونه محاولة دفع التهمة عن حركتك بعد أن راجت بشأنها فكرة التطرف والفتوية الضيقة (البربرية)... وهي فرصة أمام بورقيبة ليتأكد منذ البدء من نوايا حركتك في حالة نجاحها وتغيير نظام الحكم في الجزائر...

انتهى لقاؤنا فقلت مردعا... ومن يومها لم أسمع عن كريم بلقاسم إلا وأنا في السجن... لما تناهت إلينا أنباء تفيد أنه اغتيل من قبل المخابرات الجزائرية بأسلوب شنيع...

وفي الغد... ركبت الطائرة المتوجهة إلى الدار البيضاء... ومنها ركبت الحافلة إلى العاصمة الرباط ثم توجهت رأسا إلى سفارتنا في العاصمة المغربية وطلبت الملحق العسكري رجم العربي شخصا لسابق معرفتي به لكونه ضابطا سابقا في جيش التحرير الوطني في الولاية الثانية... فاجأني الملحق بأنه لا يعلم من أمري شيئا وأضاف قائلا: "أن تعيينه في هذا المنصب هو مجرد ذريعة أبعدوه بواسطتها إلى خارج الوطن..." طليت منه أن يتصل بجهاز الأمن الجزائري بواسطة السفارة الخاصة ويعلمهم بعودتي الفورية إلى الجزائر عن طريق وجدة مغنية... فاعتذر وفقا بي وخيرني بين أن يأتي شخصا إلى الجزائر ويحيط مسؤوليه بأمر إلحاحي على العودة إلى أرض الوطن... فرفضت اقتراحه وقلت له إذا كنت غير مستعد للاتصال بهم فسأعلمهم شخصا بكل ما دار بيننا... ولم يكن موقفه ذاك إلا شفقة عليّ وهو من خيرة الأصدقاء ورفاق السلاح.

امتطيت حافلة من الرباط إلى وجدة وبينما أنا أعبير الحدود الجزائرية المغربية التقيت المسمى عميرات سليمان أحد أبرز أعضاء كريم بلقاسم صدفة... وقد سجلت عيون المخابرات ذلك اللقاء واعتبرته جزءا في خطة تنسيقية... ونتيجة للقاءات سابقة تهدف إلى زعزعة الحكم وتقويض أركانه... وهكذا عدت إلى بيتي في منطقة حيدرة بالعاصمة الجزائرية في جوان 1968.



البطل الشهيد محمد بن نعامه

الفصل التاسع

قصتي مع رجال مخابرات بومدين، السجن، الاستنطاق والتعذيب اللاإنساني

1 - رحلة الاستنطاق والسجون،

عدت إلى بيتي وأسرتي بعد رحلتي إلى أوروبا... وبدأت حياتي العادية، وفي أحد الأيام بينما كنت أتجول في شارع العربي بن مهدي بالعاصمة... قادتني خطاي إلى مغازة أحد... معارفي... وما أن هممت بالدخول حتى حاصرتني عصابة رجال بلباس مدني وقيدوا يدي على مرأى المارة واقتادوني إلى سيارة سوداء من نوع (بيجو 403) وبعد لحظات قصيرة أدخلوني مركز شرطة يقع في شارع "كافينيك"... مكثت به إلى غاية منتصف الليل وكان حراسه يتناوبون على مراقبتي ويقف منهم الواحد تلو الآخر إلى جانبي ينظر إليّ في دهشة ثم يغيب عني دون أن يقول أي كلام... اقتادوني ثانية إلى مبنى ضخم وألقوا بي في زنزانة مظلمة تقع في أسفل المبنى... وقد علمت بعد حين أن في ذلك المعتقل يوجد سجناء آخرون متهمون بالانتماء إلى حركة كريم بلقاسم .

استمرت إقامتي في تلك الزنزانة شهرا كاملا عرفت فيه جميع ألوان التعذيب الجسدي والنفسي كالضرب بالهراوات والرفس بالأقدام وتسلط الصدمات الكهربائية ويخسون بها المناطق والأعضاء الحساسة من جسدي دون غيرها... ويلقون من حين لآخر على رأسي وجسمي المياه الفدرة وكان لون العذاب وأسلوبه يتغير بتغير الجلادين... وكنت كلما أشرفت على الهلاك وأصبت، بغيبوبة يوقفون حملة التعذيب... حتى إذا عدت إلى وعيي استأنفوا التعذيب من جديد... لم أكن أتصور أن داخل أجهزة استنطاقنا نفسيات امتلأت حقدا على الإنسان إلى الحد الذي رأيت؟ وبدأت مع مرور الأيام أتكيف نفسيا وجسما مع كوابيس التعذيب اليومي... إلى درجة أنني فقدت الإحساس بالألم وانطرحت بيني وبين الجلادين قضية محمد خطير، فلا الجلادين باستطاعتهم

أن يحطموا معنوياتي... فأصرخ أو أبوح بما في صدري... ولا أنا بإمكانني أن أموت أو أتنازل عن مبادئتي...

وتطور الصراع إلى نقطة المستحيل... وكنت أكرر على مسامعهم جميعا أن كل ما أعرفه من أسرار لا يخفى على أجهزة أمنهم... استمر الجلادون يراهنون على عامل التعذيب والوقت محدودهم ورغبة معرفة كل ما يخفيه صدري من معلومات وأسرار إلى غاية يوم 27 أوت 1968 حملوني شبه مشلول إلى سجن سيدي الهوارى بهران، حيث قضيت مدة شهرين في السجن دون أن تعلم أسرتي ولا أصدقائي بمكان وجودي... وكلما سألت عائلتي عن مصيري أجابتها أجهزة الشرطة نحن أيضا نفتش عنه لإلقاء القبض عليه... لذا يجب أن نتعاون جميعا للعشر عليه!!!

2 - من جسيم التعذيب إلى جسيم الزنزانة،

لم أغير ثيابي طيلة ثلاثة أشهر من السجن والتعذيب... وقد منعوني من غسلها... ولما كان موعد نقلي من زنزانتى بالعاصمة إلى زنزانة أخرى في سيدي الهوارى، قيدوا يدي بالحديد وأوثقوني إلى سجناء آخرين مقيدين مثلي وعصبوا عيوننا جميعا فكان يستحيل علينا أن نفرق ما إذا كنا في النهار أو في الليل... ثم حشرونا جميعا في شاحنة قفزة معدومة النوافذ ليس فيها تهوية، تتصاعد منها روائح كريهة تبعث على الغشيان والموت... انطلقت بنا تلك الشاحنة الملعونة من العاصمة إلى مدينة وهران وقطعت بنا ونحن على تلك الحال ما لا يقل عن خمسمائة كيلومتر، كانت مفاجأتنا أكبر عندما دخلنا سجن سيدي الهوارى وبدأ حراس السجن يفتحون الأبواب وكثر هرج الأبواب وصرير المفاتيح... فأدركت وأنا معصوب العينين أن للسجن أبوابا كثيرة لكنهم لم يبقوا عليّ في ذلك الطابق، بل أنزلوني عبر سلالم لولبية ذات مدارج كثيرة إلى أعماق الأرض حيث أودعوني زنزانة منفردة في الدرج الأسفل من سجن سيدي الهوارى الذي يعتبر قلعة مظلمة على البحر، بها محرات وأنفاق بناها الإسبان أيام غزوهم لبلادنا ليحتموا بها من ضربات المجاهدين الجزائريين وبالقلعة دهاليز لإخفاء أسلحتهم وأمتعتهم، إذن هي حصن منيع لكنه سجن مخيف وفضيح يبرده القارس شتاء وبحسراته السامة وأوساخه ويوجهه الجاهم الحزين الذي يبعث الرعب في النفس...

كانت الزنزانات على شاكلة بشر أقيمت على حافة المرات، فهي كالعفاريت
فأحقة أفواها في الظلام تلتهم كل يوم بشرا بلحمهم ودسمهم وأرواحهم...

كان أكبر خصمي في زنزاتي هو الصمت... ذاك الحصر العنيد القاتل الذي
تشقه من حين لآخر قعقعة باب أو وقع جزمة غليظة لسجان أو سعال مقيت...

أما الزنانة فلم تكن تتسع لأن أمدد جسمي وأريحه قليلا إذ لم تتعد
مساحتها اثنتين على متر واحد... رفع السجان العصاة عن عيني ودفعني
بأعقاب بندقيته إلى داخل الزنانة... لم أملك نفسي فسقطت ووقعت أرضا بعد
أن أدركت أن أرضية الزنانة دون مستوى عتبة بابها... استقر جسدي داخل
الجب، وبدأت أتلمس أسرار المكان فاكشفت أن وسيلة تهونة الجب تتم عبر
فراغات وشقوق أسفل باب الزنانة المرتفع الذي لا أستطيع ملامسته إلا بعد أن
أحف على ركبتي صعودا على المر الأملس... واجهت مأساة أخرى بعد أزمة
التهونة... هو الحصول على أثر لممارسة حاجتي البشرية... لم أعثر على ثقب
ولا فتحة ولا نافذة... فكل ما هنالك ظلام وطلاسم... شيء لا يصدقه عقل ولا يقبله
منطق آدمي... بدأت أتعلم الحياة في الظلام وأتكيف مع السواد الدائم وأبصر
حقائق زنزاتي بجدرانها الترابية ذات الروائح الكريهة المخيفة... وسقفها المتل
الذي غدا مأوى لحشرات سامة وحيطانها الرطبة المشققة وأرضيتها ذات الأحجار
الناثئة... تعذر عليّ التمدد... وخزنتي أحجارها المستنة... ويشتت من وجود حل
لمشكلتي؟... وحزنت حزنا لا مزيد عليه لفراقي زنزاتي الأولى في العاصمة...
استمرت مقاومتي الموت والجنون في ذلك القبر المخيف... ثلاثين يوما بلياليها...
كان الواقع لديّ وهما والوهم واقعا... لكنني تعلمت من صلب ذاك الجحيم أن
الهمجية إذا ركبت بعض النفوس صارت معولا خطيرا لهدم الإنسانية وتدمير
شرفها... وفي صبيحة يوم 27 سبتمبر 1968 وعلى الساعة السابعة مساء فتحت
السجان باب القبر المخيف وصرخ بصوت عال أزحف كي تتمكن من الخروج
وفعلا بدأت أزحف إلى أن تمكنت بمشقة من الوصول إلى أرضية المر حيث
وجدت نفرا من حراس السجن وما هم في الحقيقة إلا عناصر من أعوان الأمن
العسكري كما علمت فيما بعد... أركبوني سيارة خاصة وأعادوني إلى العاصمة
وقبل أن يدخلوني السجن طافوا بي كثيرا في شوارع المدينة وأنا معصوب
العينين كي لا أتمكن من تحديد مجال وجودي... كدت أتقيأ من فرط الجوع وأثر

التعب والنوزان في ذلك الظلام الدامس واخيرا توقفت السيارة الكريهة الرائحة وقادني زبانية السجن إلى قفص حجري جديد... وما إن دخلت الزنزانة حتى قال لي كبيرهم: «أنت الآن بين أيادي أمين... إنك مع رجال الأمن الوطني أعدناك إلى العاصمة لاستكمال البحث معك لأن الاستنطاق الأول غير كاف بالمرة...»

بدأت جولة جديدة مع الجلادين والاستنطاق... آلاف الأسئلة تتساقط من أفواههم ليلا نهارا لا يتوقف الواحد منهم حتى يبدأ الثاني ليترك فرصة للثالث ثم تأتي مجموعة كاملة تستنظنتني في دفعة واحدة... تشعبت الأسئلة ولم تعد تعني موضوعا بعينه... ولا قضية محددة ولا تهمة واضحة... فتأكد لي أن الجلادين أناس مرضى نفسيا لاهم لهم سوى أن يتلذذوا بعذاب المساجين ورائحة أصواتهم... لم يتركوا موضوعا في حياتي العامة أو الخاصة إلا وطرقوه طالبين أدق تفاصيلهم... فتداخلت عندي المفاهيم ولم يعد يهمني ما يريدون... وأصابني إرهاق خطير من فرط الجوع وقلة النوم وشدة الإهانات والمبالغة في التعذيب واعتقدت أن نهايتي ستكون على أياديهم... كانوا ينظرون إلى آثار الرصاص الذي انتشر على جسدي من أيام حرب التحرير الكبرى... لما كنا نواجه عدوا شرسا بصدور عارية وأقدام حافية وهو يرمينا بقنابله ومدافعه ويرشقنا برشاشات جنوده... كانوا ينظرون إلى مواقع الرصاص ويطفئون فيها بقايا سجايرهم ويجندلونها بقطع حديد ساخنة ويتسألون في سخرية وهزى: «هل هذه حقا آثار رصاص العدو أم أنها عضة كلب...؟» ويضيف آخر «فعلا... هي بقايا أنيابه هنا... ويسأل ثالث هل كان المجاهد رجلا شجاعا فعلا يستطيع الصمود أمام المدافع وطلقات الرشاشات... فأرنا اليوم هذه البسالة...» وتفوض أظافرهم بوحشية في جسمي تمزق مواقع جراحي القديمة.

ولما بأس الجلادون من إمكانية قهري نفسيا، لجأوا إلى أسلوب جديد يريحهم مني قليلا قبل أن نستأنف جولة أخرى من الاستنطاق، بحيث يشدون يدي إلى السقف بسلسلة من حديد ويدلون جسدي في الهواء، وأظل على ذلك الوضع مدة من الوقت حتى أخال أن أعضائي فصلت عن بعضها فصلا... ثم يتطوع أحدهم بوضع كرسي تحت رجلي فيتهالك جسدي فوقه لحظة... ويسرعة فائقة يسحب من تحت رجلي فأحس أنني أنزل إلى هاوية سحيقة. كان الجلادون طيلة مدة التعذيب يتفكهن ويتنافسون على اختراع أنماط أكثر بشاعة وإثارة للتحكم علي... وكانت

عصيم الحديدية المغلفة بالمطاط لا تفتأ تجلدني دون توقف... ولا يحلوا لهم ضربي إلا على المناطق الحساسة من جسمي...! استمررت في مقاومة الموت وازددت إصرارا على الحياة كما لم أصر عليها من قبل لأن قلبي مفعهم بالإيمان كاره للشر... جن جنونهم لفرط مقاومتي العذاب وهالهم أنني لم أسترحمهم بكلمة واحدة... ولم يتجاوز ظلمي إياهم بعض جرعات ماء صدوها عني دائما... بل كانوا يلقون على رأسي وفمي مياها قذرة آسنة حتى يمتلئ بطني فيصعد أحدهما ليدوس عليه بأقدامه فيسال الماء من فمي وأذني وأنفي ومناطق عديدة من جسمي...

تواصل فصل التعذيب منذ عودتي من سجن وهران شهرا آخر... لم أبح فيه للجلايين بغير ما بحت به لهم أول مرة... فملؤا استنطاقتي وضاقوا بتعذيبني وقرروا إعادتي إلى السجن. حملوني من زنزانة الموت البطيئ على متن شاحنة أكثر اتساعا من سابقتها وراحو يتجولون بي في شوارع العاصمة لإيهامي بأنهم غيروا مقر سجنني... لكن بعد ساعات قليلة أعادوني معصوب العينين إلى نفس المكان الذي أخرجوني وأدركت من خلال عدد السلام والانحرفات وصليل المفاتيح أنني عدت لنفس السجن الذي خرجت منه وجاء قول الحق ليؤكد ظني إذ ما إن أعادوني حتى ارتفع صوت المؤذن وقد أراح نفسي بكلمة «الله أكبر، حي على الصلاة، حي على الفلاح»، ارتفعت معنوياتي وازددت تشبثا بالحياة... وإصرارا على المقاومة...

أجلستني مسؤول الأمن قبائه على كرسي مقيد اليدين والرجلين موثوقا إلى كرسي، وقال: اطلعنا على ملفك الخاص فتأكد لدينا أنك رجل نظيف السيرة مستقيم ولا غبار عليك... لكن الذي لفق لك تهما كثيرة هم رجال الأمن الوطني... بعد أن بحت لهم باعترافات خطيرة تكون بأثار تعذيبك البيادي عليك أما نحن رجال الأمن العسكري فنرجو أن يكون تحقيقنا معك شاملا ومختصرا ونهائيا حتى نبتين الصدق من الكذب والخطأ من الصواب...»

أجبت فوراً: «أتركك لضميرك، وقد سبق لي أن قلت لرجال الأمن الوطني ولكم أنتم رجال الأمن العسكري كل ما أعرفه عن حركة 11 ديسمبر 1967 من أسرار، وليس لي من مزيد... ولا يعني أي الجهازين قام بتعذيبني لم أنف

مسؤوليتي في أحداث انتفاضة 11 ديسمبر 67 لأن مشاركتي فيها كانت بإرادتي وعن طواعية واقتناع... وإذا أردت إضافة بعض الأقوال التي لم أذكرها فالأمر متروك لكم فأنا مجرد أسير بين أياديكم...».

قال ببرودة أعصاب: «أريد أن أسمع منك شيئا واحدا بعد أن تناهت إلينا معلومات تؤكد تخطيطك لاغتتيال الرئيس هواري بومدين...».

لم أقالك نفسي وانفجرت ضاحكا مكرها... رغم قروحي الكثيرة وتمزق نفسي لأنني أدرك أساليهم الخبيثة ومناوراتهم المنحطة... لقد هدف بهذه الحيلة إلى إيجاد مسوغ جديد يبرر به دفعي إلى التعذيب حتى أعترف تحت الاستنطاق بتهمتي الخطيرة... يش هؤلاء الجلادون من ابتزازي وقهر أعصابي فقرروا مرة أخرى نقلني إلى سجن وهران يوم 27 أكتوبر 1968 الساعة الرابعة صباحا... واحتضنتني زنزانية أخرى لم أر فيها النور طيلة ثلاثة أيام كاملة إلا بعض ومضات نور استرقتها من خلال لحظات فتح باب الزنزانية لأتسلم صحن حساء العدس الأسود وقطعة خبز جاف من أيدي السجان.

وبينما كنت في ظلام زنزانتني سمعت طوقا على الباب تبعه صرير مفتاح وصوت السجان يعلو بهو السجن وهو يقول: «ياسجين احمل متاعك واستعد للخروج... لقد صدر في حقك أمر العفو العام... وأن وكيل الدولة في انتظارك... قلت له وأنا أجمع متاعي البسيط المتكون من (دلو) أستعمله في قضاء حاجتي البشرية (التبرز) وحصير وغطاء ممزق، قلت له: «أية مناسبة هذه التي يعفو فيها النظام عني؟» رد بكلمة فاصلة كي لا يطيل الحديث معي: «ألا تعلم أن هذه ليلة فاتح نوفمبر 1968؟» خرجت من الزنزانية إلى بهو السجن ويدي موثوقة بسلسلة من حديد إلى رجلي وسرت بين صفيين من حراس السجن وقد اصطفوا يراقبون الزنزانات الكثيرة ذات الأبواب الحديدية.. فتناهت إلى مسامعنا طلقات الرصاص وزغاريد النسوة في الخارج... طفق السجان يدور بي دورات عديدة ثم أنزلني صحبة بعضهم عبر سلالم حجرية حتى انتهت إلى مقر. وقبل أن أقف دعفني أحدهما في اتجاه باب حديدي وباغتني زميله بركلة قوية من الخلف وجدت نفسي على إثرها داخل زنزانية أخرى كدت أن أقع أرضا لولا أنني حافظت قليلا على توازني... لفحتني ريح باردة وبدأت أتعرف إلى ملامح زنزانتني الجديدة

التي أهداها لي السجان ليلة فاتح نوفمبر العظيم... اكتشفت أنها مجرد مرحاض كبير بني لحاجة السجن كله...

كانت ميزة تلك الزنزانة أنها أوسع من سابقتها وأن بابها مرتفع قليلا بحيث أستطيع أن أرى من تحته أحدى الحراس وهم يجوبون بهو السجن... أما وسطه فامتد خندق غائر في الأرض تتسرب منه رياح الحسوء القارسة... حرت كيف أنام في صجري تلك الريح... وحررت إلى ما أسند رأسي... هل أسنده لرياح الباب العاتية أم لعاصفة المغارة بروائحها النتنة... وقد أخذ مني التعب والإرهاق مأخذا رهيبا... لم أعد أقدر على حمل جسمي من الهزال ويقايا جراح التعذيب والأورام... وبينما على تلك الحال حتى واجهني جرد ضخم الجثة حاد النظرات... حاولت أن أرميه بالدلو، لكنني خشيت أن يسقط دلوي في تلك المغارة، فهششت عليه بعباءتي فانطلق إلى قاع المغارة وهو يصرخ محتجا على وجودي في حدوده الإقليمية. اطمان قلبي قليلا لذهابه... لكنه سرعان ما عاد ثانية يقود جيشا جرارا من الجرذان ذات الأحجام والأشكال المختلفة... انسحبت قليلا واتكأت على الحائط مستجمعا قواي لمواجهة جردان السجن وتذكرت أنني في ليلة فاتح من نوفمبر، وتداعت صور الماضي، فتذكرت طفولتي في القرية الهادئة المسالمة أين كنت وأقراني نصطاد أسماك الأودية والينابيع... وعصافير الغابات المزركشة الألوان... ثم تذكرت ريعان الشباب لما كنت أشارك المجاهدين الأشاوس صيد الأعداء... وملاحظتهم من على أرضنا المقدسة في كل مكان... لكن بعد كل هذا العمر الحافل بالانتصارات والأحداث... أراني سجين أربع حيطان في سحيق الأرض... محاصرني جردان مسمومة ليلة فاتح نوفمبر المجيدا!!! أهو جزء من أحب وطنه وفداه...؟ كادت دموعي أن تنفجر من مآقي المتجمدة... لفرط القهر والاضطهاد والظلم الذي فاق جميع التقديرات وأحط بإنسانية الإنسان إلى مدارج الحيوانات المتوحشة. قطعت على نفسي شريط التذكر... وعدت أسألها حلا لمقاومة طوفان الجرذان التي ما انفكت تتكاثر باستمرار... وباعتني نقر خفيف على جدار زنزانتني الذي يفصل بيني وبين الزنزانة المجاورة... لم أتبع النقر... وبقيت أرقب مصدره ودعواه... لم يتوقف الطارق واستمر يلح علي أن أجيبه، ما طلعت في إجابته خشية أن تكون مكيدة من جلادي السجن... ولما ينس من ردي عليه ناداني بصوت حسبه أت من أقاصي الأرض أو من فضاء سحيق... قائلا:

«أنا سجين مثلك واستمع إلى ما سأقوله لك...»، التزمت الصمت ولم أرد عليه وقد أخذ الظن مني مأخذا عظيما... وتصورت أن وراء الصوت مكيدة... لكن طارق الجدار محدى ظنوني واستمر يضرب الحائط حتى خلته أذمي يديه... عندها سألته من أنت؟ وأين توجد؟ وماذا تريد...؟ قال: «أنا سجين مثلك اقتربت من مصدر الصوت قليلا... ففعلت وأضاف قائلا: «سمعتهم يفتحون باب الزنزانة ويدخلونك إليها في حدود منتصف الليل فأدركت أنك سجين جديد أخبرني بريك من أين جاؤوا بك...» قلت متسائلا: «ولماذا؟» قال: «أود أن أعرف الجهة التي جئت منها علني أهندي إلى مصير بعض رفاقي وأصدقائي...» ودون أن أمهله سألته قائلا: «منذ متى وأنت في زنزانتك؟» قال: «منذ شهر كامل وأنا في هذه الزنزانة: لم أصدق قوله واعتقدت كل الاعتقاد أن محدثي من حراس السجن أو أحد عناصر المخابرات دسره في السجن لأمر في نفس يعقوب... واستبعدت كل البعد أن بإمكان إنسان مهما أوتي من قوة جسمية وقدرة على التحمل أن يصمد شهرا كاملا في ذلك المكان... لكنني صممت أن أكتشف نوابه وأتبين أمره فسألته ثانية: «هل لك أن تصف لي زنزانتك وتذكر محتوياتها...؟» قال فورا «كنت سجيئا في زنزانتك الحالية ومكثت بها أياما طويلة قبل أن ينقلوني إلى الزنزانة الحالية وهي أحسن حالا وأقل خطرا... فاعمل بصبرتي، بحيث لاتهاجم الجرذان ولايحارل قتلها فهي تعد بمآت الآلاف... وليس عندك بما تقاومها لأن المغارة التي وسط زنزانتك تصب في القنوات المركزية لتصريف مياه وأوساخ المدينة... وكل ما يمكن أن عمله هو أن تضع قطعة صغيرة من الخبز على حافة المغارة... حتى إذا جاءت الجرذان التهمتها وانصرفت...».

بينما كان زميلي السجن بصف لي خطة مقاومة الجرذان... جالت بذهني تفاصيل قصة الطاعون: للكاتب الوجودي «ألبير كامو»... شكرت هاتف الليل... وقد علمت بعد أيام طويلة أن ذاك السجن من أتباع حركة كريم بلقاسم...

بدأت أتعلم أسلوب مقاومة الجرذان ومناورتهم وحملتي الذاكرة إلى قصة أسر أبي فراس الحمداني من قبل الروم وكانت جارته يمامة... فحق له أن يغرد معها وهو الفارس والأمير والمحارب والشاعر الفذ... فغنى:

الولد وقد ناحت بلهبي حمامة أبا جارتا هل تشعرين بحالي
إلى أن يدعوها بقوله:

أبا جارتا ما أنصف الذفرُ بيننا تعالي ألامسك الهموم تعالي

أما جيرانني فجرذان سامة وجلادون من بني جلدتي لاهم روم ولا
فرنسيون... فحصدت أبا فراس على سجنه المترف... وعاتبته التاريخ غير العادل
حتى في ظلمه...

كان عليّ طيلة أيام إقامتي في تلك الزنزانة الخيالية أن أقتسم وجبتي
الغذائية قسمة ضيزي مع الجرذان، بحيث تكون من نصيبه قطعة الخبز الجاف...
ومن نصيبي حسوة العدس الأسود... وهكذا وافقت الجرذان على معاهدة التعايش
السلمي داخل مناطق الموت البطيء... ومن عجائب تلك الأيام أنني أصبحت في
حاجة ماسة لمن يشاركني قتل الوقت والصمت في الظلام وكانت الجرذان جزءا لا
يستهان به في عملية الإلهاء والترفيه اليومي... وفي يوم من الأيام قررت أن
أؤكد من محتوى وجبتي الغذائية فأفرغت ذلك الحساء الأسود في دلوي الذي
أقضي فيه حاجتي البشرية مضجعا يومها بتلك الوجبة وذبحت أحصي عدد حبات
العدس للوجبة الواحدة وبعد لأي وعناء شديدين تمكنت من عد سبعة عشرة حبة
عدس لا غير في حساء نصف لتر من الماء... كانت تلك هي وجبتي الشرية طيلة
أيام سجنني.

وبعد أن أنهى النظام وقتها احتفالات الحكومة والشعب بعيد اندلاع ثورة
التحرير العظيمة... أمر بنقلي إلى زنزانة أخرى فرميت دلوي قبل أن أغادر
مغارة الجرذان وقد انتهت مهمته النبيلة بعد أن كنت أخفي فيه أقدامي ليلا
خشية أن تقضمها الجرذان المبرومة... وتهيأت لدخول زنزانة جديدة سبق وأن
احتضنت صديقي ورفيق انسلح العقيد شعباني أياما قليلة قبل إعدامه من قبل
النظام... وقد حفر اسمه على جدار الزنزانة كما احتضنت من قبله رجلا
يوغوسلافياً يكنى -بالملتحي- أو صاحب اللحية الكثة (Le Barbu) وقد ألفت
القوات الفرنسية عليه القبض أثناء قيامه بمهمة تهريب الأسلحة لغائدة الثورة
الجزائرية على متن باخرة سلاح هامة في أواخر سنة 1956 وقد عرفت وقتها
بباخرة (لاتوس) وأعدمت القوات الفرنسية ذلك الرجل... وقبل أن يموت حفر

بأظافره اسمه وتاريخ ميلاده وبلده الأصلي على جدار الزنزانة... ومن يومها صارت تلك الزنزانة تعرف بزنانة الملتحي (Le Barbu) وكان الأولى بالثورة أن تطلق اسمه على إحدى بواخرها جزء لإخلاصه وتضحياته في سبيل الجزائر. ومن حظي الجميل أن وجدت في الزنزانة سجناء بعضهم متهم بالانتماء إلى حركة كريم بلقاسم والبعض الآخر من جماعة تمرد 11 ديسمبر 1967 بالإضافة إلى بعض ضباط الجيش الوطني الشعبي ممن شكك النظام في جنسيتهم الضيقة وادعى أنهم من جنسية مغربية ويعملون لصالح المخابرات المغربية... وقد جيء بهم من بعض الدول الشقيقة (من مصر) بعد أن كانوا يتابعون دراستهم وقد أوفدتهم الحكومة الجزائرية على نفقتها بعد الاستقلال.

والعجيب في الأمر أن هؤلاء الضباط الذين ولدوا في المغرب أو أن أحد أبويهم من جنسية مغربية كانوا من بين خيرة جنود وضباط جيش التحرير وقد استشهد بعضهم وعاش بعضهم وما بدكوا تبديلا 11.

لقد تفتن النظام بتركيبته الفرانكوفيلية المتحالفة مع الانتهازيين... إلى ضرورة تدمير كل تواصل بين الشعب المغربي كي لا يحقق وحدته ويبنى مستقبل دولته القومية التي بإمكانها أن تقوض جميع المخططات الاستعمارية في المنطقة...

وعليه فإن سجن وإعدام كثير من الضباط والجنود من أصلاء المغرب الأقصى بدعوى الخوف على أمن الدولة وغيرها من المزاعم الواهية لا تعدو أن تكون ذرائع خطيرة لتصفية المد القومي لثورة التحرير ومواصلة رسالتها التحريرية وشد الوجدان العربي الإسلامي إليها بما كانت عليه من قيم سامية وخطة ثورية تهدد مصالح الاستعمار والثورة المضادة.

لم يكن سجن وهران في الحقيقة لمعاقة الوطنيين والثائرين على سلطة عملاء فرنسا في النظام... بقدر ما كان خطة جهنمية لتدميرهم بشتى الوسائل... فقد شاهدت بعضنا مات جوعا وتعذيبا ومرضا... بعد أن خارت قواه وتحطمت معنوياته وترقفت فيه جميع شروط مقاومة القهر... وبعضنا فقد أعصابه وجن... وبعضنا أصيب بالسل أو الوبوء... أو هما معا وبعضنا عمي... ولم ينج من شر سجن وهران العسكري في حدود ما أعلم أحد تماما -لقد كنا نطلق عليه اسم الغواصة... لأنه شيد على تلة مرتفعة وبنيت زناناته في أعماق الأرض وكنا

نلاقي الأمرين للنزول إليها... لم أشاهد النور سنة كاملة ولم أر شكل القمر ولا وجه الشمس ولم يخطر على سمعي صوت دابة... أو طائر... باستثناء صراخ الجرذان ونباح الكلاب العدوانية التي كانت تهددنا وتحرش بنا من وراء أبواب الزنانات...

أما زيارات أسرنا فكانت ممنوعة منعاً باتاً بحيث تكرر مرارا أن جاءت زوجتي وأبناؤها في ظروف قاهرة ومؤلمة إلى السجن ورجعوا خائبين دون أن يروني أو أن أراهم.

وصادف أن رأتهم يوماً عجوز كريمة من مدينة وهران تدعى السيدة (بهيري) فرقاً لها حالهم وهم صغار في حضن أمهم جالسين في مدخل السجن يرقبون موعد زيارتي... فتقدمت السيدة الكريمة منهم وتعرفت إليهم... ثم دعتهن إلى بيتها وأكرمتهم أشد الإكرام... وصارت من يومها صديقة الأم والأبناء وصديقة الأسرة إلى يومنا هذا.

3 - حكمت علي محكمة بومدين بثلاثين عاماً سجنًا.

مكثت سنة كاملة بلياليها وأيامها في ظلام دامس... ولم أفارق باب الزنانية إلا لأدخلك أخرى أشد منها وحشية... ولم يزرنني أحد... ولم يتنادني أحد باسمي... ولم أرى أي أثر للحياة من خارج الظلام... فكان كل ما أعرفه هو الظلام حتى نسيت النور... منعوا عني القراءة والكتابة... وأجروني على ألا أغير ملابسني المدنية طيلة أربعة أشهر... حتى بليت وتغير لونها من أثر الغبار والأوساخ فترهل جسمي من أثر الجراثيم والحشرات... وتعقدت وضعيتي الصحية لما كنت أعانيه من صروف العذاب والتورم والجراح حتى إذا انتهى اليوم الأخير من الفصل الأول في الدراما التي عرضت في ظلام دامس جاء السجناء إلى زناناتي أحد أيام شهر يوليو من سنة 1969 وفتح بابها فخرجت إلى بهو السجن ولم أكن أعلم كم مكثت به وضرب النور عيني فسقطت مغشياً عليّ، غالبت نفسي فلم أستطع وقانلت الظلام الذي استوطن أحداقي فلم أفلح... ومن يومها وأنا أعاني أزمة نظر إلى لحظة كتابة هذه المذكرات. قادنا رجال الأمن إلى قاعة المحكمة العسكرية (محكمة الثورة) بوهران وكانت أول فرصة تلتقي فيها نظراتي

بنظرات بعض الإخوة ممن سجنوا مثلي بنفس التهمة... وكانت لحظة مؤثرة فيها العتب وفيها الندم ولكن فيها الاحترام المتبادل والتقدير المشترك...

فوجئت بتشكيلة هيئة المحكمة وكان بعضهم من أعضاء سلك الجيش الوطني الشعبي وبعضهم من قداماء جيش التحرير الوطني... وبعضهم الآخر من دفعات لاكوست... عملاء فرنسا الاستعمارية وقد هالني ذاك اللاتجانس والنشاز الحاصل في تلك التركيبة... امتلأت قاعة المحاكمة بجمهور غفير جاء ليشهد ويستمع إلى الحكم على من صورتهم وسائل إعلام النظام بالمجرمين الخطيرين فحضر أفراد عائلات المتهمين... والفضوليين والمحاميين ورجال الأمن الذين اصطفوا في المقاعد الأولى... وصعد رجال القضاء إلى سدة الحكم، ارتدى بعض القضاة لباسهم الرسمي وبعضهم الآخر أصراً على أن يظهر بملابسه العسكرية وعلى أكتافهم الرتب وعلى صدورهم النياشين... وقد لفت انتباهي أن بعضهم ارتقى فوراً إلى رتبة عقيد أثناء مدة سجنني وهي أول دفعة عقداً بعد الاستقلال... وكان هدف النظام هو إضفاء صبغة الجدية والعظمة على محاكمة العسكرية من جهة ومن جهة ثانية تمكين عملاء فرنسا في صفوف الجيش الوطني الشعبي من ارتياد المناصب الحساسة العليا في الجيش والدولة لكي ينتقموا من ضباط جيش التحرير.

تمكن النظام وقتها من تكيف وضع خاص وخلق مناخ ملائم للمحاكمة... فصورنا مجرمين بمستوى ضباط النازية خطراً... وصاغ حيالنا هالة من التخويف والريبة... حتى بدا أن الرأي العام الذي غلظه النظام يديننا ويتوجس منا...

كان الجو السائد داخل قاعة المحاكمة يبعث على الرعب وكان القضاة برئاسة العقيد محمد بن أحمد عبد الغني مجرد حفاري قبور... جاؤوا ليواروا التراب عن الضحية التي اغتيلت في أعماق الظلام.

واجهنا القضاة الضباط بتهم كثيرة... معظمها من صنع خيال أجهزتهم... وبينما نحن كذلك حتى دخل رجال الأمن العسكري يتقدمهم الرائد (...) قاصدي مرياح رفقة زهوني فرحات أحد معاونيه، احتلوا المقاعد الأمامية رقد تأبطوا محافظ ملأى بملفات ووثائق... ثم وضعوها على ركايبهم وقد تفرسوا في وجه رئيس الجلسة وفي وجسه كل القضاة وكل من له ضلع في تلك المحاكمة..

وما كنت أظنهم فعلوا ذلك إلا لإرهاب هؤلاء... وشحن نفوسهم على اتخاذ أحكام وعقوبات قاسية ضدنا... وقد كانوا يعلمون أن جل من هم في منصة المحكمة مورطون بشكل أو بآخر في تمرد 11 ديسمبر 1967 ومحاضر الأمن العسكري تؤكد ذلك... كان البعض في تقدير رجال الأمن متهمون... بمن فيهم رئيس المحكمة العقيد عبد الغني الذي واجه أحد مدبري حركة 11 ديسمبر واتهمه علانية بالمشاركة في الإعداد للثورة الذي قاده العقيد الزبيري !!

جاؤوا بنا نحن المتهمين وصدرونا في قلب القاعة وكنت المتهم الرئيسي إلى جانب ملاح، وعميرات العياشي، وقارة امعمر، وآخرون من قادة الفيلق...

بدأت المحاكمة -الماراطونية- في جو مشحون بالمؤامرة على العدل... وظهرت التهم المفبركة... وتركت العبارات السياسية العانمة دون أدنى وضوح أو تحديد للدلالات القانونية... بحيث سمعت عشرات المرات كلمات الإمبريالية والرجعية والصهيونية حتى غدوننا في ديباجة نصوصهم المهيثة مسبقا... عملاء كبارا للصهيونية والرجعية والإمبريالية، بل أن كل هذه المسائل الكبرى اكتشفت مخادعها في الجزائر من خلالنا...؟ وكما كانت نكبتي كبيرة وقتها... وأنا أرى سيادة القانون تهان... القانون الذي يمثل أعلى مقدسات الأمم المتعدنة يُفضب في وطن الثورة... وتكيف التهم ضد الضعفاء وتفبرك لإدانتهم! قرأ رئيس المحكمة خطابا طويلا أعده له جهاز الأمن... وكان يهجي تهجية دون أدنى استيعاب لمحتواه.

وبدا ينادينا الواحد تلو الآخر لتمثل أمام هيئة التحكيم وانطلقت فصول المهزلة تعرض على ركح العدالة المفتعلة في رجالها وقانونها ومكانها ومناسبتها... وحكمها... لم يسألونا أين كنا ولا عما فعلوا بنا... وقد قضينا عاما كاملا في غياهب الحب السحيق... وتعرضنا لأبشع أساليب التعذيب والقهر... الجسدي والنفسي... وكان بعضنا لا يقدر على الوقوف إذا نودي والبعض الآخر تام الشلل...

جاء دوري في المحاكمة، امتثلت واقفا... سألتني رئيس المحكمة بعد أن ذكر التهم الموجهة لي قائلا: «ما هي مشاركتك في ثورة التحرير؟» أجبته فوراً: «أرجو أن تعفيني» من هذا الجواب لاسيما في الظرف الحالي... إذ لم بعد

للماضي اعتبار، وكيف يمكن مراعاة ماضي النضالي وأنا منهم من قبلكم بالعمالة للإمبريالية والرجعية والصهيونية... لا أظن أن لجهاذي مصداقية أمام حجم التهم... ودون أن أتم كلامي قاطعني قائلا:

«إن الهدف من سؤال المحكمة الموجه إليك إنما التأكيد على أنك رجل ثورات عديدة»، دون أن ينسى ملاحظته العابرة التي قالها بتهمك من على منصة الحكم وهي (هو ذا المعارض الخالد!) وأشار إليّ بالبنان وأردف قائلا: «نحن نعلم أنك رجل متعدد الثورات وأنت تعرف جيدا ما نعنيه وما هي الثورات التي تسألك عنها المحكمة...؟»

تفاديا للمهرجانية التي كان رئيس المحكمة يود أن يراها ماثلة في ذلك التحكيم قررت أن لا أعطيه هذه الفرصة والتزمت الإجابة عن كل أسئلة المحكمة دون مبالغة ولا تهويل... لكن سرعان ما تحولت المحاكمة تحولا جذريا بعد أن واجهوني بتهمة التخطيط لاغتيال الرئيس هوارى بومدين ثارت ثورتى لحساستهم لكنى قمالك نفسي قليلا: وأجبت: «لا أعتقد أن من بين كل الذين عرفوني واحدا يصدق أنني رجل اغتيالات... والاغتيال ليس من أخلاقي الثورية ولا من تقاليدي لأنه عمل جان ووضيع... وعندما رفضت أسلوب هوارى بومدين في السياسة سنة 1962 قاومته بعد السلاح وبعدها في. "منظمة جبهة القوات الاشتراكية" وأخرها في حركة 11 ديسمبر التي تمكنت فيها من إنقاذ الطاهر الزبيري... كل مقاومتي له كانت علانية وبارادتي الحرة... لكن منطق الاغتيال والطعن في الخلف هذه نذالة لا تطاوعني نفسي أن أتيتها ما حييت... إن أسلوبى هو أسلوب الثورة وأنت تعلم ذلك جيدا...» صرخ رئيس المحكمة بأعلى صوته قائلا: «لا تقل بومدين بل قل سيادة الرئيس» أجته قورا: «تعودت أن أناديه باسمه، أما إذا رغبت في أن أشرفه أمامك فلا يضرنى ذلك في شيء».

قال ويدها تعبت بالملف الذي يحمل مئات الصفحات: «إن ما صرحت به لهيئة التحكيم من أقوال غير مطابق للحقيقة أبدا، وأن المحكمة غير واثقة من أقوالك...» كان رئيس المحكمة يتحدث الفرنسية سواء في مواجهتي بالتهم أو عند استشارة معاونيه ولم يقل كلمة واحدة بالعربية... بادرت إلى طلب من

المحكمة وقلت: «إذا عليّ أن أجيب على أسئلة أخرى فإنني على أتم الاستعداد لأجلي الحقيقة أمام المحكمة.

أخرج عندها رئيس المحكمة رسالة من الملف وسطها أمامه وذهب يتلو منها بعض الفقرات قائلا : «التقيت كريم بلقاسم وجرت أحاديث طويلة بينكما حول أهداف ومستقبل منظمتي...» ثم أضاف: «لا تحاول أن تنكر لأن صاحب الرسالة هو شاهد عيان ثم نطق باسم الرجل الرائد عز الدين وكان أحد الاثنين اللذين سبقت الإشارة إليهما في لقائي بكريم بلقاسم في باريس... وكان هذا الجاسوس أشد إلحاحا من صاحبه على كريم بأن ينفذ مخطط حركته ضد نظام هواري بومدين.

لم أفاجأ من ذكر اسمه... لأنني أعرفه حق المعرفة ويعرفه غيري لما هو عليه من جشع وانتهازية... وهو نفسه كان قد بكى كالشكلى يوم استشهاد البطل «سي لخضر» طمعا في استخلافه في عضوية قيادة الولاية الرابعة مدعيا أنه أقرب الناس إليه... وقد كان له ما أراد....

قلت لرئيس المحكمة: «إذا كانت هذه المحكمة تسمى محكمة الثورة فإنني أرفض أن أحاكم أمامها بالمراسلة إذ لا توجد محكمة في العالم حسب (رأيي)... تصدق هذا الأسلوب وإذا كان لابد من إدانتي بهذه الرسالة... فلماذا لا تذكر موضوع اتصالي بسفارتنا بالرباط والكيفية التي عدت بها إلى أرض الوطن وتعتبر هذه الحقائق مرتكزات وشواهد تخفف بمداها المحكمة حكمها عليّ... كان بإمكانني أن أبقى في الخارج لكن وثوقي من براءتي دفعني لأن أعود إلى وطني وأواجه انتظام بالحقيقة وإذا كان لابد من هذا الأسلوب... فلماذا لم يواجهني صاحب الرسالة هنا في المحكمة وإن كنت أدرك أنه موجود على أكثر تقدير في وهران أو ربما هو أمام باب المحكمة يسترق السمع.»

رفع وكيل الجمهورية أحمد دراية يده عاليا وطالب بإيقاف المحاكمة وإعطاء لحظة مداولة لهيئة المحاكمة، لم أكد أجلس على كرسي حتى هجم علي ثلاثة أشخاص وقيدوني بسرعة ودفعوا بي خارج قاعة المحاكمة... ساورني شكوك أنهم جاؤوا لإعدامي قبل أن أدلي بحقائق تخيفهم... وبينما أنا منهمك في شكوكي فاجأني وكيل الجمهورية رفقة الضابط مرابط حسن بقوله ويلهجة خالية

من أي حقد أو عنجهية : «أرجو أن تشرح لي ما قصدته بكلامك عن المحاكمة بالمراسلة...» قلت: «لا يحق لمحكمة ثورية في هذا المستوى أن تعتمد في أحكامها على رسالة توجه تهمة لإنسان... ولو أنها كانت صحيحة... ما الذي أدرانا أنها لصاحب الاسم الذي حملته... وقد ينتهي الحكم على أحد بالإعدام بمجرد تصديق ادعاء زائف... وإذا كان لابد من أخذ رأي صاحب الرسالة بالاعتبار فلا بديل من حضوره شخصيا...» انتهى اللقاء وطلب من حراسي أن يعيدوني إلى قاعة المحاكمة وطلبت مني هيئة المحكمة الموقرة الوقوف كي استمع إلى قرار المحكمة النهائي وكان الحكم وقتها بثلاثين عاما سجنا نافذا جراء ما اقترفته من جرائم... وكانت حيثيات الحكم كالتالي:

- عشرون عاما... لمشاركتي في تمرد 11 ديسمبر 1967 وعشر سنوات سجنا عقابا على تورطي في مخطط كريم بلقاسم وانتمائي لحركته... وكان الحكم في حد ذاته وصمة عار في جبين الجزائر المستقلة بحيث كانت العقوبة التي فرضها رئيس المحكمة أكبر من العقوبة التي طالب بها النائب العام.

لم أفاجأ بحجم العقوبة... بل كنت متوقعا أكثر من ذلك نظرا لطبيعة هيئة التحكيم ونظام الحكم... كنا في ظل طغمة عسكرية استبدت بالحكم واغتصبت حقوق الإنسان وكرامته... ولا يمكن أن أرجو منها خيرا أبدا.

4 - السجن ولا الضوع،

انتهى الفصل الأول من دراما الظلام... بأبطالها من الجلادين والمستنطقين الشاذين بهراواتهم وأسلحتهم وبطارياتهم الكهربائية ومختلف أدواتهم الجهنمية.. وأعوانهم من الجرذان السامة والبق والقمل... وأشباح الوحدة والاعتراب...

وانزاح الستار عن فصل جديد يستمر ثلاثين عاما في الظلام... كان وقع الحكم ثقيلا على نفس الأسرة والأصدقاء، انتهت اللحظات، ومن حظ أبنائي أنهم كانوا صغارا لم يدركوا بعد حجم المأساة... أخرجونا من قاعة المحكمة منهوكي القوى بعد ثلاثة أيام من الابتزاز والصراع والمقاومة النفسية ضد حرب أعصاب شرسة وأدخلونا باب السجن لنبدا عهدا جديدا، ولما كان منتصف الليل جمعنا السجناء في قاعة بحضور مدير السجن ورجال الأمن، وطالب مدير السجن بأعلى صوته من كل المورطين في حركة 11 ديسمبر أن يكتبوا رسائل استعطاف إلى رئيس مجلس الثورة والحكومة يطلبون إليه العفو العام. امتثل الجميع لهذا الرأي وطفق كل من جهته يهين أدواته وينتقي أجمل عبارات

الترفق والاستجداء... وعلا صوت بعضهم وهو يتخير الأسلوب اللاتق... أما آخرون فغيروا أوراقهم مرارا حتى ينتهوا لأفضل صيغة تليق بمقام رئيس مجلس الثورة والحكومة... رفضت أن أكتب كلمة واحدة في هذا الموضوع... ورفعت صوتي على الأشهاد أعلمهم بأنني لن أكتب كلمة واحدة... التفت إلي الجميع وقد ملأت عيونهم الشفقة... ثم طلبوا مني ألا أبالغ في مواقف المتطرفة... وقد تهامس بعضهم: قد يكون فقد الأمل... وقد يكون له مس في عقله... وترجاني مدير السجن رفقا بأطفالي وتطوع أن يكتب لي شخصا رسالة استعطاف علي أن أمضيها فقط... رفضت جميع الاقتراحات... ورثيت لحال هؤلاء جميعا... وفي نفسي هزة بهم وحزن عليهم لأنهم لم يتعلموا من الأيام شيئا... ولم بهضموا بعد هوية نظام الحكم... وحتى أضع حدا للمهاترات قلت لمسؤول رجال الأمن: «إذا كان ولا بد من طلب العفو من السلطة فإني أطلب أن تنقلونا من هذا السجن اللعين إلى أحد السجون المدنية مع المجرمين وقطاع الطرق... فذلك أفضل بكثير...» لم يعر أي منهم قيمة لكلامي... وهم فيما هم مشغولون يرقبون نجرا يخرج فيه عليهم نور الشمس... ورغم أن طلب العفو العام والتعلق بالحرية هي من طبيعة الإنسان... لكن حجم الإهانة أكبر من حجم العطف... وقد أكد هذه الحقيقة المسمى بن عطية عبد الرحمن بعد ثلاث سنوات سجن عندما بعث لي رسالة إلى السجن المدني يمدح موقفني في تلك الليلة التي أراد فيها النظام تفرغنا وإهانتنا بعد أن أحكم نيره على رقابنا.

نظرا لموقف المتصلب استدعاني رئيس المحكمة شخصا لأنتقيه على انفراد وقد فعل ذلك مع جميع السجناء إثر تسلم رسائلهم الخاصة... دخلت على العقيد محمد بن أحمد عبد الغني الذي أصدر حكمه عليّ بثلاثين عاما سجنا نافذا وأنا على ما أنا عليه من آثار التعذيب... والوسخ والإرهاب وهو العقيد الحديث الترقية تلتهب نياشينه ورتبه... ونظاراته المذهبة الإطار... قال بصوت خافت: «لماذا لم تكتب رسالة استعطاف... أسوة برفاقتك؟»

قلت لم أكتب الرسالة لأمر بسيط جدا «أن المحكمة التي حكمت عليّ بثلاثين عاما سجنا... بإمكانها أن تحكم ببراءتي ولا تحتاج في ذلك إلى رسالة استعطاف... وما جدوى هذه الرسالة والحكم تقرر قبل دخولي إلى المحكمة؟»

تعمن مليا في وجهي وقال: «لا تياس... لأن الحكم عليك مبديني وليس حكما نهائيا، وسيسمح لك في أول مناسبة وطنية بالانتقال إلى سجن بالعاصمة حتى

تكون على مقربة من اسرتك... وفي فرصة اخرى سيتم العفو عنك... إذ لا ثقة في هذه الحياة... من يدري أنه قد يأتي يوم أكون فيه أنا السجين وأنت الطليق... تلك هي سنة الحياة...! « توقف عن الحديث ينتظر ردي... لكنني لم أجيب... حتى لا أعطيه فرصة يعرف فيها ما إذا كنت أعارضه أو أوافقه كان حكم المحكمة يومها جزء من قدر الله وجزء من مسؤوليتي أمام الله وأمام الوطن الذي جبلت على التضحية من أجله وقد كان شغيعي الأمل وإيماني بأن الغلبة للحق ضد الباطل وللفضيلة ضد الرذيلة... وأن الجهاد ليس نزهة خاطر ومرحلة من مراحل مسيرة الإنسان ينقطع بعدها لأمر دنياه ناسيا أنه أنذر نفسه لما هو أشرف... الجهاد الأكبر بعد الأصغر...

تنقلت طيلة سبع سنوات ونصف السنة بين معظم سجون الجزائر وتعرفت على زناناتها ظلوا ينقلونني من سجن لآخر لكن حرارة استقبال المساجين وحفاوتهم كانت تنسيني ما أنا عليه من بؤس وشعور بالظلم... وأكسبتني السجنون حكما عديدة... وصدقات لازلت أعتز بها... فكم سجين في غياهب الظلام يدفع من عمره ثمنا لحربة الآخرين الذين ليس بإمكانهم أن يقدموا على التضحية مكابرين وكم من مجرم في نظر القانون والأنظمة وهو البريء المخلص والوطني الصادق وما أكثر من يحسبون أنفسهم أحرارا وهم السجناء الحق.

مكثت في سجون النظام سبع سنوات ونصف السنة... لم يخامرني طيلتها شعور بالإحباط والتشاؤم وظل القلب ينبع بشلالات الأمل... صنت كرامتي رغم أسلوب الإهانة في السجنون... وارتبطت بمستقبل باسم مستقبل وطن صنعته قطرات دم الشهداء الأوفياء ورعته دموع ثكلاهم وأبتامهم... وطن بني على أجساد وأرواح من قال فيهم تعالى:

«وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عندَ رَبِّهِمْ يُرزقون...»
صدق الله العظيم (سورة آل عمران، الآية 169).

الفصل العاشر

الشهيد الأسطوري أو العنف الثوري

1 - الثورة فعل جدرى وخلان.

لكل ثورة خصوصياتها التي تتميز بها عن غيرها من الثورات الأخرى... وثورة الجزائر لها خصوصياتها ومميزاتها الفردية في نوعها... بحيث اهتمت بالإنسان وكان محورها وهدفها الأسمى وبذلك نعدها ثورة إنسانية فلم تقعدا الحرب الضروس وممارسات العدو بكل ما عرفناه عنه من وحشية ونازية مفرطة... لم يقعدا أن العنف الثوري المسلح عن الاهتمام بالإنسان وبناء شخصيته وتهذيب روحه وتحريره من رواسب الاستعمار: في الذاتية والجهوية والمحسوبة والفئوية والتسلط أو الانقياد إلى الأقوى... بحيث لم يقتصر دورها على تشكيل الفيالق وتسليحها ونصب الكمانين ومهاجمة العدو في المدن والجبال والبحر... بما في ذلك التراب الفرنسي الذي لم يسلم من ضربات الشوارع... إذن لم يقتصر دورها على الجانب الحربي المحض لتحرير الوطن لكن تميزت بأسلوبها الإنساني... وبخبرة رجالاتها. إنها ثورة طويلة الأمد أسلوبيا ودقيقة المنهج ... وأن عدوها فرط في استعمارها كثيرا من أقطار إفريقيا أو يسر لها الحصول على استقلالها... ليتفرغ نهائيا لتحطيم الثورة الجزائرية، وقد اعتمد كل الاعتماد على مليون مستوطن في الداخل وقوات الحلف الأطلسي في الخارج إلى جانب جيوشه الجرارة بترساناتها الحربية المشهود لها دوليا... ومع ذلك واجهت ثورتنا الشعبية القليلة العدد والعدة الطفيان والظلم ومن منطلق هذه المقارنة تولدت المعجزة... التي قادت الثورة إلى الاعتناء بالإنسان الجزائري بما لديه من مقومات العروبة والإسلام والتصميم على افتكاك الحرية أو نيل الشهادة... وكانت مواجهتها المصيرية تلزم عليها أن تعد هذا الإنسان إعدادا جديدا يتلام مع منطق الصراع بين طرفي نقيض أحدهما يمثل الظلم والقهر والاستبداد... والثاني يمثل الداعية إلى الحرية

والعدالة والكرامة، لذا واكب تدبير السلاح والتدريب على استعماله... واكب بناء المدارس في رؤوس الجبال لمحرة الأمية التفتشية في أوساط الشعب الجزائري بما يزيد عن نسبة 90٪ وتبرع المجاهد بلحظة من وقته ما بين المعركة والمعركة والكمين والكمين ليعلم غيره الحروف والكلمات والمبادئ العامة في اللغة والحساب... وتطوع المحافظ السياسي والقادة على اختلاقم بتوعية الجماهير وتوجيهها وتبصيرها بضرورة التصدي والمقاومة والالتحام بالثورة والانصهار فيها، وحاربوا المخزافات التي حشا بها الاستعمار رؤوس الجماهير، منذ قرن وربع القرن وجند لها رهوطا من أتباعه من المشعوذين وتجار الكرامات... وهكذا عملت الثورة على إيقاظ همم الجماهير وحذرتها من مقبة تصديق العدو بآلاته المخبرانية وأجهزة عمله السيكلوجي التي كانت تمخر نفسية المواطن وتقلأ رأسه بالدجل.. ووجدانه بالأحلام الكاذبة... فتصدى الثوار للدمار النفسي وواجهوه بوضع الثورة في مقامها أي مركزها في صميم المجتمع طبقا لمقولة القائد الشهيد العربي بن مهيدي: «القولوا بالثورة إلى الشارع محتضنها الجماهير»، بهذا الخيار العظيم امتلكت الثورة فضيلة استثمار عبقرية الشعب الثرية بالقيم والأفكار وطول نفس المقاومة... وورطت الثورة العدو بهذا التلاحم مع جماهيرها ففدا الشعب عدو الاستعمار وهدف قواته المسلحة... ولم يقتصر عمل الثورة على التجنيد والتوعية الثورية والسياسية... بل تعداها إلى التوعية العائلية وتنظيم الحياة الأسرية واحتكار موضوع الأحوال الشخصية وفض المنازعات بين المواطنين... وحماية الأخلاق العامة وخدمة الأرض... وتطوير الإنتاج الفلاحي... وما إليها من الاهتمامات الاجتماعية الشاملة... وصادرت الثورة على جود العدو... الأمر الذي دفعه لأن يفصل فيما بعد الجماهير عن ثوارها ويقسم البلاد إلى مناطق محرمة وأخرى مراقبة. حشر المساكنين في محتشدات عرفت بـ «LA SAS».

إن تصحيح المفاهيم والقيم وإعادة للإنسان الجزائري إنسانيته... وحمله لأن يواجه عدوه بصدر عار... كانت كلها من فعل الثورة وإبداعاتها... لأنها فعل خلاق وجذري وإنساني مركز في أعماق الأدمية الفاضلة... ولم يكن مجازفة بتأثير فرد أو جماعة... وإذا كان بعضهم اليوم يسعى إلى تقزيم رسالة الثورة...

واقتعال الدعاية المجانية لمفكر معين أو عالم معين كما يجرى زعمه مع الطبيب النفساني (فرانس فانون) فإن ذلك مجرد دس على الثورة والتقليل من دورها وتحميل قانون ما لا يطبق..

كان فانون - طبيبا نفسانيا عمل كما هو معروف لدى الجميع في مستشفى العلاج النفسي في مدينة البليدة وتعاطف مع الثورة في البداية ثم انتمى إليها... فكانت له فرصة لا تعوض ومادة لا تلين فتأثر بأحداثها وعانى آلام شعبها فكان خير الطبيب ونعم الكاتب الموجه والأيديولوجي... وأن أفكاره السياسية وآراءه، الثورية كان لها تأثيرها على قيادة الخارج على الحدود الجزائرية التونسية... الأمر الذي أربك شخصية بومدين الذي لازمه مع غيره من القادة مدة معتبرة... وأشكل عليه ما إذا يؤثر أفكاره في الاشتراكية والثورية... أم أفكار جمال عبد الناصر والثورة المصرية التي غدت مثلا عربيا يحتذى بها دوليا.

إن الذي روج له منذ الاستقلال إلى اليوم بأنه فيلسوف ثورة التحرير وقائدها الإيديولوجي... إنما فانون... هو أمر مبالغ فيه ومحاولة تقيط حق مفكرنا ومخلصينا من المجاهدين ودعوة إلى تقزيم الثورة والحل من كفافات شعبها... وهي جزء من مخطط تدمير الثورة وإخفاء فضائلها وإظهارها بمظهر حرب عصابات وقطاع طرق وقتلة ليس فيهم مفكر ولا حكيم ولا أصيل... وكل ما هناك أن هذه الثورة هي من صنع الأجانب.

إن من بين الأوائل الذين دعوا إلى الاعتناء بالإنسان في ثورتنا إنما هو المجاهد البطل العربي بن مهدي... وله أقوال كثيرة وأفعال عديدة... وإن لم تجمع في مؤلف نظرا لكونه كان من رجال القيادة المباشرة والتنظيم والفعل العسكري... مع ذلك كله يعد هذا القائد مدرسة أصيلة في إدراك قيمة الإنسان من حيث هو كذلك لتفسير الواقع والتاريخ... وقد كان القائد سي امحمد بوقرة لا يقل أهمية عن رفيقه العربي بن مهدي في قتل الإنسان ودوره الخلاق وفي اهتمامه به إن كان مجاهدا أو مواطنا عاديا... في الثورة والمجتمع... في المدرسة والمزرعة... وفي الحياة عامة...

وإذا كان قادة الثورة الأوائل قد تفتنوا لموضوع الاعتناء بالإنسان وعملوا على تحقيقه... فإننا اليوم نرى أن جميع الأمم المتحضرة تجعله في مقدمة أولوياتها وتعتبره الغاية والوسيلة لبلوغ منتهى الحضارة... وعليه فإن انتصارنا

على العدو لم يكن بالفعل الحربي المجرد وما كان لأن نحقق هذا الفوز أبدا لولا الاعتبارات النفسية والتوظيف الثقافي والمعنوي لتراثنا وقيمنا الثورية... وقد تفتن العدو لسلاح الشعب الحقيقي وثقته بنفسه... وابتكر لذلك أساليب جهنمية لتدمير قاعدته وإرهاق طاقته بحيث عمد إلى سياسة الأرض المحروقة وتهجير الجماهير وعزلها عن الثورة بأسلوب الحصار والتجويع... والمسح والعمليات المركزة المستمرة وتدمير القرى وإرهاب المواطن وحشره في محتشات... والبحث عن العملاء ومجنيدهم بجميع الأساليب إن بالاقناع أو القوة أو الابتزاز... وقد كان يراهن على استمرار الحرب وتدمير الثورة وإرهاق شعبها...حتى يقبل الحلول الاستسلامية. لذا نشطت أعمال رجال مخابراته... ورتبت الأساليب المضادة للثورة طبقا لطبيعتها الشعبية بحيث صرح الجنرال شال يوما قائلا: «من الممكن جدا أن يكون للقضية الجزائرية حلا عسكريا». وهو التصريح الذي رد عليه قائد الولاية الرابعة بقوله: «ان ديان بيان فو الجزائرية وشيكة الوقوع وليس المهم أن تقع اليوم أو غدا.. ولكنها لن تقع في مكان واحد بل ستقع على كل شبر من أرضنا».

ورغم جميع مخططات وأساليب جنرالات فرنسا... تمكنت الثورة من أن تحول الهزائم إلى نصر وتستثمر مخططات العدو وتستفيد منها...

ورغم ما ارتكبه العدو إلا أنه فشل في تحقيق أمر واحد وهو استئصال ما زرعه الثورة من قيم حضارية ثورية في نفسية كل مواطن وفي قلبه وما قاومته في ضميره... كي يجعل منه كائنا له مضادات حيوية تقاوم الاستعباد مهما عظمت أساليبه وأدواته.

ولو أن العدو اتبع سياسة المحتشات في بداية الثورة لاختلف الوضع ولكانت له الغلبة.. إلا أنه لجأ إلى هذا الأسلوب بعد أن جرب كل الأساليب الأخرى.

لم تكن ثورتنا ثورة مبادئ جامدة ويطولات خرافية... ولكنها، كانت ثورة مبادئ، عظيمة وأساليب حربية تكتيكية و إستراتيجية تعلمناها في ميادين القتال وكان المجاهد إلى جانب كونه رجلا صلبا ملتزما بأوامر الثورة هو إنسان سهل المعاشرة ومتسامح ولبق في تأقلم مع الأدوار المختلفة التي تكلفه بها الثورة من ذلك أننا جندنا بعض أفضل جنودنا ضد صفوف العدو بعد أن أقتنعناهم بضرورة القيام بهذه الرسالة وتحقيق هذا الواجب الوطني بحيث دسنا

عدة جنود في قواعد العدو واشتت الخبر في المداشر والقرى نبا فرارهم والتحاقهم بصوف العدو الأمر الذي صدقه العدو وترهم أنهم كذلك، وقد ضبطنا لهم أدوارا محددة في القول والفعل والسلوك داخل قواته... وتمكنوا حتى تقمص أدوارهم الخطيرة... وبذلك سربوا معلومات دقيقة وخطيرة تم استغلالها في عمليات فدائية وقاتالية هامة واستمر هؤلاء جواسيس شرف يدمرون العدو من داخله حتى إذا أحس أحدهم بالخطر المحقق به صدرت إليه أوامر بالعودة إلى صفوف جيش التحرير... ولكم كانت هذه العمليات دقيقة وصعبة لأن المجاهد المدسوس يتحمل فيها وقع الإبادة بالخيانة التي ترفضها الأسر وتتضمن الموت دونها... وما كان لنا أن نصارحها بالحقيقة لما في ذلك من خطر وعواقب على المجاهد ورسالته... كما أن هؤلاء الأبطال كانوا حاملين حياتهم على أكفهم في كل لحظة.

2 - من أهرب القصص-

انتهى المجاهدون ذات يوم إلى قرية تدعى (فراغ النمر) جنوب مدينة البرواقية فاستضافتهم عجوز طاعنة في السن، وبينما هم بالبيت والعجوز تعد الطعام... وقع بصرها على جندي شبل وقد احتضن سلاحه... استصغرت العجوز وسألت عن بلدته فقال لها (أنا من مغنية) ثم أعلمها باسم عائلته... وما كادت تسمع اسم الأسرة حتى ارتقت عليه وأجهشت بكاء شديد وهي مرددة تقول: «أنت ابن أخي أنت ابن أخي...» ثم استوت جالسة وطفقت تقص على المجاهدين مأساتها: فقالت: «تزوجت في صباي من رجل جاء قريتنا يؤدي خدمته العسكرية تحت العلم الفرنسي وجاء بي إلى البرواقية وسكننا الجبل ومن يومها لم أر أسرتي ولم أسمع عنها خيرا».

هكذا كتب الله لتلك العجوز القريية أن يلتئم شملها بعائلتها التي غابت عنها ثلاثين عاما... وكان ذلك بفضل الثورة... ومن يومها نذرت العجوز حياتها وبيتها لخدمة الثورة والشوار وكان سكانها في أعالي جبال شاهقة يتكلمون لهجة غريبة لا هي بريرية ولا ترقيية أو غيرها... ويذكرون أنهم لا يقادرون الدبار وكثير منهم لا يعرف المدينة طيلة حياته... وجدت الثورة أرضية خصبة في تلك المناطق فراح المجاهدون يعلمون الأطفال مبادئ القراءة والكتابة ويزرعون الوعي بالثورة في أوساط المواطنين... ويحدثونهم عن وطنهم الكبير المترامي الأطراف...

ولم تبخل تلك المناطق بخيرة رجالها على الثورة بل أعطت رجالا غدوا مثالا في التضحية والفداء والاستقامة.

ومن الحوادث الأخرى المثيرة في ولايتنا، أن في إحدى قرانا التي غمرها الجهل والامية والفقر والحرمان عشرات سنين الاستعمار كانت بها قبة يتبرك بها أهل القرية ويقومون لها المآدب والأفراح... وصلنا القبة في إحدى الليالي وكان رفقتنا دليل من أصلاء القرية... توقفنا عند مدخل القبة وقد أعلمنا الدليل أنها لولي صالح يدعى «سيدي الغول» وكان ذلك يوم 16 جويلية 1956 ودخلنا الضريح فعثرنا على عدة أكوام من قماش ثمين (يستعمل أردية للأضرحة والرايات)... تطوع الجنود بتزويق تلك الأقمشة واستعمالها جوارب لهم... بعد أن تمزقت جواربهم من طول السفر والترحال والدليل ينظر صامتا... تحمى الفرصة وفر هاربا إلى قريته... وغادرتنا بديرونا المكان لكن فوجتنا يكمين نصبه لنا العدو واشتبكتنا معه في معركة ضارية... ومن ألطاف الله أننا أضعنا مجاهدا واحدا حسبا أنه استشهد... وم استشهد لكنه ظل الطريق... فرغ سكان القرية بعد انتهاء المعركة فعشروا على الجندي وكان يدعى (سي الطاهر) وقد بدت عليهم مظاهر التنمر والغضب من فعلة المجاهدين بأقمشة الضريح... فتطوع المجاهد وقص عليهم قصة الضريح والأقمشة والمعركة فأقنعهم ببساطة بضرورة التخلي عن عبادة الأضرحة التي لا تنفع ولا تضر وقال لهم: «إن التبرك الحقيقي إنما بالثورة والجهاد الذي فرضه الله على كل مسلم وذكرهم أن العدو همه أن يظل شعبنا في الامية والجهل وعبادة الأوثان...» أعجب السكان بفصاحته وحكمته وصدقهم... وأصروا على أن يبقى إلى جوارهم شهرا كاملا... جاء بشمار عظيمة، بحيث تطوع السكان بستين بندقية... وساعدوا سي الطاهر على التسلل إلى ثكنة للعدو وقتل قائدها الذي كان برتبة نقيب في الجيش... ولم يغادر سي الطاهر القرية إلا وقد ألهم شبابها بنار الثورة وعلمهم الرماية.

هكذا كان الشوار مدرسة في الأخلاق والتضحية وكانت ممارساتهم مستمدة من قيم الشعب في عفويتها وعمقها وصفاتها وما كانوا ليتعلموا هذه الدروس من (قانون) أو غيره... فهم لم يعرفوا حتى اسمه، إنما الحكمة كانت في صدق المجاهد مع نفسه ومع ثورته التي تلهمه المعرفة واليقين ولا يحتاج في إقناعه الجماهير إلى خطابة وعلوم بل إلى صدق وإيمان بالقضية الواحدة، الحرية أو الشهادة...

3 - هل بلغ العدو مبتغاه ،

أقول دون تردد أن العدو فشل فشلا ذريعا في مخططاته التي لجأ إليها في أرض المعركة، بما في ذلك أسلوب المحتشدات وعزل الشعب عن الثورة وأسلوب الأراضي المحرمة، لأن الثورة تسللت إلى أعماق المحتشدات وحولتها إلى قواعد صلبة تمدها بالرجال والإمداد... والإسراع، وقد تضمنت منهجيتنا في مقاومة العدو بعض البنود أهمها:

(1) تحويل المناطق المحرمة إلى مناطق محررة .

(2) تحويل المحتشد إلى مراكز سرية لصالح الثورة .

أما الأراضي المحرمة فقد حررناها بتواجدنا عليها دون خوف من العدو، بحيث لم نعد نخشى توجيه الضربات المتوجهة إليه، لأنه لم يعد بإمكانه أن ينتقم من السكان في الجبال... وقد حشدتهم في محتشداته كما احتفظنا بما كنا نقدمه للجماهير من إعانات وأدوية قبل حشدها، وأراحنا العملاء والوشاة من شرهم، وهكذا حولت الثورة الأراضي المحرمة إلى مناطق آمنة تدرب فيها الشبان على الرمي... وعلى التمارين الرياضية الحربية... وقد أشار التقرير السري الخاص بقسم المخابرات الفرنسية المؤرخ في 30 جوان 1958 إلى هذه المسألة... استفدنا في اعتقادي من الأراضي المحرمة عسكريا وسياسيا واقتصاديا... وهذه هي عبقرية الثورة على بساطتها تعرف كيف تغير جميع الموازين لصالحها...

ولم نعط الفرصة للعدو أن يثق في مخططاته وبذلك تصدينا له على مستوى الحرب السيكلوجية بمواجهته معنويا وكسر شوكته... من ذلك أننا فرضنا عليه العمران... مقابل التهجير والفراغ... فمركزنا نقاط اتصالنا في المناطق المحرمة وكانت من قبل في القرى والمداشر وكشفنا النقاط الفرعية لتوسيع شبكة الاتصال والاستخبار.

أما المحتشدات فتحولت إلى مراكز عمل سري منظم ودقيق... وصارت حرب الظل فيها أهم من حرب العلن... إذ عمد العدو إلى تزويد المحتشدات بضباط مثقفين ومدربين على أساليب غسل الدماغ وبت الدعاية المضادة للثورة... والتنكر لقيم الثورة والنس على المجاهدين وتشويه رسالتهم... وما إليها من أعمال مخابرة خطيرة مضادة للذهنية التحريرية الجماعية... قاومت الثورة هذا

الأسلوب اجهنمي الجديد برجال مائتين لرجاله... وجندت المحافظين السياسيين الذين كانوا يهدمون بالليل ما بناه ضباط (الاصاص) في النهار... إلى جانب كونهم يسربون جميع الوثائق وأسرار العدو وأخباره من داخل المحتشد إلى خارجه... وغدا المحتشد قاعدة خلفية قوية للشورة والثوار... ولا أنسى ما كان يمدد إلينا المواطنين من وراء أسلاك المحتشد من معونة مادية وأخبار عن تحركات العدو وعملياته ولم تتخلف النسوة المخلصات عن أداء مهامهن الجليلة المتعددة... حتى أن بعض نساء الحونة (الحركة) كن يختلسن الذخيرة الحية من بعولتهن وبعثن بها إلى الثوار عن طريق الرعاة الذين كانوا يخفونها في حيواناتهم (كان يضعونها في صوف النعاج وفي أضرعتها... وفي أماكن أخرى عديدة... وكذلك تفعل النسوة بالأدوية وغيرها... بل كانت الأسر في المحتشد تؤثر على نفسها المجاهدين، فيرسلون لنا ما يحصلون عليه من قبل العدو من معلبات وجبن وخبز... وسكر... وأدوية... وهذه علامات ساطعة على أن وعي الجماهير بمواصلة رقد ثورتها أمر لا يردا عنه عميل أو ضابط أو مخبر مهما كانت وسائل القمع والتعذيب والتقتيل أو المراوغة والمغالطة...

ومن الطريف في تلك الأيام أن العنزات ضارت جلها مجلبة بقطع القماش... حماية لأضرعتها... وكان الرعاة على بينة من أمر الماعز... حتى إذا تخطوا أسلاك المحتشد الشائكة وحراسة المنتصبين بأسلحتهم النارية... وعيون العملاء المبهوثة في كل مكان... انطلقوا يرحون بحثا عن المجاهدين الجوالين في كل مكان...

وهكذا أدى الانسان والحيوان رسالة الجهاد ومقاومة العدو ... ولم يتفطن رجال الأمن الفرنسي لهذه الأساليب العفوية في مظهرها البليغة الدلالة كي صميمها... إلا بعد لأي وأمد طويلين... فعملوا إلى مراقبة الحيوانات وإخضاعها إلى أسلوب التفتيش اليومي ورغم ذلك استمر الصراع بين الثورة وقد احتضنتها الجماهير وبين العدو بألته العسكرية وذهنته الاستيطانية وأسلوبه النازي... وانتصر النور على الظلام والحق على الباطل والشعب على الطاغية... والمستقبل المشرق على الماضي المظلم.. لم نخسل على العدو بنصائحنا الإنسانية، لقد بصرنا قادته مرارا بأخطائه وغيابه وعشوائيته في تقتيل الجماهير وتشريدها وكما كنا نتحدهم على أرض المعركة كنا نتحدهم في مجال الإنسانية والتسامح... وما تشنيعهم بنا في مناشيرهم بأننا قتلة الأبرياء... إلا تهم باطلة،

يرغم أننا ثوار آمنة بالعنف الثوري لتحرير الإنسان والتاريخ والأرض كانت أخلاقنا وقوانين ثورتنا تصدنا عن استعمال العنف إلا عند ضرورة الاستعمال...
ركنا إذا اعترضتنا قافلة عسكرية في كمين مثلا وكان من بينها مدنيون لا نطلق عليهم النار بل وإذا أسرناهم وكانت من بينهم نسوة (وقد حدث ذلك مرارا) ترققنا بهن وأوكلنا أمرهن إلى نساء مجاهدات ومحاشينا حتى الحديث معهن كما ينص على ذلك ديننا الحنيف وأخلاق الفروسية العربية والشهامة التي عرف بها الجزائري .

4 - الرجل المعجزة،

مواطن عادي مثله في ذلك مثل كل أبناء الشعب الجزائري في تلك المرحلة من تاريخ بلادنا... لم يتلق ولو قدرا ضئيلا من التعلم... عاش على هامش الحياة إلى أن اندلعت ثورة التحرير العظيمة... فكانت متفسه الذي استنشقت منه عبير التحرر...

اعتنق الثورة فوهبها كل ما عنده من نفيس وأي نفيس كان في قريته المعذمة منذ عشرات السنين، كان اسمه في سجلات الحالة المدنية بدوار "شراطة" المتاخم للبرواقية (...). أما اسمه التاريخي فرمضان المعجزة له شقيقان أحدهما أكبر منه والآخر أصغر منه... يتيم الأب مطموس الأسرة... احتضنته أمه الطاعنة في السن سنوات الطفولة حتى شب وشقيقاه، عانت العائلة انصغرة ألوان الفقر ومظاهر الفاقة... وكانت تأوي ليلا إلى كوخ بني من تراب الأرض يلفحه فر الشتاء وحر الصيف... حتى إذا شب أخوه الأكبر التحق عن طيبة خاطر بالجيش الفرنسي والتحق رمضان (المعجزة) بصفوف جيش التحرير والتزم ثالث الأخوين الحياض وكانت تلك بداية شرخ خطير في وحدة ذلك البيت الآمن... أصبح رمضان رمز الانتفاضة والتضحية وحديث الشبان... وبذلك غدا مطلب العدو العسير وعملائه ... وغدا أخوه الأكبر لعنة القرية ورمز الخيانة لكنه شاب الفرنسيين المدلل... واحتارت الأم المعذبة بين التقيضين... لكن وجدت ضالتها في الخنو على ولدها الصغير خشية أن ينحاز لأحد الطرفين وتتحطم آخر آمالها... كان ولدها الأكبر يأتيها من حين لآخر ببعض ما تخلفه موائد الضباط الفرنسيين من نتف لحم وقطع خبز وجبات فاكهة... يقدمها لأمه القابعة في الكوخ لا تفارقه إلا لما خيفة أن

بصيها مكروه من فرق رجال الجندرية وعساكر العدو الذين يرهبون من يصادفون ويقتلون من يشتبهون في أمره... حتى غدت قرية ملعونة تسكنها أشباح الموت وقععات القنابل والمدافع... كاد الفقر أن يكون كفرا، هذا الكفر الذي أكرهت عليه العجوز فدفعها لأن تتمنى لابنها المجاهد أن يلتحق بصفوف الجيش الفرنسي ويتعاضد الشقيقان... فطن رمضان للأمر وسارع إلى هجوم... سلمي... بحيث تردد على كوخ أمه يدعوها أن تبلغ رسالته الشفهية لأخيه وقد ترجاه أن يرعوي عن غيه... ويعود إلى رشده ويلتحق بثورة شعبه... ويقطع دابر العمالة لعدو مقيت... ويكف عن تحميس الشباب على اللجوء إلى قوات العدو والعمل ضمنها... وكان من حين لآخر يقسو على والدته حتى تؤدي دور المبلغ الأمين والمؤثر القوي... لكن أخاه كان هو الآخر يمارس نفس الأسلوب مع أمه ويحملها دعوته لأخيه المجاهد كي يلتحق بهجيش العدو الفاشم... ليرتاح من شكوك الفرنسيين حوله وأئلة ضباط المحتشدات القتالة... « La SAS » (لا صاص) وظن الحركيين به.

لجأ الابن العميل إلى حيلة خسيصة وقايض مع أمه على ما يقدمه لها من فئات خبز الأعداء وهددها بالقتل جوعا إذا لم تحقق مآربه.

استمرت معركة الكوخ بين الشقيقين ووالدتهما وقد ركب كل رأسه وتعصب كل لمبذته تعصبا ليس عليه من مزيد... خاطب رمضان الأم بمنطق الثورة مستنفرا فيها ضميرها الحي كي ترعوي عن طاعتها لأخيه العميل... لكن العجوز اتفقت مع ابنتها الأكبر على أن يلتقي بأخيه رمضان في مكان معين ويتفقا على حل يريح الأسرة عناء الشقاق. وفي ليلة من ليالي شتاء عام 1961 كان بردها قاتلا وثلجها يفرش أهديته على الطبيعة... والحياة ساكنة سكون الموت... كانت ليلة موعود مذهب بين المجاهد رمضان وأخيه العميل، هذا الموعد الذي رتبته الأم بين ولديها مسبقا باقتراح من رمضان الذي أوهم أخاه العميل بأنه سيرافقه إلى ثكنة العدو متخلياً عن الجهاد والثورة. اقتنعت الأم بالحديعة الذكية... لكن حدثتها نفسها بما تخفيه سريرة المجاهد من غدر بأخيه... فعدلت خطتها وأوهبت رمضان بأنها اقتنعت أخاه بالخطئة... خرج رمضان وأمّه وأخوه يطلبون... حتى وصلوا مكان الموعد وطال ترقيهم، تفتن رمضان إلى مكيدة أمه التي خافت على ابنتها الأكبر

وغلبتها مشاعر الأمومة... ثارت ثائرتة واعتبر أمه شريكا في خيانة الثورة وأن لا مفر لغسل عار الأسرة التي تطلخت بلوثة الخيانة والعمالة للعدو إلا بتصفية أمه وأخيه الصغير تصفية جسدية انتقاما للثورة من عائلته وفدية لها من عمالة أخيه الأكبر... وبذلك كانت درسا قاسيا لجميع أمهات العملاء من الحركة والجواسيس... قتل رمضان أمه وأخاه قربانا للثورة كما كان يفعل أوفياء الآلهة والصدقيين... ومسح العار عن ذاته... وسحق طريق الردة أمام كل المتخاذلين والضعفاء... وما قتله أخاه الأصغرا خشية من أن ينحرف في سبيل الخيانة... أثر رمضان الثورة عن عائلته وعن نفسه وصنع من المستحيل ممكنا... ورغم ما في الحادثة من درامية ورهبة وقوة وتأويلات فإن موقف رمضان إذا وضع في إطاره وضمن شروطه الموضوعية والذاتية وفي ظل عقيدة الثورة والالتزام بتطبيق حرفيتها... تتحول الحادثة من كونها حادثة شنيعة إلى ملحمة ثورية تؤكد عقيدة الثائر برسالته في الدفاع عن مبادئه الخالدة وفي إيثار الحق على الذات ولو تعلق الأمر بالأم والأخ...

كان المجاهد يعتبر العدو الفرنسي عدو هويته العربية ودينه الإسلامي وعدو تاريخه وثقافته وعدو أرضه، وبحره وجوه وفضائه... وباختصار يعتبره جلاده الأبدى... وكل ما من شأنه أن يعيق القضاء عليه وطرده هو أمر مرفوض ويحق عليه أمر الثورة الذي لا يرد... هكذا قتل رمضان أمه من أجل أمه الأوفى والأكبر الجزائر والأمة العربية الإسلامية والإنسانية جمعاء... وقتل أخاه ليحيي شعب الجزائر وشعوب الوطن العربي والعالم من دنس العملاء والخونة.

5 - شجرة الشهداء.

هؤلاء رجال آخرون عبدوا بتضحياتهم طريق الخلود... إنهم الإخوة (بن مهل) أصلاء مدينة البرواقية، وقد عاشوا فقراء محرومين ومن بينهم الابن محمود بن مهل الذي احترق مهنا قاسية في طفولته لسد رمقه.. تمكن بإرادته الفولاذية أن يجمع بين الدراسة والعمل... فأظهر نبوغا مبكرا بوآه لأن يتفوق في دراسته على جميع أقرانه بمن فيهم أبناء (الكولون) حتى بزهم في لغتهم الدخيلة وراح يجادلهم بها ويعري بشاعة أبائهم وأجدادهم في ظلمهم الشعب الجزائري فما كان من مدير المدرسة إلا أن طرده وهو يجتاز آخر مرحلة في تعليمه الابتدائي خشية

من نبوغه وذكائه الوقادين. ولا ننسى ان العدو كان دائما في محاربة النابغين الجزائريين ومطاردتهم من مدارسه بحيث ينزعج لرؤية الأذكياء النبهاء... ويزداد انزعاجه إذا كانوا من أبناء المعدمين الفقراء... لا المترفين الموالين له . فكان لا يكره شيئا ويعاديه كرهه ومعاداته العلم على الجزائريين لا سيما من أبناء الفئات المحرومة المتأصلة المرتبطة تاريخيا بالأرض والتراث والمبادئ الثورية. تلقفت ثورة التحرير الطفل محمود بن مهل وبدأ يحقق في فضائها الحر ذاته... وارتقى إلى معلم في صفوف جيش التحرير ثم إلى محافظ ووضعه استعداداته وكفاءته الكبيرة محك الاكتشاف والابداع... وراح يزرع قيم الثورة بين المواطنين والمجاهدين ويذكرهم بمجدهم الغابر ويلفتهم وعقيدتهم وأرضهم وكرامات أجدادهم ويصيرهم بفضائل التحرر وشرف الشهادة، فكان يمسح بالليل ما نفتته أجهزة مخابرات العدو في أذهان المواطنين بالنهار من دعاية مضادة ومسخ للثورة ودمس على الثوار... حتى غدا رأسه مطلباً عسيراً... ومنية الأعداء... كانت المحتشدات تعج بمراكز غسل الأدمغة والتوجيه المخابراتي المركز الذي يشرف عليه ضباط متخصصون في الدعاية وفي الدعاية المضادة وفي الفعل السيكولوجي وغيرها من الجهود التي يشترك فيها العسكري والمثقف ورجل المخابرات والعميل والعالم المتخصص ورجل الدين أحيانا... بحيث كانت خطة العدو بعد أن فشل في القضاء على الثورة بوسائل الإرهاب والقتل الجماعي والإتلاف والتهجير. عمد إلى نموذج المحتشد وهو عبارة عن مخبر لإعادة صياغة مشروع الاستعمار من جديد وتعميم نتائج العينات بعد ذلك... لذا تفتنت الثورة إلى هذا المخطط الجهنمي وحارته بوسائل مضادة وناجعة جدا... وكانت في معظمها تقوم على كاهل التوعية والتربية والتوجيه... وفي مقدمة جنود هذه المهمة المحافظون السياسيون.

وذاًت ليلة من أواخر عام 1960 كان الطقس شديد البرودة وتلوج الشتاء تكفن الجبال... تسلل جندي جزائري صغير السن من ثكنة الجيش الفرنسي هاربا... طالبا الالتحاق بالمجاهدين.. غافل الحراس وعيون الفرنسيين وانتقل بعيدا عن الثكنة وراح يجتهد في كل مكان بحثا عن المجاهدين ومعاقلة الثورة... لم يفكر في العواقب... ولم يبحث عن طريقه أكثر أمانة توصله إلى مواقع المجاهدين وبينما هو يجوب المناطق متعثرا في الثلوج تجلده العواصف...فطن لأمره المجاهدون وقادوه إلى موقعهم وبدأ المجاهد محمود بن مهل يحقق في أمر الشاب الذي

غمرته السعادة بالعثور على المجاهدين وراح يقص رغبته في الالتحاق بالثورة، لم يصدق المحافظ السياسي دعواه، وتوجس من أمره وشك أن يكون جاسوسا زرعه مخابرات العدو في جسد الثورة ليدمرها من داخلها... وأشكل الأمر عليه نهائيا وخاف أن يكون سببا في تنفيذ خطة العدو الغامضة عن حسن نية... وأمر فوراً بإعدام الجندي الفار... وأصر على قتله... ورغم نحيب الشاب وصراخه واستعطافه المناهدين وتبرئة ساحته ازداد محمود بن مهمل تصميماً على إعدامه... ونفذ في الشاب البريء حكم الإعدام... وتناهى خبر الإعدام إلى أخ المحافظ السياسي المجاهد «فارس بن مهمل»... فاستدعى شهود العيان وأعاد تشيل الحادثة تمثيلاً موضوعياً.. حتى تأكدت له براءة الجندي الفار من ثكنة العدو... وتأكد لديه تورط شقيقه محمود وانسياقه وراء أهوائه... فقتل الجندي جرماً دون محاكمة ودون حجة يقينية تدين تورطه في التجسس عن الثورة... وبناء على ذلك التحقيق الدقيق أمر «فارس» بإعدام أخيه على مرأى ومسمع الجميع وبحضره شخصياً وأصر أن يرى جثة أخيه مضرجة بالدماء جزاء له على تسرعه في قتل شاب بريء فر من مواقع العدو ليلتحق بثورة شعبه... وكانت تلك الحادثة درسا خالداً وأبدياً في سجل الثورة الجزائرية مهد الصدق والتجرد من الذاتية وتقديس المبادئ العليا التي تحمي المجتمع وتحافظ على صحة وسلامة علاقاته...

بهذا الموقف الأسطوري للمجاهد الذي أعدم أخاه الأصغر رغم جميع الاعتبارات الإنسانية نلاحظ كم كان حرص الرجال على ثورتهم حتى لا تلحق بالمجاهدين تهمة أنهم قتلة إرهابيون لا ثوار يزرعون الحرية والسلام في الكون... وحتى لا يتخذها العدو ذريعة للتشنيع بالمجاهدين والتشكيك في رسالتهم.

إن قسوة الثوار على أنفسهم وعواطفهم فوق طاقتهم لا نجد لها مبرراً إلا في إخلاصهم لوطنهم وهويتهم وعقيدتهم وخوفهم من مصيبة الانحراف بالثورة.

هذه الأحداث قليلاً ما نجد لها مثيلاً في تاريخ الأمم الأخرى ولعل أشبه الأحداث بها تلك التي كانت في إحدى فتوحات الرسول عليه الصلاة والسلام عندما واجه أحد المهاجرين والده الكافر وأخويه وألح على قتالهما... فكفاه على رعمر قتالهما.. حتى إذا رأى رؤوسهم تنهاوى إلى الأرض ذرف دمعة رحيمة ولم يزد الموقف إلا إصراراً على الجهاد ومقاومة الكفر.

لم يكن يملك من متاع الحياة شيئا يذكر... كان يسكن بيتا متأكلا على ريوه شماء يطل على قرية «العمارية» التي قهرها العدو وأقفر أهلها إفقارا بشعا... فقد «بن ساعد الهادي» جميع أفراد عائلته... قتلهم العدو الفرنسي برصاصه الغادر... ولم يبق من شجرة أسرته إلا اسمه... سكن الحزن قلبه... فلقي ملجأه في عالم المجاهدين وراح يستأنس بهم ويعزي حظه التكبد يحزهم وتصميمهم على طرد الغاصب السفاح، كان صغير السن لا يتعدى التاسعة عشرة من عمره... كان وجوده على قيد الحياة يشير الغشيان في نفسية الفرنسيين الحاقدين وعملاتهم من (الحركة) لأنه يمثل رمزا لعائلة ضحت بأربعة عشرة شهيدا... وجدوا في البحث عنه لتصفيته.. وهدم الرمز الذي يخيفهم والطرده الذي يحقهم بشموخه.. وفي إحدى المرات من أيام سنة 1961 نصب الأعداء كميناً له ولرفاقه المجاهدين، وشدوا عليه الخناق حتى أيقن (الهادي بن ساعد) أنه واقع بين أيديهم فعمد فوراً إلى قتل نفسه... فتناول سكينه الحادة ودون أن ترتعد فرائصه، ذبح رقبته من الوريد إلى الوريد... سارع عساكر العدو إلى مكانه فوجدوه مذبوحاً وقد فارق الحياة، اندهشوا أياً اندهشوا لشجاعته وإقدامه على طريقة ذبح نفسه دون أن يلين قلبه، وتتهار إرادته الحديدية... واستشهد الشاب على طريقته، دون أن يسمح للأعداء بالقبض عليه... لقد فاق بأسلوبه في التعامل مع العدو أي تقدير وكل تصور... ولم نسمع بمثل ذلك المثال الفريد إلا في أخبار اليابانيين بعد هزيمة (هرورج)، وقد غدا هذا الحدث يخيف العدو ويرهبه، ويؤكد له تصميم الجزائري على التحررهما كان الثمن والأسلوب.

7- الرأس المعلق على السارية أو حضارة الطاغوت ،

قرية جندل من قرى منطقة الأصنام (الشلف) يكثر فيها الكولون الذين استولوا على أفضل أراضي المنطقة وأخصبها... بما فيها ومن عليها، وقد جاء هؤلاء الشذاذ من كل حدب وصوب من فرنسا وأوربا ليستولوا على الأراضي والعباد... في تلك القرية المسالمة يوجد أحد الكولون ويسمى (روك ROCK) كان يبدن أحمر البشرة غليظ الرقبة منتفخ الخدود.. يسكن منزلاً فخماً كبير الحجرات، انتصبت بهصنحه نافورة كبيرة تتدفق منها مياه عذبة.. وإلى جانب منزله حدائق وأشجار وأراض مترامية الأطراف... وعلى مبعده من جنته هذه

أكواخ بنيت بالتراب والكلس يسكنها خدمه وعماله من العرب ويتولى أبناؤهم رعي خنازيره وأنعامه الأخرى الكثيرة... كانت حياة الأكواخ قاسية في جميع فصول السنة... طلع عليك أهلها بوجوههم المغبرة وثيابهم الممزقة وأجسادهم الهزيلة وصور أطفالهم التي تبعث على الاشمزاز والشفقة... كان هذا الكولون جبارا عنيدا له اليد الطولى مع إدارته... وذات يوم في صيف 1956 قدم المسيلون على حرق مزرعته في فصل الصيف الحار... ضمن عمليات تخريبية أمرته الثورة بتنفيذها... وامتدت عملية الحرق هذه من مزارع سيدي نعمان إلى مزرعة (روك) المتفطرس... ألمه أن تتحدها الثورة في وضح النهار وتحرق مزارع القمح ويساتين الفواكه والفلال التي حرماها على عماله وخدامه، أرعد هذا الكولون الحاقده... وزمجر... فاستدعى المعمرين في كافة المناطق وأقام بينهم خطيبا وواعظا ومتوعدا وقيموا جماعيا الخسائر التي لحقت بأملآكهم ووضعوا خطة مدروسة للانتقام من جميع العرب، لا فرق عندهم بين مجاهد ومسبل ومواطن عادي لايد له فيما يجري... حضر ذلك الاجتماع القائد العسكري إلى تلك المنطقة وزودهم بنصائحه وكلف بعض عساكره المسلحين بحراسة "الكولون" وممتلكاتهم (من عبث العابشين) كما زعم... ووزع السلاح على كافة الأوروبيين رجالا ونساء وأطفالا لقتل العرب وأقسم «روك» أمام الأشهاد بأنه سوف يقتل مائة عربي وعربي... ودعا أن يشاركه بقية الكولون رسالته الصليبية، وازداد حقدًا وجنونا عندما سمع أن أخاه قتله المجاهدون وأحرقوا مزرعته، لم يتأخر «روك» عن موعد انتقامه بل خرج ورفاقه متقلدين أسلحتهم النارية... ويطلقون النار على كل شيء يتحرك من بشر وأنعام وأشياء... حاصر جيش الكولون القرية المهجورة من جميع مداخلها وأشعلوا النار فيها وظلوا يحرسون جميع منافذها حتى إذا حارل بشر أو دابة الهرب من صهاريج نار الصدف أطلقوا عليه النار، واستمرت النيران تفني القرية بعبادها وحيواناتها وأشجارها واشتعلت أدباش المواطنين ومؤنهم... واستمرت المجزة حتى الليل، وقد أسفرت عن قتل إحدى عشر مواطنا وحرق العشرات... وإتلاف كل احتياط القرية من المؤونة والأمتعة وقتلت الحيوانات...

كانت تلك العملية درسا صريحا لجميع المواطنين شهدوا فيه بطش العدو وحقده عليهم... وتأكدوا من نازية فرنسا التي لا تفني الإنسان وحسب ولكن

تفني الإنسان والحيوان والنبات... وقد قدم النازيون الفرنسيون خدمة للشورة بفعلتهم تلك وغيرها من الأفعال الهمجية والصليبية وأعادوا الوعي للمواطن بمدى خطورة فرنسا وبشاعتها... ومن يومها قرر المواطنون إقامة حراستهم على القرية حتى لا تباغتهم عصابات الكولون والعساكر...

قررت الشورة الانتقام للقرية الشهيدة وإعطاء درس للكولون ولعساكر العدو... وبينما نحن نفكر في أسلوب دقيق ومحكم لتنفيذ عمليتنا... وافانا خير استشهاد المجاهد (حسين بن فارس) المحافظ السياسي وقد كنا في أمس الحاجة لمهامته الجبارة في توعية المواطنين وتشريكهم في الثورة وتجنيد المسبلين لتخريب ممتلكات العدو والكولون... سقط الشهيد في كمين نصبه له العدو ومن العجيب أن القوات الفرنسية لم تكتف بقتل المجاهد بل عمدت إلى قطع رأسه والتشيل بالجثة أمام المواطنين ثم نزعت رايتها (العلم الفرنسي) من على سارية في (مركز بربوش قرب سد أغريب) وعلقت مكانها رأس الشهيد طيلة عشرين يوما حتى تشوه الرأس ونهشته الحشرات. وتحمد دمه على السارية... وصنعت أي واحد يريد مواراته التراب؟ .

8 - شهيد يقتت قطعاً قطعاً!!!

انسحب ليل الشتاء على قرية أولاد سيدي علي وطواها بظلامه الخالك وتلوجه وأمطاره... فانشرحت نفوس المجاهدين الخالص لأداء رسالتهم القتالية فتسللوا في هجوم خاطف على بعض مراكز العدو ومنشآتة ودمروها تدميراً... وخرّبوا بعض ممتلكات الكولون الذين اشتهروا بحقدهم على الثورة والجماهير العزل... ولما أصبح الصبح تيقن العدو أن الضربة موجعة فهرعت جماعات الكولون تطلب السلاح والحماية وبينما هم يعدون العدة للانتقام من الثورة وشعبها صادف أن ألفت قوات العدو القبض على المجاهد (سي ابراهيم) وكان محافظاً سياسياً في جيش التحرير بتلك المنطقة... أخضعوه إلى تعذيب وحشي حتى أشرف على الموت... وقد شاع بين الكولون خير وجوده لدى القوات المسلحة فعمد غلاتهم بمحاولات عديدة لتسلمه منها وراحوا يعذبونه على طريقتهم... فأطلقوا عليه كلابهم نهشت بدنه نهشاً... ثم اقتلعوا أظافره وكسروا أسنانه وأدخلوا مدبات حديدية حادة في مناطق عديدة من جسمه وأحرقوا حواسه بقايا

السجائر... وكلما شارف على الهلاك كفوا عنه حتى إذا استعاد بعض أنفاسه استأنفوا تعذيبهم له من جديد اشتد بالمجاهد الألم وصار يهذي من فرط الإرهاق والعذاب... وقد كانوا ينصتون إلى كل كلمة ينطقها... وصادف أن ذكر بعض الأسماء على غير ترتيب ومنها اسم المناضل متيجي ورفيقين له... استغل الكولون هذه المعلومة وانطلقوا ليلا في عملية قرصنة بشعة اختطفوا المناضلين الثلاثة من بيوتهم وذهبوا بهم إلى بلدة سيدي علي الواقعة بين المدية وخميس مليانة في أكتوبر 1958 وهناك بدأت فصول الجريمة الشكراء بدأ الكولون بإعدام سي ابراهيم الذي تغيرت ملامحه من فرط التعذيب... فشدوه إلى أحد أعمدة الهاتف بالحبال وجازوا بمنشار كبير تعودوا على استعمالها في قطع جذوع الأشجار الكبيرة... وأمسك رجلان بأطراف المنشار وراحا يقطعان جسم الرجل قطعة قطعة... وقد تحلق باقي الكولون إلى جانب الضحية يتابعون المشهد بكل هدوء وتشف... بدأت عملية القص بأسفل الجسم ثم تصاعدت إلى أن طالت الرقبة فهوى الرأس على الأرض... عندها صفق الحضور وهللوا تهليلا... وقد قاوم المجاهد عذاب الموت مقاومة لا مثيل لها... الأمر الذي أثار حفيظة جلاديه... وهم بين سكران بالخصر يترنح وبين سكران بغيضه وحقدته يتمايل... أما الثلاثة الآخرون ممن جازوا بهم دون تهمة ولا دليل فقد أشهدوهم رغما عنهم تلك المجزرة التي لا يمكن أن تصدر إلا عن فرنسي دون سواه.

التفت أحد الجلادين بعد أن فرغ من تقطيع المجاهد بمنشاره إلى الأسرى الثلاثة وقال: «من منكم يريد أن يسبق الآخرين إلى الجنة، أليس في عرفكم أنتم المجاهدون أن الذي يقتل من بينكم تكون الجنة مأواه؟» وأطلق قعقعة عالية شاركه فيها رفاقه... وأضاف: «تكلّموا من يريد منكم ألا يرى جثث رفاقه تنهار إلى الأرض قبل جثته...؟ من البطل الذي يواجه مصيره قبل غيره؟» رفع أحد الثلاثة رأسه عاليا طالبا الشهادة قبل رفاقه المجاهدين ثم تراحم الثلاثة على نبيل شرف الشهادة... وكانت رغبتهم ألا يرى الواحد منهم رفيقه جثة هامة... هكذا واجهوا التحدي بتحد أكبر منه... اندهش الكولون لهذا السلوك الغريب لرجال يتزاحمون على الموت تحت أسنان منشار حادة... رجال يتنافسون لتقديم رقابهم للذبح البطيء... تراجع الأوغاد إلى الخلف وتناظروا في أمرهم... هالهم منظر الشهيد الممزق إربا إربا... وخافوا أن تتمثل روح الجسد الممزق تعلن

التمرد... تناظر جماعة الكولون في هلع كالكلاب المسعورة انقضوا على المناضلين الثلاثة وذبحوهم على طريقتهم السادية... وشاع خبر القتل ونبأ البطولة وانتشر كنار الصيف في الهشيم... وتكررت هذه المجازر في فصول الثورة كلها حتى غدت أمراً معهوداً لا يحرك ذا بال لفرط ما اتسمت به النفسية الفرنسية من حقد وحيوانية في صورها البدائية الأولى.

والمؤسف اليوم أن المؤرخين الفرنسيين لم يذكروا هذه الحوادث ومئات أمثالها طيلة تاريخ الاستعمار الفرنسي للجزائر، لكن التاريخ كقدر تصنعه المواقف والإرادات الشريرة والفاضلة في مراحل متعاقبة لا يحتاج لمن يبرره أو يخفيه لأنه ملتزم بيقينه متعال عن الزيف والتشويه. إن تاريخ المجازر الذي أملته الهمجية الفرنسية في الجزائر منذ تدنيسها أرضاً في سنة 1830 إلى 1962 هو تاريخ حفرته الأيام بأرواح الأبطال على غرة الدهر ودفعته نشيداً في تيار الخلود الذي لا يهدأ ولا يستكين وسيظل بياناً إنسانياً في ثورته بدين الذهنية الفرنسية الحقيرة ويفضح فضاة أعمال ضباطها وجنودها الأشرار.

9 - على خوجة - حقيقة أسطورة،

نصب جيش التحرير كميناً بقيادة الشهيد البطل مصطفى جمعي قبيل مؤتمر الصومام 1956 وتمكن المجاهدون من قتل عدد هائل من الأعداء، وصادف أن كانت إحدى الأسر الفرنسية رفقة القافلة العسكرية فأبيدت بكل أسف عن آخرها... وخرجت أبواق الإعلام الفرنسية والغربية تعلن الجريمة وتشهر بجيش التحرير وتصفه للرأي العام الدولي وصفا همجياً إجرامياً وافتتحت صحفها الصادرة في كل بلدان العالم بصورة الأسرة تتقدمهم الطفلة الصغرى... استمرت الحملة المركزة أسبوعاً كاملاً لتجنيد الرأي العام الفرنسي والدولي قصد تغطية مخطط جرمها... في حين كان الجيش الفرنسي، يهاجم يومياً مئات القرى الجزائرية ويبيد ما فيها من بشر وحيوانات وتلف الأشجار والمؤن... حتى حول البلاد إلى خراب... وحشد الشعب كله في سجون جماعية ومن كان خارج المحتشدات يعتبر «فلاقاً متمرداً» تحق عليه لعنة القتل... ورغم هذه الجرائم التي تعود عليها الجميع لم يرفع الاعلام الفرنسي صوته ليقول أه إن هذا لتكرر... بل كعادته كان دائماً يخفي الحقائق ويخبي الجريمة ويبرر المجرم...

تابعا الحملة الإعلامية الفرنسية المفرضة بدقة وانتقل الصحفيون إلى عين المكان وصوروا ميدان المعركة والجثث المتناثرة وحولوا الحادث إلى شريط درامي وزعوه على نطاق واسع في دور السينما بالجزائر وفرنسا وعلقت صورته على جنبات الحافلات التي تجوب الشوارع وشاحنات السينما المتنقلة حتى يراها سكان الأرياف... جرت الدعاية مجرى الكحول في النار وتدفق المتطوعون من الفرنسيين وأبناء المعمرين والمرتزة والعملاء للانضمام إلى صفوف العدو وقد طالت الدعاية حتى الضمير الجزائري ووجه قادة الخارج تويخا إلى الولاية الرابعة عن طريق المؤتمرين في الصومام وتلقى التويخ الشهيد عبان رمضان... والأغرب من ذلك كله أن قائد العملية مصطفى جمعي، نقل إلى تونس وتم اغتياله هناك بتهمة التجاسر على قوانين الثورة... وكان رحمه الله صديقا شخصيا ومقربا جدا إلى البطل علي خوجة... حز الأمر في نفس صديقه علي خوجة فعمد إلى تنفيذ عمليات أسطورية ضد العدو انتقاما لصديقه المغدور به... وتلك عقيدة علي خوجة الذي كان يؤمن بها ويقول: «إن رصاصة واحدة تصيب العدو خير من ألف خطاب حماسي لا تتجاوز به عتبات التجمع». حز في نفسي أن يقتل مصطفى جمعي الملقب «بمصطفى لكحل» لا لشيء سوى لأنه نصب كميناً للعدو وقتل جنوده بمن كان معهم... وقرر خوجة أن يثأر لعزيره بأسلوب استشهادي خرافي بكل ما في الحرافقة من خوارق... بحيث فكر في أن يهاجم قصر الحكومة الفرنسية في الوقت الذي يكون الحاكم العسكري العام مجتمعاً إلى ضباطه السامين في وضع النهار وفي قلب العاصمة... مخترقاً عشرات الحواجز المدججة بالآلاف الجنود ومئات الآلات من الآليات الحربية والرادارات الاستكشافية... فضلا عن تخطي عيون العدو من رجال وأجهزة مخابرات وخونة وعملاء كان العمر أهون عليه من قصر الحكومة ومع ذلك خطط هذا البطل الخرافي بدقة متناهية لتحويل المستحيل إلى ممكن ... فكان المستحيل ممكنا فعليا...

انتقى القائد البطل أفضل شبابه وأشد هم حماسا وتعلقا بالشهادة وأنضجهم خبرة وذكاء... وانتقل بهم إلى مشارف العاصمة متخطيا حواجز لا حصر لها... رابطت المجموعة بمدينة برج الكيفان الحاذية للعاصمة وهناك رسم خطة الهجوم بحيث وزع على رجاله لباس المظليين الفرنسيين وتفتقد أسلحتهم وحدد لهم

مهماتهم الاستشهادية... وانطلقت المجموعة وسط اكتظاظ المدينة بالمعمرين والأجانب وآلاف الجنود من جميع الأسلحة... ولم يتفطن أحد لهؤلاء الأبطال الأشاوس نظرا لما كانوا عليه من رباطة جأش وثبات وقدرة على التصويه ومغالطة العدو... ولم يتفطن العدو لهؤلاء الأبطال إلا وهم على بعد أمتار من قلب العاصمة ... دارت معركة ضارية بين الكومندوس الاستشهادي وقوات العدو استشهد فيها جميع الأبطال بعد أن كبدوا العدو هزيمة سيكولوجية وعسكرية مرعبة ... كان ذلك في أكتوبر 1956.

أراد علي خوجة بتلك العملية أن يؤكد للعدو أن جيش التحرير قاتل صبية ضمن القافلة العسكرية في كمين... قادر أن يخترق كل القوات الفرنسية وهيبته ويهاجم حكامها وقادتها في قصر الحكومة نفسه وأن يسجل صفحة في سجل تاريخ العمل المستحيل ويبرهن لبعض قادتنا في الخارج الذين كانوا يخاطبون الثورة من شرفات قصورهم... ويتهمون رجالها بالتمرد والعصيان ويغتالونهم جرما إن الثورة قوامها التصفية الدائمة فكان الدرس قاسيا وصريحا ولولا وشاية أحد العملاء ماكان علي خوجة أن يفشل في مهمته العظيمة ولتمكن من دخول قصر الحكومة وقتل وأسر القيادة الفرنسية... ولتغيرت معادلة الحرب في الجزائر يومها... لم يكن علي خوجة كما عرفه الجميع شخصا عاديا بل كان عبقريا حقيقيا في أفكاره وأفعاله... وحركيا إلى درجة أنه يستحيل تحديد مكان تواجده... وصاعقا في قتاله العدو... وقد تميزت عملياته العسكرية على كل العمليات الاستشهادية الأخرى... بالأسلوب الأسطوري الحارق وباستشهاده فقدت الثورة أحد أكبر رموزها وقادتها العظام ممن تنبهوا باكرا لذهنية العدو الفرنسي وخاطبوا باللغة التي تفهمها .

الفصل الحادي عشر من ملحمة الساحل إلى حانة بوفاريك

1 - ملحمة الساحل

على ساحل بحرنا الجليل... وفي منطقة تيبازة... جرت أحداث عملية متميزة... في يوم شديد الحرارة من فصل الصيف انتشر عدد هائل من الضباط الفرنسيين وعساكرهم رفقة عائلاتهم وزوجاتهم عبر شريط الشاطئ الجميل إلى جانب عائلات جزائرية ميسورة الحال ظلت مرتبطة ثقافيا واجتماعيا بفئات العدو.

اقتحمت مجموعة من المجاهدين المكان وكانوا يرتدون لباس المظليين، فوجيء المصطافون بهذا الاستعراض وقد حمل المجاهدون معهم خمسة مدافع رشاشة على غير عاداتهم... وقد جرت العادة أن يحمل كل فوج مدفعا رشاشا... لكن نظرا لخطورة العملية التي تنفذ داخل قلاع العدو في طالعة النهار فقد اتخذت إجراءات واحتياطات مسبقة تمكن المجاهدون من حصد الأجسام العارية على بكرة أبيها فاختلطت صيحات الرصاص بصياح المرح وامتنعت رمال الشاطئ دما غزيرا حتى أن عائلة جزائرية من العائلات الموالية للعدو... أفنيت يومها عن بكرة أبيها بما فيها عريس وعروسة... ولم ينج من أسرة دريعي يومها إلا الجد الطاعن في السن الذي كان يعادي الأوساط الفرنسية ويعارض أفراد عائلته على تشبههم بالأجانب... استغل الاعلام الفرنسي تلك الحادثة أبشع استغلال حتى إن وزير الإعلام الفرنسي عقد وقتها ندوة صحفية تحدث فيها للرأي العام الدولي عن بشاعة العملية وهول المجزرة... تلك الحملة الشعواء خدمتنا في الولاية الرابعة كما لم نخدمنا من قبل أبدا... بحيث غسلت آثار قضية «البيزي» التي كانت حديثة العهد وظهر للجميع تصيم قيادة الولاية الرابعة على مواصلة القتال على غرار كل الولايات الأخرى... ورغم ما في العملية من تجاوز لتقاليدنا الثورية وخروجنا عن مبادئنا في منازلة العدو... بحيث هاجم ثوارنا مدنيين على

شاطىء البحر حتى وإن كانوا في أصلهم عسكريين فرنسيين وخونة... كانت العملية ذات أبعاد أخرى تتجاوز كونها عملية ضد مصطافين... إذ هدفت القيادة بتلك العملية إلى قطع دابر المؤامرة الفرنسية في الولاية الرابعة وتبليغ رسالتها إلى العدو... وإلى جميع المتشككين بأننا مصممون على الاستمرار في الجهاد ولا نقبل بالتجزئة وأنصاف الحلول إلى أن تستقل البلاد ونسترجع سيادتنا كاملة غير منقوصة.

كانت العملية من تخطيط وتنفيذ القيادة المحلية من المنطقة الرابعة للولاية الرابعة... وقد فكت الخناق عن الولاية ورفعت عنها العزلة التي أرادها لها العدو وبعض المتشككين والمتشككين في قدرة رجالها.

2 - أسطورة من البحر.

بني حواء بلدة صغيرة تتوسد الجبال من جنوبها وتستحم عن شمالها في البحر... ولدت من جوف أسطورة رائعة.. مفادها أن باخرة هولندية استدرجتها عواصف البحر في شتاء قرون غابرة إلى الشاطيء حتى إذا شارفت على النجاة أصابتها لعنة البحر فاصطدمت بالصخور وغرقت بمن فيها لكن فتاة جميلة أبت أن تستسلم للهلاك فصارعت الموج إلى أن قذفتها أمواج البحر إلى أكتاف الساحل.... فالتقطها سكان القرية ورعوها وتبركوا بجمالها الفتان ولما استأنست بهم أحببت شابا وسيما فتزوجته وأنجبت... وعمرت حتى إذا توفيت أطلق السكان اسمها على البلدة... ومن يومها نوديت البلدة - ببني حواء- وسكانها- سكان بني حواء.

عرف أهلها بطيبة قلوبهم ودماثة أخلاقهم وكرامة شيمهم... كما عرفوا لدى الأعداء بشدتهم وشجاعتهم ومقاومتهم الاستعمار والذل.

التحق بصوف الثورة شاب من تلك البلدة وكان يسمى كريمي عبد الرحمن، وكنا نناديه باسمه الثوري (مراد) ينحدر هذا الشاب من أسرة عرفت بنبلها في البلدة... وقدمت أكبر عدد من الشهداء للثورة التحريرية حتى بلغ عددهم سبعة عشرة شهيدا كان من بينهم الجد وابنه وحفيده والمرأة وأولادها وأبوهما... وقد



من اليسار إلى اليمين:
- يحيى الوزني - المؤلف - زروق



من اليسار: - بن يخلف بوشريط (حي) - طهراوي عبد القادر (شهيد) مسؤول ناحية (خريج
جامع الزيتونة) استشهد في نوفمبر 1960 في قلب مدينة المدية - أحمد تابلاطي من العمرة
محافظ سياسي (شهيد)



الواقفون من اليمين إلى اليسار: مجاهد (شهيد) من المدينة، عمرو يوشاوي (شهيد)، جيلالي الحمولي (شهيد)، بلعباس من قرية هواة (شهيد)
الجالس: بن عيسى بن صفار رئيس فوج الكتيبة الزبيرية (استشهد في معركة موفورنو).



من اليمين إلى اليسار: الضابط روشاي بوعلام (المدعو سي الزبير) قام بدور أساسي في مظاهرات 11 ديسمبر 1960، واستشهد في قنب، بلكور في جانفي 1961. - الضابط بوعلام دلوسي - الضابط خير الدين رئيس منطقة.

اشتهرت إلى جانب هذه العائلة الشهيدة عائلة (ميراوي) التي قدمت للشورة خمسا وخمسين شهيدا(55).

كان مراد شابا مفتول العضلات أزرق العينين جميل الوجه حتى أطلقنا عليه ابن الرومية نسبة إلى حواء الهولندية، شهما ومقداما... في تلك البلدة أقيم منجم ضخّم يشغل عددا هائلا من العمال الفرنسيين والخبراء والمهندسين وتقوم على حراسته قوات عسكرية كبيرة مدججة بأفضل الأسلحة تعتمد أبراج المراقبة وكاشفات الضوء وكانت عملية تصريف مستخرجات الأرض تتم بسرعة وتتقنية عالية... ويجري شحنها على بواخر سريعة الحركة... وذات يوم فوجيء الكولون وقوات الجيش الفرنسي التي تراقب المنطقة بهجوم مباغت وساحق على الباخرة الراسية في عرض البحر تراقب انتهاء عملية الشحن... كان الهجوم من جهة البحر الأمر الذي لم يحسب له العدو أي حساب... ومن سخرية القدر أن الباخرة وربانها الذين قتل أحدهم هولنديو الجنسية... وهكذا كتب القدر مرة ثانية أن تكون الحادثة صورة لحادثة الباخرة القديمة التي حملت تلك الفتاة الرائعة...

كانت نتائج الهجوم مشجعة للشورة ومحبطة للعدو... الذي لم يعتقد أننا سنهاجمه من جهة البحر ونحن لا نملك بواخر ولا غواصات ولا حتى رجال ضفادع.

3 - الكولون «فلوري» يقتل مائة عربي،

اخترق فوج من قوات جيش التحرير مدينة البرواقية بقيادة الضابط (بوسماحة محمد) الذي تمكن في حدود وقت قصير من مراقبة المدينة بكاملها وسد منافذها لاستبعاد جميع إمكانات وصول نجيدات العدو...

توجه الفوج بعد أن اخترق المدينة رأسا إلى مقر الكولون (فلوري) الذي اشتهر بإرهابه الجماهير وبجرمه الذي فاق كل التصورات بحيث قد اغتال هذا المجرم ما لا يقل عن مائتي مواطن (200)، هاجم الفوج المجرم وقتله في وضح النهار على مرأى وسماع الجميع وكانت تلك العملية بشرى لاتقدر في أوساط الجماهير التي احتفلت بموت المجرم أيما احتفال .

4 - حانة بوفاريك،

كانت حانة بوفاريك مركز لهو واستمتاع لجنود العدو ورجال مخابراته... وكان الجلادون قبل استنطاق ضحاياهم يقصدونها فيشربون ويعربدون حتى إذا ركبت رؤوسهم الخمرة، انقضوا على الأسرى والمحوسين يفتكون بهم فتكا بخناجرهم وعصيهم، وأسلحتهم المختلفة... وقد اشتهر الحان أيما شهرة فقررت قيادة الولاية أن تضع حدا لهؤلاء الأوغاد وتريح المنطقة من شر رواده... فدرست ظروف الهجوم وكلفت فوجا حاصره وانقض مجاهدوه على الحان فقتلوا كل من كان فيه من ضباط وجنود العدو وعملائه... ودمروا احتياطه من الخمر وعادوا إلى مراكزهم سالمين... أطبقت أصداء العملية كل الآفاق وصارت حديث القوم... وأعادت ثقة المواطن بنفسه وبشورته التي صار بإمكانها أن تضرب في عمق المدينة وفي وضح النهار.

5 - عمليات جويّة غيرت المعادلة،

ليس بإمكانني أن أتى على ذكر جميع العمليات الهامة التي نفذت في المرحلة الأخيرة من عمر الثورة وقد غيرت كل الموازين وكذبت جميع الادعاءات... بحيث تميزت بشجاعة نادرة وتحد صارخ، فقد نفذت قواتنا عمليات جريئة جدا في مناطق عديدة من بينها مدينة مليانة، حيث دمرت ثكنة للعدو... وفي غيرها من المدن والقرى فضلا عن المعارك التي تجري يوميا على رؤوس الجبال.

كان الهدف من تلك النقلة النوعية في أسلوب المعارك وطبيعتها يهدف إلى خلخلة الزعم الفرنسي القائل بأن قواته قضت على الثورة في الداخل... وأنها تنتظر نتائج لقاء الإليزي)، وإلى فك العزلة الخائفة التي أحكمتها القوات الفرنسية حول الثورة... بعد العمليات الكبرى وعزل داخل الوطن عن خارجه وتسيب حدود بلادنا بالأسلاك الشائكة فضلا عما كانت تشعه من تبجح إعلامي وغرور قاتل يصور عظمة فرنسا تصورا أسطوريا تغالط به الرأي العام الدولي... والميتروبول أساسا...

تجاوزت قيادة العمليات الاستشهادية مرحلة حرب العصابات في الجبال والغابات.. إلى حرب الشوارع والمدن والموانئ والبراخيز... وحرب الأعصاب فنقلنا هوس الموت إلى نفسية كل عدو عسكري أو مدني... وأعدنا الكرة بريح ثقة الجماهير التي كادت أن تهز لما تشاهده من تفوق خيالي لقوات العدو على المجاهدين... ويفضل الإرادة والإقدام على التضحية تغيرت كل معطيات المعادلة في المنطقة وأيقن العدو أن مخططه في حادثة الإليزي باء بالفشل وأن النصر السيكولوجي الذي جناه من آثار تلك الحادثة سقط تحت ضربات بنادق الثوار... فانصاع إلى صوت الوحدة، وحدة الثورة في جميع ولاياتها...

6 - صليب الراهب،

اشتبك المجاهدون مع قوات العدو على مشارف إحدى القرى الواقعة قرب سد اغريب وكانت القوات الفرنسية عائدة لتوها من مهمة نفذتها ضد جماهير الشعب الأعزل... فذبحت النسوة والأطفال ونهبت ممتلكات القرية... ولم ينج من بطشها إلا الذين فروا بأنفسهم عبر الشعاب والأودية، كان راهب فرنسي يرافق تلك القوات وكان يبارك أفعالها ويحث جنودها على مزيد من الإقدام والبطش بالعرب غير المسيحيين... تنبتهت قوات المجاهدين لهذه الجريمة فنصبت كميناً محكماً للعدو... حتى إذا تورطت قواته داخل دائرة النار... أطلق المجاهدون نيران أسلحتهم وبدأت المعركة إلا أن الراهب أبى إلا أن يظل منتصباً رافعاً صليبه الكبير شاهراً من تحت عباءته السوداء... وربما كان يناجي ربه ويتوسل باسم الرحمة والعناية الإلهية أن ينصر جنوده على العرب الأشرار المسلمين... لكن القدر حال دون تحقيق رغبته... فتناهت إليه رصاصة طائشة أردته على الفور قتيلًا...

استغلت الدعاية الفرنسية والغربية... تلك الحادثة بتاريخ 30 جانفي 1961 أبشع استغلال وصورته الراهب على أنه مسيح جديد صلب ثانية على أبدي (الغلاطة)... وأعلنت الصلاة في جميع كنائس المسيحيين إن في الجزائر أو في فرنسا... الخ وغدت تلك الحادثة رمزا لمأساة لا يغفرها عقل ولا تسمح بها شريعة...

ولم تتخلف الصحف الفرنسية التي بكت أحرفها حزنا... وانتحبت انتحاحياتها ألما واحترقا على الشهيد الكبير... ولم تذكر بحرف واحد عدد القتلى والجرحى والمشردين من أبناء الجزائر ولم تعلن للرأي العام الدولي أن القوات الفرنسية كانت تلقي بأطنان القنابل الفتاكة على المجاهدين والجماهير الأمر الذي مكن مجاهديننا من إسقاط طائرة للعدو في ذلك اليوم المشهود.

أسقطت تلك المعركة أسطورة المراهنة على لقاء الإليزي بين قيادة الولاية الرابعة والرئيس ديغول وتأكد للجميع أن الثورة مستمرة وأن لا طريق إلى الانفصالية وتفريق الصفوف بين أبناء الشعب الواحد والثورة الواحدة على غرار العمليات الأخرى وتأكد لقيادة الخارج التي كانت تنظر بعين الشك وعدم الرضا إلى قيادات الداخل وفي مقدمتها قيادة الولاية الرابعة أننا مصممون على القتال كأسلوب وحيد لضمان الاستقلال وتحقيق وحدة البلاد... وبدأ ضباب الشك ينقشع ويضمحل من فرط ما توهموا أن مجاهدي الولاية الرابعة وضعوا أسلحتهم ووقعوا في دائرة المؤامرة حتى ذهب الظن ببعضهم إلى التشكيك في صدق العمليات العسكرية الناجحة التي كنا نحققها... من ذلك أن بعض عناصر تلك القيادة تساءل لدى وزير الأخبار آنذاك (محمد يزيد) عما إذا كانت العمليات المعلن عنها وقعت فعلا...؟

لا نلوم اليوم هؤلاء المتشككين لأنهم كانوا في وضع حياتي لا ينسجم وجحيم الثورة وطبيعة الصراع فمن كان يسكن قصرا ويتخير صباحا أي رابطة عنق تنسجم ولون البذلة... هو تأثر من طراز خاص بعيش الترف الثوري دون أن يلامس حقيقته المرة لا يتجاوز خياله أن يتصور خطبة حماسية في إحدى القاعات المكيفة المشحونة بالتصفيق... أما أن يستوعب صورة مجاهدي الصخور وحياته على كفه ونعشه على كتفه... يصنع في جوعه وعرائه وعذابه أساطير خارقة يسجلها للتاريخ بشلال دمه... فذلك بعيد منه بعده عن القمر...



المؤلف (على اليسار) مع
طهراوي، و بابا علي.



من اليسار: - المجاهد الحاج ازهري (اللقب محبوبي) من الأغواط من طلبة ثانوية بن شنب بالمدينة
(استشهد كقائد منطقة في الونشريس سنة 1960). - الشهيد بومدين من جبل اللوح. - مجاهد (شهيد)
من الكتيبة الزبوية.



من اليسار المجاهد شعلو محمد (حي)
ومن اليمين المجاهد بشير (من البليدة).



المجاهدان من اليسار إلى اليمين
- عبد اللطيف طلحة (شهيد من القليعة)
رئيس المنطقة الثانية
- الشهيد حمدان رئيس قسم المدينة
(استشهد سنة 1960).

هنالك جملة من المعطيات التي ميزت الولاية الرابعة عن غيرها من ولايات الوطن بدءاً بوضعها الجغرافي والاستراتيجي وقرتها من العاصمة... ويعدها عن منافذ الحدود كل هذه المعطيات وغيرها دفعت العدو لأن يحكم قبضته عليها... وأن تكون دائماً في موقع المعزول عن غيرها من الولايات الأخرى... ولا يتم الاتصال بها إلا بشق الأنفس ويتضحيات باهضة في الرجال والأسلحة... لذا لم يكن بد من حضور رجال الصحافة العالمية ليلبغوا الرأي العام الدولي حقيقة ما يجري من جرائم بشعة ترتكها قوات العدو يومياً... أو أن يصوروا سير المعارك وما تنطوي عليه من قيم وتضحيات فريدة من نوعها... ولم يكن العدو يسمح لرجال الصليب الأحمر الدولي بدخول البلاد ولو لمعاينة الحقائق الاجتماعية وانتهاك حقوق الانسان... ورغم الحصار المضروب على الإعلام في الداخل... صادف أن تسلل صحفي إيطالي شجاع سنة 1961 إلى ولايتنا وعاشرنا مدة من الزمن اقتسم معنا قطعة الخبز اليابس وبعض فواكه أشجار الغابات وكان يوزع وقته اليومي بين المدنيين والمجاهدين... ولما عاد إلى بلاده حمل صوراً صادقة وموضوعية عن حياة الثورة في الداخل وتحدث عن آلام شعبنا وحصار العدو لها... وعرض قضيتنا عرضاً محايداً وصادقاً على الرأي العام الدولي رغم كونه أوروبياً عايش الهجمة الإعلامية، التي تشنها أوروبا ضد حركات التحرر العالمية ضد الأمة العربية وطلبتها الثورة الجزائرية تحديداً.

ولا أملك اليوم إلا أن أحجبه تحية الإنسان للإنسان... وتحية الثائر لرجل القلم النزيه الذي يفصل بين أثر الدعاية المفرضة وصوت الضمير ولون الحقيقة...

كان العدو في تلك المرحلة التي عزلنا فيها عن الخارج... يعرف كل صغيرة وكبيرة عنا... في الوقت الذي كنا لا نعرف من أمره إلا ما تناهى إلينا من أخبار ومعلومات نستقيها من أبناء ونساء العملاء... ومن بعض أجهزة المخابرات وأقسام ومراكز المحتشدات (LA SAS) وهي معلومات قليلة لا تفني بالفرض المراد معرفته، بينما كان العدو يهتم بكل صغيرة وكبيرة عن الثورة بأجهزة مخابراته وأجهزته المختصة... تجمع المعلومات وتكدسها، حتى نخاله ضرب من

الخيال بحيث ترصد لحياتنا من أبسط مواصفاتها إلى أدقها... تعرف ما الذي يأكله المجاهد العادي والضابط ومتى وأين وكيف ينام... وهل ينامون متفرقين أو مجتمعين، وما إذا هم يغيرون مواقع نومهم... وما هي أنواع الخلاقات الموجودة بين الضباط أنفسهم أو بينهم وبين جنودهم... ومن هو المسؤول أو القائد الكثير الكلام أو القليله... وكيف كان المسؤولون يتعاملون مع النصر، ومع الهزيمة، وما هي حدود الفرح عندهم وحدود الألم ومن هو المنبسط في حياته والمنطوي...؟ بحيث كانت الأجهزة الخاصة تعرف أمزجة وانفعالات كل واحد منا وطباعه وأسلوبه في الحياة... فضلا عن ماضينا وماضي عائلتنا وسلوك طفولتنا... ولم يتوصل العدو إلى هذا الحد من حصارنا بمعرفة أنفسنا إلا بالاعتماد على المعلومات الغزيرة التي ترد عليه يوميا من عيونه المبوثة في كل مكان، وكذا بالاعتماد على خبرة علمائه المتخصصين في علم الاجتماع وعلم النفس والانثروبولوجيا وعلوم الحروب المختلفة والمؤرخين... إلخ.

صادف وأن كنت أجوب ثكنة للعدو بعد أن طردنا قواته في عام 1962 وقع نظري على ملفات وخرائط حائطية ووثائق عديدة تحتوي على معلومات عن الثورة والمجاهدين والمعارك... ولما قادني الفضول إلى تصفح بعضها.. عثرت على صورتي الشخصية ضمن ملفاتهم بلباسي العسكري... حرت أشد الحيرة، وتساءلت متى التقطت لي تلك الصورة؟ ومن التقطها؟ وأين؟ وزادت حيرتي لما عثرت على ملف كبير شمل أدق تفاصيل حياتي الخاصة والعامة التي تعجز أسرتي وأقربائي عن معرفتها والإحاطة بسرها... كانت قضايا استعمال العلم والتكنولوجيا في حرب العدو ضدنا... من أخطر الوسائل التي أرقق بها كاهلنا في الثورة، واستغلها بعد استرجاع السيادة لتقزيم الثورة وتوجيه مسارها توجيهها معاكسا لحركة التحرر والانعتاق الثوري الشامل... وتلك كانت الفوارق بين شعب يواجه النار بصدور عارية وبطنون خاوية وأياد خالية... وعدو بنى ترسانته العسكرية طيلة عشرات السنين وأحكم بنيتها وهياكلها ووزع مهامها بدقة، فغدت تعمل أليا بأسلوب شامل متكامل لا يخطط في المجال الآلي وحسب ولكنه يتأمل فيما يمكن أن تنتهي إليه كل ظاهرة وما تفرزه كل حادثة.

والعدو حريص على الأرشيف والمعلومات حرصه على جنوده وآلياته... جاءني يوما أحد الرفاق في الجهاد بصندوق جميل حزم بخيط أنيق وكتب عليه بخط اليد: «خاص جدا ولا يسلم إلا لصاحبه»، ومع الصندوق رسالة... فرغت من قراءتها ثم طلبت فتح الصندوق الذي يسر الناظر... وما إن فتحت يابه حتى تحرك الثعبان الصغير بداخله.. ففزعت فزعا مهولا ورحت أركض بعيدا... والحقيقة أن خوفي من الثعابين لا يوصف... ولا أظن أنني أجبين أمام أية قوة جبني أمام ثعبان مهما كان حجمه ولونه... التقف العدو هذه الحادثة بأدق تفاصيلها وسجلتها أجهزة مخابراته في ملفي الخاص... بل ووظفها ضباطه كدعاية ضارة ضد شخصي في الحرب... وقد وقف أحد الضباط الفرنسيين في حشد هائل من المواطنين في إحدى قرى منطقتنا، وقد علا وجهه غضب وحقد... وصاح فيهم قائلا: «إن ضابطكم لحضر بورقة يخاف الثعابين»، كان يهدف إلى الحط من قيمة المجاهدين والتقليل من هيبتهم وسط الجماهير واعتبارهم جناء لا يقدر على مواجهة فرنسا وقواتها العظيمة...

إلى هذا الحد اهتم العدو بالجانب المعلوماتي المتعلق بالشورة والثوار وكل ما يتصل بهم بحيث كان يعرف أدق التفاصيل عن ثقافتنا وخصوصيات الأفراد والمناطق وميزة كل منا وعبويه... إن العدو الفرنسي حارنا إلى جانب ترسانته وجيوشه بما احتوت عليه المدنية الغربية من تقدم علمي في الجوانب السيكلوجية والاجتماعية والسياسية والمعلوماتية والتاريخية ودراسة الطبائع والخصوصيات الأثنية... والأخلاق... والدعاية المضادة... بحيث كانت حربنا ضدنا حرب شاملة وعلمية ومدمرة...



صورة كان يرسلها جنود الاحتلال إلى عائلاتهم عثرنا عليها لدى جندي فرنسي اعتقل في كمين سنة 1958
(التقطت الصورة في جويلية 1958 بأولاد هلال).

الفصل الثاني عشر

مصالي الحاج... محمد حربي، أو قراءة التاريخ عن بعد،

1 - مصالي الحاج، ما له وما عليه،

لست ممن يرغبون في مغامرة فكرية ومناهة تاريخية وسياسية تقودني إلى مفازات وبيادي الحركة الوطنية الجزائرية بمؤسستها المناضل الكبير مصالي الحاج... ولكن الذي هدفت إليه، إنما إلقاء بعض الأضواء على جانب من جوانب مواقفه ومرحلة من مراحل نضاله... ولا أجل على الحقيقة من أن نقول ما للرجل وما عليه... إن مصالي الحاج مؤسس الحركة الوطنية مع بعض رفاقه المخلصين وراعيتها سنوات طويلة منذ حزب نجم الشمال الإفريقي 1926 إلى حزب الشعب الجزائري إلى حركة انتصار الحريات الديمقراطية... ولا أحد ينكر أن جبهة التحرير التي قادت الثورة واستردت السيادة الوطنية هي الإبن الحقيقي للحركة الوطنية الجزائرية والورث الشرعي لمبادئها وتطلعاتها في التحرر والسيادة والعدالة الاجتماعية... لكن الذي حدث بكل أسف أن حامل خطاب الحركة الوطنية... تحول إلى أكبر مناقض ومعاد لمبادئ الحركة التي عاش وضحى عشرات السنين من أجلها ولو أن مصالي أخفق هذا الإخفاق في شبابه لهان الأمر وأمكن الصفع عنه... لكنه أخطأ في مرحلة حكمته ونهاية تجربته وفي أعلى مراتب شعبيته التي كانت مقدسة حتى أنه اغتر بنفسه ونسي رسالته، فأغرتة، وبذلك تعارض مع إرادة الجماهير ووقف ضد تيار التاريخ ولم يستوعب حركية التغير والتطور والتصير... خدعه ماضيه فألهاه عن حاضره حتى خسر مستقبله... جنى مصالي على نفسه وتاريخه الشخصي وجنى على الثورة وأرهقها بفسطسه وجرائم أتباعه... وجنى على مصير حركة التحرر وتعميق الخطاب الوطني وتأصيله حتى بعد الاستقلال الوطني... فكان أن أخذت الثورة بعد الاستقلال مسارا قظريا ضيقا فاستغل هشاشتها المندسون... وحرفوها وضربوا ما بها من قيم... حتى انتهت بهزيمة نكراء.

أرهق مصالي ثورة التحرير أيما إرهاق... ولولا قواته التي انتشرت في عدة مناطق استراتيجية من الوطن، وراحت تطعن الثورة من الخلف وتدعم العدو... الذي كان يمدها بالسلاح والعتاد والمخبط... لما امتدت سنوات الحرب إلى ما يقارب الثماني سنوات... وقد كان تأثير قوات أتباعه في الداخل تأثيرا عسكريا وسياسيا ونفسيا وحتى جماهيريا... باعتبار أن وراء كل مقاتل أسرة أو عدة أسر...

إن محالف قواته مع العدو لهي سابقة عميقة الدلالة... تخرب مبدأ الحركة الوطنية وتضرب الاتجاه الوطني في صميمه... ولا مفر أن يدين التاريخ مصالي الحاج على خيانتته التي تقرها الوثائق المشفورة لدينا (راجع الوثيقة وثيقة سرية صادرة عن المكتب الثاني للمخابرات الفرنسية، والوثيقة الصادرة عن أعضاء المكتب السياسي للحركة الوطنية الجزائرية بعد أن تخلوا عن مصالي وانضموا إلى جبهة التحرير الوطني..

إن عملاء مصالي كالجنرال بلونيس وكوبيس، وغيرها... إذاقوا الجماهير في كل من الولايتين الرابعة والسادسة أروانا من العذاب والاعتقالات... وأخرجوا الثورة مرارا وتكرارا حتى أنها لجأت إلى أسلوب العنف دفاعا عن نفسها وعن جماهير الشعب.

ولا أبالغ إذا قلت أننا ما زلنا إلى اليوم نعاني بعض آثار مواقف وأفعال عملائه ضد الثورة والشعب، ومن سوء حظنا أننا لم نعلم إلى اليوم إلى وضع جرد بعدد ضحاياتنا الذين قتلتهم قوات مصالي الحاج بقيادة عملائه في الداخل وإحصاء ما خربوه وأحرقوه.

لست حاقدا على مصالي ولا ناقما عليه كل ما هنالك أنني حريص على تطهير التاريخ وتقديم أحداثه ناصعة للأجيال القادمة...

لقد حشر بعض الكتاب والمسؤولين أنوفهم في مضايق خيانة مصالي... وسعوا إلى تلميع صورته وتبرير ساحته... وحملوه ما لا يحتمل... فكتب المؤرخ الجزائري محمد حربي، يزعم أن الرجل غير ما عرفناه... ونشر بعضهم مقالات ودراسات بعد الاستقلال تتباكى على قبر الرجل وتنعي حظه التعيس وتطالب برد الاعتبار إليه... بل وذهب أحد رموزنا الكبار إلى الدعوة إلى إقامة تمثال له... بعد أن خصه بالتقدير دون غيره على إثر خروجه من سجن الأعوام الطويلة...

إن هؤلاء وغيرهم ممن نصبوا أنفسهم حماة ومحامين على الرجل... يشفع لهم جهلهم بما اقترفه مصالي من جرائم نكراء نفذها عملاؤه ضد الشعب والثورة... إننا نحن الذين اكتوينا بنار خيائته في الداخل وذهب عشرات مجاهديننا ضحية غدر عملائه... إن الذين يبررون أخطاء مصالي وجرم أذنباه... خانتهم صراحتهم وخمولهم الذهني عن البحث الجاد في الحقيقة... وبما أنهم ضلوا طيلة أعوام الثورة خارج أرض الوطن فإن الأجدر بهم اليوم أن يستقصوا التاريخ وينقبوا عن جذور الحقيقة وينصفوا الرجل بما له وما عليه... وأن يسألوا الجماهير ويجادلوا الأحياء ممن اكتووا بنار حملات رجال مصالي في المنطقة... كادت خطة مصالي المدعومة بقوات العدو الفرنسي... كادت أن تفجر البلاد تفجيرا شعبيا خطيرا... وتحدث شرخا في وحدة الشعب أيام الثورة، وما زلنا إلى اليوم نسمع نغمات عديدة تريد أن تطفوا على السطح بمنطق مزعوم... تبرئ، ساحة مصالي وأتباعه... وتشكك فيما تصرفت فيه جبهة التحرير... تطمح لأن تجعل من مصالي وبلونيس وكويس والسعيد وغيرهم أبطالاً وطنيين وتجعل مجاهدي جيش التحرير ظلما مخطئين لا أصدق أن هذه الحملة بريئة من مخطط الاستعمار الشامل الذي لن يغفر لثورة التحرير الجزائرية انتصارها وتشويرها شعوبا ما كانت لتقوم لها قائمة لولا ثورتنا الشعبية العادلة .

كانت الجماهير الجزائرية محبة لمصالي الحاج ومدفوعة إلى اتجاهه السياسي قبل اندلاع ثورة التحرير... بل قد وصل بها الإعجاب والإخلاص إلى حد تقديسه وضحت في سبيل حريتها إلى جانبه، لكنه أخلف العهد وخان الأمانة وطعنها في الوقت الذي صممت فيه على تحقيق حلمها الوحيد: تحرير وطنها من لوثة الاستعمار.

في مطلع شبابي رأيت رؤية العين كيف كانت الجماهير تتسابق على سماع خطبه أو رؤيته... وكيف ضحى الكثير بحياتهم من أجل مصالي القائد والزعيم... كان في نظرنا وفي نظر الجماهير العريضة منقذ الجزائر ومحررها وحامي حماها... ولو لم يقف ضد تيار التاريخ ولم يفضل نفسه على الجزائر... ونرجسيته وجه الزعامة على رسالة الشعب في التحرر والانعتاق... لكان أكبر علم في تاريخنا الوطني وأحد أبرز الرموز العالمية على مر التاريخ الانساني... استفل

مصالي أموال الشعب المودعة لدى حزبه... وتصرف فيها دون إرادتها وجند مرتزقته ودعمها بأحدث الأسلحة والمعدات... وشحنها ضد الثورة وضد الجماهير فكان أن صب حقه على الشرعية وأضرمت الغيرة في نفسه نارا لم تنطفئ... لم يصدق أن تتدلع ثورة الشعب في غيابه... ودون مشاركته بعد أن اختار التهريج على العمل الثوري الخلاق... وهو الذي كان يؤمن خطأ أن الشعب الجزائري لا يحرك ساكنا حتى يحركه مصالي مغمطا بذلك حق الشعب التاريخي في قيادة الثورات العديدة... وتعنت في غيه أن رأى الثورة الجماهيرية تحقق كل يوم نصرا جديدا على العدو في الداخل وفي الخارج... وتطوي سمعتها قارات العالم... وتوقظ شعوبا غفت قرونا تحت ليل الاستعمار... لم ير فيها إلا منافسا لشخصه... متناسيا أن الزعيم تصنعه الجماهير... وأن الزعامة الحقيقية تقاس بمقدار الاستمرار في التضحية والعطاء الدائم... كان حقنا المضالين على الثورة والشعب أشد من حقد الفرنسيين والعملاء... ولم يترددوا في اغتيال بعض الأوفياء من الأجانب الذين دعموا ثورتنا... كان حصارهم الثورة فضيحا وحاقدا وما أساليب قتلهم بعض المجاهدين الذين أسروهم، إلا دليل قاطع على نذالتهم وغيظهم...

كان مخطط مصالي سياسيا وعسكريا بحيث فوض بلهادي أولمين للحديث باسمه في المحافل السياسية والديبلوماسية...

وكلف «بلونيس» لقيادة قواته العسكرية في حربها ضد الثورة والجماهير الشعبية... وقد كشفت وثيقة المنشقين عن حركته (الحركة الوطنية الجزائرية) (MNA) وقد كتبها السيد (نصبة أحمد بن عاشور) نياحة عن رفاقه في الحركة... وسلمها لرئاسة الحكومة المؤقتة في تونس في شهر جانفي 1959، وتحتوي على أربع صفحات وهي بعنوان: «جمع من المسؤولين المضالين ينضمون إلى جبهة التحرير الوطني»، وقد أمضاها كاتبها باسمه الشخصي.. (راجع الملحق).

تؤكد الوثيقة المذكورة مشاركة بلونيس إلى جانب القوات الاستعمارية مشاركة تامة ومعاداة جيش التحرير وجبهة التحرير... وأن مصالي هو ممول ومدعم بلونيس، والأخطر من كل ذلك أن الوثيقة تؤكد استمرار الاتصالات بين المضالين والقادة الفرنسيين طيلة تعاقبهم على السلطة، بدءا بـ (غاي موي)

و(بورجيس مونوري) و(قايار) إلى (ديغول) أي: لم تنقطع المشاورات بين الطرفين منذ اندلاع الثورة إلى ما بعد اتفاقيات إيفيان، وقد كانت الصحفية الفرنسية «كلود جيرار» همزة وصل بين مصالي وجماعته وبين الجنرال ديغول كما كان «شيزالي» وسيطا بين حركة مصالي وحزب الاشتراكيين الفرنسيين... هل بعد الذي فعله مصالي من مخططات عدائية وخيانة ضد شعبه وثورته، شك أو مجال لتلميح صورته التاريخية..؟ وهل تشفع له زعامته التي شدت الجماهير إليها سنينا وتضحياته عبر السجون وصورده ضد العدو.. هل يشفع له كل ذلك وقد خان الأمانة، وغدر بالثورة واحترق الجماهير..؟ ولا يفوتني أن أحيي صمود رفاق السلاح... في الولايات التي دنستها قواته... ولا سيما في الولايتين الرابعة والسادسة حيث كانت الثورة حصنا منيعا وموجها بصيرا...؟ هيات إرادات وصقلت مواهب وحنكت عقولا... فاستطاعت أن تنصدى لمحاولات خطيرة مدمرة كمحاولات المصاليين، والحركة والعملاء، والطامعين في ركوب مجد الجبهة... ومؤامرات أخرى لا تحصى... وقد أصبنا في الولاية الرابعة لبعض محنها في مواجهة قوات بلونيس وكوبيس وغيرهم... وكان آخرها مخطط لقاء «الإليزي» الانفصالي الذي قضينا عليه في مهده بعون الله تعالى..

2 - السباحة ضد التيار، أو قراءة التاريخ عن بعد؟

لا أدعي لنفسي كلمة الفصل في مسألة تيرنة مصالي الحاج اليوم، ولكن الذي أخشاه أن تكون الحملة الداعية إلى تلميح صورته وحذف الصفحات السوداء من سجله الذهبي هي نفس الحملة التي تعمل على تصوير الكولون والحركة والعملاء... على أنهم مظلومون يجب إعادة الاعتبار إليهم وتبرئة ساحتهم... وقد لا أجانب الصواب إذا أكدت هذه الحقيقة في عمرة ما نلاحظه من ردة سياسية وثقافية جزائرية وحملات شرسة لمعاداة الثورة والقيم الثورية...

إن عودة أصحاب الأقدام السوداء إلى الجزائر ورجوع «الحركة» العملاء، وتغيب وعي الجماهير بما يمكن أن يترتب عن إعادة الأعداء التاريخيين للجزائر من أخطار ستتحمل تبعاتها عشرات الأجيال القادمة... ويؤلني أن تشارك بعض الكفاءات الكبيرة ذات الأسماء المشهورة في عالم التاريخ والثقافة في هذه الحملة... وتعطي لنفسها حق الدفاع عن مصالي الحاج وتطالب بإعادة الاعتبار

إليه... على أن ما قام به ضد الشعب والثورة من ظلم وخيانة لا يعدو أن يكون مجرد سوء تفاهم... في حين أن بعض هؤلاء ترمى في أحضان جبهة التحرير الوطني وتقلد في أجهزتها مراتب عليا ما كان لinalها لو لم تدفع الجماهير من دمها وأتاعها ثمن تأشيرة الفوز والنجاح، وقد تناسى هؤلاء أن مصالي الذي يتباكون على مجده كان عدوا للجبهة وجيشها العتيد، وإذا كانت جبهة التحرير اليوم ومنذ الاستقلال، قد انحرف بها المسؤولون عن جادتها... وقزموا دورها وفتتوا وحدتها، بل وأخضعوها إلى نزواتهم السياسية ذات التوجه الفرانكو-ليبيرالي- المعدي لعروية الجزائر ورسالتها في مواصلة التحرر وتبليغ قيمها إلى العالم... رغم كل ذلك فهي الحزب الثلاثي الوحيد الذي قاد الشعب في أكبر محنة وأعظم ثورة عرفها القرن العشرون... لا يقبل أن يكون الوصوليون والانتهازيون والمنحرفون.. بالثورة وبالجزب في الجزائر حجة على فشل الجبهة... وإنما هم جزء من مخطط استعماري لثورة مضادة موزعة على العالم لخنق الثورة واغتيال الثوار وتحريف الرسالة الإنسانية العليا...

إن الأولى ببعض الذين لم يعرفوا الثورة على حقيقتها في الداخل، ولم يشهدوا مجريات أحداثها على أرض الواقع، الأولى بهؤلاء أن يستدلوا على الحقيقة بالحجج والبراهين وأن لا يكتفوا بالتجريد النظري ... وبممارسة الترف التاريخي من خلال ما يتهيؤ إليهم أو يخيل لهم ... لأن الكلمة مسؤولة خطيرة ومسؤولة الفصل في مثل هذه القضايا الموضوعية الكبيرة أخطر وأجل... لأنها إما أن تنصف الشعوب والأمم... أو أن تغمطها حقها وتظلمها ظلما يستمر مع أحقاب التاريخ...

إن كاتبها له باع في مجال التاريخ... والسياسة مثل محمد حربي الذي يتبنى قضية الدفاع عن مصالي الحاج... في ظروف النشر والتوزيع الواسعة التي يعرفها عالم الاتصال والمواصلات... لا أعتقد بحال من الأحوال يستطيع أن يزجر التاريخ... أو يفتصب براءته بما يكتبه من عزل وماتشيعة كتاباته من تباكي على حقوق مصالي المهضومة .

لقد تعرفت على الأستاذ محمد حربي وهو على قمة هرم السلطة... وعرفت آراءه في المصاليين وجرائمهم... وما كان لحربي أن يرقى إلى تلك القمم لو لم

يتسلق جبهة التحرير التي قاتلها مصالي شر قتال... لكننا فوجئنا به وكأنما عاده الوعي من جديد... فذهب يفلح في البحر. قد تكون سنوات الغربة وتيارات الانفتاح... على طريقة المدارس الاستعمارية التي تصنع الكتب المدسوسة كما تصنع حقن المصبرات المسمومة وتصدها بنفس الأسلوب وراء عودة وعي الرجل...؟ لكن كيف له أن يتورط في مثل هذه المغالطة وهو الراحل القدم في الثقافة الملم بخبايا تاريخنا المعاصر والمطلع على وثائقه...؟ سبحان الله مغير الأحوال!!

3 - عودة إلى صاحب كتاب...جبهة التحرير بين الأسطورة والواقع؟!

تبرز اليوم بعض الأصوات بفتح مخيف لتحدث عن مصالي الحاج بطريقة أقل ما يقال عنها انها طريقة دنيئة لأنها تحمل في خفاياها أسراراً كثيرة غير واضحة وفي مقدمة الداعين إلى رد الاعتبار لرأس العمالة مصالي الحاج السيد (محمد حربي) وهو الرجل الذي كان يوماً ما قريباً من السلطة ومسؤولاً مباشراً عن توجهات الحكم في الجزائر ومنه استمد قوته ووجوده، وعندما تخلى عنه الحزب أصبح نسياً منسياً، وإلا أين هو اليوم من موقفه بالأمس، قد يقول أنها الظروف وقواعد لعبة الكراسي، إلا أنني أقول له أن سبب وجودك وتبؤك المكانة المرموقة ذات يوم إنما يعود في الأساس إلى جبهة التحرير الوطني وإلى تضحيات الشهداء المجاهدين وإلا فأين أنت اليوم إننا نسمع عنك أنك أستاذ كبقية الأساتذة من دول العالم الثالث وقد سمحت لنفسك أن تتنطق باسم الثورة وأن تعيد خلط أوراق وثائقها، كما يحلو لك وتغالط الرأي العام من خلال مؤلفات وكتب لتزيف بها الحقائق وتتحدى جبهة التحرير الوطني

الجبهة التي صنعتك من العدم تتحداها بغياء عندما تتحدث بلطف عن مصالي الحاج حتى لا أقول تتحدث عنه بحنان البنية.

إن أقل ما يقال عن أن جماعة مصالي الحاج ومنذ اليوم الأول من انطلاقة رصاصة نوفمبر وإلى غاية اعترافاتهم المكتوبة، خاصة منها وثيقة عام 1959 وإلى غاية كتابات (حربي) إنهم لم يؤمنوا بالثورة مطلقاً ولم يبتعدوا عن خطيتهم الكبرى المتمثلة في خيانة الثورة، أقل ما يقال لهؤلاء، أن جبهة التحرير الوطني اليوم وبالرغم من السليبات الكثيرة التي تعاني منها وبالرغم من

الانتهازيين الذين تسللوا إلى صفوفها في غفلة من الزمن أن أقل ما يقال عن جبهة التحرير الوطني أنه وحده الذي قاد النضال كحزب طلابي قاد الجزائر إلى النصر ومحا وجود استعمار دام قرنا ويزيد.

كيف يسمح لنفسه أيا كان موقعه السياسي أو العلمي أو العسكري أن يتخطى الحقائق وينكر دور جبهة التحرير الوطني في مقاومة الاستعمار والتخلف ويمجد مصالي الحاج وجماعته، كيف يسمح لنفسه أيا كان أن يحيل اللون الأسود إلى لون أبيض أو حتى رمادي.

مصالي الحاج هو الصفحة السوداء، الشديدة السوداء، ولا أحد ينكر خيائه وتمرد أتباعه على الثورة ومن ينكر ذلك فإنما ينكر نفسه وينكر الحقيقة لا يمكن بأي حال من الأحوال لرجل سيأتي مثل (حربي) مهمته التدريس في أعرق الجامعات أن يمنح صك الغفران لمصالي الحاج وأتباعه وإزالة ما علق بهم من دماء الضحايا والأبرياء. إذا كان حزني على مصالي الحاج وعلى نهايته المأساوية شديدا، إن حزني على حربي وعلى نهايته أكثر بكثير من حزني على سيده وملهمه مصالي الحاج وذلك لأنني عرفت السيد محمد حربي عن كثب وعرفت أسلوبه في التفكير، وعرفت أكثر من ذلك كيف يفكر وما هي آراؤه السابقة في مصالي الحاج عندما كان متربعا على القمة، وما أنني أعرف، أيضا ان كل القمم عالية ومذبية شبيهة بقمة (موقورنو) لذا فان الكثير من الذين وصلوا إلى القمة لا يستطيعون البقاء فوقها طويلا لأنهم لا يستطيعون مقاومة الغشيان .

يمكنني القول أن كتاب السيد حربي والكتابات الأخرى المشابهة له في تناول والطرح جميعا تصب في قالب واحد هو قالب التبعية للمستعمر وعدم التخلص من الاستعباد الفكري والحضاري لأن بكتاباتهم تعمدت تشويه الثورة وتدمير وتزوير مرحلة من أهم وأخصب مراحل التاريخ الإنساني الحديث وهو غاية ما يتمناه المستعمر: تشويه ثورة شعب بأكمله لكي يكسبوا رضى وعطف «أمهم الخنون» فرنسا، إذ لا يمكن أبدا ولأبي كان أن يلمع صورة المستعمر مثل كتابات الجزائريين أنفسهم خاصة منهم الذين يملكون «رصيда حضاريا».

وأرد أن أهمس في أذن السيد حربي لأقول له كان من الأفضل لو أنك لم تسرد بياض صفحات مطولة من كتابك عن بطولات وهمة، وكان من الأجدر

لأنك لم تذكر شيئا عن وقائع وأحداث وشخصيات لا تعرف عنها الشيء الكثير، ومن حسن حظك لم يصبك منها ضرر كما أصابنا في الصميم نحن أفراد وجماعات الولايات: الثالثة، الرابعة، الخامسة والسادسة، لم يصبك شيء من الأذى ومن الدمار النفسي الذي أصابنا على يدي مصالي الحاج وجماعته حيث كنت بعيدا عن دائرة الرحى التي كانت تطحن يوميا عظام إخوة وأصدقاء ورفاق عشنا معهم أمتع لحظات العمر ليتني لو كنت أعرف الأسباب والدواعي التي دعت السيد(حربي) على أن يعلن رأيه صراحة في مصالي الحاج ويبرئه من كل ما نسب إليه.

ليتني لو كنت أعرف السبب في كتاب حربي واستخفافه بحزب جبهة التحرير لأن أخوف ما أخافه أن يكون حربي قد انساق وراء أساطير أو أسطورة مبتعدا عن الواقع، انساق من تلقاء نفسه فهو (صعب الانتقاد) قد يعود سبب ذلك إلى مكوثه الطويل في باريس والوظيفة التي يقات منها والحياة المستقرة التي يهنأ بها وإلا كيف ينفي إقدامه وهو المثقف الملتزم والمتزن على إصدار كتاب يجد فيه أشخاصا معروفين بانتمائهم إلى الثورة

وسميء إلى الثورة بكاملها كتاب لم يرض عن عنوانه حتى الشخص المترجم الذي قام بترجمته حيث اعترض على كلمة «جبهة التحرير بين الأسطورة والواقع» اعترض على كلمة الأسطورة وهو الكاتب اللبناني البعيد جسديا عن الثورة .

حربي حقد على جبهة التحرير وجيش التحرير حقدا لا مثيل له لأنه في نهاية الأمر لم «يستطع» ولم يكتب له شرف المشاركة الفعلية في حرب التحرير فبقي على الهامش متصدرا مسؤوليات متعددة جالسا على مكتبه من وراء الحدود مثلما يجلس اليوم وراء مكتبه الفخم في شفته الباريسية الأنيقة .

محمد حربي يعرف كيف يقفز فوق الحقائق وكيف يستميل القارئ، نحو بهلوانية سياسية خطيرة المنهج، ويعرف في آن واحد كيف يتخلص من تبعيته لأي نظام سواء حزب جبهة التحرير أو الحركة الوطنية أو نظام بن بلة، عبر الاستدراك بالكلمات والجمل يحاول أن يقنع القارئ بدهاء في الصراع في حين أن كل سطر من كتابه خاصة السطر الثالث من الصفحة 141 إلى السطر الأخير من الصفحة 143 التي تعتبر بحق من أخطر الصفحات وأكثرها مكررا

من التي كتبها حربي عن الصراع بين جبهة التحرير والحركة الوطنية المصالية وتحت عنوان فرعي سماه (سر انتصار) أعطى حربي حججا وبراهين على سر تفوق الجبهة على الحركة الوطنية المصالية بطريقة أقل ما يقال عنها أنها تعتمد التشويه والتزيف:

(1) يقول: حربي في صفحة 141: تملك جبهة التحرير ميزات مهمة، ففي الجزائر استفادت منذ صيف 1955 (لاحظ التاريخ جيدا) استفادت من التحاق العائلات البورجوازية الكبرى: (ابن قانة ، بوطالب ، ابن صيام إلى بن ونيش) ذكر اسم عشرة عائلات من مجموع سكان الجزائر من الملايين من الجماهير ليستدل بها على أن جبهة التحرير قد أستمدت قواتها ويقائنها من أموال اندماج هذه العائلات بالجبهة حتى أنه أنكّر على (ايف كوريار) وكأن هذا الأخير يتعاطف مع الثورة.

وما ذكره أن عدد المنخرطين فسي جبهة التحرير في فرنسا وحدها بلسخ 2000 عضوا مدعيا أن ذلك العدد مبالغ فيه، وأن البليلة ناجمة عن الخلط بين المناضلين والمتبرعين في حين أن عشرة عائلات التي ذكرها هي الأساس وما عداه خطأ وما عداه غلط .

لم يتوقف عند هذا الحد بل أنه ذكر عن قصد أن جبهة التحرير قد نالها من دم التقدميين الأريبيين مما سهل لها الاحتماء من عيون الشرطة (لاحظ كلمة: الاحتماء) التي تفاضت عن نشاطات جبهة التحرير لأن دعما لوجستيا يحفظ قواتها من القمع، مؤكدا على أن أي أحد من كبارالمسؤولين في الجبهة لم يتعرض لا للاغتيال أو السجن من صائفة 1955 إلى نهاية 1957 باستثناء (رابح بيطاط) في حين أن الأمر يختلف مع المصاليين الذين نالهم الأذى من القوات الفرنسية مدعما حججه بالأسماء فذكر سبعة أسماء فقط ولم يذكر للأسف القائمة العريضة من الآلاف المؤلفة من أبناء شعبنا من الذين امتلأت بهم السجون والمحتشدات اضافة إلى القائمة الطويلة من الشهداء ١٠

(2) في الخارج يؤكد « سي » حربي أن من أهم الميزات التي كانت لصالح الجبهة أن الجبهة بعد أن ارتبطت بالمقاومة التونسية والمغربية، وجدت من

الدولتين المستقلتين مؤازرة حقيقية (في حين ان جميع المنافذ قد سدت امام أعضاء الحركة الوطنية بل أن الحدود الشرقية والغربية تحولت مصيدة يصطاد فيها أفراد الجبهة أبطال الحركة المصالية) أمثال العربي أولبشير، لاحظ جيدا ما وضعناه بين قوسين صفحة 47، 48 من الفصل الحادي عشر.

3) في العالم العربي يقول السيد حربي موافقا ادعاءه عن امتيازات الجبهة. كان دعم مصر لجبهة التحرير حاسما فوضع محطة الاذاعة المصرية (صوت العرب) في خدمة جبهة التحرير والمساعدات الدبلوماسية لها عرف بها وساهم كثيرا في إشعاعها في الجزائر بالذات، وكأنه ينكر على مصر ذلك العمل الايجابي لصالح الجزائر وقضيتها ويحيله إلى عمل لصالح أفراد بدليل قوله، في حين جرى توقيف ممثل الحركة الوطنية المصالية مزغنة والشاذلي المكي في القاهرة وسجنهما بها عام 1955.

لم يشأ أن يذكر ويعدد الأسباب والدواعي التي جعلت الثورة تطلب من القاهرة رسميا نزع جوازات السفر من هذين الشخصين لأن المهم بالنسبة اليه هو تقزيم الجبهة والحط من قيمتها وجعلها أداة لينة بين أيدي البورجوازية الوطنية واليسار الفرنسي ثم الحكومة المصرية .

ويقول أستاذ الصربون : جبهة التحرير الوطني متواطئة مع الشيوعية العالمية وهو التواطؤ الذي لم تتمكن الحركة الوطنية من كشفه علنا لقادة العالم الثالث الشيء الذي أكسبها عدم التقدير من طرف أبرز قائدين عرفهما العالم الثالث وهما (نهرو وسوكارنو).

لو كان الأمر كما ذكره الكاتب (دون تفكير وتروا ومراجعة لتاريخ العلاقات بين الجبهة والأحزاب ودول العالم) لما قال مثل هذا الحديث، فلماذا إذا تأخر اعتراف الدول الشيوعية بالجزائر وعلى رأسهم الاتحاد السوفياتي، لو أن هناك تواطؤا فعلا لما حصل التأخير أم أن في الأمر شيئا آخر لا يعرفه إلا حربي وأمثاله.

4) بكل مهارة واقتدار وبكل قدرة على التلاعب واختيار الجمل والمفردات وحصر الأفكار ضمن دائرة التجريد العبثي والتشويه الممتاز يقول في السطر 24

من نفس الصفحة هذه العوامل رجحت في ساعة امتحان القرة كفة جبهة التحرير لكن الحركة الوطنية لم تزل عسكريا بعد تصفية بلونيس؟

يثبت من خلال تحريره لهذه السطور ان بلونيس كان السند القوي للحركة الوطنية ضد الجبهة، وبالتالي ضد مصلحة الوطن والشعب . أخاله يتألم من فقدان بلونيس وضياعه لأنه شبه خليفته (سي مفتاح) بالبطل، إذا كان الخليفة بطلا فماذا نقول وبماذا نسمى القائد؟

5) لم يكتف حربي بما ذكره من سلبيات عن جبهة التحرير ورجالها المخلصين بل راح يدعو إلى استنهاض الهمم ودعوة المتكاسلين من أعضاء الحركة الباقين على قيد الحياة أن يسלטوا الضوء على هذه المرحلة من تاريخ حركتهم (السطر الأول من الصفحة 142).

نراه يدعو إلى الفتنه من جديد لأنه لم يكتف بأنهار الدم التي سالت خلال حرب التحرير حيث يقول في ذلك أن الحركة الوطنية الجزائرية لم تستطع التقاط أنفاسها من جديد ولم تقاوم الضربات القاسية التي وجهتها إليها جبهة التحرير التي كانت تسيطر كلياً على المحيط المباشر للمدن الكبرى (السطر الثالث من نفس الصفحة).

6) يتساءل الكاتب لماذا نجحت جبهة التحرير، وقبل أن يتيح للقارئ المثقف ويترك له فرصة الرد على سؤاله يجيب نيابة عنه.

هل كان ذلك فقط لأنها جرؤت على اطلاق الرصاصة الأولى، يا له من تفسير بسيط لمحلل بارع!! هكذا وبكل بساطة يقول لنا أن ما نردده يوميا على شفاهنا وما يتعلمه أطفالنا في كتب التاريخ وما اعترف به العدو نفسه من أن الجبهة هي التي فجرت الثورة، هكذا وبكل بساطة يطلق عليها كلمة التبسيط ويتجاهل الحقيقة تجاهلا تاما، بل نراه يقارن بين هذا (التبسيط من وجهة نظره طبعاً) وبين القوة والتعقيد فيما يخص ما قامت به الحركة الوطنية من مآثر وأمجاد وما نال أفرادها من اعدامات وتنكيل بدعوى أن جدارا من المصمت قد لف الموضوع بكامله؟

ليتك لو اكتفيت بهذا السرد الغير المنطقي والغير منهجي وأنت أستاذ الصربون المثقف والسياسي المحنك لبتك لم تواصل مجريداتك السياسية وعبكك

الأدبي حيث تقول في السطر 17 من الصفحة 142 : يجب التسليم بأنه كانت هناك رغبة بوحدة المقاومة (أي رغبة المسيطرين على الثورة حسب تفكيره سواء في مصر أو في فرنسا) وهو لعمري تناقض غريب لا يمكن لأي إنسان أن يتجاوزه أو يتحدث عنه فما بالك وحريري يتحدث عن الأسطورة والواقع .

تناقض صارخ عندما يدعي أن البعض في مصر وفرنسا كان يرى في جبهة التحرير الوطني بديلا عن الحركة الوطنية الجزائرية، وأن جبهة التحرير أداة عصرية علمانية بعيدة عن العروية والإسلام.

التناقض الصارخ يبرز من خلال نقطتين اثنتين :

أولا: نداء أول نوفمبر لا يبحث على العلمانية ولا على الابتعاد عن العروية والإسلام بل على العكس من ذلك .

ثانيا: استخفافه بمصر وفرنسا وجعلهما في سلة واحدة فكيف ذلك، فمصر لا تقبل بغير العروية والقومية العربية... ولا فرنسا تقبل بالإسلام وهي الدولة الأشد تمسكا بالمسيحية ولسنا في حاجة إلى التذكير بالحروب الصليبية التي قادتها فرنسا ضد صلاح الدين أولا ولسنا نحن كذلك في حاجة للتذكير بمواقف الناصرية من القومية العربية فكيف اذا تلقى مصر وفرنسا في تأييدها لجبهة التحرير الوطني ؟

7) يلصق السيد حريري صفة الشيوعية بحزب جبهة التحرير الوطني ودون أن أجادله في هذا الموضوع فاني أحيله ليقرا نص الرسالة التي كتبها الشهيد (بوشمعة لخصر) قبل إعدامه بلحظات أحيله إلى قراءتها ليستفيد منها فيما يخص الشيوعية والشيوعيين) ليستفيد من رسالة رجل عرف مكانة الثورة وقيمتها وعرف كيف يصف الثورة الجزائرية سياسيا في اللحظات الأخيرة من حياته (أنظر الملحق) .

أي جدلية وأي كلام يمكن أن نصدقه ونعتمد عليه في مراجعنا من خلال صفحات كتابه ال 361 صفحة . يذهب السيد حريري بعيدا عندما يتحدث عن حزب جبهة التحرير وكأني أراه يتحدث عن حزب جديد أنشئ اليوم في كاليدونيا أو في نيكاراغوا أو كأنه يتحدث عن تجمع عمالي جديد في إحدى

المناطق الفرنسية عندما يظني الصبغة التروتسكية على الحركة الوطنية والسياسية على حزب جبهة التحرير الوطني فيقول في السطر الأخير من الفصل الحادي عشر:

«ليست المساعدات التي وجدتتها الحركة الوطنية الجزائرية لدى بعض التروتسكيين هي التي توضح الجدل»، إلى أن يقول في السطر الأخير: «هذا التحالف يساهم في الواقع في جعل الحركة الوطنية الجزائرية سلبية» .

(8) وتمتعت عنوان اجتماع عقدها الداخل (1958/12/6) وفي السطر الرابع يقول:

انعقد الاجتماع في شمال قسنطينة بالولاية الثانية إلى أن يقول وقد اعتبر العقيد (علي كافي) أن اجتماع الولايات مناورة من جانب "كريم" نفذها عميروش وأكد أنه حل رموز الرسائل المتبادلة بين الرجلين بهذا الصدد وفي الواقع أن مصالح إشارة الولاية الثالثة لم تعد تعمل وكانت رسائلها تمر عبرالولاية الثانية .

لم يشأ أن يذكر بالتحديد من هو الشخص الذي وشى بمثل هذه المعلومات الخاطئة والذي اتهم بالباطل أشخاصا عرفوا بالوطنية والبطولة لا لشيء إلا لتشويه الثورة، فعلى سبيل المثال فقط (علي كافي) لم يحضرالاجتماع فمن أين له أن يعرف وأن يطلع على الحفل الذي أصاب مصالح الإشارة التابعة للولاية الثالثة وأخبر جماعة الخارج بذلك ونال عن المجهود الذي قام به ما يتمناه.

(9) في السطر 21 من الصفحة 306 يتحدث عن الولاية الرابعة حديث الرجل الجاهل بالأمر الذي لا يعرف حقيقة الأشياء والذي يتشدد بالباطل في حين أن سطوره تقطر سماء، يقول في تناقض عجيب:

في إقليم "أوراليون فيل" والجزائر توجهت الحركة الاجتماعية لشغيلة المزارع الأوروبية منذ شهرجوان نحو طرق جديدة ليس بدون تخبطات ورغم عناد الهيئة المؤقتة وتمت ضغط قائد الولاية الرابعة تجاوبت هذه الأخيرة مع مطالب تلك القاعدة واتخذت تدبيرا يمنع كل شراء لمزارع أو محلات أو منقولات عانده للأوروبيين، لكن الدسائس البورجوازية التي سهلها فساد كوادر الولاية بدأت أقوى ، ففي 9 سبتمبر أعاد مجلس الولاية الرابعة إرساء حرية البيع والشراء.

وعن هذا الجانب حتى لا يقال عني أنني أتفاخر بالولاية الرابعة فإني أحيل الأمر إلى الوثائق الصادرة في هذا الشأن وإلى شهود العيان الأحياء .

في الأخير وبعد أن أعدت قراءة الكتاب البالغ عدد صفحاته بالهوامش والفهرس (361) صفحة أعدت قراءته أكثر من مرة كي لا أقع في أي خطأ وكي لا أسبب في ردي جرحاً لصاحبه (وأنا أعرف أنه شديد الحساسية) أقول له ليترك لم تكتب هذا الكتاب كي تبقى بالنسبة للجيل الصاعد ولنا نحن الجيل القديم أسطورة يتردد اسمها من حين لآخر ويذكرونك بالرغم من أنك لم تشارك مشاركة فعالة في الثورة المسلحة ولم يكن لك نصيب فيها إلا أنهم يتذكرونك لأنك واحد من الأسماء اللامعة التي فصلت على مقاسها بذلة تناسب جميع المناسبات لتظهر بها في المحافل والاجتماعات ومن بينها محافل كتابة التاريخ وتبقى أسطورة من بين الأساطير التي نجهل عنها الشيء الكثير لأنها بدت مجهولة ووصلت إلى قمة السلطة ثم انتهت مجهولة...



من اليسار إلى اليمين: - أرسلان - علان (من موزانية) - العقيد سي احمد بوقرة - العقيد صالح زعيم - يحي بوسماحة (من البروازية) - مصطفى بن الحاج رابع (من المدية) - محمود (شهيد) رئيس مناعة - تصبر (شهيد)، آخرهم توفيق من القليعة (شهيد).
 الجاسون: - بو عدين العربي (أوفي بعد الاستقلال) - لمروسي (مازال حيا) - العقيد الطيب الجغلاوي (شهيد) - حسان بونيسة من المدية (جامعي) - العقيد علي علام المدعو سي شريف (شهيد) - كلاش من المدية

الفصل الثالث عشر جهاز مخابرات الثورة وعلامات استفهام «LE M.A.L.G»

1 - جهاز مخابرات الثورة والأجهزة المضادة «LE M.A.L.G»

لا مندوحة لي في آخر هذه الصفحات من مذكراتي إلا أن أذكر بعض المعلومات ذات الارتباط الوثيق بجانب من جوانب ثورتنا التحريرية وهو جانب المخابرات.

إن في بداية كل حرب وطيلة اشتغالها وبعد استتباب الأمن فيها... لا يتوقف دور المخابرات ولا يكمل بل هي الحرب المشتعلة أبداً وأن كانت في الظل.

حكمتنا فرنسا طيلة سنوات الاستعمار بالاعتماد على أجهزة استخباراتها التي لم يتوقف نشاطها على متابعة ومراقبة أنشطة الجماهير وتحركاتها... بل وعلى الدس عليها، وزرع بذور الخلاف والتمزق بين أفرادها مستغلة جميع معطيات التفجير الديني والعرقى (الاثني) والطبقي... لكن عمل الثورة الخلاق وأسلوبها العنيف في رسم الحدود أمام الجميع... أعاد خلط الأوراق أمام العدو وأبرز قيما جديدة متطورة وصهر المجتمع على أسس قوية... الأمر الذي أفضى الكثير من تحركات المخابرات الفرنسية... لكن هل كان لثورة التحرير جهاز مخابرات يتصدى للعدو؟ وما هو تنظيمه وإمكاناته ودوره الثوري؟ وكيف كان يتصدى لمخططات الأجهزة الفرنسية في الثورة...؟

من المعلوم أن للثورة جهاز مخابرات أطلق عليه اسم «المالِق» «LE M.A.L.G» وقد تأسس خارج الثورة وأن مؤسسه هو عبد الحميد بوصف الذي ظل أهم شخصية مشرفة عليه إلى أن استرجعنا سيادتنا...

وأقر منذ البدء أن هذا الجهاز لم يؤد دوره الذي تأسس من أجله داخل الثورة بل كان وسيلة تصفية حسابات بين قادة الخارج... وطعنة لبعض قادة الداخل واجهت شخصيا جهاز «المالِق» يوم أن عثرت على رسالة الشهيد

بوشمعة لخضر وهي الرسالة الوحيدة التي سلمت من العبث والتمزيق وكان الشهيد مسؤول جهاز أمن الولاية الرابعة في الثورة... اشتملت الرسالة على عبارات تحذرننا من الوقوع لقمة سائغة لجهاز المخابرات الذي لا يعترف بحدود ولا توقفه صعاب... وهو الشهيد الذي وقع ضحية هذا الجهاز ودفع حياته ثمنًا...

وقد أطنب الصحفي والكاتب الفرنسي "Yves Courrière" إيف كوريار في الحديث عن جهاز المخابرات الجزائرية... وإن كان جل ما ذكره مجرد دعاية للبعض وتغميط حق البعض الآخر ومبالغة تصب كلها في هدف تزييم الثورة... وإظهارها كأنها شريط بوليسي محبوب القصة متكامل الأحداث...

اجتهد "إيف كوريسار" كثيرا في الوصول إلى قادة الولاية الرابعة والحصول على معلومات يحشو بها كتبه العديدة عن الثورة لكنه لم يفلح... فلجأ إلى ضعاف النفوس الذين راحوا يحدثونه عن الثورة من صنع خيالهم ووحى تطلعاتهم الشخصية...

في الوقت الذي كانت أجهزة المخابرات الفرنسية تعربد داخل الوطن وتكيد لقادة الثورة وتفتال البعض وتغالط البعض كما جرى في الولاية الثالثة مع قصة "الزرق" "Les bleues"... وتقتفي آثار المخلصين وتمد القوات المسلحة بدقات المعلومات التي تحصلت عليها بالتعذيب أو عبر شراء الذمم... والابتزاز... الخ . في هذه الظروف كان جهاز مخابرات الثورة "المالِق" غارقا حتى النخاع في معارك هامشية بين من هم في قيادة الخارج...

صرح الجنرال "سيمون" بعد اندلاع ثورتنا في قسنطينة فقال : «ان منطقة الأوراس هي فعلا عرين الثورة إلا أن الأوراس سيصبح مقبرة لهذه الثورة».

كان الجنرال واثقا مما يقول ويدرك أن أجهزة مخابراته ممسكة بخيوط المؤامرة... ولم تظل الأيام حتى دبرت عملية اغتيال قائد منطقة الأوراس وأحد أكبر الأدمغة المفكرة والمنفذة لثورة التحرير الشهيد البطل مصطفى بن بولعيد... وقد ترتب عن موته مصاعب لا تحصى سواء في منطقة الأوراس أو خارجها وبقيت ندوب تصفية كبار الثورة إلى اليوم من أكبر الكوارث على مستقبل الجزائر الشائرة والمستقلة على حد سواء..

ومن مخططات جهاز المخابرات الفرنسية ان احد الصحفيين الفرنسيين جاءنا إلى الولاية الرابعة وادعى أنه من أصل مجري... وأنه ظل سنوات عديدة يحاول الوصول إلى قلب الثورة ويجهد في التعرف على المجاهدين لينقل إلى العالم قضيتهم ويحس الرأي العام الدولي بما يكابده الشعب الجزائري تحت نير الآلة الاستعمارية... أتقن الصحفي دوره بحيث أفلح في إيهامنا بأنه صحفي مجري محايد من اللغيف الأجنبي... دفعته رسالته الإعلامية وواجهه الإنساني لأن يتجشم المصاعب والحياة بيننا في الجبال والأودية... ليشهد الحقيقة وبلغها للرأي العام الدولي... بكل أمانة إعلامية.

صدقنا زعمه... ووجدنا فيه ضالتنا... واعتبرنا وجوده بيننا تضحية كبيرة وفرصة يعلمنا فيها بما يجري في السياسة الدولية في تلك الظروف العسيرة التي كنا نعيش انفصالا كاملا عن العالم الخارجي... طلب الينا الصحفي أن نطلق عليه اسما عربيا وكان "جلول" وأكد لنا أنه من محترفي التصوير الفوتوغرافي... لاقت هذه المهنة هوى في نفوسنا... وكان عزيز على قلب المجاهد أن تلتقط له صورة مع رفاقه تحت ظل شجرة أو على حافة نهر... فالصورة هي وسائل استمرارنا على قيد الحياة بطرق أخرى... كان الصحفي لا يرفض طلب المجاهد بل كان يصورنا بمحض إرادته ويوزع علينا صورنا... لكن كان يحتفظ بأصل الصورة... انصهر الصحفي انصهارا تاما في حياتنا وصار يقاسمنا الأتعب والمأكل والإقامة رغم قسوة الحياة... ويتظاهر بالمحبة والعطف والتقدير لعلنا الثوري، ويصفه بالتاريخي والتحريري... وكان يسجل كل ما يراه ويدقق في أسلوب كل منا ويستقي أسرارنا بدافع الفضول والمعرفة... مستعملا جميع الطرق حتى اذا ألم بجميع أسرارنا... استغل أول هجوم كاسح للعدو ضدنا فاختفى... وقد ظننا أنه قتل في المعركة الشرسة... فحزنا عليه أشد الحزن... وبحسنا جادين عن عنوان عما نلته بالمجر حتى نتأكد من مصيره واقترح بعضنا أن نعزي عائلته بعد أن اعتقدنا أنه مات في ذلك اليوم المشهود...

استمرت الثورة إلى أن حققنا النصر وكادت أنسى إلى الأبد "جلول" الصحفي ولما خرج علينا الجلاد الفرنسي الجنرال "ماسو" بمذكراته وقد حملها أجمل الصفحات عن ذاك الصحفي المزعوم... أيقنت يومها أنه جاسوس دسسته أجهزة

استخبارات العدو في صفوفنا.. وكان يدها بجميع أسرارنا العسكرية والتنظيمية والسيكولوجية وعلاقتنا بالجماهير وأسماء المجاهدين والمسبلين الذين كنا على صلة بهم... ولم يترك شاردة ولا واردة الا أحصاها في تقريره المخبراتي. ودس جهاز استخبارات العدو جاسوسا آخر في صفوف المجاهدين في منطقة تنس بحجة أنه مراسل صحفي أيضا وقد أتقن الجاسوس دوره أفضل إتقان وركز في مهمته الاستخبارية على نقطة خطيرة جدا هي تقليد دور القائد في جيش التحرير في كلامه ومأكله وملبسه وبساطته حياته واستقامته وتضحياته ولا سيما الكشف عن سر تعلق المجاهد بقائده وجهه الأبوي له... ولما استبد بالملومات الضرورية غادرنا إلى مركز قيادته... ومن يومها... بدأ بعض قادة الجيش الفرنسي يقلدون نفس الأسلوب وكان خير متقن لهذا الدور "الجنرال بيجار" الذي كان يجمع المظليين ورجال القوات الضاربة ويقوم بينهم خطيبا على طريقة ضباط ثورة التحرير في بساطة وإقناع، وهدوء، ملقنا إياهم مبادئه الوطنية والتضحية من أجل الحرية والمثل العليا... وكثيرا ما امتدت أصابعه لتعبت بأزرار قميصه قائلا لجنوده: «أنظروا إنه قميص بسيط مما تلبسون...»، بل وكان يتقدمهم أحيانا في تنفيذ العمليات... ليوهمهم بأنه شديد الحرص على حياتهم وشجاع يقاتل المجاهدين بعقيدة ووطنية خالصة... وهو بذلك يؤصل فيهم قيما قتالية جديدة لاعهد للجيش الكلاسيكية بها من قبل...

و ذات يوم أرسل الجنرال بيجار رسالة إلى زوجه حملها شكواه وعذابه في ليالي الصقيع وما يكابده من خوف على حياته وأتعاب تنوء بها الجبال... موضحا حالته النفسية قبل بداية كل معركة... وهي شهادة اعتراف من أحد أصلب جنرالات العدو وأكثرهم فاشية... وما ذاك إلا شعور إنساني يصدر عن طبيعة الإنسان الضعيف.

ومن الخطير أنه ما إن استردت الجزائر استقلالها حتى هرع بعض ضعاف النفوس إلى الجنرال بيجار وصافحوا يده الملوثة وترجوه أن يقص عليهم بطولاته في حرية ضد الجزائر وفتحت له وسائل إعلامنا الوطني^(ه)، أبوابها ليروي، من خلالها أحداث الثورة من وجهة نظره الاستعمارية الحاقدة على الجزائر لأجيالنا الصاعدة...

(ه) يقصد الكاتب هنا، أسبوعية «الجزائر الاحداث» - قبل أكتوبر 88 عندما أرسلت لـ

محمد زوي حاوارة بيجار. (الناشر)

2 - جهاز المخابرات وعلامات استفهام ؟

- إن بنية جهاز "المالتق" أو جهاز مخابرات ثرة التحرير لم تقم على أسس غير سليمة لأن هذا الجهاز نذر نفسه منذ البدء لمهمة غير وطنية... بحيث تأسس لأغراض غير أغراض مقاومة أجهزة العدو وتفكيك مخططاتها ومقارعتة على أرض الثورة كما أن عملية اختيار رجال الجهاز كانت خاضعة لمقاييس محددة غير مقاييس الكفاءة والإخلاص للمبادئ..

اختار جهاز"المالتق" بعد تحريات عديدة... الطالب بوخروبة محمد الذي سيصبح فيما بعد العقيد هوارى بومدين... اختاره أو اصطفاه من بين مئات الطلبة الجزائريين الذين كانوا يدرسون في الوطن العربي وفي كافة بلدان العالم لتوفر شخصيته على جملة من الشر وط والمواصفات الخاصة... وجرى تدريبه مع غيره... قبل أن يأتوا به على متن الباخرة المعروفة (ديانة) التابعة لأسطول المملكة الأردنية... وهناك بإحدى ثكنات الثورة المتواجدة بالأراضي المغربية تم تدريب بوخروبة وتلقينه دور المناورة وحروب الظل... وقد تأثر بسلوك معلمه عبد الحميد بوصوف في التآمر والدس والاطاحة بغيره وراح يتدرب على مختلف الأساليب البوليسية إلى أن استولى على عرش السلطة.

وقد شهد بوخروبة... معارك جهاز المالتق في المتاجرة بالسلاح وتكديس المعدات والتجهيزات العسكرية في الحدود الغربية والشرقية... لقد كان نوع الأسلحة والمعدات من العصرية والحداثة بحيث يستحيل على أي كان اقتنائها من معامل الأسلحة الأمريكية... الأمر الذي يحمل على الاعتقاد بوجود أياد خفية تيسر الطريق... أمام البعض لاختراق غابة جهاز الاستخبارات الأمريكية (CIA) والاستئثار بما في المعامل الأمريكية من تجهيزات الكترونية وأسلحة عصرية... كان حلم المجاهد في الداخل الحصول على قطعة سلاح... أو حذاء أوقشابة تقيه جحيم الصقيع فكان عليه أن ينتصر على عدوه القوي... ويفتك منه سلاحه ومؤوته ليكمل مشوار التحرر... كنا نقاتل بخطة طارق بن زياد: العدو أمامنا والجوع والعراء والشر وراءنا... لكن كان سلاحنا الايمان بالله وبالقضية العادلة..

ومن حقنا أن نسأل جهاز "المالق" اليوم عن الهدف من تكديس تلك الأسلحة الكبيرة المتطورة وراء حدود الوطن دون التفكير في إدخالها إلى ساحات المعركة والاحتفاظ بها إلى ما بعد الاستقلال... ؟

إن الرجل الذي كشف لأعيب جهاز "المالق" ومناوراته هو المرحوم (طوالة عبد اللطيف) كان طوالة في زيارة إلى الخارج وبالتحديد إلى المغرب الأقصى وصادف أن رأى فصلا بين جنود الثورة وضباطها في الأكل والإقامة ... فثار ضد هذا السلوك المنافي لأخلاقيات الثورة ورفض أن يتناول وجبته في مطعم الضباط... أغاض سلوكه قادة "المالق" فعمدوا إلى اعتقاله وتأديبه... وقد كان مسؤول سجون "المالق" وقتها المسمى رابع يملك صلاحيات واسعة جدا... ويتصرف بحريات لا حدود لها وقد ثبت رسميا أنه كان عميلا لدى المخابرات الفرنسية فنفاه مسؤولو جهاز "المالق" ليستقر في مدينة طنجة المغربية...

تمكن طوالة من الفرار من سجنه بمساعدة بعض الشرفاء الذين غلبوا على أمرهم من قبل جهاز "المالق"... والتحق بالولاية الرابعة رفقة الدكتور فارس في ظروف لا تطاق... وفور وصوله كتب طوالة عبد اللطيف تقريرا مفصلا عن ممارسات جهاز "المالق" في الحدود الجزائرية المغربية... وعن دوره غير الوطني وممارسته في تعذيب واغتيال المجاهدين الشرفاء... وقد كان لصدمة هذه أثر خطير أدى به إلى التفكير في حل منفرد مع العدو... ودفعه إلى تنفيذ مخططه مع بعض رفاقه الذين خططوا ونفذوا عملية «الإليزي» الشهيرة... غير عابئين بنتائجها على المستوى الوطني وما تسببه من انحراف في وحدة الثورة وإضعاف لمركزها التفاوضي مع العدو... فلولا جهاز "المالق" بانحرافه الخطير ودوره المشبوه ما كان لجماعة الولاية الرابعة أن تنحرف ويأتي عملها كانعكاس شرطي لفعال سابق... إن أزمة الإليزي لم تبدأ على قمة ربوة في الجزائر وإنما بدأت في زنانات جهاز "المالق" ومكاتبه في مدينة وجدة المغربية... إن التآمر على الثورة جاء من بين جنبات أولئك الذين كانوا يفكرون في مرحلة ما بعد الاستقلال بعيدا عن مخاطر الموت الذي كان يترصد الثوار في كل ثانية... .

كانت الثورة في الداخل تعاقب المجاهدين لأبسط الأسباب حفاظا منها على سلامة الخط الثوري وضمانا لظهر صفوفها... فكانت تكفي سيجارة يشعلها

بعضنا بعد صدور أوامر تحريم التدخين حتى يجدهم أنف المدخن أو أن ينفذ فيه حكم الإعدام إذا زنى... في الوقت الذي كان فيه ضباط الخارج يرفلون في نعيم البذخ والترف ويغدقون على عناصر "المالط" الأموال والأوسمة بحيث كان هؤلاء العناصر يرسلون في حافلة خصوصية مكيفة من وجدة إلى مدينة الدار البيضاء مرة كل أسبوع للترفيه والاستجمام وكم كانت زيارتهم الصالونات الليلية وعيادتهم الحانات للعريضة والمجون... محفوفة بالأخطار... في مناطق موبوءة وملغمة بجواسيس المخابرات الفرنسية "والأنتربول".

لقد تمكنت المخابرات الفرنسية أن تتسلل إلى صفوف أولئك الشباب في لحظات الخمر والبهذيان... وتفتصب من أفواههم معلومات قاتلة . بحيث تمكنا من معرفة العدد الإجمالي الدقيق للجهاديين الذين يغادرون الحدود الغربية باتجاه الداخل، ونوعية الأسئلة التي يحملونها وأرقامها والطرق التي يسلكونها وأسرار الاتصال وقد تمكنت بذلك قوات العدو من إبادة أكثر من مائة مجاهد دفعة واحدة... ولم تنج من المجزرة المنظمة إلا فصيلة واحدة (25 مجاهد) بعضهم مازال على قيد الحياة إلى اليوم يذكرون عجائب وأهوال تلك الكمائن التي كانت تنصبها لهم قوات العدو بدقة وإتقان مستغلة جميع معلوماتها التجسسية ...

أدرنا بما لدينا من معلومات.. خطر التجسس على مصير الثورة فاعتدنا على أنفسنا ووضعنا منها وقائيا في إطار جهاز يتولى شؤون الأمن داخل حدود ولايتنا ... وينسق بطريقة سرية مع الولايات المجاورة لنا... ومن بين المهمات الناجحة التي نفذها هذا الجهاز...هي انتقاء أفضل العناصر من المجاهدين واقناعهم بدور التجسس على العدو داخل صفوفه... وذلك بعد أن أخضعناهم إلى تقارين دقيقة تتعلق بسلوكهم داخل ثكنات العدو... وبكيفية الحصول على المعلومات مع مراعاة الأولوية والخطورة... ومنحناهم وثائق مزورة مكتهم من دخول ثكنات العدو على أنهم عملاء... مطاردون من قبل جيش التحرير ونشيع في القرى والمداشر خبر خيانتهم وعمالتهم... وكانوا عيوننا الحارسة داخل قلاع الحصينة... إن المجاهد وجواج عبد القادر الذي مازال على قيد الحياة ما فتئ يتذكر تفاصيل تلك المرحلة وطريقة تحنيد وزرعه في صفوف العدو... وقد نجا بأعجوبة لما اكتشف أمره الأعداء... بعد أن أخبر عنه أحد المحافظين السياسيين في ولايتنا وكان هو الذي كلفه بتلك المهمة الصعبة؟ .

إن ضحايا جهاز "المالِق" من المجاهدين المخلصين كثيرون... في المغرب وتونس ومصر الخ.. فقد جرى اغتيال خيرة المجاهدين لأنهم رفضوا الانقسام... وثورة القصور والمهرجانية السياسية تحت أضواء أجهزة الكاميرا... وكان من ضحاياها الشهداء لعموري وعبان رمضان، وطالبة عيد اللطيف... وآخرون... ألم يكن بالإمكان سجن هؤلاء الرجال أو معاقبتهم عقاباً آخر لا يرقى إلى درجة الاغتيال الجبان...؟ ومهما كانت أسباب الاختلاف معهم أيعقل أن يعذب بطل كلعموري أو عبان...؟ أو أن يدفع بالعقيد لطفي ورفيقه لأن يموتا ميتة فيها من السببة والإهمال ما يحمل على الشك والريبة...؟ امتدت يد جهاز "المالِق" لتفتال أحد الجزائريين في القاهرة... وادعت كذبا أنه انتحر بأن رمى نفسه من الطابق الخامس في العمارة ... لكن جهاز المخابرات المصرية الذي كان على بيّنة من تجاوزات بعض رؤوس "المالِق" اكتشف الحقيقة ووضح المجرمين أمام الأمر الواقع.

كان بإمكان جهاز المالِق أن يقدم خدمات جليلة للثورة في الداخل والخارج لو لم يرتبط بدعم مراكز نفوذ بعض قيادة الخارج ... ولم يتورط أعضاؤه في تصفية رجال الثورة والتجسس عليهم... إن الدعايات المغرضة التي أفسوها بحق وبدون حق عن تجاوزات بعض القادة في الداخل... من ذلك ما أشيع عن القائد عميروش بأنه أمر بقتل عشرات المجاهدين في مؤامرة دبرتها له مخابرات العدو بالدرس والمؤامرة... هذه الدعاية وإن صح بعضها فله ما يبرره... لأنه ليس بإمكان أي قائد في الداخل تحيط به الأخطار من كل جهة وتربص به المؤامرة على الثورة من كل صوب أن يتسع له المجال فيحاكم المتهمين في هدوء ويتثبت في أمرهم، ومن أين له أن يعرف حقيقة المخلص من العميل..؟ أن الجرم كل الجرم أن يفتال المالِق مجاهدي الثورة على أرض أخرى باسم تهم شخصية لا تمت إلى الثورة بصلة...

أليس من واجبتنا اليوم أن نسأل من المجرم...؟ ومن بحق عليه إدانة التاريخ... أهم أولئك الذين امتلكوا القوة باسم الثورة ووضعوها في قتل إخوانهم المجاهدين...؟ أم رجل جاهد في ظروف لا تطاق... فاخطأ وأصاب وكان خطؤه واصبته في سبيل إرضاء الله والثورة، إلى أن استشهد على قمة جبال الجزائر... ولم يعرف عميروش يوماً بذخ القصور... وتقاعس الصالونات... وكانت أقرب إليه من لمس الوريد لو أراد؟

تطورت علاقة رجال المالح مع جهاز المخابرات الأمريكية (CIA) لتصبح علاقة صفقات مربحة ومناجاة بمعلومات خطيرة... وما الصفقات الاقتصادية الخيالية مع شركة استغلال النفط الأمريكية في الجزائر (EL PASO) البازو، إلا أحد ثمرات قرصنة رجال المالح ضد أمن الثورة وثروات الجماهير الشعبية.. كشف الطالب الجزائري مقداد الحافظ أثناء بحثه وتنقيبه في وثائق خاصة بالطاقة النووية بمعهد الدراسات الاستراتيجية كشف معلومات سرية تؤكد أن الولايات المتحدة الأمريكية نابت عن الحكومة الفرنسية في البحث والتنقيب عن البترول وتحديد نقاط تواجده في الصحراء نظرا لما لديها من وسائل رصد المعادن وحفر وتكرير مادتها وميزتها في توظيف الأجهزة الالكترونية المتطورة... وقد تمكن الأمريكيان من معرفة مصادر الطاقة في صحرائنا وتحديد أماكن تواجده في جوف الأرض... لكنهم أخفوا كل هذه المعلومات عن الحكومة الفرنسية التي كانت تخوض حربا ظالمة ضد الشعب الجزائري... واحتفظوا بها إلى ما بعد استرجاع السيادة الوطنية بالتنسيق مع بعض رجال المالح الذين تولوا القيام بدور المفاوضات في الاتفاقيات مع شركة البازو الأمريكية...

إن جهاز المالح ضليع في تعامله مع جهاز المخابرات الأمريكية والتنسيق مع دوائره... الأمر الذي دعم تحركاته في الترصد وتصفية الكثير من قادة الثورة... وممكنه من امتلاك قدرات محسسية بأدوات متطورة وأجهزة حديثة كان بإمكانه أن يخصص بها الثورة ورجالها فيتصدون لمخططات أجهزة الاستخبارات الفرنسية التي كانت ترتع بحرية في حقل الثورة على كافة التراب الوطني وخارجه.

الخاتمة

بلا حظ القارئ أنني لم أضع بين يديه كتابا مؤسسا على منهجية علمية مرسومة الأبعاد ومدروسة المحتوى، وإنما طرحت عليه بعض انشغالاتي وهمومي العامة كما عشتها وعايبتها بعفوية المجاهد ابن القرية... وصدق المناضل الذي لا يعتقد أن السياسة هي احترام الوصول إلى الكرسي والاستدامة فيه، مهما كانت الوسيلة التي توصله لهذه الغاية... وإنما السياسة هي مواصلة رسالة الجهاد التي فطرت عليها بأسلحة مغايرة...

إذن لا أدعي أنني أخرجت إلى الناس كتابا في التاريخ أو السياسة أو الاجتماع... ولكن كل ما أصبته من غرضي إنما حررت إرادتي من عقدة الصمت... فألقيت بعض ما في نفسي من تراكم التجربة التي عشتها مع رفاق درب التحرر وعشاق الشهادة، إن في مرحلة الثورة المسلحة أو ما بعدها... وسجلت لطلاتها المثقفة الواعية بعض ملاحظاتي ومعاناتي وآرائتي... على تعلاتها، أملا أن تكون لهم مادة أولية.. ومقدمة بسيطة إلى جانب محاولات عديدة لرجال جيلي ممن عاشوا نفس المرحلة وواجهوا نفس الامتحان الصعب.

إن سنة الله في خلقه أن يرث الخلف السلف، وأن يأخذوا عنهم ما يفيد وينفع ليجعلوه منطلقا إلى أهدافهم التقدمية.

ولا أحسب أن أعز شيء على طالب الحقيقة التاريخية من أن تقدم له شهادة أو وثيقة... أو معاناة صادقة... ولو كانت شخصية وغيرمحصنة... لأن ذلك يجعله في مأمن من الفراغ القاتل والشك المريب... ناهيك إذا كانت هذه الوثيقة أو الشهادة من مجاهد أو مناضل عاين الأحداث أو كان من صانعيها... فكل محاولة وطنية على تواضعها وبساطتها تعد كنزا لا يفنى لعقول المستقبل ومكتبات الأجيال الصاعدة... وتعتبر ترسا واقيا لهذه الأجيال من حملات

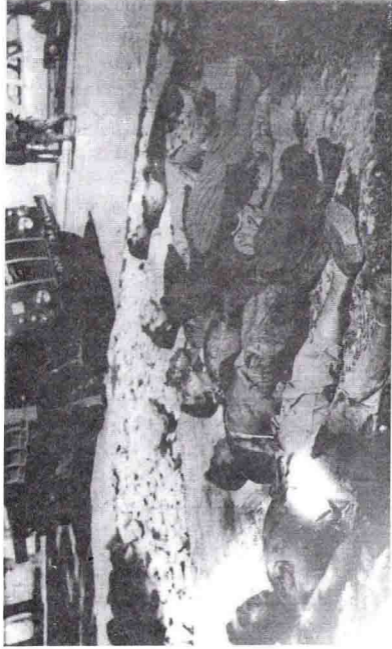
التشويه والتحريف المعادية... التي تريد بدعايتها هدم مالم تستطع هدمه بالسلاح
والجيوش الجاراه...

أعتذر لدى القارىء من فرط ما علق بهذه الصفحات المتواضعة من تكرار
وأخطاء وذاتية... وعدم الالتزام الصارم بمنهجية محددة في الأسلوب والمحتوى...
وأعد القارىء بأني رغم وعيي بضعفي... سأحاول أن أقدم الجزء الثاني من هذه
المحاولة في وقت لاحق علني بذلك أخفف من وطأة الضمير على نفسي وأني
بالوعد الذي ضرته على نفسي مع الشهداء والمخلصين من أبناء هذا الشعب
العربي المسلم.

وما توفيقى إلا بالله فهو خيرموجه وخير نصير.

لمنظر بورقعة

الجزء ١٠ سبتمبر 1990



صورة لمجزرة قام بها رجال الحركة القومية ضد المواطنين في شلالة العداورة (المنطقة الخامسة بالولاية الرابعة).

الملاحق

**قيادة الولاية الرابعة تنتقد الحكومة المؤقتة
وجهاز مخابراتها**

هذه ترجمة للرسالة التي بعث بها سي لحضر بوشمعة ، مسؤول جهاز الاتصالات والأخبار (المالئ) بالولاية الرابعة، إلى أعضاء الحكومة المؤقتة . وهي رسالة طويلة كتبها الشهيد سي لحضر بوشمعة في شكل تقرير انتقد فيه أعضاء الحكومة المؤقتة وعناصر المالئ. ونظرا لكون الرسالة تحتوي على انتقادات شديدة اللهجة، ارتأينا نشرها وترجمتها إلى اللغة العربية إلى جانب النسخة الأصلية، وهي النسخة الوحيدة الموجودة عند سي لحضر بورقعة (توجد نسخة مصورة من هذه الرسالة محفوظة في أرشيف الثورة). عندما تلقى السيد عباس فرحات هذه الرسالة من طرف الشهيد سي لحضر بوشمعة كان يعتقد أن صاحبها هو السيد لحضر بورقعة! وذات يوم، التقى السيد فرحات عباس بسي لحضر بورقعة خلال اجتماع الحكومة المؤقتة وقال عباس لأعضاء الحكومة: «هذا السيد - يقصد بورقعة - هو الذي شتمنا وانتقدنا في رسالة وجهها لنا...» . وهكذا اعتقد عباس فرحات بأن بورقعة لحضر هو الذي بعث هذه الرسالة . ومن هذه الواقعة يبدو أن رئيس الحكومة المؤقتة كان لا يفرق بين الرائد بورقعة (لحضر ومسؤول الاتصالات والأخبار سي لحضر بوشمعة) (الناشر) .

الجمهورية الجزائرية

جبهة وجيش التحرير الوطني

الولاية الرابعة

إلى الحكومة المؤقتة

منذ ستة سنوات خلت تقريبا اختار عدد قليل من الوطنيين الجزائريين طريق الجبال من أجل استرجاع حرية هذا الوطن وكرامته، كان هؤلاء الوطنيون بدون إمكانيات مادية لكنهم كانوا مسلحين بإيمان قوي وبروح التضحية الكاملة، تتجاوزين بذلك حدود التصور الإنساني ومنطق الأشياء انها ثورة الشعب مستبعد في سبيل الحصول على حقوق الإنسان الأساسية من حرية وكرامة وعدالة في ظل التقدم والاستفادة المشروعة من ثوراتنا.

وما لبثت هذه الشعلة أن انتشرت، ترعاها وتغذيها، ملايين النفوس المتحمسة من أجل إنجاز هذه المهمة النبيلة، وبأسرع ما يمكن أخذت تندفق على الوطن موجة عارمة من الأمل توقظ الضمائر وتحول آهات المضطهدين إلى صوت جعلنا نستشف فجر التحرير اللامع منذ السنة الأولى من الكفاح .

ومنذ ذلك الحين شاهدنا العملاق الفرنسي يترنح عدة مرات، غير أن آمالنا في النجاح لم تكن لتتحقق بصفة كاملة .

لقد استشهد رواد الثورة واختفى عدد كبير من الرفاق وما زالت أرواح ديدوش وبن المهدي وبن بولعيد وزبيروت محوم على الجبال، لكن الفراغ الذي تركوه وراحم كان من الاتساع بحيث جعل الأعباء تتراكم على كواهلنا . وشينا فشيئا تغير وجه ثورتنا تغيرا يعرف اتجاهه جميع المجاهدين .

لقد عشنا كل حدث وكل مرحلة من مراحل هذا التغيير في الجراح التي في أجسادنا، وفي نزاعاتنا وخيبة آمالنا وفي مصاعبنا وتداؤنا التي لم نجد من يستجيب لها .

فلتقدم الحساب مع بداية السنة السادسة من الكفاح: لقد دفع الشعب الجزائري الباسل الضريبة، في السجون والمحتشدات ما انفكت تجلجل بأهات إخواننا المناضلين فليس هناك عائلة واحدة لم تبك واحدا من ذويها، ولم يبق منزل ولا كوخ لم يعرف الحرب بما تحمله في طباتها من بؤس ودموع وآلام، ولم تنج من فداحة القمع أية فئة ولا طبقة: بن زرجم والعربي التبسي، وجميلة والآلاف بل مئات الآلاف من المواطنين أغنياء وفقراء، نساء وأطفالا وشيوخا، هؤلاء جميعا استجابوا لنداء التضحية في سبيل الحرية وشرف وطننا العزيز.

فهل نحن بحاجة إلى ذكر المآثر السامية والأعمال البطولية التي قام بها الفدائيون الجزائريون؟ .

إن عددا لا يحصى من قبور الشهداء تملأ قمم وواد التراب الوطني العزيز. لقد كتب جيش التحرير الوطني بدمه صفحات من التاريخ ستمسجل بين أروع صفحات الحروب التحريرية، وبذل الشعب والمجاهدون كل ما في وسعهم بذله والعالم أجمع يشهد على ذلك، أننا نعلق مختلف عوامل النصر بإرادة الشعب، ودعمه المعنوي والمالي، وطاعته العمياء للمبادئ الثورية، بالإضافة إلى ما يتحلى به جنود جيش التحرير الوطني من روح قتالية تثير الإعجاب واستعدادها: إنما للتضحية القصوى .

إن العديد من الشعوب الشقيقة لا تبخل علينا بدعمها المعنوي والمادي وفي كل مرة يكون النجاح في متناولنا نضيق فرصة النصر الحاسم، لماذا؟ إن الشرعية التي تمنحها لنا مشاركتنا الدائمة في مختلف ميادين المعركة والشرعية التي تركها لنا الرواد

الذين اختفوا، تعطينا الحق وتفرض علينا واجب البحث والتشديد بمختلف الوسائل،
عن الأسباب المؤدية إلى إضعاف الطاقة العسكرية للثورة .

لقد نظرنا في دور الشعب والمقاتلين في الكفاح فلم نجد تفسيراً خطيراً أولاً
يمكن إصلاحه.

علينا إذا بالبحث عن التقصير أو الخيانة في الهيئات الاعتبارية كأجهزة قيادة الثورة
والتي ما انفكت تمارس نشاطاتها خارج التراب الوطني وإن كان القيام بالثورة وبالواجب
يمكن أن يسوقنا خارج ميدان القتال، للاضطلاع بمهام يمكن ويجب أن تكمل انتصارات
العمل المسلح...

إن تمثيل الشعب الجزائري المكافح أمام العالم الخارجي، مهمة ثقيلة تستلزم رجالاً
نبلاء ذوي شجاعة من بين المجاهدين يبرهنون على قدراتهم الثقافية والأخلاقية .

بيد أن عدداً كبيراً منا أصبح يعرف منذ وقت طويل أن أعضاء قيادات منظماتنا
الخارجية فقدوا أهلية تمثيل كفاحنا ومنذ وقت طويل جاء المقاتلون العائدون من الخارج
وبعض الإخوان الذين عرفوا بفضل مسؤوليات هؤلاء الناس عن كذب بالدليل القاطع
على أن الحكومة المؤقتة وحاشيتها قد حادت عن الصراط المستقيم .

فالهياة العليا للثورة أصبحت عبارة عن شرذمة من المفامرين ومن ذوي الطموح غير
المشروع الذين ينتفعون بكفاحنا لا يترددون أمام الاغتيال والاختطاف والرشوة
والابتزاز لإشباع غريزة السيطرة وتكوين شخصية مناسبة لهم. فالبعض يبعث بأموال
الثورة أمام اللإ، بينما يقاتل يتامى الحرب في الرنترس والقطاع الشرسالي
بالأعشاب والبعض الآخر غارق في اللامبالاة وعدم الاكتراث والجهل والصمت مما يجعله
شريكاً في الجريمة أسوة بالآخرين .

ولكي نفهم جيداً النتائج التي نريد الوصول إليها، يجدر بنا التذكير ببعض الأحداث
والقرارات المؤسفة وانعكاساتها على مجرى كفاحنا. ففي صائفة 1956 تلقى الشعب
والمجاهدون بشيء من الذهول التعليمات الأولى المتعلقة بإضراب الأيام الثمانية التي
ظهرت علامات الفشل منذ الأيام الأولى للإضراب، وتخلّى المضربون عن تعليمات
القيادة، وجاءت نهاية الإضراب لتكريس الهزيمة السياسية والنفسية وحل معظم
تنظيماتنا عبر الجزائر وبالعاصمة خاصة، الأمر الذي انتزع منا حظوظ دعم وتيرة الكفاح
بالدرجة التي تجرّب فرنسا على التفاوض، وهكذا أضعنا أفضل الأوراق الراححة التي
كانت بيد الثورة، مما جعل العدو يتعنت في مواقفه، والتزاع بطول مع كل ما يحمل من
نتائج وخيمة معهودة : أي مئات الآلاف من القتلى .

إن المسؤوليات لم تحدد أبداً، بل أن المسؤولين المعنيين بتلك الأخطاء تحصلوا عل
مزيد من الترقية.

وكذلك الشان بالنسبة للإضراب عن الدراسة، هذه البدعة الحقيقية التي تقورت
اعتباطيا، وبدون اتخاذ الاجراءات اللازمة لاستقبال المضربين والاستفادة العقلانية
الكاملة من الطلبة الشبان .

وإذا كان قسم كبير من العدد الهزيل، الذي التحق بصوفنا قد سقط في ميدان
الشرف، فكثيرون هم الذين لم يعودوا يؤمنون بالنصر من جراء خيبة الأمل والضياع
الناجم عن النقصان وقلة التفهم .
وكانت نتيجة هذا الخطأ ما يلاحظ في صفوف الطلبة من تحفظ على الالتحاق
بجيش التحرير الوطني.

ويتسم عمل قيادة الخارج على الصعيد الدبلوماسي بديماغوجية إجرامية ففي الوقت
الذي يتهم عمرأو صديق بالحيانة العظمى مجده على رأس وفد في زيارة للصين.
إن الشعب والجيش لا يمكن أن ينسياهاته الإهانة التي ألحقت بشهادتنا، ومن العبث
تعداد التصريحات المتناقضة والمضرة والتي تثير الغضب، وكانت نتيجتها المباشرة
مزيدا من الضرر بقضيتها، فلنذكر على سبيل المثال شعارات مثل: "البترول لن يمر" في
حين أنه بعد بضعة أشهراحتفل (دبري) وأصدقائه بتوصيل أنابيب البترول إلى بجاية!
ولا تتحرج الحكومة المؤقتة، عشية انقلاب مناهض للثورة في الجبال، من التأكيد
بنوع من اللاوعي الجنوني على إرادة الشعب بمواصلة النضال عشرسنوات أخرى،
لكن الحيانة الصارخة نلاحظها في الميدان العسكري، لأن جميع المجاهدين يرونها
ويشعرون بها.

ففي 1957 ولم يكن خط موريس قد مد بعد، لم نستطع أبدا الحصول على الأسلحة
التي كانت تتعرض للتلف بمخازنها في الشرق والغرب^(٥)، لقد كان الحصول على
الأسلحة وتوزيعها يتم لصالح الولاية الخامسة، التي كان قادتها يمنعون عبور وحدتنا
المكلفة بنقل السلاح بحجة أنهم يتكفلون بالنقل بأنفسهم .

وبالفعل كانت آلاف القطع الخفيفة والمدافع الرشاشة الموجهة إلى جبال الوسط، تضيع
في الطريق. هذه القضية الخطيرة المتمثلة في السرقة أثناء الحرب، لم تر النور أبدا رغم
كل مساعينا وقد كان هذا العمل الاجرامي سببا مباشرا في موت آلاف المجاهدين العزل
من ولايات الوسط، وآلاف من الشباب الذين ذهبوا إلى تونس بحثا عن أسلحة سرقها
منهم وحوش مجرمون، هؤلاء الوحوش المجرمون هم قادة الولاية الخامسة بالأمس

(٥) يقصد تونس والمغرب - الناشر.

بوصف ويومدين والذين يسكون اليوم بمقاليده الأمور في الحكومة المؤقتة مع شركائهم كريم بلقاسم وعمر أوصديق .

وقد التزمنا الصمت لحد الآن حفاظا على وحدة الثورة، وعلى أمل أن يزول هذا المرض، وأن ينهض رجال نزهاء لتصفية هولاء المقامرين، وما زلنا لحد الآن نتحفظ على كشف بعض المظاهر وبعض الحقائق المنافية للأخلاق والتي تعني الفاسين المقيمين بالخارج، لكن السكوت في الساعة الراهنة يعني المشاركة في الخيانة التي تخرب ثورتنا، لقد تفاقم المرض وكل تأخر من شأنه أن يقلص من حظوظ حماية الحقوق التي اكتسبناها طيلة خمس سنوات من التضحيات .

فالماضي السياسي الغامض لبعض الخونة في الخارج وميولهم السياسية الحالية وأساليب الخيانة التي استعملوها للوصول إلى غاياتهم، بالإضافة إلى الموقف الراهن للشبيوعيين الجزائريين بالتنسيق الكامل مع الحكومات الاشتراكية أو شبه الاشتراكية كل ذلك لا يمكن إلا أن يثبت قناعتنا في هذا الصدد. لقد بسطت المادية الملحدة رقابتها اليوم على المنظمة الخارجية هذه المادية المفرضة المناققة التي قاومها العديد من الشهداء، لقد نهنا في كثير من المرات إلى محاولات تفريغ الجبال من قبل الشبيوعيين، وبعد القضاء على هذه المحاولات في المهدي أبعد المناضلون الحمراء والمتعاطفون معهم إلى الخارج، وقد كشفت عملية وقف استنطاق مناضل شيوعي تسلل إلى صفوفنا فيما بعد النقاب عن أساليب الشبيوعيين وتعليماتهم وأهدافهم: أنتشويه المنظم لسمعة إطلاقات الجبهة وسياستها، وضرب معنويات المجاهدين، والإضعاف المادي لجيش لتحرير مختلف الوسائل وحتى بتسريب معلومات إلى العدو إذا اقتضى الأمر، المهم هو تحقيق هدف تخريب الثورة من الداخل، وتمكين العناصر الشيوعية من الوصول إلى مراكز القيادة كأمر ضروري في نظر الجماهير، وبعد فشل هذا المخطط في الداخل اتجه الشبيوعيون إلى الخارج حيث نجح مشروعهم في اتجاه الرأس المتعفن الذي يبدو سهل المنال.

لقد استطاع قادة العصابة الحالية تجميد كل معارضة والظهور بمظهر المدافع الصالح عن القضية الجزائرية، وذلك بتوظيف غضب البعض تارة وجهل البعض تارة أخرى، وإيقاع آخرين في الخطأ، وخنق الرجال النزهاء بواسطة تشويه سمعتهم. وفي الساعة الراهنة وبعد معرفة وسائل وأهداف الثورة المضادة ومصدرها الحقيقي، يحق أن نتساءل عن الأسباب والظروف الدقيقة لتصفية بن بلة وبن مهدي، وعبان وبن بولعب وغيرهم من المسؤولين الذين اختفوا في ظروف غامضة .

إن كفاحنا وانتصاراتنا لم يكن ممكنا إلا بفضل الاندفاع (الصوفي) لشعبنا المهدي بالمسح، وثورته من أجل الحفاظ على التقاليد المداسة وبعث لغته المحاصرة ودينه المشوه

وشرفه المدنس، لكن بعد خمس سنوات من الكفاح العنيف والتضحيات الجسيمة ها هو الشعب الجزائري وجيش التحرير مهددان مرة أخرى من طرف الأبرياء الجديدة الملحدة التي وضع مرتشو المنظمة الخارجية أنفسهم في خدمتها .

إن هذه الأبرياء لا تقل خطورة عن سابقتها لأنها تستهدف أيضا الخضوع إلى قوى خارجية بل ربما كانت أخطر لأنها لا ترمي إلى استبعاد الأجسام وحسب بل كذلك إلى خنق النفوس وكل القيم الروحية.

إن جزائرتنا الشهيدة المنهكة بضباع خيرة أبنائها الذين سقطوا تحت ضربات الحيانة، لن تلبث أن تسقط فيما يعانيه الشعب العراقي البائس حاليا من تمزقات وجرائم، فالكفاح النفسي مهم في الحرب التي تخوضها وكل ثوري عليه أن يأخذ ذلك بعين الاعتبار، لا سيما إذا كان يتحمل مسؤوليات كبيرة، فأعمالنا وتصرفاتنا وأقوالنا ينبغي أن تكون مدروسة وموجهة بالمبادئ المقدسة للشورة .

فكم من الجزائريين وجنود جيش التحرير الذين أنزل بهم شديد العقاب رغم مواقفهم الشجاعة أحيانا، لانهم حادوا عن مبادئ الأخلاق، أو ضعفوا في القتال أو أضعوا سلاحهم أو ارتكبوا أخطاء في التقدير كانت سببا في موت بعض الإخوان لكن ما أكثر ما حاد الغاصبون بالخارج عن مبادئ الأخلاق والشرف والشورة .

إن الجيش الفرنسي رغم قوته الجبارة وأساليبه اللإنسانية لم يلق من الأذى بجيش التحرير طيلة خمس سنوات، ما ألحقه به خونة الخارج في سنة من التسيير المدمرة، وعليه فإن هؤلاء الأشخاص يستحقون الموت والحزني الوطني .

إن عدالة الشعب ستعرف عاجلا أو آجلا كيف تقتص من هؤلاء المجرمين، وهناك بلاء آخر خطر ينبغي التنديد به يكمن وراء هؤلاء الخونة للأمة، لأنه يدعم ويفطي ويزكي الأعمال الشريرة الصادرة عن الغاصبين أعضاء الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، وهذا البلاء هو من صنع أفراد أو حكومات أجنبية تدعي أنها شقيقة لنا في العرق والدين، وتزعم أنها صديقة لقضيتنا، لكنها مع ذلك شاركت بطريقة أو بأخرى في المؤامرة الكبرى على الثورة بسبب تردها وعلاقتها الاقتصادية والدبلوماسية مع فرنسا، إن أعمالهم أو قلة أعمالهم الإيجابية تكذب أقوالهم، إن تضامنهم ليس في المستوى الذي تفرضه عليهم صفتهم كعرب وكمسلمين في حالة الجهاد .

لقد أصبح كفاحنا مجرد وسيلة للبروز أمام الرأي العام وتكوين شخصية ومكانة دولية لكسب تعاطف الشعوب.

إنهم يتباكون على بؤس ومعاناة الشعب الجزائري في الصحافة والاذاعات، لكن لحد الآن مازال الشعب الجزائري الشهيد يكافح وحده أعظم دولة استعمارية

ومسيحية في العالم، ليس في سبيل تحرره فقط، بل من أجل شرف الشعوب العربية والإفريقية ونهضة الإسلام، مقدما بذلك درسا لمجاهدي الصالونات. وأبطال المآذب وحفلات الاستقبال...

إننا لم نعد نقبل أن يظل المليون من شهدائنا مجرد شعار إلهاري، والآن وقد فقتت الدملة من العبث أن نتوقف طويلا عند الادانات، فما وقع وقع، ويتعين علينا أن نفكر في الوسائل والأسلوب الذي ينبغي اتباعه لإيجاد مخرج من المسدود الذي أوقعتنا فيه السياسة المدمرة للحكومة المؤقتة .

ومن الأكيد أن العديد من مقاتلينا ومناضلينا يتساؤلون مثلنا في الوقت الراهن عن تحقيق أهدافنا، ترى ما هي وسائلنا بالتحديد؟ هل يمكن أن نطلب بمثل هذه الوسائل مزيدا من الجهد من الشعب ومن جيش التحرير الوطني؟ وإلا فما هو الطريق الذي ينبغي اتباعه لضمان وترقية حقوقنا في تقرير المصير المعترف بها لشعبنا؟

إن قادة الجيش بالداخل كانوا دائما على أتم الاستعداد لمواجهة العدو حتى في الساعات الصعبة من كفاحنا، رغم قوة العدو الضخمة، والحياة الداخلية والخارجية. فسمعة الجزائر الشهيدة، ومصالحة الأمة العليا، هي القضية الوحيدة، والهدف الوحيد لجهود هؤلاء الصحفيين.

إن اطلاعنا على واقع الأمور وبصفتنا مسؤولين على المجاهدين، لم يعد يسمح لنا أبدا أن نضحى بعد الآن بجزائري واحد، وبناء عليه ينبغي أن نوقف المعركة العسكرية فوراً وندخل المعركة السياسية خدمة للمصلحة العليا للشعب والجيش. وفي الوقت الراهن فإن موقعتنا يسمح لنا بمعرفة ما يمكن إنجازه وما مدى تأثير التصريحات التضامنية الصادرة عن جماعة الخارج والبلدان الصديقة. ومن الواضح أن النظام الاستعماري القديم هو بصد الزوال من على سطح المعمورة كلها. ومن المؤكد أن جيش التحرير الوطني ساهم بقدر كبير في ذلك .

وهناك استعمار آخر لا يقل خطورة ونذالة عن الاستعمار القائم، لأن يراهن على الشهداء وعلى بؤس الشعوب وآلامه، وهذا الاستعمار يتمثل في ديكتاتورية البديع والظمرح المريض الممره بضرورات كاذبة كالوحدة العرقية والأيدولوجية أو الدينية والتي تؤدي في نهاية الأمر إلى نظام سياسي أساسه عبادة الشخصية والعنف الاقتصادي والاجتماعي أي إلى حرية وهمية واستقلال مستلب . -

لقد عانينا كثيرا لهذا يجب أن نعمل على تهيئة الظروف المواتية لنجعل من وطننا قوة حقيقية، وينتهي أن قوة أي بلد يطمح إلى الاحترام وتبوؤ مكانة مرموقة بين

الأمم، لا تكمن في الحطب الجميلة ولا تتوقف على بضعة أسراب من طائرات الميغ وإيليوشين السوفياتية. إن القوة الحقيقية تكمن في المقدرة على مواجهة مختلف المشاكل التي تطرح نفسها على كل بلد مستقل.

القيادة، التنفيذ، مواجهة المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية، في كل هذه الميادين ستعرف بلادنا، نظرا لموقعنا الاستراتيجي وثرواتنا الطبيعية وقضية التعايش بين الطوائف، عددا من التحولات والتطورات المعقدة والعاجلة لذا يتعين علينا لمواجهة هذه المصاعب أن نكون عددا كبيرا من الكفاءات لاحتلال المناصب السياسية والتنفيذية في جميع فروع النشاط الوطني، وستكون مرحلة التكوين والتربية أشد مرحلة من معركتنا السياسية، ويجب أن نحرص في هذا الصدد على وضع برنامج تكوين للإطارات السامية والتقنية تستفيد منه الشبيبة الجزائرية بمختلف فئاتها الاجتماعية، وفي نفس المرحلة علينا أن نحرص كل الحرص على وضع الكفاءات في مواقع تحمل المسؤولية في مختلف أقسام إدارة البلاد، بدون تمييز سياسي بين هذا وذاك، إنها مهمة صعبة تستوجب طول النفس، وتعبتة جميع الوطنيين سواء كانوا داخل التراب الوطني أو خارجه :

ولا شك أن النجاح سيكون حليفنا إذا تمسكنا بوحدتنا وبالثقة المتبادلة بيننا. إن سلوكنا اليوم مثل الأمم نابع من المصلحة الحقيقية للشعب الذي عانينا في سبيله معاناة كبيرة، هذا هو طريق العقل، طوبى الحرية الحقيقية والسيادة العملية على الصعيدين الوطني والدولي .

22 مارس 1960 (*)

سي محضر بوشعمة

الولاية الرابعة

(*) الرسالة محفوظة في أرشيف الثورة، والنسخة الأصلية موجودة لدى الكاتب - الناشر.

تأثير ضباط المكتب الثاني من خلال عمليات غسل الدماغ

هذا الملحق يحتوي على رسالتين بعث بهما السيد عمي عبد القادر : الأولى إلى قيادة الولاية الرابعة أي إلى السيد سي لخضر بورقعة والثانية إلى صديقه خالد . في الرسالة الأولى يحاول الجندي عمي عبد القادر أن يبرر وجوده ضمن «الخدمة العسكرية» داخل الجيش الفرنسي بعد إلقاء القبض عليه خلال المعركة. والرسالة الثانية تثبت (حسب اعتقادنا مدى نجاح المكتب الثاني في عملية غسل الدماغ، بحيث نلاحظ، من خلال الرسالة التي بعث بها عمي عبد القادر إلى صديقه سي خالد، كيف تراجع كاتب الرسالة عن مبادئه وندم عن مشاركته في الثورة . . . وللقارىء وحده أن يحكم من خلال الرسالتين - الناشر .

الرسالة الأولى :

إلى الإخوة في مجلس الولاية الرابعة 04

أو في مجلس الناحية 02 الولاية 04

الاخوة الأعزاء

بعد تنبهي لإضراب الجوع الذي جرى تنفيذه في 1956 من قبل الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين «U.G.E.M.A» .

التحققت بصفوف جيش التحرير الوطني في بداية عام 1957 وقد اشتغلت بتدريجيًا : جنديًا في الكتيبة "حمديّة" وكاتب قطاع ثم كاتب منطقة وكاتب ناحية وأخيرًا كاتب الولاية الرابعة في الوقت الذي كان على رأس قيادتها الوجه القديم الذي ظل محفورًا في ذاكرتي العقيد سي امحمد . وأثناء هجوم 59 الشهير كان العقيد سي امحمد قد سقط في ميدان الشرف تمكنت من أداء مهمتي الشاقة التي لم تسلم لي من قبل مسؤولية قائلها: وهي الحفاظ على مجموعة مركز حراسة الولاية 4، وإنقاذ العتاد "TRANS" وكذلك وثائق مركز القيادة 45 وأربعين مليون فرنك كان قد عهد بها إليّ الشهيد سي امحمد الذي كان وقتها قائد الولاية ، وأثناء الاشتباك مع القوات الاستعمارية لقي الملازم الأول الاخ عبد النور الناحية الأولى ، الولاية الرابعة الشهادة في غمرة بطولية نادرة وأسر جنديين فرنسيين بمركز قيادة الولاية الرابعة (انظر المراسلات

الموجهة إلى C.O.M الشرق سنة 1959) وكان أحدهما قد توفي والثاني جرح، كما صدرت اليها الأوامر بقتلها بمجرد حدوث أي اشتباك مع العدو في ذلك الوقت كان عمري لا يتجاوز سبعة عشر سنة.

بعد تجاوز هذه الأوضاع الصعبة وأداء مهامها فيها كاملة تقدمت بسرعة بطلب للقائد سي محمد ليعفني من مثل هذه المسؤوليات وينقلني لأداء مهمة بالقطاع الثاني المنطقة الثانية الناحية الثانية، لكن بعد سبعة أشهر من ذلك وفي 20 فبراير 1960 على التحديد وقعت أسيرا على بعد كيلومتر واحد شرق (المدينة) حيث انفجرت عبوة ناسفة 75 على بعد مترين مني أثناء الاشتباك فأدت إلى إحداث جروح خطيرة بجمجمتي ووجهي حيث مازالت آثارها شاهدة إلى اليوم؟

وأفياكم بهذه التدقيقات الصغيرة والتي ربما تبدو لكم جزئية جدا لكنها ذات قيمة في إبراز الأسباب التالية:

1 - لقد راجت ادعاءات بأنني لم أسجن ولكني لجأت إلى العدو وذلك ليس صحيحا ! وبإمكانني أن أثبتة بالطريقة الآتية :

أ - أن مناقضة قديمة تدعى (المضربة) عمرها ستون سنة تقريبا جرت الاشتباكات بقرىها بإمكانها تقديم صورة للأحداث والظروف التي أسرت فيها إنها مازالت على قيد الحياة والحمد لله توجد حاليا بالبلدة.

ب - كنت جريجا في غرفة الانعاش، بعدها جرى نقلي إلى مستشفى المدينة وعالجت عدة أيام كما رأي عدة مناضلين وبإمكانهم أن يشهدوا على الحقيقة .

ج - بعد خروجي من المستشفى نقلت إلى الزنزانة، عذبت وأهنت أكثر من شهرين وتمكنت من داخل زنزانتني الاتصال بعدد من الاخوة السجناء مثلي من بينهم: سي علال مختص (تقني) سابق في TRANS الاتصالات السلكية بمركز قيادة الولاية الرابعة والذي نقل بعد ذلك إلى سجن وهران ومازال على قيد الحياة بفضل الله وبإمكانته أن يوافقكم بصورة عما كانت عليه حالتنا النفسية والجسمية .

بإمكانني أن أزعم أن نهايتي في الجهاد كانت مشرفة ومنضبطة وشجاعة أيضا . كان عمري 18 سنة فقط لما استشهد رفيقاي وغنست بندقية مات 49 من على جثة قومي سقط على مقربة مني، لم أضعف لحظة واحدة لقد قاتلت طويلا وحيدا ضد قوة مدمرة إلى أن حطمت الدبابات البهت الذي كنت فيه وسقطت فاقتاد الروعي تحت الألقاض.. لقد مجوت بأعجوبة.. وقاتلت إلى آخر رمق وأنا اليوم معتز بذلك، إن هذه الذكرى الغريبة المثيرة لهي فرحي الوحيد المتبقى في هذا العالم ولا حق لأحد أن يعرفه..

لاحق لأحد أن بنزع مني هذا الخير. فبعد إيقافى طيلة شهر ونصف الشهر مدة التحقيق في المكتب الثاني لم يحدث أي شيء في القطاع الثاني ولا الناحية الثانية فكل ما أعرفه ما فتىء على حاله، إن إخوة آخرين جرى إيقافهم في نفس الناحية ونفس القطاع من بينهم بشير(R.L.R.2.Z2) القائد السابق للناحية الثانية المنطقة الثانية والنقيب السابق عبد

اللطيف وبما أنهم كانوا مسؤولين كانوا يعرفون بدقة برنامج قطاعي وكل المنطقة والناحية، فإن ثمانية وأربعين ساعة لاحقا كان هناك تدخل عدواني بشع ليس فقط بالقطاع الذي كنت فيه ولكن أيضا بكافة الناحية حتى أن المصالح التي لم أكن أعرفها جرى كشفها بما في ذلك مركز قيادة المنطقة الثانية ومركز الذخيرة بالناحية، ومركز الملابس ومركز قيادة القطاع الثالث وأن أسلحة أجهل شخصا وجدها غنمها العدو (F.M لدرجاسة سلمها بشير) أنه من الواضح توجد في مفترقات قاعدتنا التحتية بعض الأسرار وبعض المنغرسات التي لا يعرفها القطاعي وعليه لا يمكن أن يبرح بها تحت أثر التعذيب...

لقد اتبع المكتب الثاني أثناء استغلاله تلك المعلومات إجراءات "ماكيافلية" بهدف زرع الشك والغموض في الأذهان بحيث كان يحملنا إلى الأماكن مغلولي الأيدي بادين للعيان لكي يرانا المواطنون في الوقت الذي يخفي فيه بدقة مخبره الحقيقيين لأنه ما زال في حاجة إلى معلوماتهم أما أنا بوصفي معروفا من قبل كل المدنيين بما فيها منطقة العملية أبدو وكأنني بحث بكل شيء، بل ودليت المحتلين على ذلك المكان وغيره أما بقية نسج مثل هذه الدعاية فسهل تصورها .

إن ضيري مرتاح، وقلبي في أمان على العكس من البعض الذين أسروا وانهاروا (الضعف أمر إنساني) فكلنا سببا بما أبحا به من أسرار ومعلومات في استشهاد عدد من الإخوة أو تحطيم قاعدتها التحتية (الأساسية) .

أما فيما يخصني فقد احترمت حرفيا ما عاهدت عليه أمام العقيد سي محمد سنة 1959 عندما أقسمت :

"أقسم بالله ويكتابه الكريم... أن لا أنفي السر ولو في المات "وبفضل الله تعالى لم أعط أية معلومة صحيحة للعدو لذا فأنا معتز بذلك ولي حججي الدامغة .

كيف تفسرون الذي جرى بعد أسري بالقطاع الثاني في الناحية الثانية بحيث أن عددا من الأشخاص الذين أعرفهم والمنتعنين إلى المنظمة لمدينة في القطاع 2 والناحية 2 لم أبح بأسمائهم ولم يوقفوا...؟ ذلك لأنني كنت الوحيد الذي يعرفهم وأعني بهم: نور فضيل خبير جهاز راديو لاسلكي بالمستشفى العسكري بالمدينة وزوجته وابنته وكل عائلته التي تمثل أهم مصدر للأدوية والمعلومات بالنسبة للقطاع الثاني وكذلك محروور محمد عامل في مخيم الصنوبر مخبر القطاع الثاني، والمعرضة الأوروبية الشيوعية بمستشفى البليدة وممرضتان أخريتان مسلمتان إحداها تسمى (هدى) هؤلاء هم الذين يزودونا بكميات معتبرة من الأدوية وبالأجهزة إلخ... إن الأشخاص الذين جنت على ذكركم الآن مازالوا على قيد الحياة وفي نفس الأماكن وبإمكانهم أن يدلووا بشهاداتهم، لقد مجوت بأعجوبة من الموت والأغتيالات التي كانت تهدد كل سجين في أقبية المكتب الثاني، وضعوني في مركز إقامة طيلة أربعة أشهر وبعدها خبروني بين أداء الخدمة العسكرية وبين البقاء في السجن فاخترت الخدمة العسكرية ظنا مني بهذه الطريقة أن أكون نافعا بلدي، أن رجلا ميتا أو سجينا لا ينفع في شيء.. بعد أشهر

قليلة أجالوني على R.I¹⁹⁸⁰ فرضت مخططي وحددت أهتاني: بأن أقتل بعض الضباط المسؤولين على جرائم الجيش الفرنسي وألوذ بالفرار، أو بكل بساطة أفر بأسلحتي وأهرب معي كمية وثائق هامة من المكتب الثاني بل لقد دخلت فعليا في عملية اتصال مع أحد الإخوة الذي صار من أشد الأعداء علي ومازلت إلى اليوم أحتفظ برسالة منه يمكن أن أعدها وثيقة... وهو سي خالد L.R.2 الذي سقط في حقل الشرف بالبليدة.

لكن هنالك عامل لم أضعه في الحسبان... وهو أنني كنت معروفا بدقة من قبل المواطنين وأن ارتدائي زّي العدو جعل لغو العامة وإشاعاتهم في تناقض وتعددت الأقاويل حول شخصي ووضعيتي .

إن استשרاء هذه الإشاعات كان في وقت لا يملك فيه جيش التحرير معلومات دقيقة عن الحقيقة الكاملة، وهذا من شأنه أن عمل على تأكيد ما كان يشاع ويدعم انعطومات التي وصلت إلى جيش التحرير أثناء عمليات العدو في القطاع الثاني حيث أعلنت بصوت عال: «فإذا كان هذا ما تصوروا في القطاع الثاني فيأني من الآن سأتحول إلى الجهة الأخرى» وهي تقريبا الأطروحة التي يملكها جيش التحرير عني، ومن ذلك الوقت ظهرت فكرة الانضمام التي قلتها بأعلى صوتي، ومنذ شهر تقريبا وقع خليط من الكذب والتقية علي ووضع مخطط لتصفيتي جسديا وأخشى ما أخشاه رغم كل الذي تحملت وأديت من أعمال جليلة أن أغتال دون أن تكون لي فرصة تبرير ساحتي والدفاع عن نفسي وشرح ما جرى بأنه قد وقع لبعض الذين سبقوني .

ان بعد الاستشهاد البطولي لسي محمد وخالد لم يفصل أي شخص بإمكانني أن أثق به حقيقة، باستثناء سي لخضر(*) قائد الولاية والذي أعرفه جيدا وأقدره كثيرا . إنني حائر النفس منهوك مشيط العزيمة لا سلوى لي إلا البكاء، في صمت علي فراش بالليل، لقد بقيت على هذه الحالة البانسة 18 شهرا طيلة الخدمة العسكرية، ورأيت إخوانا أعرفهم جرى اعتقالهم، وأبتهم في نفس الظروف النفسية كالتي كنت عليها في زنزانتني، لم أستطع أن أقدم لهم معونة بل كنت شغوقا لأرى كيف كانوا يتصرفون...

هذا ما يؤرقتني فعلا في وضعية كهذه، أن كثيرا منهم ضربوا وطرحوا أرضا... ومن أجل إنقاذ حياتهم (وهو أمر إنساني لا ألومهم عليه) أدلوا للعدو بمعلومات كانت سببا مباشرا في قتل كثير من الجنود وتدمير منظمنا وقد قلت بشأن هؤلاء ما كنت أفكر فيه فأفرغت ما كان بقلبي، لكن طيلة الوقت الذي كنت فيه عسكريا حافظت على كرامتي وحددت مبادئ والتزمت حدودي فيقيت منضبطا، إذ لا أحد بإمكانه أن يحيي إلا بإذن الله، لم أكن سببا في موت أحد يعون الله. لم أنهب ولم أسرق ولم أعتصب ببعون الله، لم أؤس على حدود الله...

(*) يقصد سي لخضر بورقعة صاحب هذه المذكرات - الناشر.

نظرا لذلك ولوضعيتي تمكنت من أداء واجبي تجاه الشعب، هذا الشعب الجزائري الصغير الذي قاسى أكثر من شعوب العالم كلها وتحمل تبعات أخطائنا كلها. له وحده الحق في الإشفق علي، هذا الشعب وحده يستطيع أن يملئ علي خدماته وأكون له خادما لأنه يستحق ذلك عن جدارة وهو الأولي به من أي كان في العالم. تجاه شعبي أعتقد أنني وفيت واجبي.

أطلق سراحي في 30 نوفمبر 1961 بالتدقيق وإثر ذلك باشرت العمل لإعالة والديني التعيسة التي تعمل هي بدورها لإطعام صغارها لقد سرى في نفسي الأمل بعد الاعلان عن توقيف القتال ولم أتوقف عن محاولة الاتصال بمسؤول الولاية أو بمسؤول الناحية لكي أشرح له كل ما جرى لكن قد تجاهلني الجميع كما لو كانوا يعذرون جانبي أو لم يعرفوني جيدا وفي يوم 12 جوان 62 جاء ستة أشخاص مسلحين إلى بيتي حوالي الساعة 10.30 ليلا وبعد أن فتشوه بدقة انصرفوا. وبفضل الله تعالى كتبت غائبا لبيتها. إن مثل هذا التصرف لم يكن مضمون الجانب واني الآن كما لو كتبت سابقا وانتهيت إلى قنطرة بأن لا عدالة في هذا العالم، أفكر الآن في الذهاب إلى فرنسا بأمل الالتحاق بالمعهد العسكري بستراسبورغ إذ بإمكانني نظرا لمستواي التعليمي وعلاقتي الشخصية خلال سنة إن شاء الله أن أصبح ضابطا عاملا. كما أمل في الالتحاق بعد ذلك بالجيش الجزائري لأنني أعتقد أن الأشياء ستراكم وستكون الحكومة الجزائرية في موقع صلب. لم يعد بإمكانني ملاقات أحد، كما كان يتهيأ لي قبل اليوم، لقد حققت وأصبحت أخشى أن أموت في لا مبالاة تامة رغم أنني برى. وأترك أسرتي وحيدة في هذه الحياة لا أحد يعيلها ماديا أو معنويا. لقد فقدت الثقة بالجميع ولم أعد أصدق أحنا إلا الله.

لم تعد هناك عدالة ولم يعد هناك أمل إن هاجس الهجرة يعذبني وقد أبكاني لياليا بكملها.

أدعوكم بكل بساطة أختي أعضاء مجلس الولاية أن تراسلونني في أقرب وقت ممكن وتعبروا عن رأيكم في شخصي وفي شهادتي التي قدمت وأرجو أن تمنحوني تاشيرة مرور إلى تونس إذا أمكن لأنني على أتم الاستعداد للتخلي عن موضوع التحاق بالمدرسة العسكرية وأذهب إلى تونس... وهناك سأكون مستعدا لأي موقف ولو كان الحكم بالإعدام شريطة أن أكون هناك، لأنه يتهيأ لي أن الأمور بتونس تسير في اتجاه أكثر عادية وأرغب في أن يشار على خطى بالالتحاق بالمعهد العسكري إن سلبا أو إيجابا وأفضل أن يشجعوني عليها.

ذلك كل ما لدي أن أقوله
وأدعوكم لأن تتقبلوا عواظي الثورية وإخلاصي العميق
أخوكم عمى عبد القادر

الرسالة الثانية :
أخي - العزيز خالد

إني لفي وضعية تدعو إلى الحيرة، في وضعية لم يدر بخلدي أن أتصورها، انه
لأمر خارج حدود التفسير، أحس بأنني بعيد عن الندم الذي كان يجب أن يعتريني .
لكي أتحدث طويلا معك أعتقد أن ذلك مرده إلى الصداقة التي بيننا، فأنت الوحيد
الذي كنت أتجادب معه أطراف الحديث ونتبادل وجهات النظر بكل إخلاص، وإن
وضيعتي الحالية تجري محاكمتها بشدة في أوساط المجاهدين وتنتقد ، ومهما كان الأمر
فقد أحببت دائما أن أكون رجلا حرا، وقد قاتلت من أجل ذلك، ورغم سني فإن
وضيعتي الحالية بعد موازنتها وبحشها قبلتها من نفسي، والشيء الوحيد الذي يمكن
أن يؤثر علي إنما أنت الذي كنت وما تزال صديقي بل صديقي الحقيقي. لك أن
تحاكمني كالأخرين. إن جملة من العوامل والفرايز التي يصعب شرحها والتي سأعلق
عليها لك أنت دون سواك نظرا لحجم الود الكبير بيننا أرجوك لا تمزق هذه الرسالة اقرأها
موضوعيا أعد قراءتها مرة أخرى وحاول أن تفهمني وأنا على يقين أنك ستفعل .
أنت تعرف ما هي الأفكار والمثل العليا التي دفعنتي إلى الالتحاق بالجهاد هذه
المثل التي مكنتني من تحمل أعباء ثلاث سنوات جهاد لم تكن كلها سهلة، تحملت فيها
تضحيات جسام .

مازالت هذه المثل معي إلى اليوم فقد تغيرت الحالة العامة ستبدو لك رسالتي هذه
محبوبة لأن لي فيض من الأفكار والأشياء، أود شرحها لكن يصعب ذكرها بانتظام. إن
حياتي الثورية تعرفها ولا داعي لتذكيرك بها لقد كنت مخلصا وشابا متعصبا قاتلت
حتى الدقيقة الأخيرة بل بفكرة الموت، ثم لحظة غريبة حد الإثارة لا تصدق انتابنتي
لقد رأيت نفسي أضيع وحدي وأقاتل قوى مدمرة تلبستني فكرة الموت حتى كدت
أنسى وقيت على مبدأ واحد هو القتال القتال حتى النهاية .

من هنا بدأت الأمور عندي. لم أمت، إن آخر نظرة كانت لدي هي رؤية دبابة تطلق
النار ولم أنتبه بعد إلا وأنا بمدد على فراش في المستشفى يغمرني ضباب كثيف في
عالم شبه مفارق (جد غريب) .

إذا تهوسنا بفكرة الموت من الصعب أن نلقى أنفسنا على قيد الحياة، إن شيئا
تكسر داخل الذات وتلاشى فتتحول على أثرها إلى سلبيين وشبه سعداء لا نسترد ارادة
الدفع إلى الأمام، لقد عشت أباما في شكل من السعادة الحيوانية غير واع، كما لو

كنت مخدرا إلا أنني كنت على يقين من شيء واحد... شيء ما تدمر في نفسي لا أعرفه أظنه أمرا إنسانيا ولقد تحدثت مع جرحى آخرين عن هذه التجربة ووجدت لديهم نفس الانطباع، وذات صباح كان علي أن أغادر المستشفى، لكن إلى السجن، معافى نعم لكنني سجين، هي مجرد كلمة لكنني تعني أشياء عديدة، وتجربة جديدة لعلها الأقسى. لقد تحولت في الأيام الأولى من سجنني إلى نوع من حيوان فضولي يأتيه الناس للفرجة والملامسة تقريبا ثم تنهاتل علي الأسئلة ثم الأسئلة ودائما أسئلة إلى حد لم أعرف معه الراحة إن وجوها من حولي منحنية علي وعيوننا وأذانا صاغية تسجل دائما دون انقطاع، حقا لحظات مفرقة ربما بسبب العزلة الكبيرة التي نعيشها لقد لعبت فيها الورق الذي يبدو لي أكثر أولوية من غيره، وتحدثت. أه ليس بطبيعة الحال كثيرا، عن معلومات عامة يعرفها المكتب الثاني حق المعرفة أكثر مني تحملت 15 يوما، بررت خلالها جراحي وأقبلت على الحياة بشهية لكن تغيرا غامضا وقع في بداية هذه المدة ثم بدأ يتطور مع الأيام ومن وقتها تضاعف إحساسي بأني سجين، طبعا أن أفكاري ظلت دائما معلقة داخل نفسي لكن المسألة هي هنا المصير الذي أخفق، بكل تأكيد قانبي لا أقاسمهم أفكارهم، لكن الحياة عادت، إلى مجاربها الطبيعية وبدأت أشعر أنني في وضعية تكاد تكون جيدة بل أن حياتي أصبحت على قدر من القيمة التي لم تكن لها من قبل، أصبحت سعيدا بالحياة والفضل في ذلك يعود لله الذي أنقذ مصريي من الهلاك بحيث لم أعد أرغب في العودة إلى الجهاد فرغم أن بإمكانني الهرب لم أفعل وربما الارهاق والتعب أخذا مني مأخذهما لا أدري، كل ما أذكره أنني راغب في الحياة أراني أتحدث كثيرا عن الجزئيات لكنني حريص لأن تفهمني لأن هذه الأمور من الصعب كتابتها، نعانيتها (نحسها) وكلما حاولنا التعبير عنها تبدو لنا فقر الكلمات التي هي عاجزة عن حمل كل أفكارني من منطلق تلك اللحظة وجدت نفسي تقريبا حرا إلى أن تحققت هذه الحرية كاملة اليوم، إن الأحكام التي أتحمّل تبعاتها، إنما التي أطلقها على نفسي، وقد جاءت هذه الأحكام وحدها فرحة بهذه الحرية المنقوصة. حرية روحية، لقد تمكنت من رؤية أشياء كبيرة تأكدت منها بمحض الصدق لم تكن مزيفة ولا موهومة، لست أدري هل أحسنت التعبير عن فكري، بل أرجو أن تتيقن بأن هذا التطور الذي جاء بطينا لم يكن بتوجيه من أحد بل إنه من صميمي ولكي تفهمني من الأفضل أن أعطيك صورة عن وضعيتي الحالية، إن جوهر فكري لم يتغير، بل وجد صيفا أخرى للتعبير، قد يتبادر إلى ذهنك أنني تعرضت لعملية (غسل المخ) أو أنني مأخوذ بالعداية الفرنسية (ليست هناك أخوة بيننا وبينهم) كما أنني لا أسعى إلى إقناعك بل أترك لك الحكم بعد قراءة هذه الرسالة فأعتقد أنك جد ذكي لكي تكشف من خلال هذه الأفكار أنني لم أنتكر لشيء. (لم أحن) ولم أقع في حبال غسل المخ واستمرار العداية

الكلاسيكية التي حسب رأبي يمكن مجابته بقوة وتفادي تأثيرها، بالنسبة لي فإن مرحلة الهم جرى تجارزها وأريد فقط أن أكون واقعا في إطار الوضوح دون حسابات ومغالطات وأن أعني الأمر بمنطق سليم وحقيقي، إن الثلاث سنوات التي قضيتها في الجهاد بروح المثالي المخلص عشتها بكثافة وتركت في نفسي ذكريات مقابل تضحيات قدمتها بإرادة راضية دفاعا عن أفكارى.

أخسى أن تكون هذه الواقعية غير كافية ومحبطة أيضا... أخسى أن يجعل منى مرفوضا... وعنده ما العمل؟ هل لا نقبله؟ أنبتى منه أم نلغه؟ وهل في هذه الأحوال لا أكون جباناً؟ ومنافقا نفسي وشعبي؟ ألا يكون هذا الموقف نهاية النذالة؟ هل يكون بعدها لي الحق أن أزمع بأنى مجرد رجل موضوعي؟ وأن لي شخصية وأفكارا؟ أعتقد أن هنا يجب أن تتدخل عزتي وأكون فى مستوى مسؤولياتي وأتخذ موقفا شجاعا لمجابهة هذا الواقع وأنهم أن تضحياتي أنت بشارها وأنه من قبيل المحال متابعة الحرب وترك الشعب يشقى ويدفع دون جدوى ثمن الانغلاق السلمي والاشترك فى الجريمة مقابل قائمة الموتى التي تزداد طولا باستمرار. سوف لن أخجل من اتخاذ هذا الموقف بل على العكس. إننى أعتقد مثالا جديدا وأؤدى واجبا عندما أصبح بالحقيقة منادبا كل الشباب أن لا ينطلقوا خلف السراب فيتهورون ويندمون كما ندمت من قبل.

من الأفضل أن أحتفظ بخبيتي ومجربتي التي عشتها والنضج الذى توصلت إليه وأن لا أشرك في كل ذلك غيري كي لا أكون أنانيا أو مجرما.

من ناحية أخرى لا أنتكر لثلاث سنوات قضيتها مجاهدا بل أنى فخور بها وأزعم أن نهايتى كمجاهد كانت جد مشرفة رغم رؤيتنا الحاطنة للجهاد لأننا لم نكن نرى إلا جانبا واحدا من الشىء. لقد تحدثت بحرية مع جموع الناس وقد حيرتني أفكار بعض الضباط الفرنسيين، فبعد حوارات طويلة تبين لي بما يشبه الصدق أننا في النهاية نتوصل إلى نتيجة واحدة مع فارق في الأساليب لكن تفضل في إطار الموضوعية أنكارهم تحسن الدفاع عن نفسها، لقد توصلت إلى التساؤل (التالي) هل بالإمكان كما في كل الحروب بشيء من الإخلاص التوصل إلى تفاهم ليس فيما يخص وقف إطلاق النار فقط بل وفي (التصالح) والاتفاق؟

أنت تعرف أنى موضوعي في أفكارى وأقسم لك اليوم أنى صادق بعينين مفتوحتين وأمامي فرصة كبيرة لرؤية جانبي الشىء.

أظن أن خمس سنوات في صراعتنا الحربي لم تذهب سدى، بل إنها على العكس من ذلك قد حددت النقاط والأحداث في مشكل كان يجب أن يطرح وهنا يكمن فيما أظن تطوري لأن خمس سنوات كافية والأمريقيين فيما أرى هو لابد من صبر كبير وترث

للوصول إلى تلبين بعض المواقف. إن الوضع الحالي لا يمكن معه ربح وقت ولا يجوز الذهاب فيه بسرعة، والعامل الأول في التطور كما نرغب فيه إنما عامل الوقت لأنني على يقين إذا ما استمررنا على هذه الوتيرة، فإننا لن نربح بل ستكون الحقيقة بصعب تقديمها وكثير منا لن يفهمها. إن هذه الحرب لن تكون إلا مرحلة أولى أو مقدمة ويفضل القسط الأكبر للإنجاز وعندها ستحتاج إلى إرادة أكبر وتضحيات أعظم، في هذه الزاوية أنظر إلى أولئك الذين سقطوا «استشهدوا»، وإلى كل القيم التي ضاعت لأننا سنكون في حاجة ماسة إليها.

إن المستقبل غيرمؤكد ما عدا موضوع العمل الكبير المطروح للإنجاز، أكرر بأن حكومي يتعلق بهذه اللحظة. وعليه من الأفضل التوقف والانطلاق ابتداء من الصفر. ومهما كان الأمر والنهية فيجب تحقيق هذا العمل في أقرب وقت ممكن.

هذا كل ما أردت أن أقوله ولك الحكم. لم أغير مواقفي ولكن تطورت فقط في رؤيتي والشيء الذي يهمني هو جبي لرؤيتك ولا أقترح عليك حلا انهزاميا ولكن أؤكد عليك بأن لون الديكور ليس كما أقنعوك بسواده أنظر اليوم كيف أنا حر، بإنسانيتي... ذلك شيء كبير.

أخي العزيز خالد احتظنك أصنع ألف أمنية لكي ألقاك ثانية يوما من الأيام وأشرح لك بصوت مسموع لأنني أخشى رغم كل صدق إرادتي أن لا أكون وفقت فيما أقول أو بالأحرى فيما أردت أن أحسلك به، أرجو أن ترد على رسالتي.

عمي عبد القادر SP-87-193-AFN

P.S je ne suis pas militaire

مصاليون ينضمون إلى الجبهة ويعترفون بـ...

هذه الوثيقة احتفظ بها سي لحضر بورقعة ضمن مئات الوثائق التي هي بحوزته منذ سنوات الثورة، وهي وثيقة نشرت في نشرات الحكومة المؤقتة الصادرة في تونس آنذاك.

الوثيقة هي اعتراف لجماعة من المسؤولين المصاليين الذين غادروا الحركة الوطنية الجزائرية المصالية

« M.N.A » ويعترفون بتعاون حركتهم مع الاستعمار الفرنسي. وبعد هذه الوثيقة تأتي وثيقة ثانية عشر عليها المجاهدون في مكاتب المكتب الثاني وهي تحمل أسماء للعديد من العملاء المصاليين حسب ما قاله لنا سي لحضر بورقعة .

الحكومة المؤقتة

للجمهورية الجزائرية

وزارة الأخبار

تونس

- جمع من المسؤولين المصاليين -

ينضمون إلى جبهة التحرير الوطني -

"جانفي 1959"

إننا جماعة من مسؤولي «الحركة الوطنية الجزائرية» التابعة لمصالي الحاج قررنا الانضمام إلى صفوف جبهة التحرير الوطني بعد التفكير الطويل مراعاة لمصلحة وطننا المكافح من أجل استقلاله .

لقد اتخذنا هذا القرار ونحن شاعرون بمدهاء، لكن علينا أن نشرح هذا العمل:

أولا: إلى المناضلين الذين كنا مسؤولين عنهم حق يفهموا المأساة التي كانت تعانيها ضماثرنا، ويرجعوا إلى طريق الثورة الجزائرية الحقبة .

ثانيا: إلى الإطارات التي مازالت تعمل داخل «الحركة الوطنية الجزائرية» حتى يعينهم قرارنا على التغلب على التردد الحالي .

وأخيرا: إلى الذين يحكمون علينا من الخارج، والذين أدانونا على عمل لم نتبين أنه ضد مصلحة الشعب الجزائري إلا في الأحداث الأخيرة.

فطالما اعتقدنا أن حركتنا يجب أن تعمل على استقلال الجزائر بالتوازي مع جبهة التحرير الوطني. نعم لقد عرفنا مبكرا تفرق جبهة التحرير الوطني في ميدان الكفاح

المناهض للاستعمار، لكن بدا لنا ان «الحركة الوطنية الجزائرية» تستطيع بدورها ان تساهم في الكفاح .

وكان يبدو لنا أن جبهة التحرير الوطني و (الحركة الوطنية الجزائرية) حركتان سياسيتان، تغذيهما مشاعر وطنية، وتقودان معركة واحدة ضد الاستعمار المشترك. وقد كنا نعتقد أن الخلاف الموجود بينهما، إنما هو خلاف على الزعامة فقط، ولا يتناول أهداف الكفاح ذاتها .

وأول مرة ظهر فيها التشكك داخل المكتب السياسي «للحركة الوطنية الجزائرية» كان بمناسبة قضية «بلونيس» ، عندما علم بعض أعضاء المكتب أن الجنرال «سلان» هو الذي يتولى تسليم رجال «بلونيس» ، ومدهم بالمال من ميزانية الحرب الفرنسية ونقلهم في سيارات العدو، وانهم كانوا يحاربون «تحت العلم المثلث» .

آنذاك طلب هؤلاء الأعضاء الإيضاحات اللازمة، فأجيبوا بواسطة «بلهادي» الناطق باسم «مصالي» أن هناك مباحثات جارية مع الحكومة الفرنسية ورفض مصالي أن يحكم على «بلونيس» بحجة أنه يجهل محتوى اتفاقيات «لاكوست - بلونيس» .

فاقترح بعض أعضاء المكتب إبفاد مبعوث إلى «بلونيس»، يتولى عند رجوعه كتابة تقرير مدقق عن الوضعية . ولتحقيق هذا الغرض اتصل «بلهادي» - أشهر طويلة مع «غني موللي» بواسطة المسمى «لينيك» الذي تبين فيما بعد أنه من قسم الجوسسة . وأخيرا فهم المكتب السياسي أن الحكومة الفرنسية لا تريد أن يقع الاتصال مع «بلونيس» ، وفيما بين ذلك ظهرت خيانة هذا الأخير إلى العموم، إلا أن «مصالي» رفض مرة أخرى أن يحكم على «بلونيس» الذي اشتهر بأنه الساعد الأيمن لمصالي في الجزائر. آنذاك تبلور مرفقتنا داخل المكتب السياسي.

ومنذ 20 أوت عندما شنت جبهة التحرير الوطني هجوماتها الواسعة ضد المراكز البترولية في فرنسا، اعترف بعض إطاراتنا بأن الجبهة تقود حقا كفاحا ثوريا ناجعا. وطلبت تلك الإطارات أن تقوم بالعمل المباشر في الجهات التي توجد فيها «الحركة الوطنية الجزائرية»، وسانلها المسلحة ضعيفة.

لكن الإدارة (أي مصالي وعيسى بن عبد اللهي والأمين بلهادي وابن الصيد، إلى حد ما) رفضت معتذرة دائما بحجة الاتصالات الجارية.

وفعلا فإن الاتصالات لم تنقطع مع حكومات: موللي، وبورجيس مونوري، وغايار، وديغول. وكانت الصحفية «كلود جيرار»، هي التي تتولى الاتصالات مع الديغوليين، و«دي شيزال» يتولى الاتصال مع الحزب الاشتراكي .

وقد بلغ من تدخل هؤلاء، في شؤون "الحركة الوطنية الجزائرية" إلى درجة أن (موريس كلايف) سمح لنفسه بأن يكتب للجنرال دي غول رسالة باسم مصالي، مما أجبر هذا الأخير أن يذكر دي غول أن الناطق باسمه هو (بلهادي) الذي نص على وجوده في باريس.

ثم جاء تشكيل "الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية" فوضع المكتب السياسي في مازق حرج وأثار أكثر الأفكار تشككا. وطلبنا أن تتخذ الحركة الوطنية الجزائرية" موقفا من هذه الحكومة فتؤيدها أو تعارضها لكن (الادارة) رفضت أن تتخذ موقفا علنيا واضحا قائلة، أن تشكيل الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، في الواقع هو شيء طيب لا يمكن إلا أن يعين على استقلال الجزائر، لأنه يترتب عليه تضامن البلدان التي ستعترف بنا تضامنا أكثر فعالية، ولهذا فلو عارضت حركتنا الحكومة الجزائرية معارضة علنية، فإنها توشك أن تقضي على سمعتها (أي سعة الحركة المصالية) في الجزائر، وفي البلدان الأفريقية - الآسيوية .

فطلبنا من الإدارة أن تذكر لنا، ما هي الأسباب والعراسل التي تقتضي وجودنا بعد 20 سبتمبر 1958 بوضعنا حركة منفصلة ومعارضة في الواقع للحركة المؤقتة للجمهورية الجزائرية.

ومنذ ذلك الحين اتضحت المعارضة أكبر من ذي قبل. وطلب المعارضون من المكتب أن يحكم على خطاب قسنطينة، لكن مناورات الإمارة حالت دون صدور حكم صريح على خطاب قسنطينة، واختار مصالي أن يخفي وراء تصريح بارد غامض . وإذا نظرنا إلى الحركة من الناحية التنظيمية نجد أنها جامدة . فكثير من المسؤولين تحطمت معنوياتهم وصاروا يكتفون بجمع الأموال، وتسليمها إلى "مولاي مرياح" . وكثير من الإطارات مثل: مروي، وبوحافة، ووقواق، أبعدوا لأسباب شخصية وأمرر تافهة.

وأصبح التصرف في المال لا يخضع لأية رقابة وطلب بعضنا - بعد أن قضى 18 شهرا في السجن مناقشة التقرير المالي. لكن لم يستطع أي أحد من الذين كانوا مسؤولين عن المالية أن يقدم هذا التقرير المطلوب . وأمام هذا الإفلاس الكامل لنشاط (الحركة الوطنية المصالية"، وأمام معارضة بعض المسؤولين معارضة جدية، قرر مصالي حل المكتب السياسي وتفويض كامل السلطات إلى (ابن الصبد).

هذه وضعية "الحركة الوطنية المصالية" من الناحية التنظيمية . ثم اتصلنا بتفاصيل أخرى أقتنعنا أن الاتصالات مع الحكومات الفرنسية المتوالية، لم يكن لها إلا هدف واحد وهو التأثير على "الحركة الوطنية المصالية" واستخدامها ضد

جبهة التحرير الوطني. وفي مقابل ذلك تفضي الحكومة الفرنسية النظر عن نشاط "الحركة الوطنية الجزائرية" التي يتنقل مسؤولوها بكل حرية في فرنسا بأوراق تعريف فرنسية.

بل أن بلهادي منذ ثلاثة أشهر تحصل على جواز سفر فرنسي بدعوى السفر إلى الولايات المتحدة، وهو الآن يستعمل هذا الجواز ليتنقل في أوروبا للاتصال مع بعض الشخصيات .

إن تجرئنا المرة الفاجعة لمحم علينا أن نفضح خدام "مصالي"، واتصال الحركة الوطنية المصالية، مع الحكومة الفرنسية، فذلك واجب كل وطني جزائري.

وإننا إذ نعمل ذلك فإنما لاقتناعا أننا لن نخون الذين كانوا إخواننا بل إننا نساهم في تعزيز الثورة الجزائرية التي ستطرد النظام الاستعماري من وطننا إلى الأبد.

ونظرا لاقتناعنا اليوم بأن نشاطنا كان مناهضا للثورة، وإن مواصلة عملنا داخل "الحركة الوطنية المصالية"، يكون معناه من الآن الخيانة المقصودة للشعب الجزائري، فقد اخترنا بمحض إرادتنا أن نخضع لأوامر جبهة التحرير الوطني التي تمكنت وحدها من قيادة الكفاح التحريري بلا هوادة ولا ضعف أو تخاذل .

إننا ندعو إخواننا لكي ينضموا إلى صفوف جبهة التحرير الوطني حتى يساهموا - في ظل الشرف والكرامة - في الكفاح الذي يقوده جيش التحرير الوطني فوق تراب الجزائر.

إنه ما يزال في إمكان جميع الجزائريين المخلصين أن يعينوا الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في العمل على انتصار المثل الأعلى الذي هو هدف وجودها وهو الاستقلال الوطني.

عن جماعة مسؤولي: «الحركة الوطنية الجزائرية»

نصبة احمد بن عاشور المدعو (القلاري الاحمل)

من مواليد المارة وادي سوق، عضو المكتب السياسي

للحركة الوطنية الجزائرية ومسؤول منظمة الحركة الوطنية في مرسا

المحاكم العسكرية والعقوبات

جهة التحرير الوطني

جيش التحرير الوطني

الولاية 4 المنقطة 4

المقررة العامة رقم 18

تلبية لمطالب عدة محاكم عسكرية جعل مجلس الولاية المقررة رقم 18 أساسا لتحديد الغلطات والعقوبات اللازمة. فالمطلوب من مجالس المناطق نشرها على جميع المجالس والوحدات والمراكز العسكرية، وجميع الفروع (الهلال الأحمر، المومنون، المسلمون، إلخ...) المطلوب من الجميع التنفيذ القاطع للمقررة رقم 18 نظرا للمقررة العامة رقم 2 التي تطلب اجتماع محاكم عسكرية لبحث الغلطات.

نداء إلى الإطارات

أيها الضباط وضباط الصف أعطيت لكم مراتب لتحصيل الانتصارات بدون خسائر. الإطارات يلزمه أن يفهم بأنه جعل للتسيير. الواجب عليه أن يكون مطاعا، والأحسن أن يحصل على الطاعة الاختيارية ولكن لا يقبل عدم الطاعة. الأوامر الصادرة دائما تكون موزونة حسب الحالة المدروسة وكل تأخير في التنفيذ هو تأخير لنظامنا الحربي ويكون ضررا لقواتنا المكافحة، ولكن من الأحسن احترام الامر عند تعيين صاحب التنفيذ، والمسؤولية المشتركة غير صالحة وخطائنا يلي :

لكل عمل أو مشكلة أوصوعية يلزم تعيين مسؤول واحد ووسائل موافقة، عدم الطاعة جريمة ضد النظام والوطن تجب محاربتها قطعاً، فعلى المسؤول أن يفهم كل ما ينقص من سلطته فهو ضرر لفائدة الجيش ويلزمه سيرة مثالية محمودة. الطاعة الثورية لاتنافي الاخوة بل تقرها غير أن المزاج "الدماسرة" يحطها. "كثرة المزاج تذهب الهيبة". المزاج في الكلام كالمخ في الطعام». فعلى المسؤولين أن يفرقوا بين الاخوة والمزاج.

نداء إلى الجنود

الجندي الوطني يلزمه أن يفهم ضرورة الطاعة للمسؤولين والأمر مقدس وكل شيء يضر باتحاد الفرج فهو خطر للجماعة، والثورة كونت بيننا روابط مقدسة "والشهداء، تركوا لنا إرثا من الواجبات" ولذا يجب علينا أن نتحد ونتحاب ونطيع مسؤولينا.

الطاعة

بعض الجنود يجهلون الطاعة الثورية المطبقة في جيش التحرير. يلزم أن نفهم بأن الحياة الاجتماعية لها قوانين وخصوصاً في الجيش الذي يتطلب الانتماء والسرعة في العمل والطاعة للمسؤولين مع الإيمان بقضيتنا التي هي سبب الانتصار. والرتبة لا تكون عرقلة في وحدتنا، والصيغة الثورية لا تنافي انتسيير ولا الطاعة بل تكون الطاعة التامة بنينا. والفوضى جريمة لا يقبلها مجلس الولاية ويحاربها بدون تفریط، وعلى المسؤول أن ينصت إلى مقترحات نوابه، وعلى الجندي أن يعطي اقتراحاته لفائدة الكفاح التحريري، ثم محجب المناقشة على الحاضرين ليحصلوا على النتائج الحسنة. وطاعتنا تكون اختيارية لا جبرية، وهذه الطاعة تنطبق على أناس لهم فكرة نظامية وتضحية «أقوى من جميع الجيوش في العالم». والمناضل المكافح يجب عليه أن يضحي بفكرته لطاعة مسؤوله، وزيادة على هذا يضحي بنفسه لكي يصل إلى النصر.

المحاكم العسكرية والعقوبات

العقوبات تصدر من المحاكم العسكرية والمحكمة الشرعية كما يلي:
رئيس ومستشارين وكاتب ومحام. يطلب من كل عضو في المحكمة أن يقوم بدوره كما ينبغي وعلى المحامي أن يدافع عن صاحب الغلطة بكل تفنن.

1 - الفلطات

الفلطات ثلاثة أنواع :

1 - الصغيرة :

1 - سب الدين .

2 - الاستماع لصوت البلاد

3 - الإنصات للأسطوانات المناقبة للأخلاق

4 - قراءة الجرائد التي تمس معنوية الثورة

5 - التلاهي مثل لعب الكرطة والدمين

6 - الاكاذيب نوعان : - 1 - تغيير الحقيقة، و... 2 - كتمانها

7 - العبث بالسلاح وتنظيفه وسط الجماعة

8 - الرشوة بالمال

9 - التفضيل الشخصي

2 - الخطيرة :

- 1 - عدم تنفيذ المقررات . الطاعة العامة تطلب قبل كل شيء تنفيذ المقررات، يجب على الإطارات ان يضربوا المثل في التفتيش على تطبيقها بذكاء مناسب للأوامر الصادرة. ويلزم درس المقررة ولا يكتف ببعثها كتابة ويلزم تفهيمها للمأمورين في اجتماع .
- 2 - النعاس في الحراسة .
- 3 - الشكوى المشتركة تبث داء التفرقة والتحزب ولذا كل طلب أو شكوى تقدم شخصيا .
- 4 - النسيان أوضاع الوثائق أو السلاح أو الذخائر أو الألبسة في المراكز أو الراحة.
- 5 - بث السر العسكري في المراكز المدنية أو العسكرية أو أمام من تهمة معرفته.
- 6 - الخصام بين المسؤولين أمام المأمورين أو المدنيين أو الشعب، يلزم المسؤول المحافظة على سلطته وبها يكون محترما وسلطة الجيش قوية والعكس بالعكس. يلزم كل مشكلة تخص من يهمهم الأمر وتسرى سرىا .
- 7 - التفضيل: كل إنسان يعتبر بأن له قسم أو ناحية أو منطقة أو ولاية قد ارتكب جريمة تقسيم الجهات في الجزائر يكون لأجل الاستراتيجية الحربية يلزم فكرة الوحدة الجزائرية دائما تتقوى ويجب محاربة التفضيل النظامي وأن جيش التحرير الوطني موحد.
- 8 - الأخلاق الرديئة .
- 9 - التذير .
- 10 - المكاتبة مع العائلة أو المدنيين بدون أمر من النظام .
- 11 - الدعاية المفصلة غير مقبولة .
- 12 - عدم كشف من ارتكب جريمة. واجبا الثوري بدعونا لمحاربة الغلطات والمجاهد الذي يكشف الغلطات يقدم للنظام ويصحح الغلطات ويرجع أخاه إلى الطريق المستقيم.
- 13 - حادث السلاح بالعبث أو نفاخته وسط الجماعة.
- 14 - التغيير في الأوامر، على المجاهدين أن يطيعوا الأوامر والمكلفين بها.
- 15 - حكم الإعدام بدون محكمة شرعية مهما كانت درجات الغلطات، الواجب يحتم علينا أن نكون محاكم في كل مرة وفي كل حادثة .
- 16 - التقارير الزوررة لما يخفي الإنسان الحقيقة عن الحالة الحاضرة يكون قد ارتكب جريمة ضد النظام .

- 17 - الشهادة المزورة مهما كان الغرض فإنها مضادة لثورتنا وديننا .
- 18 - الفتية في وحدة أو مسؤول أمام وحدة أو مسؤول. إن هذه السيرة تحطم الطاعة وتقلب الأفكار وهي مضادة لسيرة المجاهد.
- مشاكل العامة لوحدة أو مجلس أوفرع تسوى وتبقى داخلية، والواجب إظهار الحقيقة أثناء الإجتماع. الانتقاد المفيد والانتقاد الذاتي هو من خصال ثورتنا.

3 - الخطيرة جدا .

- 1 - الفرار: كل مجاهد بترك وحدته بدون إذن فهو فار. لا يجوز للمجاهد أن يذهب من وحدته بدون أمر مهما كان نوع السبب وهذا أيضا في شأن المسبلين وجميع جنود المراكز العسكرية والاندائين. فعلى المجندي أن يقدم طلبه باحترام الدرجة في المسؤولية، ويجب أخذ الاحتياطات اللازمة عند فرار المجندي في أقرب وقت، ويجب نشر الخبر بسرعة .
- 2 - الخيانة ليست محصورة في الانضمام إلى العدو بل منها إفشاء أسرار الجيش ولو بالتعذيب وحينئذ يذهب للمجند الصبغة وشرف المجاهد.
- 3 - ترك المجرع أو السلاح أو الراية في ميدان المعركة .
- 4 - أعمال التمييز يعني تكوين أحزاب في صفوف جيش التحرير. الجزائريون الموجودون في جيش التحرير لهم وطنية تدل على حضورهم في الجيش لا فرق بين جميع المسؤولين في نظام واحد وتحت مراقبة المجلس الوطني للثورة الجزائرية. كل فرق مؤسس على اللغة أو الطبقة الاجتماعية أو على التفضيل فهو خطر على نظامنا. التربية ضرورية في هذا الشأن والثورة مرحة لا تقبل التجزئة .
- 5 - عدم الطاعة غير مقبولة في الجيش وخصوصا في وقت المعركة . والطاعة التامة ضرورية في نجاح أعمالنا. التنفيذ قبل كل شيء . والطلب من بعد.
- 6 - الانضمام إلى العدو مهما كانت الأسباب والمجاهد يحترم قدر الشعب والجيش ويدافع حتى الاستشهاد .
- 7 - السرقة تؤدي بصاحبها إلى الخيانة.
- 8 - استعمال اسم الجيش للأغراض الشخصية .

العقوبات

العقوبات مختلفة والمحاكم العسكرية حرة في اختيار العقوبات حسب الغلطات.

- 1 - عقوبات الغلطات الصغيرة : الزيادة في الحراسة، الزيادة في العمل، حلق الرأس، التوبيخ الخفيف، الدفن في الأرض، التوبيخ العنيف مع التسجيل في الدنتر العسكري .
- 2 - عقوبات الغلطات الخطيرة: الخفض من المسؤولية، التجرد من الرتبة مؤقتا أو مؤبدا .
- 3 - عقوبات الغلطات الخطيرة جدا: الإعدام بالرصاص بدون تجريد المجاهد من الثياب .

تنبيهات

- 1 - الطاعة وقت المعركة: المجاهد يجب عليه طاعة المسؤول ويقوم بالتحركات التي تطلب منه مثلا: إطلاق النار، الهجوم، الانتقال من الموضع في وقت الاشتباك، الانسحاب، التفرق إن دعا إليه المسؤول بعدما يكون محل الملاقاة معينا. ويجب على جميع الجنود الوصول إلى المكان المعين في أقرب وقت والاهتمام بالاجتماع في مكان الملاقاة ويأخذ الاحتياطات اللازمة ويجب على المسؤول تبديل الموضع إن وقع جندي أسيرا في يد العدو.
- 2 - في مدة التفرقة يلزم طاعة المسؤول في الدرجة العالية وطاعة القديم عند تساوي الرتب .
- 3 - يجب على الجنود الحضور في الاجتماعات السياسية والمطالعة في الجرائد والمنشورات العمليات الداخلية والمشاركة في المحادثات تقوي التربية، والتدريب العسكري يكون متابعا باهتمام، والتربية السياسية للمجاهدين ضعيفة ولهذا يلزمنا الاطلاع على كل ما يصدر من الجبهة في الميدان السياسي ويلزم حفظ القوانين العشرة الأساسية لجيش التحرير والقانون الداخلي والدروس العسكرية والمقررات.
- 4 - الدوران والانتقال في المراكز ينبه العدو، ويمنع المدنيون من كثرة التحرك في المراكز .
- 5 - السير ليلا يكون بالصمت وله قوانين يجب احترامها، والتكلم بالفرنسية تقع منه حوادث خطيرة .
- 6 - السيرة مع الشعب تكون محمودة ويجب على الجندي أن يستأذن مسؤوله في طلب ما يحتاج من الشعب .

- 7 - مراقبة الرسائل الخاصة دائما موجودة وتكون على يد المسؤول المباشر والمكاتبة هاته مرتين في الشهر.
- 8 - محاربة الأمية والجهل يكون دائما موجودة في جيش التحرير فعلى المجاهدين أن يوسعوا معرفتهم في لغتهم الغربية.
- 9 - كل من نزع السلاح لأخيه المجروح قد ارتكب جريمة والواجب أن يترك له سلاحه والمجروح خطيرا يعطى له مدسا وكل من يذهب إلى المستشفى له سلاحه.
- 10 - كل مجاهد ينتقل بإذن الولاية أو المنطقة أو الناحية يترك له سلاحه.
- 11 - يجب احترام الدرجات في الرتبة.
- 12 - يمنع ترك الجندي أكثر من ثمانية أيام بدون تعيين عمل .
- 13 - الصحة والألعاب لا تغير الاحترام .
- 14 - يلزم التاكيد على نظافة الجسد والثياب وحمل آلة الحلاقة وما ينظف الفم لجميع المجاهدين .
- 15 - يلزم مراقبة الأكل من المسؤول المعين .

ملحقات

- 1 - تكرار الغلطة الصغيرة بصيرها كبيرة وتدل على صاحبها أنه مسيء السيرة والخطيرة، تصير خطيرة جدا .
- 2 - صاحب الغلطة عند انتقاله يجب علينا أن نعينه ليرجع إلى السيرة الحسنة.

عن مجلس الولاية 4
في 18 أكتوبر 58

ظروف وكيفية استشهاد العقيد (سي احمد بوقرة)

اختلفت الآراء، وتعددت الإشاعات، وكثرت الأقاويل حول ظروف استشهاد بطل
الولاية الرابعة وبطل الجزائر الشهيد (بوقرة) إلى درجة جعلت الكثير من الناس
يصدقون كل الإشاعات ويعتبرونها حقيقة لا غبار عليها، والحقيقة التي لا مجال
للسك فيها أن البطل أغتيل بنفس الطريقة التي أغتيل بها الشهيدان (عميروش
والحواس)، ولتوضيح ما ذكرته بالأدلة والبراهين أذكر بعض الحقائق التي دونتها آنذاك:
أولاً: قبل استشهاد العقيد (بوقرة) بيومين أجرى اتصالاً لا سلكياً مع مقر
القيادة العامة في الخارج وأطلعهم -فيما أطلعهم- على سير العمليات في الولاية
الرابعة وشرح لهم واقعة معركة "الرقطة" وأنهى المكالمة على أمل الاتصال بهم مرة
أخرى إذا ما دعت الضرورة.

ثانياً: في اليوم التالي للمحادثة الأولى فوجئ العقيد بوقرة بمكالمة لا سلكية
عاجلة موجهة إليه من طرف القيادة العامة في الخارج، مما زاد في غرابة الأمر أن العادة
جرت على أن يكون الاتصال من الداخل إلى الخارج وليس العكس، والأمر المثير للسك
والجدل أن الاتصال تم عن طريق أرقام وشيفرة كان قد تم إلغاؤها نهائياً بعد أن تمكن
العدو من معرفتها، ثم أن المكالمة المستعجلة لم تطلب منه شيئاً ذا قيمة. كل ما في
الأمر أنها طلبت أن ينصب كميناً لقافلة عسكرية فرنسية قبل لهم أنها في طريقها من
البلدية إلى قصر البخاري وتحمل معها ذخيرة وعتاداً، وحسب زعمهم أن معلومات
واقية قد وصلت إليهم تنبئهم بتحريك القافلة من مكانها، وأنهوا مكالمتهم معه مؤكدين
له باسمه الشخصي أن القافلة ستتحرك في تمام الساعة العاشرة من صباح اليوم الموالي.
من خلال ما تم عرضه من وقائع تدرك أن جهاز التقاط الصوت عند الأعداء قد
تمكن بسهولة من معرفة المتحدثين ومطالبهم وبالتالي تمكن على ضوء تحليل المعلومات
والذنبات الصادرة من جهاز الاستقبال من تحديد مقر القيادة العامة تحديداً كاملاً.

وقمت المكاملة خلال يومي 23، 24 أبريل 1959، وكان القائد يتحاشى دوماً الاتصال بمقر القيادة العامة في الخارج إلا في الحالات الاستثنائية، وإذا ما اتصل بهم فإنَّ الاتصال يتم بطريقة سريعة وغير منتظمة ولا يذكر شيئاً في حديثه يمكن أن يستفيد منه العدو.

وبما زاد في خطورة الأمر هو استشهاد العقيدين (عميروش والحواس) الأمر الذي جعل القائد (بوثرة) يكثر من الحذر ويكثر من الحيلة إذا لم أقل أنه كان قلقاً كثير الشك خاصة عندما يستعمل جهاز الاتصال مع الخارج وهو يشبه الجهاز الذي كان مع العقيد لطفي يوم استشهاد.

والشيء الذي أثار القائد يومها وجعله يفكر ملياً في المغزى والهدف من الاتصال به أنَّ ذلك الاتصال المشؤوم وقع بعد يوم من اتصاله بهم ثمَّ إنَّ المعلومات التي أبلغه بها المسؤولون في القيادة العامة بالخارج معلومات عادية جداً لا تستحق عناية الاتصال باللاسلكي خاصة وأنَّ اتصال الخارج بالداخل غير معمول به إلا في أضيق الحدود، في حين أن اتصال الداخل مع الخارج هو المعمول به دوماً، وذلك لسبب بسيط وهو أن القيادة في الجبال قيادة متنقلة غير ثابتة في مكان مستقر، ثمَّ أنَّ الظروف تفرض على المجاهدين التنقل باستمرار... عكس الجيوش الكلاسيكية في العالم، وعكس ما هو معمول به في الحدود الشرقية حيث تملك القيادة العامة مكاتب ومراكز ثابتة تمكنها من التصنت والاستماع لكل المكالمات التي تصل إليهم من جميع أنحاء الوطن، ثمَّ أنَّ المعلومات التي وردت إليه في تلك الليلة معلومات تافهة لا تتطلب العناية أو النهج عن القائد للتحادث معه، ثمَّ من يثبت فعلاً وأنَّ قافلة عسكرية ستتحرك في تمام الساعة العاشرة صباحاً من النقطة (أ) إلى النقطة (ب) ثمَّ أنه لو افترضنا أنَّ الخبر المنقول إليه خبر صحيح فإنه من الناحية العسكرية لا يمكن لقيادة تشن حرب عصابات أن تأمر أفواجها بشن هجوم أو نصب كمين للعدو بسرعة متناهية، لأن الجنود غير متواجدين أمام مقر القيادة العامة حيث يوجد جهاز للإرسال، وتعبثهم ليست بالأمر السهل (وهم يعرفون ذلك تمام المعرفة) وهذا ما جعل القائد سي امحمد بوثرة يعبر ليلتها عن قلقه وغضبه على القيادة العامة، لأنه أدرك -من خلال المكاملة- أنَّ القوات الفرنسية قد تمكنت من تحديد مكان القيادة خاصة وأنَّ الاستعمار كان لا يشغله شيء، في ذلك الحين قدر انشغاله بالقضاء على قائد الولاية الرابعة، وكان الاستعمار قد ألقى بمناشير غداة اغتيال العقيدين (عميروش والحواس) كتب عليها

إننا نعزبك في موت رفيقك عميروش والحواس واعلم أنك ستكون القتيل الجديد بعدهما وأنا نأسف عن هذا التأخير المتعمد في حقك !

كانت هذه هي الوضعية التي كان عليها الشهيد يوم تلقيه المكاملة المستعجلة من القيادة العامة بالخارج، وكان الشهيد مقيما في تلك المنطقة التي استشهد فيها منذ يوم 15 مارس 1959، حيث أثر البقاء في تلك المنطقة بعد أن شارك في معركة طاحنة جرت أحداثها قرب جبل اللوح (بأولاد خليفة) وكان القائد قد شارك فيها مشاركة فعالة أذهلت الجميع حيث كان السباق إلى إطلاق الرصاص وإلى الزحف إلى الأمام لتطويق العدو، وقد استشهد في تلك المعركة 14 شهيدا جميعهم يتسابقون نحو الاستشهاد الواحد بعد الآخر من أجل حماية محفظة العقيد (أو مكتب الولاية المنقل) وما تحويه المحفظة من وثائق وخرائط وملفات، وكان كلما سقط شهيد حمل المحفظة نيابة عنه شهيد آخر إلى أن انتهت المعركة (ولم تقع المحفظة بين أيدي العدو).

وكان القائد قد رمى محفظته إلى جندي كان بجانبه إثر إصابة أحد المجاهدين بجروح وكان الجريح من أقرب الناس إلى قلبه وأكثرهم عطفًا عليه نظرا لصفه سنة فحمله القائد وابتعد به عن ميدان القتال ثم عاد مسرعا ليشترك جنوده في المعركة.

بقي القائد معنا في تلك المنطقة وفي يوم 4 ماي 1959 وقبيل منتصف الليل حلت بيننا كتيبة الزبيرية قادمة من منطقة الوئرشيس بعد أن أدت مهمتها بنجاح تام والمتشكلة في القيام بعمليات عسكرية متعددة لتدعيم الوحدات الموجودة هناك.

اجتمع القائد معهم وتحادث مع كل فرد من أفرادها مستفسرا من كل واحد منهم عن الوضعية العسكرية والاجتماعية وعن المصاعب التي واجهتهم، وكان ليلتها منشرح الصدر رقيب الإحساس إلى درجة كبيرة، وكثيرا ما عانق بعض الجنود أو داعب رؤوسهم وقربها إلى صدره، وفيما نحن على تلك الحالة من الفرح والاستبشار أخبرنا رجال الاتصال أن التحركات الواسعة التي شرع فيها العدو منذ يوم 23 أفريل قد وصلت إليهم، عندها أمرني القائد أن أغادر المكان رفقة الكتيبة الزبيرية بعد أن أصبح مستجيلا البقاء معهم في مكان غير آمن، وأوصاني أن لا أعرض الكتيبة، لأي اشتباك مع العدو إلا في حالة الدفاع عن النفس، لأن أفرادها مرهقون، ولأن ذخيرتهم غير كافية، وقال أنه سيعود إلى مقر قيادته كي يفوت على الأعداء فرصة الوصول إليه، وقيل أن أخطو بعض الخطوات توقف عن السير وناداني: لحضر يا لحضر، فالتفت إليه فأشار بيده أن أدنو منه... وقتت أمامه فقال هل فهمت ما أمرتك به؟ فقلت له نعم

فهت ما أمرتني به جيداً، فقال وهو يحتضني بعينه إذا ما حدث وتصادمت مع العدو فاستعمل أسلوب (La guêpe)، "بوزنزل" وحمل يدي بين راحتيه العريضتين ووظف بأصبعيه على ظهر كفي ثم سحب أصبعيه بسرعة وهو يقول هذا ما عليك أن تفعله "أقرص واهرب"، وودعني مرة ثانية متوجهاً نحو مقر الولاية في طريقه إلى (أولاد عنتر) من الجهة المقابلة لوادي الشلف واتجهت بدوري رفقة الكتيبة نحو (أولاد بن عيسى)، ولم أكن أعلم وقتها أنني أسمعه للمرة الأخيرة وأودعه آخر وداع.

سلكت طريقاً محاذياً لحافة الجبل وتعمدت ذلك كي لا أصطدم بقوات العدو الذين تسلقوا الجبال، وكان يفصلني عن القرية التي نتجه إليها نهر تداعب مياهه الحجارة المترسبة فيه فيصدر عنه خرير رقران وائع لا يعكس بأية حال نفسيتنا المتوهجة والقلقة، نهر يفصلنا عن قرية هواره.

حلَّ القائد بسرعة بمقر قيادته حيث وجد بعض الجنود ومعهم جهاز الإرسال (سبب البلاء) وهو نفس الجهاز الذي خصصت له المخابرات الفرنسية جزءاً كبيراً في تقريرها الرسمي المؤرخ بتاريخ 30 جوان 1958، بحيث تحدثت عن الجهاز في فقرة طويلة وعن المنطقة التي يوجد فيها وخصت بالذكر قرية (أولاد بوعشرة).

إلا أن الجنود أخبروه وأن عملية المسح التي يقوم بها جنود العدو مستمرة وأن أعدادهم غفيرة وأن مهمتهم هو تضييق الحصار على مقر القيادة والقضاء عليه وليس مجرد عملية عادية لتمشيط المنطقة كما كان يحدث دائماً. اختار أن يعود إلى المكان الذي افترقنا فيه علّه يجد دليلاً يرافقه إلى المكان الذي نحن فيه وفعلاً عاد من حيث أتى إلا أن ضوء النهار حال دون أن يبلغ هدفه بقي في مكانه.

وفيما نحن عند سفح الجبل نسير بخفية سمعنا صوت طلقات الرصاص وكانت الساعة تشير إلى العاشرة صباحاً وكنت أشاهد بعيني جنود العدو يزحفون على بطونهم نحو هدف معين كنت أرى ذلك بوضوح وأسمع أيضاً أصوات نداءاتهم إلا أننا لم نكن نعلم أن المقصود بالهجوم أساساً هو القائد نفسه وليس أحداً غيره.

وكنت أعتقد أن القائد موجود لحظتها في مقر قيادته في الشمال الغربي من قصر البخاري وليس أمامنا محاصراً ومطارداً، التزمت بالأوامر الصادرة إليّ من قبله وهي ألا أضرب إلا إذا دعت الضرورة إلى ذلك. تابعت المعركة عن بعد وأذكر لحظتها وأني قلت لرئيس الكتيبة (محمود رمضان) إنها معركة مع بعض أفراد الاتصال الذين لم يغادروا المنطقة كما فعلنا، أو ربما أن فوجاً عابراً وقع في كمين دون أن يدري، ولم

أُتق الرد الكافي على استفساراتي، وكما بدأ فجأة توقف أيضا فجأة صوت الرصاص فأدركت أن المعركة قد انتهت بسرعة لأن عدد المجاهدين كان قليلا وإلا لما توقف الرصاص عن اللعنة.

وفيما كان الجيش الفرنسي ينزل من أعلى الجبل كان من الضروري أن نشتبك معه بأسلوب (La guêpe) "بوزنزل" لأن أمرنا قد انكشف، النهر ورائنا والعدو أمامنا والمنافذ كلها مسدودة.

أطلقنا نيران أسلحتنا على العدو كرجل واحد لإرباكه ولشل حركته، وهو ما حصل فعلا وكان الصيد (ثميناً وسهلاً) غنمنا أسلحة وعتادا، وكان عبارة عن 14 قطعة من السلاح ومدفع رشاش في حين قتل عدد كبير من جنود العدو وجرح آخرون، ولم يصب أي فرد من الكتيبة بأذى. وصلنا إلى دوار هوارا وبعد لحظات استراحة واصلنا طريقنا نحو حناشة، وهي تبعد عن مكان الاستراحة بخمسة كيلومترات، وفي تلك الأثناء خططت القوات الفرنسية تخطيطاً كاملاً للانتقام من قتلها وهو ما حصل فعلاً إذ ما إن بدت أشعة الشمس تطل من الأفق حتى فاجأتنا القوات الفرنسية بشن هجوم كاسح تصدينا له بنفس الأسلوب "اضرب واهرب" وكانت النتيجة لصالحنا، وغممنا مرة ثانية أسلحة وعتادا، وتمكننا من أسر جندي فرنسي، وفي نفس الوقت نجح أفراد الكتيبة دون أن يصاب أحد منا بجروح سوى شخص واحد ضل طريقه، ولم نكتشف أمره إلا بعد أن منحنا السكان الماء والحيز والقهوة، ومن عاداتنا دائما أن نحصي المجاهدين إثر كل عملية عسكرية كي نعرف (بالأسماء) من استشهد أو جرح، وفوجئت بقياب واحد منا، في حين كان العدد كاملاً! طلبت أن يعيدوا الإحصاء مرة أخرى وكانت النتيجة مثل المرة الأولى، العدد كامل إلا أن جنديا من أفراد الكتيبة غير موجود وعرفت السر فيما بعدا والسبب أن شخصا طاعنا في السن رأبته يحمل على ظهره ذخيرة وسلاحا من غنائم المعركة، ولم أكن أعرفه من قبل، حيث تبين أنه التحق بنا واندس بين صفوفنا دون أن يتفطن إليه أحد، وعن سبب مجيئه قال لنا الشيخ (بن مينة) كنت مختفيا بين الأشجار في طريق ذهابي من قرية أولاد عيسى إلى قرية أخرى ووجدت نفسي في قلب المعركة فانضمت إليكم وأني أرفض العودة إلى القرية، كما أنني أرفض الذهاب إلى أي مكان آخر وسأبقى مجاهداً بهذا السلاح الذي غنمته، ولم نجد أي مبرر لعدم قبوله في صفوفنا.

ومن المكان الذي جرت فيه المعركة واصلنا سيرنا بخفية كي لا نصطدم مع العدو مرة أخرى، ثم عرجنا على ممر جبلي غير المر الأول وعدنا إلى المكان الذي فارقنا منه القائد (سي امحمد) وأمرت أفراد الكتيبة أن بناؤنا قسما من الراحة لأنني أدرك أن العدو لن يعود إلينا لأنه يواصل بحثه عنّا في المناطق الأخرى، وخطوت إلى نفسي أكتب تقريرا مفصلاً عن المعركتين وعن النتائج التي حققناها وأعلمه بخبر القبض على الأسير، وبحثت عن رجل الاتصال لأسلمه الرسالة فلم أعثر له على أثر فأيقنت أنه قد غادر المكان إثر انتشار القوات الفرنسية. طلبت اتصالا آخر وأمرته أن يحمل رسالتي المستعجلة إلى القائد (سي امحمد) وفيما كنت أناوله الرسالة خيل إليّ أنني سمعت (سي امحمد) يحدثني بصوته الحزين عن أهمية المحافظة على أفراد الكتيبة الزبيرية وعن أهمية التكتيك في أسلوب "أضرب واهرب" وعن السبب الذي دعا القيادة في الخارج إلى الاتصال به بواسطة جهاز اللاسلكي، وكنت أسمع صوته بوضوح وكأنه صادر منه حقيقة، وليس من خيال أو عن طيف بعيد، وفيما أنا غارق في تأملاتي عاد إليّ (رجل الاتصال) ليخبرني أنه لقي في طريقه أحد مرافقي القائد (سي امحمد) وهو (قدور البغدادي) حيث وجده دون بقية رفاقه وأعلمه أنّ القائد قد يكون في عداد الأموات، فطلبت منه أن يسرع في إحضار الجندي (قدور) الذي تنحصر مهمته في كونه كاتب الناحية، فجاء إليّ مسرعا وبدون مقدمات قال لي بصوت متهدج تخنقه العبارات، لم يبق من الأفراد المرافقين للقائد (سي امحمد) أي أحد سوى أنا حيث استطعت النجاة، وأني لم أجد أثرًا للقائد وأني لا أعلم هل قتل أو أنه لا زال على قيد الحياة محتفياً في أحد الأماكن، أو أنه أسر لدى العدو، وشرح لي باضطراب كيف ولماذا عاد (سي امحمد) إلى هذا المكان دون أن يبقى في مقر قيادته، وأضاف قائلاً أنّ القائد كان يرغب في الاتصال بكم والاندماج مع الكتيبة الزبيرية بعد أن شاهد كثافة القوات الفرنسية إلا أنّ ضوء النهار اللعين حال دون وصولنا إليكم خاصة وأنا كنا نجهل مكان تواجدكم بالضبط.

ولم أتمكن من أخذ بقية المعلومات أو استدراجه إلى الحديث عن الواقعة وكيفية استشهاد البطل، لأنّ حالته النفسية لم تساعد على ذكر التفاصيل، حيث كان مضطرباً كثير البكاء كثير التلعثم، طلبت منه أن يسكت راقفة به وأن يرافقني إلى المكان الذي استشهد فيه البطل ورفاقه، ورافقني بعض الإخوة (الازالوا على قيد الحياة) منهم (بن قربان وجلول وبعض الجنود الآخرين).

والمكان موحش وخال ولا أثر فيه للحياة وصفير الريح يصم الأذان، وهو عبارة عن خلاء شديد الانحدار تحيط به أشجار عالية وممرات صغيرة تتفرع عنه، وتربة سوداء ندية تملأ الرقعة الأرضية، فتشنا المكان حجرا حجرا وشجرة شجرة فعثرت غير بعيد على قشابية القائد وكتبت أعرفها تمام المعرفة، نفضت عنها الغبار وأوراق الشجر العالق بها فلم أجد أي أثر يدل على أن صاحبها قد استشهد لا ثقبوب فيها ولا دماء، وغير بعيد عنها عثرت على الشاش وكان المرحوم (بروشوشي) يلقه على عنقه وكان أيضا خالياً من آثار الرصاص أو الدماء، وغير بعيد نظارة ملقاة على الأرض وزجاجها سليم ويجانبها صدرية من الصوف الأخضر كان يملكها (محمد المسبل) وهي الوحيدة المليئة بالثقبوب والدماء ومعفرة بالتراب، وهنا وهناك على الأرض خراطيش فارغة وآثار كثيرة لأحذية الجيش الفرنسي وماعدنا ذلك لأشيء سوى التراب الأسود والحجارة الصماء وصفير الرياح وحفيف الأشجار العالية، وبين الأشجار والحشائش عثرت على جثث الجنود المرافقين للقائد بعضهم سقط على وجهه والبعض الآخر استند بجثته على فرع شجرة والبعض الآخر ملقى على ظهره، إلا أنني لم أعثر إطلاقاً على جثة القائد ولا على جثث بقية الضباط المرافقين له وهو ما أعطاني بعض الأمل في أن القائد يكون لازال على قيد الحياة أو أنه قد اختفى عن الأنظار يداوي جروحه، وعشنا نتربق ما ستسفر عنه الأحداث من مفاجآت إلى أن كان يوم (8 ماي 1959) عندما حلقت فوق سماء المنطقة طائرات حربية تلقي بمناشير كتب عليها (إن بوفرة قتل وأن أمره قد انتهى)، كان أول رد فعل لنا، شن سلسلة من الهجومات والكمائن ضد مراكز العدو وثكناته، وفي أحد الاشتباكات ألقى القبض على (قدور البغدادي) قبل أن نتمكن من معرفة تفاصيل استشهاد البطل، حيث حالت الاشتباكات والمعارك بيننا وبينهم، فلم يتسع الوقت لكي نستكمل معه الحديث عن ظروف المعركة، حاولنا المستحيل كي نعرف المكان الذي نقل إليه أسيراً. وفيما بعد علمنا أنه سجين في محتشد (كامورة) عرفنا ذلك بواسطة عجوز لها قي نفس المحتشد أسيران من أولادها تربطهم صداقة متينة بقدور البغدادي وكلهم من مدينة المدية، فأرسل معها رسالة يخبرنا عن مكانه.

كاتبته بدورنا برسالة نعلمه فيها أننا نود شرحاً إضافياً عن كيفية المعركة التي استشهد فيها البطل وطلبنا منه ذكر بعض التفاصيل. تلقى الرسالة وكتب إلينا بدوره رسالة يوضح فيها ما طلبناه منه، إلا أن السلطات الفرنسية اكتشفت أمر الرسالة وعرف

المستعمر حقيقة الأسير وأهميته بالنسبة إلينا، فأعدم في الحال رمياً بالرصاص كي لا يبوخ بسرّه عن كيفية استشهاد القائد.

ولم نعلم بموته إلا بعد مدة زمنية واكتشفنا أيضاً أنّ القوات الفرنسية تنقل يومياً الأسرى من المعتقل لتشفيلهم في بناء المراكز العسكرية والحصون وشق الطرقات، وما إن ينتهي الأسير من أعماله التي كلف بها حتى يعدم رمياً بالرصاص ويتم الإعدام عادة في محر ضيق يتوسط جبلين، وأخبرنا بذلك أسير تمكن من الفرار قبل لحظات من إعدامه ولازال حياً إلى اليوم ويدعى (أحمد موسطاش). وتمت عملية الإعدام على الشكل التالي: تقف في المكان المخصص للإعدام شاحنتان عسكريتان وينزل منها الجنود ومعهم الأسير أو الأسرى وفي منتصف الطريق يطلق عليهم الرصاص وتركون جثثهم في العراء، ويعود الجنود من حيث أتوا وكأنهم لم يرتكبوا جريمة قتل دون محاكمة، والمكان هو قرية (أولاد حمزة) شمال قصر البخاري.

وكان المجاهدون يذهبون فيما بعد لدفن الضحايا كي لا تترك جثثهم في العراء، واكتشفت السلطات الاستعمارية عملية الدفن، فعمدت إلى وضع متفجرات شديدة المفعول تحت جثث الضحايا وما أن يلمس الإنسان الجثة حتى تنفجر وتفجّره، فعمدنا إلى تغيير الأسلوب... بأن يسحب المجاهد جثة المعدم بواسطة حبل طويل في نهايته عقدة على شكل حلقة تضيق عند الجذب... إلا أنه كثيراً ما يجذب الحبل نصف الجثة أو جزءاً منها نتيجة تطاير وتناثر الجثة في الهواء. ١١

كانوا يملئون بالجلث ويعدمون الأسرى وشوهون الأحياء، في حين أنّ الثورة ومنذ اليوم الأول الذي انطلقت فيه رصاصتها الأولى عمدت إلى المحافظة على الأسرى محافظة تامة.

ويتحدث التقرير الشهري الصادر عن المكتب الثاني والذي توزع منه (في إطار السرية التامة) 25 نسخة لخمسة وعشرين إطاراً من إشارات الجيش الفرنسي على مستوى القطر كله.

يتحدث هذا التقرير عن معاملة الثورة للأسرى، فكتب يوم 30 جوان 1958 مايلي: - أفادتنا بعض المعلومات الواردة إلينا من مصادر عليمة أنّ المسؤولين من ضباط جيش التحرير يشددون في أوامره الموجهة إلى الجنود للمحافظة على أرواح الأسرى الفرنسيين وحشهم، على إلحاقهم بسرعة إلى الحدود الشرقية وتسليمهم إلى هيئة الصليب الأحمر الدولي دون أن يعرضهم إلى هجومات تؤدي بحياتهم مع احترام

إنسانيته، هذا ما جاء في تقريرهم السري، في الوقت الذي يعدمون فيه بلا محاكمة أسرانا، بل ويضعون الألقام تحت جثثهم وهم الذين يدعون أنهم من بناء الحضارة الإنسانية، وهو ما يدعوننا إلى القول أن الحضارة الفرنسية (شهادة مزورة).

وصادف أن كان معنا أثناء استشهاد البطل (بوثرة) أسيران من الأباء البيض ألقى عليهم القبض كنوع من رد الفعل على أسر الشيخ (سي إبراهيم) إمام مسجد المدينة، والذي أعدم بالرصاص دون محاكمة، لأنه رجل دين يبحث الناس في خطبه على الجهاد في سبيل الله، وكان صديقاً للراهبين.

قتلوا الإمام والبديل عندنا هو إطلاق سراح الراهبين عملاً بالأصول وبالمثل الإسلامية العليا، وكسبنا من وراء تلك العملية صداقة رجلين من رجال الدين المسيحي، فتعهدا لنا بمد يد المساعدة ما استطاعا إليها سبيلا، وقعدا نفذا ما وعدا به. وحلا معهما المناشير التي كتبها الدكتور فارس وقاما بتوزيعها على الجنود والمعمرين مبرزين من خلالها فظاعة ما يرتكبه الجيش الفرنسي، لأنهما رجلا دين، فقد طرد الأول إلى إيطاليا في حين فرضت الإقامة الجبرية على الثاني وحرم من مزاوله طوقه الدينية ومنع من دخول الكنيسة.

وبعد مدة من الزمن ألقى القبض على الدكتور (بحي فارس) ونفذ فيه حكم الإعدام بنفس الطريقة التي أدان بها المستعمر في منشيره، وفي نفس المكان الذي يحدث في منشيره ونفس الأسلوب أيضا أعدم أيضا الدكتور (إسماعيل بوضرية).

إن الدكتور (بحي فارس) من الأطباء الذين تركوا مقاعد الدراسة في جامعة (مونبولي) للالتحاق بالثورة عن طريق المغرب، التي قدم منها إلى الولاية الرابعة سنة 1958 وقد استفادت الثورة من ثقافته وعلمه أيما استفادة، سواء فيما يتعلق بالعلاج أو بكتابة المناشير التي كان يرد بها على ادعاءات المستعمر وكان من بين قائمة الشهداء (الأطباء) الذين جاهدوا في الولاية الرابعة وهم الدكتور:

- يحي فارس (استشهد)
- محمد بن سونة (توفي بعد الاستقلال)
- بكير قديري (استشهد)
- إبراهيم تريش (استشهد)
- محمود حُوشْتُ المجلس جراح أسنان (استشهد)
- علي آيت إدير (استشهد)

- سليم زميرلي (استشهد)

- إسماعيل بوضرية (استشهد)

- الجيلالي رحمون (توفي بعد الاستقلال)

- إسماعيل دهلوق (لا زال حياً)

- سعيد هرموش (لا زال حياً)

وهؤلاء إطارات الولاية الرابعة وأعتقد أنه لا توجد ولاية أخرى استشهد فيها مثل هذا العدد من الإطارات المتعلمة وخاصة من الأطباء، إضافة إلى قائمة طويلة من المرضى والمرضات تجاوز عددهم العشرات، وغيرهم من شهداء الولاية الرابعة وجميعهم من أتباع وجنود الشهيد القائد (بوثرة)...

15 ماي 1959 أطلق الفرنسيون دعابة مسمومة مفادها أن العقيد (بوثرة)

قتل بفضل معلومات نقلت إليهم عن مكان تواجده بواسطة بعض المجاهدين من رفاقه واستطاعت الثورة أن تقضي على الإشاعة بسرعة وأن ترد عليها بما يفيد وأن الولاية الرابعة لم تعرف في تاريخها خيانة ولا تأمرا وأن القائد قد استشهد بعد أن تمكنوا من حصر مكان تواجده إثر تحليلهم لموجة الذبذبات الصادرة من جهاز الإرسال خاصة بعد أن ذكر إسمه شخصيا في المكالمات واستشهد مع القائد الإخوة الأتية أسماؤهم:

- رشيد بوشوشي (ضابط برتبة نقيب)

- محمد المسبل

- عمار

- دحو

- بوزيان (رئيس المركز) وعشرة آخرين من جنوده.

استشهد القائد وعمره لا يتجاوز 31 سنة، كان طويل القامة غزير الشعر، كث الحاجبين واسع العينين، أنيقا، دائم الابتسام، وكنا نشبهه بجمال عبد الناصر أيام شبابه من حيث طول القامة وشكل الأنف والشارب.

كان متواضعا، شديد التواضع، لم أعرف عنه يوما أنه أهان جنديا أو مواطنا مهما كان غضبه عليه شديدا، يطعم الجنود بيديه ولا يأكل إلا بعد أن يشبع جنوده، يتفقد أحوالهم ويسأل عن أحوال الشعب عامة، وكان يعرف كل صغيرة وكبيرة في الولاية، وكان لا ينام إلا إذا استمع إلى شكاوي المواطنين خاصة أرامل وأبناء الشهداء، وكثيرا ما حل مشاكلهم قبل أن ينام، وكان إلى جانب خصاله وصفاته القتالية كثير

العاطفة شفاف الروح يتذوق الشعر والغناء، فاجأته ذات يوم وهو منكب على كتابة تقرير وبيجانبه مذبح صغير يذيع أغنية لا أعرف عنها شيئاً وهو يدندن مع الأغنية بصوت رخيم عذب، فاحمرّ وجهه عندما شعر بوجودي بجانبه وكأنه قد ضُبط متلبساً بشي، غير طبيعي فقال لي وهو يتسم على استحياء:

إني لا أمسّل مطلقاً من سماع هذا الصوت، فهذه مطربة عظيمة أم كلثوم (حلوة) ومنذ ذلك اليوم استعملنا كلمة (حلوة) لكل عمل عظيم، ولكل موقف عظيم ولكل معركة كبيرة كقولنا مثلاً هذه معركة (حلوة) أو هذا كمين (حلف).

وذلك هو القائد (سي امحمد) السياسي والعسكري والإنسان الذي يفوق بين الواقع والخيال ويعرف قيم الرجال ويعطي لكل ذي حق حقه. عرف عنه الصرامة والجديّة منذ أن كان مناضلاً في الحركة الوطنية إلى غايته التحاقه بالمنظمة العسكرية السرية التي هيأت للشورة إلى يوم وفاته رحمه الله.

كان الفقيه قد بذل ماله وروحه في سبيل تحرير وطنه مات في ريعان الشباب دون أن يتزوج، همه الوحيد تحرير الأرض والإنسان.

كان براً بالديه وإخوته عطوفاً عليهم ويقدر ما كان قاسياً على عدوه كان حنوناً ورؤوفاً على أهله ورفاقه وكل ما قيل بالأمس ويقال عنه اليوم لن يعطيه حقه من التكريم، ونحن نسأل لماذا ونحن في نهاية الثمانينات ليس له إلى اليوم قبرٌ يضم جسده في حين أن بعض رفاقه جيء بجثمانهم من أماكن متعددة لماذا بقي وحده نسبياً منسياً لا نعرف أين دفنت جثته؟ وتكريم جثة المقاتل يعني تكريم الوطن والأمة والتاريخ، بماذا نفسر مطالبة بعض الدول -التي لا تعترف بقيم أو تقاليد- باستعادة جثة جندي سقط في معركة غير متكافئة مقابل ما يعادل مئة أسير، إذاً لا يكفينا اليوم أن نكتب أو نحاضر أو نعلق صور (سي امحمد) أو نسمي باسمه الشوارع والساحات أو نقيم له التماثيل أو نقف للترحم على مكان استشهاده في المناسبات أو نسمي باسمه أطفالنا... لا يكفي ذلك ولن يرضى عنا الشهيد إذا لم ندفن رفاقه في قبر يكون مزاراً للعلم والخاص إسوة بما فعلوه مع أبطال الجزائر الآخرين، فليس بكثير عليه وعلى الولاية الرابعة أن يهتم المعنيون بأمره ويبحثون عن مكان اختفاء جثته بالطرق الرسمية والدبلوماسية، إذ يكفي فخراً أنه واحد من الذين صنعوا ثورة نوفمبر وهو الرجل الذي صنع الولاية الرابعة وحافظ عليها من الهزات، وهو الذي جعل منها

قوة يحسب لها العدو ألف حساب وهو الذي أمر بإرسال وحدات وأبطال من الولاية الرابعة لجمع شمل الإخوة في أماكن أخرى كثيرة شهدت خلات ومشاكل عديدة، وهو الذي دعا إلى عقد مؤتمر محضره جميع الولايات لوضع برنامج ومخطط مضاد لبرنامج فرنسا ومخططاتها، وهو الرجل الذي كان نعم الرفيق والصدیق لقادة الولايات الأخرى أمثال عميروش والحواس وأوعمران وكریم وديدوش وعبان وبن مهدي وبن بولعيد وزيقوت وغيرهم...

وهو الرجل الذي وضع روحه على كفه ليلة أول نوفمبر، جعل من القلة القليلة أبطالاً، وهو الذي اهتم بالإنسان ومحيطه قبل أن يهتم بنفسه، وحتى بعد رحيله بقيت الولاية الرابعة بالرغم من كل المحن التي تعرضت لها قاعدة متينة للنضال، رجالها أشداء وجماهيرها متحدة ومعابة، وفي هذا الشأن يقول تقرير المخابرات الفرنسية وهو يصف الحالة النفسية والسياسية لبعض الرجال في الولاية الرابعة، ويشير إلى ضابط اسمه (حميد) إشارة لا تخلو من معاني التقدير والاحترام، و(حميد) هذا الضابط الصغير السن يحبه الجميع لأنه شجاع وقوي وصامد إلى درجة الاندفاع أحياناً. وعن اندفاعه خاطبته مرارا واستعملت معه أسلوباً قاسياً خوفاً عليه من المفاجآت التي تحدثها اندفاعاته.

هذا الرجل والضابط الشجاع الذي تحدثت عنه التقارير السرية للعدو، كان من صنع الشهيد القائد (بوثرة) وكان التقرير يشير إلى السوار بكلمة المجاهدين فلم يستعمل أثناء حديثه عن الثورة كلمة (فلافة) أو الإرهابيين. والفضل في ذلك كله يعود أساساً إلى القائد الشهيد بوثرة الذي فرض إرادته على المستعمر وفرض احترامه على الجميع.

ولولا حسن تنظيمه وتسييره لشؤون الولاية الرابعة لما قال الجنرال (ماسيو) وهو يتحدث عن الولاية الرابعة: (أستطيع القول أن الثورة في الولاية الرابعة هي ثورة طاهرة).

كان بوثرة يحتوي المجاهدين كما تحتوي الشجرة ثمارها وكان دوماً معنا كالنهر مع مجراه، كان الشهيد (سي امحمد) بالنسبة لي أحاً وقائداً ومعلماً، ولن تبرح صورته خيالي مادمت حياً، أقتله كل يوم يحثني على الدعوة لأن أذكر الذين بقوا على قيد الحياة من رفاق الدرب بآثر الثورة وأهمية المحافظة على الاستقلال وعلى وصية الجندي الشهيد، وأذكر الأجيال القادمة بعظمة الثورة كي لا تنسى في زحمة الإفراقات اليومية

تضحيات الشهداء، وها أنذا بعد هذا العمر الطويل أفعل ما أمرني به (قائدي) ومن خلال كتابي هذا أكون قد طالبت نيابة عنه وعن جميع المجاهدين ونيابة عن معارفه ورفاقه ونيابة عن التاريخ بالبحث الجدي لاكتشاف مكان رفاته ودفنه، في معلم بارز كي لا تبقى صفحة مشرقة خارج مجلد التاريخ 1

وفي هذا ردٌ لذين لازال في عتقي في حق رجل علمني معنى الكرامة ومعنى الإنسانية ومعنى الوطنية، وعلمني معنى عزة الموت ووقفة الحياة.

وما يتصف به العقيد من صفات الثورة والحصال النضالية لا يعني ذلك أنّ الثورة لم تعرف ضمن مسيرتها النضالية إلا الإيجابيات والبطولات والعظما والظاهرين، إنما عرفت أيضا وضمن ما عرفته سلبيات عديدة وهي السلبيات التي مدت في عمر الحرب شهورا طويلة والتي كلفت الوطن ما كلفت من خسائر ودمار.

فكلنا يعرف أن ثورة الجزائر هي ثورة عمال وفلاحين (أي ثورة خطط لها ونفذها في ظروف غير عادية المواطن العادي) ولم تكن ثورة رسل أو أولياء صالحين، أي أنها لم تكن ثورة منزلة من السماء، بل كانت ثورة بشر على الأرض، وضمن التركيبة البشرية للمجاهدين نجد أنّ فيهم أبطالاً وعمالقة وفيهم أيضاً ضعاف النفوس، ومن يدعي أن الثورة الجزائرية طوال مسيرتها الطويلة جداً لم تعرف الأخطاء والصعوبات مثل الذي يخفي رأسه في الرمال اعتقاداً منه أنه قد اختفى عن أنظار العدو، ولذا وضمن سنوات النضال الطويلة فقد جرت وقائع وأحداث بعضها منطقي وسليم وبعضها غير طبيعي وغير منطقي بالمرّة، والنماذج البشرية أثناء الثورة التي كونت في مجملها جيش التحرير كانت على الشكل التالي:

1 - أناس عاديون جداً ساقطهم الأحداث إلى الثورة فانساقوا معها دون أن يؤثروا في الثورة لا من قريب ولا من بعيد.

2 - أناس نظريون يفضلون النظرية على التطبيق وكان لهم تأثيرهم السلبي على مسيرة الثورة.

3 - إيديولوجيون همّهم الوحيد ترسيخ مفهوم الأيديولوجية وتحجوير مسار الثورة نحو اتجاهات مختلفة، وعن هذه النماذج أذكر ما حدث لي ذات مرة حيث جرى نقاش بيني وبين مجاهد (ماركسي العقيدة) انضم إلى صفوف الثورة بعد أن آمن بانتصارها، وهو المسمى (مصطفى سعدون) من مدينة شرشال، إذ سألتني ذات يوم: هل تلك أيديولوجية تدافع عنها وتريد تحقيقها؟ فنظرت إليه باستغراب ولم أقل

له شيئا لأنني اعتقدت لحظتها أنّ "الأيدولوجية" التي يتحدث عنها هي سلاح جديد لا أملكه ولا أعرف نوعيته! فما كان منه إلا أن بادلني بنظرة استغراب إذ خيل إليه أنه لا يمكن أن ينضم شخص إلى صفوف الثورة دون أن يكون أيديولوجيا أو مهيكلًا داخل تنظيم أيديولوجي !

4 - والبقية التي التحقت بصفوف الثورة من صفوف الشعب آمنوا بالثورة إيمانًا لا حدّ له، وهذا النوع من المجاهدين سريع التأثير إلى درجة أنّ بعضهم يتصرف وكأنه شخص مسلوب الإرادة أو فاقد الوعي، ومنهم من قتل بيده أخويه أو أمه من أجل الثورة وحماية المجاهدين، وهو ما حصل فعلا في إحدى الأماكن في الولاية الرابعة حيث قتل مجاهد أفراد عائلته من أجل حماية الثورة كما ذكرت. هذه هي الحقيقة كما عشتها والله شاهد على ما أقول !

جبهته وحيث - التبرير، الوطن
الولاية، الراية

والأخ، العقيد بن محمد
حياتك الوطنية
لقد تبنى العهد والى خطتنا الهادفة
التي قلاع مركز أولاد أحمد
المتفرح يوم 21 أفريل 1959
وقام العهد يوم 24 أفريل بعملية
مأسسة فخرنا أهمية أولاد عابد
لتجارتهم في البراري ومكانت الحركة
كثيرة المستطنا طائيرة
حقوا في الأرياف البراري
فقر البغاري والبرواقية ونفسنا

بخصوص استعمال العقير
 اكتبو رتب ورت حواس وصوره
 الطريه ما بين قمر كرتة والمندو
 الاندنيا يظهر انفس الالاته
 في بينه والهدو - والهدو
 سيقف الالاته - ومفرد العصور
 بعنت و سالت الى الرسومات
 في الانطقه المتاخره لا من
 الجمال لا ساكنه واول حاله
 و سالت
 صورته انفس
 مع اجزاء
 الايسر والمفرد
 23 ابريل 1939



20 نسيه حشره اطلعت
 و صدرع ر شانه من جوع اهل
 و تقبل فيما ظاهرا من نسيه كتمان
 و غلبنا و ما يتعلم و حصره اولاده
 و نذره حشره
 و الاسته من حشره
 و كسرت به حشره و من نسيه
 اجدت من حشره ما بين النسيه
 دلولى و كسرت له اليناه
 اندر من انظر ايضا من حشره قول
 في الشعر المباح
 و اجبرنا بعنت المكي تنكرونا
 منخله مع الطفيله من النسيه
 و انتاده و حركته و زفت الطابيره
 على ارض و الحركه من نسيه حشره

شهادة «من أجل مليون من الشهداء.» (أ)

مالك بن نبي - كاتب جزائري

كنا في انتظار المفاوضات التي ستضع كلمة الختام في تلك الصفحة الرائعة والأليمة التي كتبها الشعب الجزائري في التاريخ بدمه الزكي. وإذا بالصحافة توقظنا ذات صبيحة لتخبرنا بأن المفاوضات قد انتهت بمدينة «إيفيان» وكأنا مررنا بمنطقة ظلام أخفت مؤقتا عن الأنظار بعض الحقائق التي لم يكن الاستعمار يرغب أن يعلمها الشعب الجزائري. ولكن هذا الشعب سيدعى على أي حال لتقرير مصيره، وهو يعلم أي ثمن فادح قد دفع لاكتساب هذا الحق.

ولو كان الموت هو المرجع الوحيد لتقدير هذا الثمن فلا شك أن شهادة المقبرة الهائلة التي تجمعت فيها وفاة مليون من الشهداء، لكافية لتقديره، وللزام كل جزائري بأن يقوم بواجبه كشاهد حتى لا يذهب سدى هذا الثمن الفادح.

وربما شعرت بهذا الالتزام أكثر من غيري لأنني عندما نزلت القاهرة سنة 1956 لأضع قلبي وشخصي في خدمة الثورة، أبت الأقدار إلا أن تضعني منها موضع الشاهد لأسباب سأعلنها يوم يحاسب الشعب الجزائري كل فرد من الذين كانوا بالقاهرة - هذه الفترة - عن أعماله.

وعليه فمن واجبي أن أقوم بدور الشاهد بكل إدراك لمسؤوليتي في هذا الدور.

(ب) النسخة الخطية الأصلية لهذه الشهادة زودنا بها الباحث الجزائري المقيم بباريس الدكتور صادق سلام، وقد أدرجناها كوثيقة هامة في هذا الكتاب لصلتها المباشرة بموضوعه. (المؤلف).

وإنني اشعر بهذا الواجب بصورة خاصة في الوقت الذي سبقوم فيه الشعب الجزائري بآخر وأخطر عمله الثوري، إذ هو العمل الذي سيحقق كل نتائج ثورته. أو يعرضها للتلف، إذا ما -لا قدر الله- لم يكن لديه من المعلومات ما يجعله يتخذ الاحتياطات اللازمة أثناء الاستفتاء. وخلال الانتخابات التي تتبعه. ولو أردت أن أعبر عن شعوري بكل وضوح للزم أن أكتب كتابا لأصف وضعا قد يكفي أن نقول عنه أنه فاجأنا بتفاصيله الغريبة من حين إلى آخر. عندما نرى مثلا القاضي لحضري وهو من هو يتكلم للشعب الجزائري من صوت العرب؟ أو نرى عبد الرحمن البعلاوي يتولى في دمشق الإشراف على حسابات الثورة... إلخ إلخ ! إلخ...

وهذا الوضع هو الشيء الذي يجب اليوم على الشعب الجزائري أن يعرف حقيقته حتى لا يضع بناءه السياسي والاجتماعي بعد الاستقلال على أرض تفرض فيها الأقدام في الحيانة والمكر، واللامسؤولية. ومن حقه أن يعرفه قبل أية انتخابات مزعومة يستعد لها كل زعيم للانتصار على غريمه للاستيلاء على مصير الشعب الذي سبقه هكذا في أيد تتقاذفه من الحكيم بن جلول إلى مصالي الحاج، ومن هذا إلى فرحات عباس وفرانسيس، ومنهما إلى بن خدة وبوالصوف، ومنهما إلى زعيم آخر، كل يلعب ويعبث كيفما شاء بمقدرات الشعب ومعنوياته على الطريقة التي يريد بها الاستعمار ويؤيدها علنا أو خفية !

يجب أن ينتهي هذا الوضع المخزي، ولن ينتهي أبدا على يد أي زعيم يرغب في إبقاء هذا الوضع لحسابه⁽¹⁾ وإنما سينتهي على يد الشعب نفسه على شرط أن يعرف الحقيقة التي اتفق إجماع الزعماء على إخفائها.

ولهذا نقترح عقد مؤتمر شعبي عاجل بالمقبرة التي تضم جثمان مصطفى بن بولعيد وأن يشكل هذا المؤتمر على الفور لجانا تختص كل واحدة منها بالتحقيق في نقطة من النقاط الآتية وهي ملزمة بتقديم تقريرها في وقت معين قبل إجراء أية انتخابات في الوطن :

(1) وهذا ما تؤكد تجربتنا الأخيرة، حيث أننا حاولنا أن نبليغ هذه الشهادة إلى الشعب عن طريق مجلس الثورة عندما كان مجتمعنا بطرابلس، وقد أبلغناها بهذا لأحد الزعماء كي يعلنها لهذا المجلس ولكن الزعيم تفضل بكتمانها لأنه لا يريد أن يعرف الشعب واقعه.

1 - تحقق عن الظروف المريبة التي تكونت فيها بالعاصمة (الجزائر) منذ شهر أفريل 1955 قيادة منفصلة عن قيادة الثورة بجبل الأوراس وتؤكد انفصالها بليقها المستعار (ZAA) أي القيادة المستقلة لمنطقة العاصمة.

ومن المعلوم أن هذا السلوك يخالف تماما مبدأ «وحدة القيادة» الذي يجب التمسك به في الحروب العادية وفي الحروب الثورية على وجه الخصوص، حيث يؤدي كل ازدواج في القيادة إلى تبيد الطاقات الثورية حتى على فرض أن تصدر كل قيادة نفس التوجيهات التي تصدرها الأخرى بينما رأينا قيادة العاصمة تتخذ قرارات تخالف تماما خطة القيادة «بالأوراس»، مثل الدعوة إلى مؤتمر الصومام في 20 أغسطس 1956 وتأسيس مجلس التنسيق والتنفيذ (CEE) الذي عبر تأسيسه عن قلب النظام الثوري رأسا على عقب، حيث كانت نتيجته الأولى تقرير أولوية الجانب السياسي على الجانب العسكري في قيادة الثورة وتوجهها، أو بعبارة أخرى وضع مصير بن بولعيد وإخوانه المجاهدين تحت سلطة السيد فرحات عباس وفرانسيس وبن خدة إلخ... حتى خرجت الثورة من يد الأبطال الذين أسسوا جيش التحرير (ALN) وأصبحت بيد أولئك السياسيين الذين كونوا نقابة لرعاية مصالحهم أطلقوا عليها إسم «جبهة التحرير» (FLN) لإغراء الشعب بالألقاظ.

ومن تتبع بإمعان تاريخ هذه الفترة قد لاحظ بدون أي شك التغيرات العميقة التي حدثت في جهاز الثورة كله حتى يستطيع المؤرخ الخبير أن يعبر عن الوضع الجديد بأنه كان في الحقيقة حركة ضد الثورة توجهها من بعيد أيدي خفية من «باريس» و «العاصمة»، حركة مُقْتَنَعَة تفاجئنا أحيانا بتفاصيلها الغريبة مثل التي ذكرنا والتي لم نذكرها عندما بُتَّصَبُ على وجه المثال رجل كاليزيد الذي أذعرنى جهله (يوم اكتشفت ذلك في مناسبة معينة) في منصب وزير استعلامات؟!

فهذا الوضع الغريب هو الذي يزحف الآن إلى حلبة الانتخابات المقبلة ليصبح الوضع الشرعي في الجزائر المستقلة.

2 - تحقيق عن الظروف المريبة التي وجد فيها حتفهم أولئك الرجال الذين قادوا الثورة في خطواتها الأولى «مصطفى بن بولعيد»، «عباس لغرور»،

«يوسف زيفود»، «بن مهدي» «عميروش»، «الكولونيل محمد الباهي»، «عبد الحفي» إلخ... ١

وربما يكشف التحقيق عن صلة مقتل هؤلاء الرجال بأولئك الذين نصبوا أنفسهم قيادة مستقلة بالعاصمة في شهر أبريل 1955، والذين كانوا يهدفون بكل وضوح إلى الاستيلاء على مقاليد الثورة كما يبدو ذلك أيضا في اختطاف بن بلة^(١).

3 - تحقيق عن تصرف القيادة التي كونها مؤتمر الصومام من وجهتين:

أ - أن القيادة الفرنسية استطاعت أن تنشئ خط موريس المكهرب بكل هدوء دون أن تقوم القيادة الجزائرية الجديدة بأي مجهود يبطل هذا المشروع أو يعطله على الأقل.

ب - وعلى العكس نرى القيادة الجزائرية تعطل في هذه الفترة بالذات تموين الجيش في الداخل بالسلاح والذخيرة، بل تعطله في الوقت الذي كان يجب فيه تنشيطه نظراً لبناء «خط موريس».

ومن الواقع نرى النشاط الثوري كله يخمد منذ مؤتمر الصومام ونرى الوحدات المقاتلة التي كانت تفت في وجه الاستعمار في الداخل تسحب بالتدرج على الحدود شرقا وغربا كأنما إرادة خفية تُنشئ بذلك موقفا يتيح للقوات الاستعمارية أن تسترجع الأنفاس التي فقدتها خلال معارك 1954 - 1955، حتى أنه يمكننا أن نقرر للتاريخ أن آخر معركة تذكر هي التي خاضتها القوات الثورية بجبل «أرثو» في خريف 1956. وبعدها سبّح جيش التحرير الظافر الذي كان قوة الشعب الضاربة في معاركه الخالدة مجرد قوة استعراض يستخدمها الزعماء لدعايتهم في المهرجانات الصحافية على الحدود...

4 - تحقيق عن الظروف المرعبة التي انضم فيها بعض القواد الجزائريين العاملين بالجيش الفرنسي إلى جيش التحرير. ولماذا وقع انضمام بعضهم مثل المدعو «الكومندان إبيدير» عن طريق قيادة العاصمة عوض أن يكون عن طريق

(١) دون أن يجعلنا قولنا هذا مرتبطين بأي زعيم من الزعماء، وإنما نقوله لمجرد إجلال الحقيقة للتاريخ.

قيادة جبل «اوراس». بينما كان هذا الضابط يعمل في وحدة فرنسية تقيم بمدينة «خشلة».

وما يلاحظ أن هؤلاء الضباط تناولوا مناصب مرموقة في جيش التحرير، وهي المناصب التي جردوا منها أصحابها الذين استحقوا لخدمتهم في صفوف الثورة منذ اليوم الأول، بل نرى أصحابها قد قتلوا في مؤامرات اغتيال شنيعة، مثل مصطفى الأكلحل الذي اغتاله جهازا السيد بوصوف بالقرب من مدينة الكاف التونسية، وبعضهم جرد من منصبه وترك وشأنه بلا زاد ولا راحلة في شوارع تونس أو الرباط.

5 - تحقيق عن اغتيال المرحوم «عميرة علاوة» في مقر الحكومة الجزائرية المؤقتة «بالقاهرة» لأنه اكتشف أثناء مهمة توجه فيها إلى «بيروت» اتصالات مريبة تخص السيد فرحات عباس.

6 - تحقيق عن تصرف الحكومة الجزائرية المؤقتة مع الطلبة الجزائريين في الخارج لوضعهم تحت تصرف جهاز نقابة جبهة التحرير (FLN) حتى أن الطالب الجزائري فقد شخصيته وأصبح آلة يوجهها السيد كريم بلقاسم لمصالح معينة، بحيث فقد الطالب كل استعداد للقيام بواجبه، وقد فعلا نشاطه بصورة لم يكن يعرفها حتى أيام الاستعمار.

7 - تحقيق عن تصرف الحكومة الجزائرية المؤقتة في أموال الثورة من وجهتين:

- من الوجهة الفنية لعقد المقارنة بين الميزانية التي خصصتها هذه الحكومة للجيش والميزانية التي تخصصها للجهاز السياسي.

- ومن الوجهة الأخلاقية للكشف عن التكاليف التي كانت هذه الحكومة تخصصها لأعضائها في السنوات الأخيرة.

8 - تحقيق عن كيفية تشكيل مجلس الثورة، وهل هو في صورته الراهنة يحقق تمثيلا كافيا للشعب الجزائري ولكافة مناطق الوطن تمثيلا حقيقيا.

9 - تحقيق عن الدوافع التي دفعت السيد بن خدة إلى الدخول في مناقشات دبلوماسية بمدينة الرباط من أجل ربط الشعب الجزائري بفكرة «المغرب الكبير» دون مراجعة الشعب في الأمر أولا. والمعروف أن حكومة ثورية مؤقتة ليس لها إلا أن تواجه مشكلات الثورة العاجلة.

ملخص .

و ملخص شهادتي هو أنه يجب علينا أن لا نترك الشعب يخوض معركة انتخابية في الظلام الكثيف الذي يخفي على بصره الحقيقة المؤلمة التي أحاطت بشورته، والتي يحاول الزعماء - كل على شاكلته- إخفاؤها إلى الأبد، والتي تتجلى في ذلك الواقع الذي كشفته لنا الأيام، وهو أن أيام الحداد واليأس التي عاشها الشعب خلال الثورة كانت أسعد أيام زعمائه، أولئك الذين صرفوا دماءهم في ولائهم حيث تمسك الشانانيا والويسكي كما يتصرف تماما أمراء العرب في بتروول بلادهم لتشييد قصور ألف ليلة وليلة...

ويجب أن نضيف إلى هذا أنه لم تصعد من قم عالم أو مثقف جزائري أثناء هذه المأساة المحزنة أية صرخة استنكار لإيقاظ الشعب لواجبه، بل كان كل واحد حريصا على أن يأخذ مقعداً في وليمة الزعماء، أو ينتظر دوره... بحيث يجب على كل جزائري صاحب ضمير أن يبلغ الشعب هذه الشهادة حتى يكون على بينة من الأخطار التي تهدد الحقوق والحريات المقدسة التي مات من أجلها مليون من أبنائه الشهداء. وليكون على بصيرة من الأطماع الخفية التي تزحف نحو ثمره ثورته لتجنيتها من يده.

ملاحظة: الوثيقة بدون تاريخ ولكنها يبدو -من خلال النص- أنها كتبت في الفترة ما بين الإعلان عن توقيف الحرب يوم 19 مارس 1962 والاستفتاء عن تقرير المصير الذي وقع يوم 3 يوليو 1962.

(المؤلف)

منشور من الولاية اربابيه بعنوان هل سينكرون ذلك؟

(C O P I E)

FRONT DE LIBERATION
NATIONALS

LE FRONT-ILS ?

ARABES DE LIBERATION
NATIONALS

Village IV

Lecteurs, prenez un registre du forant le plus grand que vous puissiez trouver, examinez-vous d'un style et essayez - si vous le pouvez ? - de dresser un bilan même approximatif des exploits de l'armée française. Vous serez étonnés d'apprendre :

1°) Que l'importance de l'armement récupéré permettrait à la France de subvenir en canon, mortier, mitrailleuses, fusils de guerre et fusils de chasse aux besoins non pas seulement de sa propre armée mais aussi de toutes les armées européennes et ... corporations de chasse.

2°) Que le nombre des moudjahidines "tués" dépasse le million ! (alors que, d'après les évaluations des "experts militaires" français, les effectifs de l'A.L.N. ne dépasseraient pas 30.000 hommes). Que faut-il croire ? C'est au point que l'auteur de ces lignes se demande s'il n'a pas été lui-même tué... sur le papier. Décidément les trinitres "spécialistes" des services de déformations du petit caporal R. Labonte ont perdu et les amis de la mesure et le sens du ridicule. Demandons-leur plutôt de nous expliquer pourquoi la radio et la presse française sont-elles devenues tellement avares d'informations militaires alors que les combats font rage à travers les villages ?

Pourquoi n'ont-ils soufflé mot de CHIFFRE SERIE DE BATAILLES qui se sont déroulées entre le 25/12/57 et le 21/12/57 ? 1°) Dans le djebel Nurb le 25/12/57 : 91 soldats tués et 35 blessés. 5 morts et 7 blessés dans nos rangs. Nous avons récupérés : 1 V.M. BAR, 2 Mat 49, 6 Garant, 19 V.B., 2 T-6 abattus par notre D.C.A. 2°) A Beni-Serane, aux abords de Hammam-El-Djannet, 2 journées d'encerclement, les 28 et 29/12/57 : plus de 150 paras tués, 1 hélicoptère Sikorsky abattu; armement important récupéré. 3°) Dans l'Algeria, le 2/12/57 : un important convoi entièrement détruit; lourdes pertes françaises, entre autres 2 Officiers tués; 1 avion de chasse T-6 abattu. Comme parti à déplorer dans nos rangs nous avons récupérés des mitr, des carabines, des chargeurs de F.M. et 2 postes E.R. 4°) au Djebel Bouhail (sud de Gouraya) le 3/12/57 : 70 soldats tués, un grand nombre d'autres blessés; de notre côté, 1 mort. Nous avons récupéré : 2 fusils Garant avec 30 chargeurs pleins, 1 mitraillet de Thompson avec 6 chargeurs, 1 tromblon de fusil Garant avec 8 V.B., 1 pistolet Sa/s avec 2 chargeurs, 12 chargeurs de F.M. et d'importants documents. 5 prisonniers dont 1 chef de compagnie et 1 caporal-chef. 2 Algériens ont rejoint nos rangs avec armes et bagages. 2 T-6 abattus par notre D.C.A. et 2 autres tombés par accident. 1 moudjahid est tué au champ d'honneur. 5°) A Beni-El, au Sud-Ouest de Gouraya, le 17/12/57 : 30 soldats tués et plusieurs blessés; 2 blessés graves dans nos rangs. Nous avons récupéré 1 V.M. BAR. 6°) A El-Djannet, au Sud-Ouest de M'Hamda, le 17/12/57 : 12 canons G.M.C. incendiés, leurs occupants tués et, parmi eux, 1 capitaine et 1 lieutenant. 2 morts dans nos rangs. Récupération de Mat, Garant, Thompson et 4 autres postes E.R. 700; au cours du combat les Algériens ont rejoint nos rangs et retournés avec enthousiasme leurs armes contre les ennemis du peuple. 7°) A Jidi-Charef, au Sud-Ouest de Marcou, le 19/12/57 : plus de 80 soldats tués dont 1 lieutenant du bataillon qui a eu son P.C. détruit. Dans nos rangs, 1 mort et quelques blessés. 8°) au Nord de Hammam-Melès, le 21/12/57 : 12 soldats tués et leurs armes récupérées. C'est bien en vain que les colonialistes, pour rassurer leur opinion publique, jettent un voile pudique sur leurs pertes et font état des vertus extraordinaires des ... réservoirs de barbelés. Pourquoi n'encerment-ils pas chacun de leurs soldats d'une solide ceinture de barbelés ? Celle-ci lui éviterait peut-être de se voir arracher son arme. Car personne n'ignore plus que le grand arrosant de l'A.L.N. n'est autre ... que l'armée française.

ملحق رقم 09 وثيقة فرنسية سورية حول تمركز قواتنا
في نواحي مونتورنو (1958)

REFERENCE 1- Note n° 668/4.2.B.-Commandant Régional, du 1er Juin 1958.

FICHE de RECRUTEMENTS

N° 232/4.FR.

COMPAGNIE DE MEDEA

Heure de transmission :

No yeh de transport: Foris Militaire

ORIGINE

SOURCE

VALEUR

DATE du RECUEIL

ANALYSE du RENSEIGNEMENT

Brigade de BERRACHOÛIA (Fiche n° 343/4, du 11 Décembre 1958).

Informement - D. A.

C / 3.

11 Décembre 1958.

Le Goum Mougorno serait infesté de rebelles, dans

la région comprise entre MELDEVENUR à SOUAGRA (4 à 5 Compagnies).

Ces bandes seraient très bien armées et posséderaient des mitrailleuses et des mortiers.

Quelques éléments de l'Armée Française seraient aussi des rebelles.

DESTINATAIRES 1-

-Gén. Cdt. Gls. X° RM (7 ex) ALGER

-Col. Cdt. X° Légion (3 ex) ALGER

-Chef d'Esc. Cdt. Crpt. Gls. MEDEA

-Cdt. des compagnies pourvues de ville dans Dpt. (Préfet) MEDEA

-Cdt. ZSA à 20° DI (Ea-2° Bureau) MEDEA

-Cdt. Secteur MEDEA à DAMIETTE

-Cdt. Poste SSN/P4/O MEDEA

-Cdt. le S.G.P. - 2. S.A. MEDEA

-Commissaire de la P.J. MEDEA

-Crestia sira de la P.R.G. MEDEA

-Côte. Compagnie de Gls. ROUARI

ADJALAH - ELIDI et APPREVILLE.

-Côte. Brigade de la Compagnie.

L'intention de ses rebelles serait d'attaquer le

P.N. 30 en largelant le camp de BRAZIA.

RECIPES FILIERS - Autorités habituelles ariades.

à MEDEA, le 11 Décembre 1958.

Le Commandant SAÏTH, Commandant la Compagnie



Signature and handwritten notes.

منشور موجه إلى لجان المدن ومسؤوليها

الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية
 برئاسة وزير الشؤون الخارجية
 والولايات الترابية
 المتقدمة الكائنات

منشور موجه إلى لجان المدن ومسؤوليها
 المتعلقة بالثقافة والفنون

أولاً فيما يخص السياسة : 1- مدارس الترابية والارتقاء للمرافقة والتربية
 الشعب وتجهيزه ، 2- المصالح الترابية والاقتصاد والاجتماع
 فكل من الارتقاء بعد تحصيل التكاليف النظرية والعلية فيما يخص
 الثورة الجزائرية ، 3- الاجتماعات العمومية لتعريف الشعب
 وتثقيفه ، 4- المساجد والكنائس والاجتماع الاخرى فيما يخص السياسة
 مواضع اليقظة في الثورة الجزائرية - معنى هذه الكلمات وكذا اجراء
 الاستفتاء للشباب والاقتصاد - والرقمي الاجتماع والاصلاح
 الترابي ، 5- تقرير المصير وما يتعلق به الواجبات
 المستقبلة - لتسخير جميع الفوائد - المشاركة الفعالة
 للعموم في حل المسئلة - التضامن العمل المشترك مع
 المعوزين مما يتنامى من الحرب والتمكوير والحداب غنيمات حشد
 الشكائ واللاجئين والفقراء - كل ذلك مع الهدوء والكمال
 والنظام واليقين والصدق .

ثانياً فيما يخص الاقتصاد : 1- نظير للاصلاح الترابي الذي لا ينبغي
 منع المعوزين والخونة مما شرهوا الاراضي - 2- شراء العقار ملكة
 يبه مع فرض ضريبة معينة (مذكور في البصائر والامان الاتية لتسجل)
 في تسجيل ابناء من شئت ان تقع غرضه يفقد بها
 ربح مستور الانتاج القومي - ولا ينبغي الانكار دفعه الانتاج
 المستعمل والبايعة الشخصية في الشعبي لهما في
 التوسلات التي يريدون وانفسهم ذوي التواضع الحقيقية
 وذلك للثغاب عليهم ومنعهم مما وسيلهم في الانتقاء الترابي
 3- اختيار الاحياء المسالمة لتتسبب مؤتمرات جديدة

١٢
 ١٤
 ١٥
 ١٦
 ١٧
 ١٨
 ١٩
 ٢٠
 ٢١
 ٢٢
 ٢٣
 ٢٤
 ٢٥
 ٢٦
 ٢٧
 ٢٨
 ٢٩
 ٣٠
 ٣١
 ٣٢
 ٣٣
 ٣٤
 ٣٥
 ٣٦
 ٣٧
 ٣٨
 ٣٩
 ٤٠
 ٤١
 ٤٢
 ٤٣
 ٤٤
 ٤٥
 ٤٦
 ٤٧
 ٤٨
 ٤٩
 ٥٠
 ٥١
 ٥٢
 ٥٣
 ٥٤
 ٥٥
 ٥٦
 ٥٧
 ٥٨
 ٥٩
 ٦٠
 ٦١
 ٦٢
 ٦٣
 ٦٤
 ٦٥
 ٦٦
 ٦٧
 ٦٨
 ٦٩
 ٧٠
 ٧١
 ٧٢
 ٧٣
 ٧٤
 ٧٥
 ٧٦
 ٧٧
 ٧٨
 ٧٩
 ٨٠
 ٨١
 ٨٢
 ٨٣
 ٨٤
 ٨٥
 ٨٦
 ٨٧
 ٨٨
 ٨٩
 ٩٠
 ٩١
 ٩٢
 ٩٣
 ٩٤
 ٩٥
 ٩٦
 ٩٧
 ٩٨
 ٩٩
 ١٠٠

١٠١
 ١٠٢
 ١٠٣
 ١٠٤
 ١٠٥
 ١٠٦
 ١٠٧
 ١٠٨
 ١٠٩
 ١١٠
 ١١١
 ١١٢
 ١١٣
 ١١٤
 ١١٥
 ١١٦
 ١١٧
 ١١٨
 ١١٩
 ١٢٠
 ١٢١
 ١٢٢
 ١٢٣
 ١٢٤
 ١٢٥
 ١٢٦
 ١٢٧
 ١٢٨
 ١٢٩
 ١٣٠
 ١٣١
 ١٣٢
 ١٣٣
 ١٣٤
 ١٣٥
 ١٣٦
 ١٣٧
 ١٣٨
 ١٣٩
 ١٤٠
 ١٤١
 ١٤٢
 ١٤٣
 ١٤٤
 ١٤٥
 ١٤٦
 ١٤٧
 ١٤٨
 ١٤٩
 ١٥٠
 ١٥١
 ١٥٢
 ١٥٣
 ١٥٤
 ١٥٥
 ١٥٦
 ١٥٧
 ١٥٨
 ١٥٩
 ١٦٠
 ١٦١
 ١٦٢
 ١٦٣
 ١٦٤
 ١٦٥
 ١٦٦
 ١٦٧
 ١٦٨
 ١٦٩
 ١٧٠
 ١٧١
 ١٧٢
 ١٧٣
 ١٧٤
 ١٧٥
 ١٧٦
 ١٧٧
 ١٧٨
 ١٧٩
 ١٨٠
 ١٨١
 ١٨٢
 ١٨٣
 ١٨٤
 ١٨٥
 ١٨٦
 ١٨٧
 ١٨٨
 ١٨٩
 ١٩٠
 ١٩١
 ١٩٢
 ١٩٣
 ١٩٤
 ١٩٥
 ١٩٦
 ١٩٧
 ١٩٨
 ١٩٩
 ٢٠٠

ج. الانتماء للاجتماعية. كما ليس من كثر النفاذ والاعتقاد
 بمقدار مركزه لكن قسمه في عينه حسب أهمية المذهب
 والفرد مثلا معالجته المنكر البغلي، وارتدادهم صعيدا
 لو ساءلوا لثقله وتربية الاكابر انشاء جرمه من الميزات
 والخصائص والمساعات ومرفق الاعانة المستعمل. وهذا
 المركز تستعمل عند الحاجة كمنشآت لانها الجرحى والمرضى
 الذين لا يتقنوا الا ان يحل بهم في المنشآت الملائمة الخاصة.
 5. انشاء لجان الاستقبال الاجيب (مع المغرب وتونس وغيرها)
 والسير في ايوامهم وتشغيلهم حتى ينخرقوا في المجتمع.
 في تنظيم الحركة التسييرية - اجازات التبحر الوكيفية عند المرات
 المستند املا في منظمات تمثلها من نصية هذا الشعور
 الوكيفية مثل منظمة الهلال الاحمر الجزائري و لجان الاستقبال
 والاشغال ومدارس تعليم الشعوب المنزلية او القبية والتسيير
 على الانتفاع في جميع المجالات.

ش. مجلس الفضل - تاييد لجنة العدالة بالسير في الاستقامة
 في تكوين هذه اللجنة من بعض الفقهاء يساعدون رجالا فكريا
 ويوجه علم يجب اصراره الناصر على التوجه في محاكماتهم امدح
 الشرع للاستحباب في العيش المنزوي به والتزيم يستلزم مصادره
 باضه... في التعاون والقيام مع لجنة ادارة الشركة.

س. ادارة الشركة - بتعيينها من اجازات شعبية للشركر
 بنفسه مركزه لكن قسمه في عينه يفضله في محل مناسب
 بالاجازة اللازمة لا يواز اجازة السعيية (العاملة)
 ومحل التبحر العملي للظنون او للعداء الذي هم في النظر
 ب. مركزه مركزه ايم. حياك تشييد لليوليس
 في كتابه لغيره في النظر مرات وشتر في ذلك القسم العربي
 3 7 5

وتنزيلات احوال الخراسان والنفوس الداخلة والمنة كرس الخراسان
بالفصل في المراكز. **تب** جملة من الترتيبات الشرعية الشرعية
بكتبة من الاسكندرية (مقدح فلابية حاجيات الادارة فيما
يخص ذلك الاسكندرية لمجلس المنطقه. وما الملاحظ
هذا تدوير وسائل الايقاع الشرعية الشرعية والغير العنصرية
منه مقدح تفاريد الادارة الشرعية بهفة معتقده وتكون
مما يجري عليها التفتيش والمرافعة لتصبح مضمونها
تب مهنة الترتيبات الشرعية النطاق - والحراسة وتدابير
الحذير والتفتيش والقضاء بالترتيب المنجس على العناصر
المعصرة السلفي عليها التفتيش من الركنيات الجذابة. ومكافحة
التفتيش والسرفه والعصران - والكيفية في ذلك توجيه
الموقع - الوعد والارسلاد - ضرب الخلية ونهاية التفتيش
ويجب احواله فضية المصينون في سرعة التفتيش العدالة
تب الاستعلامات العامة جمع المعلومات التي تحصل
عليها احباب الشركة بغير التفتيش الاجمالي (من تراتب
الشركة والاستعلامات على الصلوات العليا - تفتيش السويين
والقضايا المستعجلة يجب ان تبلغ حزمها له التفتيش
على الاتصال بالجنة العملية لوقف الفتنة الخاصة بالمنطقة
الثانية (قسم البلية والحديثة) بالملح على ما عسى ان
يقع من الحوادث (توجد اوراق مكتوبة خاصة بهذا القسم)
تب التفاهة الجديدي بنيت حملات التعليم والادارة
تب بعض روح جديدي في المراكز الموجودة بالسعي لبر الادارة
التي لها التفتيش ذلك
تب تعليم الطلبة بالمساركة الواثقة مع نقابته
الانقلاب والعدو للطلبة المستعمر الجوارحيين (انظر المذكرات
الخاصة بنقابة الطلبة - ترتيب خروجه للملا جيبين (ص) الجوارح
وهذان كما انما في ذلك استنادا وتعليق في حقبة التعليم

في النسخة - حارس الكبار في المساء - ^{أقلامه} ما يسوا من تأليف
بعض مفاصل المتخاضة المغربية (مثل العجالات والكتب المصنوعة
التي لا تروى الاغلافة الكثيرة والموجعة التي الكبار والفقير
ومثلها من مؤلفات الغلاتية والابلام الغنية الاكثر
في تنظيم اوقات الدواخ للكبار فتنظيمها ساجدا للشمس في
الترويض على الصفاة (الخيارات) فكما قلت عدم الاقتضال
والاعتناء بالشمس.

لا تنظيم اوقات فراغ العتيان وتوجههم مثلا انسى
الكتابة مع تهنيتهم تهديا سياسيا مثلا سياتيهم
في انشاء مكبات تحسوي على كتب معيدة في الادب البحر ايربي
والاخرى.

مصاحبة الاعلانية والاخبارات الخاضعة لاسباب ووسائل
صاحبة - اذ كانت للكتابة بالعربية والفرنسية واللات
القبض وما يلزم به ذلك صاف كما هو واوراه خاصة وخبر الخ
في تعيين مسوا عن هذه الصلحة يكون في خبرنا العربية
والفرنسية (في الادب والسياسة) يجب ان هذا المسائل
ان يتصل بوكبيرين يحسونه تحرير المنشورات والمسائل الالمانية
للشكاه بها على ايقان:

أ. فيما يخص المقاب السياسية الحضة يجب ان تكون تلك
المنشورات وغيرها مقبولة وموافقا عليها ما حري مجلس
الولاية - ^ب واما المسائل المحلية الصرفة المكتوبة
الحدو او الموجهة اليه جوابا على امور مبنية على ذلك
يها من ريس القسم من قبله على المنفعة.

ب. في الشؤون ما يحسر الكتابه بالمشيئة - استعداد مطبعة
المنشورات وما عليها عليها ما اوراه الاعلانية وخدماته والكتب
وتلك المشيئة ربما يتغير استعدادها كامل الولاية.

اجتماعات المسئولين في اجتماعاتنا الاجتماعيات
 تكون متواصلة ومنظمة على الاقل مرتين في الاسبوع
 الناقية من تلك الاجتماعات تتقدم الاغراض
 والتفريجات التي تعرض على الشريعة العليا والسلام
 حشر يوليو 1955
 بالقياسه وجماس النكته بور عظة الاله
 الخطاب من درج ليكونا بوسلمان ساي

الجمهورية الجزائرية

الولاية الرابعة
المنطقة الناضية

مجلس الشعب
الوطني

استعمال مقترحات

1. عسكري

1. تجميع الجنود على أفواج صغار، وجمعهم في الأوقات الزمات

للأعمال الهامة الفدائيين الذين يعملون في السهول والبال ليرمون
مقابل التي لا تعمل أكثر من أربعة أشهر في الواجب الهائل تكون سرياً
بصورة، ولا يتعدوا فيها إلا الذين عليهم والجنود تكون لهم بنية في
الوقت هناك يتكون من قبل جيش بكل

الذين هم من أبناء الجزائر وقد يباح لهم في الأوقات
التي يتعلمون فيها في الأوقات

من يجب على المراكز الفدائية أن يكون مراكز، عندهم في
المنطقة المبرورة، متطرفين ولا يعرفهم من المسؤولين إلى المشتغلين
بالمهنة.

2. سياسي

1. نظام الشعب حسب مفهومنا الدستور، جمعيات، عائلات،
شخصيات، اجتماعات، إحصائيات، أسبوعيات، من طرف المهافضين السياسيين
تدعيم النظام سياسياً بكونها في كل مكان (في البادية والهدون) مراقبية من
المسؤولين عن المهافضين. تأكيد عن الشعب لسمع "صوت الجرائع
الحرة" (سوسن، الرياط، صوت العرب، بغداد، ليبيا، سوريا)

وتعتبر ما هي التدريب العسكري وذلك بتارة المعاش
 ٥- انتشار المسؤولين العسكريين بين الشعبين المشهورين
 الناشطين، النظاميين، الظاهريين، الغير القادرين سيومهمون بحباب
 وبدون حين عد هما تحركات للفدائيين لأسباب المسؤولية
 الذين هم غير قادرين، توسيع الفكر عند المسؤولين العسكريين
 لدر مراقبة هامة من طرف المسؤولين في ما يخص السلاح
 الموضوع عند المستقلين بالجنة (عد الملقاة ومدت مدة قد غني مما يابا)
 هذا الرجال سيكون سريون، والسرية تكون تامة هامة.
 وكل الاجتماعات المعطية للجنود، سواقيتهم المسؤولين
 مرتين الأسبوع على الأقل، وكذلك عمالية، تستلزم، الا لتقادات،
 استجابات الزائرة

٦- انتشار الفدائيين في الريف والبلد في الامم
 ٧- تحمل الاسماء العسكرية بالقوة
 ٨- اعدادال العماليات العسكرية خلف المناطقي: مثال: كل
 ناحية تجعل عشر عماليات في كل شهر (فدا، لغم، قزب، الكوي، لاسكون،
 القوات الكبرى للعدو في النواحي المنكردة
 ٩- حالت المادية للجنود: كل الجنود يكون تحملوا السمة والحمية
 الفاية: تنوع الغذاء، وتكثير المواد، المقوية.
 ١٠- حمل طريقة تستلزم مراكز التدريب في مصلحة اللغام، السلام
 الخياطة، التمريض، ولتظفر للتناج.
 ١١- تدريب عسكري باستمرار حسب وسائل حرب العصابات
 ١٢- الى دفتر "مفيد الفدائي" ومقرات شهم الفدائيين

المشهور في الحوائج
البحران التي العارفة

ارطال اهاد يستعدون في سبل
الحسن

احسانني الجاه والدين والوطن الصالح سي محمد !
تسقى على نغم الأيام والليالي ذكركم الحاجدة وتلويحك الخالدة
مروية في فلوبنا والى الابد ، سكوت ههنا ما منى لنا في عالمنا وديارنا
موتنا في مستهلنا ،
وسواك جعل ذكركم في فلوبنا ثورتنا العارفة مسفة من ذكركم
قوة ومن باسك ما سجدوا ظالمنا جعلنا فعله فاعا باهرا ونهرا هيبنا ، ولن
نفسى امة كليلك الخالدة التركت تحت شرفان منى ارطال في عيش الخوير
الادوية وفكر العدو والقواء عليه ، فكن ملهنا ابها الحاجد العظيم انما جعل
من هذه الكلمة مبداء معلوك برح ونظرة مبرومة مشيرة .
لن نفسى امة انما فركك الذي عرفك مع ذلك افركك الفرصة التي
ماتت روحك كل ما يعرف عنك من اعمال وفرائد في نيتان ، انما كك لملهدين ،
ولن نفسى فانيك في عت هيبنا المنظر وفي هيبك لشعنا التبريم الذي كان
نفسى فهديرك وقد تفر ففالك الفرصة في نوعها ، ولن نفسى اربا
اشناكك اللبنة في وجهيك الوضاح وحياتك السهم الذي جعل منك اعدا
ومريرا في رؤوسنا لا يمكن نسيانك على ابد الابد من واد ككاهك النقاد
الذي تحت قلب بر اعوض الشاكل وادركك الفرصة التركت تلقى
بما روع المنظر في يوم الاذبح المسلمة المهاجرة في نزاي الولاية الولاية
كلها اعلمت من كفا حيا فوف فاصية على اذساب الاشهار والسلسلة
لكن ان تقاربه الباهرة عليه .

**Populations du Département
DE MEDEA**

le gouvernement a tenu sa promesse et crée le département

de MEDEA

pour établir l'ordre dans votre département, il vous envoie les soldats de la 20^{DI}.

ces soldats étaient hier en Kabylie partout, ils ont **Puni les assassins**

aidé les braves gens protégé les marchés

Habitants du département de **Médeá :**

les soldats de la 20^{DI}. viennent à vous en amis!

ALLEZ A EUX EN AMIS !

**يا سگك عمالة
المدية**

-الدولة وبت وعدها وبدعت

عمالة المدينة

-ليجعل الدم من يدي عمالتكم وقهمت

التيكم عسكرا متينام ذريميزيون وعظروا

العسكرا كانوا البارح يدي بلاد

القبائل

بدي كل مضرب عا فبوا القتال

وعا ونوا الناس الملاح

وحضوا الة سوافح

يا سگك عمالة المدينة

عسكرا متينام ذريميزيون جاوا اليكم كاميات

اتوا اليكم كاميات

احدى المناشير الموزعة على أهالي المدينة



من اليمين الى اليسار،
الواقفون: سعيد حمدين، أيام قبل نزولته الى العاصمة - المؤلف - الهادي (محافظ سياسي)
الجالسون: ضابط من ناحية الساحل استشهد في وسط مدينة بوفاريك سنة 1961 - شهيد.



من اليمين الى اليسار:
- جمال بناي، دخل العاصمة سنة 1960 ضابط من المنطقة السادسة
- علي الجزائري، مسؤول ناحية متيجة والساحل، استشهد في أواخر سنة 1960
- مجاهد شهيد

الفهرس

05 تقديم الفريق سعد الدين الشاذلي

08 مدخل لماذا هذه المذكرات؟

الفصل الأول،

قيادة الداخل يجتمعون ويرسلون العقيد الموائس

13 إلى القيادة في الخارج

13 1 - خصوصية الولاية الرابعة

14 2 - بعض الأضواء على الولاية السادسة

15 3 - تجانس الأفكار

19 4- النوايا الصادقة

20 5 - فشل اجتماع قادة الداخل

22 6 - شهداء الولاية الرابعة خارج حدودها

الفصل الثاني،

قيادة كبار عرفتهم، أو من نجر مظاهرات

25 11 ديسمبر 1960؟

25 1 - قوات العدو تقلد جيش التحرير التحرير وتسمم مياه الشرب

32 2 - هل نجح الجنرال شال في مخططه

33 3 - اجتماع وملابسات

37 4 - ذكريات وأبطال: من عبان رمضان إلى بن مهدي

40 5 - دورية وأبطال أو الصداقة مع الشيوعيين

43 6 - البطل القومي من فلسطين إلى الجزائر

الفصل الثالث،

45 سي صالح زعموم يتفاوض مع ديغول

45 1 - سي صالح في قصر الإليزي مع ديغول

48 2 - سي صالح القائد الحكيم

49 3 - محادثات قصر الإليزي

56 4 - خطة إحباط نتائج لقاء الإليزي

67 5 - سي صالح وزفيقه يحاكمان

الفصل الرابع،

المصاليون، بلونيس وكوبيس وحدهم الهدف، الخيانة.. 75

- 1 - الجبهة مؤسسة معقدة..... 75
- 2 - من داخل الحصار..... 76
- 3 - حقد المصاليين على الثورة..... 84
- 4 - العميل كوبيس وقصة قتله..... 86
- 5 - العميل السعدي على نهج الخيانة..... 91

الفصل الخامس،

من أزمة الولايات... إلى الصراع على السلطة..... 97

- 1 - الاستقلال ومحنة الولايات..... 97
- 2 - من هو العقيد المتآمر..... 111
- 3 - الصراع على السلطة..... 112
- 4 - من الدفاع عن الشرعية... إلى غزو جماعة تلمسان للعاصمة..... 120

الفصل السادس،

من جبهة القوات الاشتراكية إلى عدوان ملك الرباط على الجزائر... 125

- 1 - من البرلمان إلى جبهة القوات الاشتراكية..... 125
- 2 - من تجربة السلاح إلى تجربة البرلمان..... 126
- 3- اتهامات باطلة..... 137
- 4- جبهة القوات الاشتراكية وميدان التطهير..... 141
- 5 - جبهة القوات الاشتراكية وعدوان ملك الرباط على الجزائر..... 143
- 6 - بعض أصدقاء المعركة أو من شارك فيها؟..... 149
- 7 - بومدين أخرج المجاهدين من شرف الجهاد وجعلهم تجارا..... 155

الفصل السابع،

بن بلة وبومدين، أو من تدعم ضباط الجيش الفرنسي

- 1- بومدين، من الانقلاب... إلى الزعامة..... 159
- 2 - الانقلابيون يوزعون الأدوار..... 161
- 3 - حزيان والجنرال البليد..... 168

الفصل الثامن،

شرح في البومدينية، من ثورده الطاهر الزبيري

- 171 إلى معارضة كريم بلقاسم.....
- 171 1- لماذا حركة 11 ديسمبر 1967 التمردية؟.....
- 173 2 - الذين قالوا للزبيري: تمرد ونحن إلى جانبك!.....
- 184 3 - كيف تم تهريب الزبيري؟.....
- 189 4 - وكانت الخيانة أسبق من الهزيمة.....
- 190 5 - مع كريم بلقاسم في باريس.....
- 192 6 - مخابرات بومدين تخترق صفوف معارضة كريم بلقاسم.....

الفصل التاسع،

قصتي مع رجال مخابرات بومدين،

- 197 السجن، الاستنطاق والتعذيب للإنسانى.....
- 197 1 - رحلة الاستنطاق والسجون.....
- 198 2 - من جحيم التعذيب إلى جحيم الزنزانة.....
- 207 3 - حكمت علي محكمة بومدين بثلاثين عاماً سجنًا.....
- 212 4 - السجن ولا الخضوع.....

الفصل العاشر،

الشهيد الأسطوري أو الصنف النورى

- 215 1- الثورة فعل جذري وخلاق.....
- 219 2 - من أغرب القصص.....
- 221 3 - هل بلغ العدو ميثاقه؟.....
- 223 4 - الرجل المعجزة.....
- 225 5 - شجرة الشهداء.....
- 228 6 - الشهيد الأسطوري.....
- 228 7 - الرأس المعلق على السارية أو حضارة الطاغوت.....
- 230 8 - شهيد يفتت قطعاً قطعاً!!!.....
- 232 9 - علي خوجة... حقيقة أسطورة.....

235	الفصل العاشر عشر، من ملحة الساحل إلى حانة بوفاريك.....
235	1- ملحمة الساحل.....
236	2 - أسطورة من البحر.....
237	3 - الكولون «فلوري» يقتل مائة عربي.....
238	4 - حانة بوفاريك.....
238	5 - عمليات جريئة غيرت المعادلة.....
239	6 - صليب الراهب.....
241	7 - حرب شاملة ضدنا.....
	الفصل الثاني عشر،
245	مصالي الحاج... محمد هريبي، أو قراءة في التاريخ عن بعد ...
245	1- مصالي الحاج: ماله وما عليه.....
249	2 - السباحة ضد التيار، أو قراءة التاريخ عن بعد!.....
251	3- دعوة إلى صاحب كتاب «جبهة التحرير بين الأسطورة والواقع»!.....
	الفصل الثالث عشر،
261	جهان مخابرات الثورة وعلامات استفهام (Le M.A.L.G.) ...
261	1- جهاز مخابرات الثورة والأجهزة المضادة (Le M.A.L.G.).....
265	2 - جهاز المخابرات وعلامات استفهام؟.....
270	الخاتمة.....
273	الملاحق
274	الملحق رقم 1: قيادة الولاية 4 تنفذ الحكومة المؤقتة وجهاز مخابراتها.....
282	الملحق رقم 2: تأثير ضبط المكتب الثاني من خلال عمليات فحس الدماغ.....
291	الملحق رقم 3: مصاليون ينضمون إلى الجبهة ويعترفون ب.....
295	الملحق رقم 4: المحاكم العسكرية والعقوبات.....
301	الملحق رقم 5: ظروف وكيفية استشهاد العقيد سي امحمد بوفرة.....
315	الملحق رقم 6: تقرير من المؤلف إلى العقيد بوفرة.....
317	الملحق رقم 7: شهادة من أجل مليون من الشهداء (مالك بن نبي).....
323	الملحق رقم 8: منشور من الولاية الرابعة بعنوان «هل سينكرون ذلك؟» ..
324	الملحق رقم 9: وثيقة فرنسية سرية لتمرکز قواتنا في نواحي موقرونو(1958)..
325	الملحق رقم 10: منشور موجه إلى لجان المدن ومسؤوليها.....
331	الملحق رقم 11:
333	الملحق رقم 12:
334	الملحق رقم 13: إحدى المناشير الموزعة على أهالي المدينة.....
337	الفهرس :

هذا الكتاب

«...استمعتُ كثيراً بقراءة كتاب «شاهد على اغتيال الثورة»
للراشد لخضر بورقعة.

... إن الكتاب يحكي قصة ثورة الجزائر... من وجهة نظر ضابط شاب في
الولاية الرابعة، عش الحرب من أولها إلى آخرها. قصة حافلة بالبطولات، ولكنها
تم تسلّم من الكثير من الخيانات والمؤامرات... ثورة سقط فيها الآلاف من الجنود
الفرنسيين والمستعمرين. وسقط فيها أيضا الكثير من الخونة والعملاء الذين
كنوا يتعاملون مع العدو.

... والكتاب مليء بالقصص الشيقة التي يحكيها أحد شهودها وصانعيها.
فهو يحكي قصة الزيارة السرية التي قام بها قائد الولاية لقصر الإليزي حيث
قابل الجنرال ديغول يوم 10 يوليو 1960. تلك الزيارة التي كان يهدف الجانب
الفرنسي من ورائها إلى شق صفوف قيادات جيش التحرير، والتي كن نتيجتها
قيام جيش التحرير بتصفية كل من شارك فيها.

وهو يحكي كيف كانت زوجات بعض (الحركة) يسرقن الأسلحة والتخيرة
من أزواجهن ليبعثن بها إلى الجاهدين...

...ويخصص المؤلف أكثر من نصف الكتاب ليشرح فيه تفاصيل لصراع
السياسي في الجزائر بعد استقلالها. كيف استغل ملك المغرب هذه الصراعات
السياسية، فدفع بقواته يوم 9 أكتوبر 1963 لاحتلال وضم أجزاء من أرض الجزائر
إلى ملكه... وكيف دفع هذا الغزو القوى الجزائرية إلى توحيد صفوفها من أجل
مقاومة هذا الغزو... وكيف تم انقلاب بومدين ضد بن بلة في 19 جوان 1965...
وكيف اندلعت حركة التمرد في 1 أديسمبر 1967 بقيادة لعقيد الطاهر الزبييري...
وكيف التقى لخضر بكريم بلقاسم في باريس ثم بعد ذلك في مدريد في جوان
1968. ثم يحكي المؤلف كيف انتهت رحلة نضله العسكري والسياسي بالقبض
عليه بعد عودته إلى الجزائر عام 1968، ثم الحكم عليه بالسجن لمدة ثلاثين عاما.
فضى منها سبع سنوات ونصف قبل أن يفرج عنه حيثأنف حبات
كمواطن عادي».

من التقديم

بللم اللويق سعد الدين الشاذلي

لائد الأركان في حرب أكتوبر 1973.

الناشر